الجمهورية التونسيّة

وزارة التعليم العالي

جامعة – تونس

قســـم التاريخ

دور عمان في منطقة المحيط الهندي وشرق إفريقيا من القرن الثاني الهجري إلي القرن السادس الهجري / الثامن إلى القرن الثاني عشر للميلاد

أطروحة دكتوراه في تاريخ الحضارات الوسيطة

إعداد الطالب:

حميد بن سعيد البادي

إشراف الأستاذ:

الدكتور / راضي دغفوس

السنة الجامعية 2006/ 2007م

فهرس المواضيع

الباب الثاني: الملاحة والتجارة العمانية في المحيط الهندي.

الباب الأول:

الأوضاع في عمان من القرن الثاني إلى القرن الثالث الهجري

القرن التاسع –القرن التاسع ميلادي

مقـــــدمة

سيطرت عمان بموقعها المطلّ على سواحل شرق وجنوب جزيرة العرب على مجمل الطرق البحريّة، وكان لموقعها هذا أثر كبير انعكس على الحياة الاقتصاديّة وأصبحت عمان مركزاً هامّاً للتّجارة العالميّة، وقد هيّأ لها موقعها ظهيراً ملاحيّاً وتجاريّاً وزراعيّاً. أمّا فيما يتعلّق بعلاقاتها الخارجيّة فقد ربطها موقعها بمختلف الأقاليم، ففي الجنوب الشّرقيّ ارتبطت بالأقاليم المداريّة الاستوائيّة، وفي الشمال الغربيّ ارتبطت بالأقاليم المعتدلة الرّطبة، ولتحديد هذا الموقع وما أفرزه من أحداث سياسيّة معقدة لاحتوائه على مسارات الطرق التجاريّة لابدّ أن نتعرّف أوّلاً على تضاريس الموقع الجغرافيّ.

لقد شكّل موقع عمان الجغرافيّ الذي يمتدّ من مهرة جنوباً إلى اليمامة شمالاً أهميّـة دوليّة في المجالين الملاحيّ والتجاريّ، بالإضافة إلى بروزه في مجالات اقتصاديّة مهمّـة، وكان لهذا البروز المتميّز أثر كبير في استقطاب العديد من الهجرات العربيّة التي استقرّت بين أرجائه على مختلف الحقب الماضية، فلقد استقرّت في أرجائه قبائل قحطا نية وأخرى عدنا نية كانت قد هاجرت من أماكنها في شبه جزيرة العرب لظروف سياسيّة أو اقتصاديّة.

ولمّا كان موقع عمان يحدّه البحر من الجنوب الشّرقيّ إلى الشّمال الغربيّ، وتحدّه من جهة الغرب إلى الجنوب كثبان الرّمال التي أطلقت عليها تسمية الأحقاف، فقد سعى الإنسان العمانيّ إلى الاستئناس بالبحر والتّأقلم معه، وتمكّن من الاتّصال بالأقاليم القريبة والبعيـدة، ومن هنا بدأت عراقة الموقع تخالج شعور الإنسان العمانيّ، وتـزرع فـي ذهنـه فكـرة الاستقلال عن شبه جزيرة العرب باعتبار أنّ لعمان حضارات قديمة عاشت مستقلّة علـى أرضها منذ بداية تكوينها. غير أنّ ارتباط عمان بدولة المدينة ثـمّ بـالأمويّين والعبّاسـيّين لاحقاً، لم يترك لها مجالاً للاستقلال، ومن هنا بدأ الصّراع بين العمانيّين والأمويّين أوّلا ثمّ العبّاسيّين لاحقاً، وقد هيّأت هذه المواقف العمانيين لخوض صراع مسلح مع الأمويّين. فما هي الأسباب الجوهريّة التي مهّدت لهذا الصراع ؟

لقد أدّى دخول الإسلام إلى ارتباط عمان بدولة المدينة في عهد الخلفاء الرّاشدين، ثـمّ بالخلافة الأمويّة وظلّت عمان تخضع خلال تلك الفترة لولاة تعيّنهم الخلافة الأموية على أن تبقى عمان شبه مستقلّة عن مركز الخلافة، غير أنّ هذا الوضع تغيّر بمجيء الحجّاج بـن يوسف الثّقفي والياً على العراق(75-95هـ/694-714م) فلقد وجّه هذا الأخيـر عـدّة

حملات إلى عمان بهدف بسط نفوذ الحكم الأمويّ عليها، إلاّ أنّ هذه الحملات باءت بالفشل في بادئ أمرها بسبب عدم مقدرته على التّعامل مع زعامات الحركة الأباضية مثل جابر بن زيد الذي نفاه الحجّاج إلى عمان والذي تمكّن من نشر الدّعوة الأباضيّة بين قبائلهـــا، وقـــد استقبل العمانيّون هذه الدّعوة باعتبارها تشكّل نهجاً مغايراً لبني أميّة، كما أنّ الحجّـــاج لـــم يستطع التعامل مع أباضيّي البصرة الذين تمكّنوا من إنشاء مدرسة أباضيّة بها لتعليم أصول الدّعوة، وكان ذلك يتمّ على مرأى من الخلافة الأمويّة.

لقد نجح الأباضيّة في تكوين أوّل كيان سياسي لهم في كلّ من حضرموت واليمن سنة 129هـ/746م، بإعلانهم الإمامة الأباضيّة بقيادة طالب الحقّ الكندي وتمّ القضاء عليها سنة 130هـ/747م. ورغم أنّ هذه الإمامة لم تعمّر طويلاً إلاّ أنّها تعتبر ناجحـــة باعتبـــار أنّ قوّادها خاضوا أوّل تجربة لهم، وعلى إثرها خيضت تجربة أخرى في عمان بإعلان إمامة الظّهور سنة 132هـ/749م وتمّ القضاء عليها سنة 134هـ/751م من قبـــل العباســـيّين، وبذلك فقد سيطر العباسيّون على إقليم عمان نحو أكثر من أربعين عاماً.

وفي سنة 177- 280هـ/793-893م عاود العمـــانيّون الكـــرّة بـــإعلان الإمامـــة الأباضيّة الثّانية التي حافظت على استقلالها وبسطت نفوذها على عمان نحو أكثر من مائة سنة، ووصلت عمان حينذاك أوج ازدهارها، وقد تمكّن قادة الإمامة من بسط نفوذهم علـــى جميع السواحل الشرقيّة لجزيرة العرب، كما تحكّموا في مسارات التّجارة المتّجهـــة إلـــى منطقة الخليج العربيّ، وتمكّنوا من بناء أسطول حربي ضخم يقدر بأكثر من ثلاثمائة سفينة، فضلا عن الجيوش بمختلف تقسيماتها، وقام العمانيّون بدور حضاريّ بارز، حيث ســـاهموا بمختلف أنماط الحضارة ومظاهرها، وقاموا بدور فعّال في بناء صرح الحضارة الإسلامية، وقد نبغ منهم علماء وأدباء، وتمكّن هؤلاء من بناء مدارس علميّة ساهمت في نشر الثّقافـــة الإسلاميّة وعلومها، وكانت تدرّس في هذه المدارس مختلف العلوم، وقد تخرّج منها علماء قاموا بإثراء المكتبة العمانيّة خصوصا والعربية عموما، وتعدّدت أنواع هذه العلوم لاســـيّما علوم الفقه والحساب واللّغة وآدابها، ونبغوا في علم التّاريخ والفلسفة وغير ذلك.

كما قام العمانيّون بتشييد مختلف أنواع العمارة كالبروج والقلاع والحصون فلقد شيّدت أكثر من (500) قلعة وحصن، فضلا عن العمارة المدنيّة والدينيّة.

الفصل الأول

تقديم جغرافي وبشري.

I – البيئة الجغرافية:

لا بدّ للمرء المتتبّع لتاريخ منطقة من المناطق لمعرفة جوانبها التاريخيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة أن يتعرّف أوّلا على بيئتها الجغرافيّة باعتبارها القالب الذي تصبّ فيه كافة المتغيّرات والمؤثّرات عبر حقبها الزّمنيّة.

وانطلاقا من ذلك فإنّ دراسة البيئة الجغرافيّة لعمان هي توضيح لمعالمها التاريخيّة والحضاريّة ومعرفة موقعها الذي يعتبر موقعا إستراتيجيا بكلّ المقاييس، إذ يشكل بوّابة الطّرق البحريّة التي تربط بين أقاليم الخليج العربيّ ومنطقة المحيط الهنديّ.

لقد ساهم موقعها بدورفاعل لتصبح عمان مركزاً هامّا من مراكز الحياة الاقتصاديّة بشرق جزيرة العرب بالنظر الى غزارة نشاطها الملاحيّ والتجاريّ منذ أزمنة موغلة في القدم. فقد تميّزت بخاصيّة مهمّة، وهي أنه ليس لها عوارض جغرافيّة قد تعيق الحركة في مياهها البحريّة، وقد ساعدها ذلك على اتّصالها بالعالم الخارجيّ عبر مسالكها البحريّة منذ القدم، كما هيّأ لها موقعها ظهيرا ملاحيّا وتجاريّا وزراعيّا ساعد على تأمين حياة السكّان.

لقد لعبت عمان دوراً مهمّا في مياه المحيط الهنديّ مع مختلف بلدانه وأقاليمه في المجالين الملاحيّ والتّجاريّ[1]. وقد تحكّمت ظروفها الطبيعيّة في صنع سياسة الدولة التي كانت عونا على إضفاء الأهميّة الجيوبوليتيكية التي ساهمت في التفاعلات الإقليميّة والدوليّة منذ أزمنة متناهية في القدم حتّى وقتنا الحاضر. وكانت هذه الميزة أهمّ عامل ساعد عمان على أن تصبح مركزاً ديمغرافيّا للهجرات العربيّة عبر حقبها التاريخيّة.

1 – الموقع:

تقع عمان في الركن الجنوبيّ الشرقيّ لشبه جزيرة العرب، حيث تمتدّ بين دائرتي عرض(16،39 و26،30) درجة شمالا، وبين خطّي طول(52 و59،50) درجة شرقا، على شمال مدار السّرطان في جهة الجنوب منه. وبذلك فهي تنتمي إلى المناطق الحارّة الجافّة، ويوجد بجنوبها امتداد للمناخ الاستوائيّ ويحيط بها من الجنوب الشرقيّ بحر العرب ومن الشّمال إلى الشّمال الشرقيّ خليج عمان ومن الشّمال الغربيّ الخليج العربيّ، ويصل

---

[1] – المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري، ***أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم***، دار إحياء التراث العربي، بيروت بدون تاريخ. ص62.

طول سواحلها من أقصى الجنوب الغربيّ عند ضربة علي بساحل بحر العرب إلي أقصى الشّمال عند مضيق هرمز نحو 3165 كيلومترا، وتطلّ سواحلها على المحيط الهندي، وتتخللها عدّة جزر، مثل جزيرة مصيرة التي تقع على سواحلها الشرقيّة، ومنها إلى الجنوب تقع جزر الحلانيّات "جزر كوريا موريا" على بحر العرب، وفي منطقة مسندم جزيرة سلامة وبناتها[1].

وقد اختلفت المصادر العربيّة في تحديد موقعها الجغرافيّ والإداريّ وفي بعض الأحيان حول مساحتها الكلّية. فابن رستة[2] وأبو الفداء[3] والمقدسي[4] يدخلون عمان في الإقليم الأوّل بينما أدخلها المسعودي والدمشقي[5] والهمداني[6] في الإقليم الثّاني، كما اكد ذلك ابن خلدون فاعتبرها ضمن الجزء السادس من الإقليم الثّاني[7] . وتتميّز عمان باستقلالها عن أقاليم شبه جزيرة العرب، حيث أشار كل من ابن حوقل[8] وقدامة[9] والاصطخري[10] أنّها مستقلة عن شبه جزيرة العرب، وهي متّصلة بمهرة من جهة الجنوب[11] ومجاورة لها بل تعتبر مهرة في بعض الأحيان من عمان نفسها[12] . وقد ذكر قدامة أنه "**بالانحراف نحو**

---

1 - ***الأطلس المدرسي*** لسلطنة عمان، وزارة التربية والتعليم، دار النهضة للطباعة والنشر، 2004م. ص 84.

2 - ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر بن رسته، ***الأعلاق النفسية***، ط أبريل 1892 ص96- دار صادر.

3 - أبو الفداء، عماد الدين بن إسماعيل محمد بن عمر ، تقويم البلدان، دار صادر بيروت بدون تاريخ، ص 98-99.

4 - المقدسي، ***أحسن التقاسيم***، المصدر السابق، ص 67.

5 - شيخ الربوة ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن طالب الأنصاري، ***كتاب نخبة الدهر***، مطبعة بطرسبورغ 1865م. ص 65.

6 - الهمداني، أبي الحسن بن أحمد بن يعقوب، ***صفة جزيرة العرب***، تحقيق محمد على الأكوع مكتبة الإرشاد صنعاء 1990م ص90.

7 - ابن خلدون عبد الرحمان، ***مقدمة موسوعة ابن خلدون***، دار الكتاب المصري 1999م ص100.

8 - ابن حوقل، أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله (300هـ) ***صورة الأرض***، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد بدون تاريخ ص 44.

9 - الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحموى الحسيني، ***نزهة المشتاق في اختراق الآفاق***، ج1/ 155، عالم الكتب، بيروت ط1 1989م.

10 - الاصطخري، ***مسالك الممالك***، المصدر السابق، ص 25.

11 - الهمداني، ***صفة جزيرة العرب***، المصدر السابق، ص 90.

12 - المسعودي، أبو الحسن بن الحسين على، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، تحقيق محمد محي الدين، كتاب التحرير 1960م، ط84

المشرق من أعمال اليمن تقع أعمال عمان واليمامة والبحرين"[1]. كما تبيّن المصادر حدود عمان من جهة الغرب، فالأحقاف تقع بين عمان وحضرموت[2] وهي رمال شكّلت امتــدادا للرّبع الخالي يصعب سلوكها لكثرة قفارها[3]، ويتّصل رمل الــدهناء الواقــع وراء يبــرين بعمان، ومحجّة عمان تقع في ذلك الرّمل آخذة على يبرين والخن[4] . كما أنّ الرّمال الواقعة بين الدهناء والبصرة وهي مقبلة إلى عمان تمتدّ نحو المغرب، ثمّ إلى مصر.أمّا يبرين فهي تمتدّ إلى مكّة[5]. وتشكّل تلك الرّمال صعوبة بالغة في الاتّصال بعمان من جهة الغرب، وبهذا المفهوم تصبح عمان أشبه بجزيرة يحاصرها البحر من الجنوب الــشّرقي ومــن الــشّمال الشرقيّ إلى الشّمال الغربيّ، فهي تقع بين حاجزين، حاجز مائي وآخر رمليّ[6] بــل تعتبــر معزولة عن جزيرة العرب. وكان الجغرافيّون القدامى أمثال ديودور الصقلّي واســترابون يقسّمون جزيرة العرب إلى ثلاثة أقسام رئيسيّة" العربية الصخريّة" والعربيّة الــصحراويّة والعربيّة السعيدة" وكانت عمان تدخل ضمن العربية السعيدة[7]. أما العرب أنفسهم فقد قسموا جزيرتهم إلى خمسة أقسام رئيسية، تهامة، اليمن، الحجاز، نجد، والعروض، وحسب تقسيم العرب فإن عمان والبحرين واليمامة تقع في العروض[8]. كما تذكر المــصادر أن اليمامــة والبحرين إلى عمان من العروض وتهامة تساير البحر[9]. وقد وصفت عمان بأنهــا كــورة عربية على ساحل بحر اليمن وهي مجاورة لبلاد مهرة من الشمال[10] ويشكل البحر بنــاءاً

---

[1] – قدامه، أبي الفرج قدامه بن جعفر الكاتب البغدادي(ت320) ***كتاب الخراج وصنعة الكتابة***، مكتبة الثقافة الدينية بورسعيد، بدون تاريخ، ص 248.

[2] – الهمداني، ***صفة جزيرة العرب***، المصدر السابق، ص90.

[3] – الحميري، محمد بن عبد المنعم، ***الروض المعطار في خبر الأقطار***، تحقيق إحسان عباس ط 3، مؤسسة ناصر للثقافة 1980 م ص413

[4] – الهمداني، ***صفة جزيرة العرب***، المصدر السابق، ص 264.

[5] – الهمداني،المصدر نفسه، ص 274.

[6] – البادي، حميد بن سعيد، ***دور العمانيّين في الملاحة والتجارة في منطقة الشرق" المحــيط الهنــدي" 132- 400هـ)/ 750- 10009م)*** رسالة ماجستير غير منشورة الجمهورية التونسية، وزارة التعليم، جامعة تونس الأولى كلية العلوم الإنسانيّة، 2002. ص 25.

[7] – كاشف إسماعيل، ***عمان في فجر الحضارة الإسلامية***، ط 3. وزارة التراث مسقط، ص8 .

[8] – سمّي عروضاً لاعتراضه بين اليمن ونجد"، الهمداني، ***صفة جزيرة العرب***، المصدر السابق، ص 90 .

[9] – ابن الفقيه، أبي بكر احمد بن محمد الهمداني، ***مختصر كتاب البلدان***، دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ، ص29.

[10] – الحميري، ***الروض المعطار***، المصدر السابق، ص413.

محورياً فما تقارب منه سهول ورمال وما تباعد عنه حزون وجبال[1]. وكان الطريق من عمان عبر الصحراء شاقا يصعب سلوكه، فمن عمان إلى البحرين كانت تسكن قبائل عربية متناحرة تتهدد اخطارها المسافرين، لذلك فقد اتخذ الإنسان العماني الطريق البحري منفذاً رئيسياً للسفر نحو "جدة" باعتباره أكثر المسالك أمناً.

كان الطريق البحري يخرج من مسقط ماراً بصحار، ودبأ وجلفار فإلى البحرين[2] ثم إلى الخشبات ومنها إلى عبدان انتهاء بالبصرة. وتبلغ المسافة في السواحل البحرية من البصرة إلى عبدان نحو أحد عشر فرسخاً، ومن عبدان إلى الخشبات فرسخان، في حين تبلغ المسافة من الخشبات إلى البحرين نحو سبعين فرسخاً، ومن البحرين إلى الدردور نحو مائة وخمسين فرسخاً، بينما تبلغ المسافة من عمان إلى الشّحر مائتي فرسخ، كما تبلغ المسافة من الشّحر إلى عدن مائة فرسخ[3] . وباستخدام الزّمن كمقياس للمسافة فانّ الرّحلة من عبدان إلى البحرين تبلغ نحو إحدى عشرة مرحلة[4] وتبلغ المسافة من البحرين إلى عمان نحو شهر واحد[5] . كما تبلغ المسافة من مسقط إلى سيراف مائتي فرسخ[6] . وتشير المصادر إلى أنّه بين صحار والبحرين وعمان بريّة ممتنعة[7].

أمّا الطّريق البريّ من عمان إلى مكّة، فتختلف الرّوايات حول تحديده، إذ تشير المصادر أنّ التّجارة القوافليّة عبر الصّحراء كانت تسلك طريقين؛ الأوّل كان يخرج من عمان إلى يبرين، ثم يأتي على الفلج نحو واد يعرف بوادي" شطاب" من ناحية الشّمال، ويقع بين الفلج واليمامة. فمن أخذ الطريق الوارد على البياض يرد ماء غدير، يعرف بـ"الهزمة" . فيستمرّ الطّريق حتى يصل منطقة الحيفانة وهو موضع مورد ماء، ثم ينحدر

1 – البكري، أبي عبيد، جزيرة العرب، ***من كتاب المسالك والممالك***، عبد الله يوسف الغنيم، ذات السلاسل للطباعة والنشر ط1 1977.ص38.

2 – الاصطخري، ***مسالك الممالك***، المصدر السابق، ص 44.

3 – ابن خردانبه، ***المسالك والممالك***، المصدر السابق. ص61.

4 – المرحلة = مسير يوم واحد أي ما يعادل (من 25–30 ميلا عربي). العبيدلي، احمد، ***الدولة العمانية الأولى أيام وأحوال***، دار جريدة عمان للطباعة والنشر بدون تاريخ، ص45.

5 – ابن حوقل، ***صورة الأرض***، المصدر السابق، ص45.

6 – ابن الفقيه، ***مختصر كتاب البلدان***، المصدر السابق، ص11.

7 –الاصطخري، ***مسالك الممالك***، المصدر سابق، ص29. أبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي،(ت 320هـ) ***كتاب الخراج وصنعة الكتابة***، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد مصر بدون تاريخ. ص 159.

إلى حوجان نحو الدّيين، وهي منطقة شرق الأفلاج[1]. وهناك طريق يخرج من عمان نحو المخاليف على السّاحل، حتّى يصل إلى المرسى وضنكان، فيأخذ إلى المرسى المسمّى بـ"الحلي" ثمّ ينحرف نحو منطقة تسمّى السرّين، ومنها يسير نحو منطقة أعيار حتى يصل إلى الهرجاب، ثمّ إلى الشعيبة وجدّة. وهناك رأي آخر يؤكد أنّ المنازل من عمان إلى البصرة تقع في السّبخة[2] وهي منطقة بين عمان والبحرين، وتليها قطر والعقير، وهذه المواضع تقع بين عمان وهجر، ويتّجه الطّريق منها نحو حمض ثم يعبر إلى منطقة مسلحة[3] مرورا بالقريتين حسّان وخليجه[4] .أمّا الطّريق الثّاني الذي يتّجه إلى مكّة من جهة اليمن، فيأتي من ناحية الشّحر على السّاحل، ومنها إلى منطقة فرق وعوكلان، مروراً بمنطقة مناة بناحية الشّحر، ثم يعبر نحو مخاليف كندة وعبد الله بن مذحج حتى يصل إلى مخلاف لحج وأبين[5]. وهذا الطّريق تسلكه التّجارة القوافليّة البرّية التي كانت تنقل البضائع بين أسواق العرب في عصر ما قبل الإسلام، وربّما كان طريقا جادّا للتّجّار العرب منذ أزمنة متناهية في القدم.

2- المساحة:

لم تحدّد مساحة عمان الكلّية في الفترة قيد البحث بصورة دقيقة، ولقد ذكر بعض الكتّاب ممن عاصروا الفترة التي ندرسها أنّ محيطها يبلغ ثلاثمائة فرسخ[6]، مؤكّداً على أنّ تلك مساحة أعمالها. وتشير رواية أخرى أنّها ثمانون فرسخا[7] في مثلها، كلّها بساتين نخيل

---

1 – الهمداني، ***صفة جزيرة العرب***، المصدر السابق، ص 163.

2 – قدامه، ***كتاب الخراج***، المصدر السابق، 192 -193.وتعرف السبخة باسم سبخة مطي إلى وقتنا الحاضر.

3 – يذكر الإدريسي، أن عمان تتصل بأرض اليمامة من جهة الشمال الغربي وتخرج الطريق على الساحل من مسقط ودما(السيب الحالية) وصحار إلى منطقة تسمى الخيل، ثم تأخذ نحو جلفار وهذا طريق تسلكه السفن التجارية حتى تصل بالقرب من جلفار وتفرغ شحنها عند جبل غائص في البحر بقدر ما يخف من حمولتها، ثم تواصل رحلتها إلى مراسي السبخة، وهو موضع فيه مياه عذبة ومنها تواصل مسيرها إلى ثقاب وبوار، الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، ج162/1.

4 – يذكر أبن خردانبه، إن الطريق يخرج من البصرة إلى عبدان والحذوثة حتى يصل منطقة عرفجاء ومنها إلى منطقة المقر، وعصي، والمعرش ويمر عبر خليجه حتى يصل ديار حسّان ومنطقة القرى، ويسير نحو مسيلحة وبجّه إلى حمض، ثم إلى ساحل هجر (البحرين) ويمرّ عبر العقير، ومنها يعبر إلى قطر والسّبخة مرورا بدبأ وصحار. ابن خردانبه، ***المسالك والممالك***، المصدر السابق، ص61.

5 – المقدسي، ***أحسن التقاسيم***، المصدر السابق ص 87 و102. قدامه، المصدر السابق، 192-193.

6 – ابن حوقل، ***صورة الأرض***، المصدر السابق، ص45.

7 – الفرسخ: = 4 أميال عربية، المسعودي، أبي الحسن العلي بن الحسين،(345هـ) ***التنبيه والإشراف***، تحقيق، عبدالله بن إسماعيل الصاوي، دار الصاوي للطباعة، مصر القاهرة، بدون تاريخ. ص25.

عامرة[1]. وهي إشارة إلى إنّ مساحتها كانت تبلغ نحو 229249،44 ميلا مربّعـا[2]. بينمـا يـشير الجغرافيّ العربيّ الإدريسي بدوره "أنّ حدودها دور تكون تسعمـــائة ميل[3] عربـــي"[4] أي نحـــو 256543،46 ميل عربيّ[5]. كما تزعم بعض الرّوايات أنّ طولها أربعاً وثلاثين درجة[6]. و جـدير بالذكر أنّه لم تتواجد اية ممالك أو دول ذات كيانات سياسيّة تقف عارضاً بـين عمـان ومراكـز الدّولة الإسلاميّة في الشّام والعراق لاحقا سوى البحرين. وتـشير بعـض المـصادر نقـلا عـن بطليموس وبيربيلوس؛ إنّه يحدّ عمان– في فترة ما قبل الإسلام– من الشّرق المحيط الهنديّ ومـن الشّمال ساحل الخليج الفارسي الجنوبيّ ومن الشمال الغربيّ مقاطعة اليمامـة. ويمكـن أن تقـاس حدودها على هذا التحديد بأنّها تشمل أرض البحرين لتصل إلى خطّ الطّول 30 درجة و30 دقيقـة شرقاً[7]. ويورد العوتبي في أنسابه تأكيداً على أنّ عبد العزّ بن معولة– أحد ملوك عمان بعد مالـك بن فهم – كان ملكه يمتدّ إلى اليمامة والبحرين وما والاهما، وكان له على البحرين واليمامة إتـاوة معلومة كان قد أوكل "باقل بن اليحمد" في تحصيلها وله مجلس في اليمامة يسمّى "الهوان"[8]. وتقـع "بينونة" بين عمان والبحرين[9] في منتصف الطريق بين أبو ظبي وقطر[10] وهي مازالـت محتفظـة باسمها. وقد حدّدت المصادر موقعها بدقة أنّها"صحراء واسعة بين عمان والبحرين تمتدّ على شاطئ الخليج العربيّ نحو جنوب بلاد قطر وشمال بلاد أبوظبي، حيث تحدّها غربا سـبخة مطي وشرقاً الظفرة وجنوبا صحراء المحراض"[11]. وتعرف سـبخة مطـي عنـد أهـل الأحســاء وقطر باســم سبخة عمان[12]. ويبدو أنّ مسألة الحدود العمانيّة ظلّت على وضعها السّابق حتى عهود قريبة، ولقد أثيرت إثر المدّ العثماني الذي حاول ضمّ الكويت وقطر والبحرين

---

1 – المقدسي، *أحسن التقاسيم*، المصدر السابق، ص88.

2 – العبيدلي أحمد، *الدولة العمانية الأولى أيام أحوال*، المرجع السابق، ص31.

3 – الميل = 5.985 كم.

4 – الإدريسي، *نزهة المشتاق*، المصدر السابق، ج185/1

5 – العبيد لي أحمد، *الدولة العمانية الأولى أيام أحوال*، المرجع السابق، 31.

6 – الدرجة = 66.333 ميل، عربي، المسعودي، *التنبيه والإشراف*، المصدر السابق، ص 24.

7 – الجهضمي، زايد بن سليمان بن عبد الله، *حياة عمان الفكرية حتى نهاية الإمامة الأباضية الأولى 134هـ*، مطـابع النهضة، سلطنة عمان 1998 م. ص11.

8 – العوتبي، سلمة بن مسلم، *كتاب الأنساب*، وزارة التراث والثقافة سلطنة عمان، 1986م، ج246/2.

9 – ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، (ت 626هـ) *معجم البلدان*، دار إحياء التراث العربـي، بدون تاريخ.ج65/1.

10 – الجهضمي، *حياة عمان الفكرية*، المرجع السابق، ص 15.

11 – الجاسر حمد، *المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية*، المنطقة الشرقية، البحرين قديما، منـشورات دار اليمامـة، الرياض، ط1، 1979م. ج1650/4.

12 – لوريمر، جون غوردون، *دليل الخليج*، قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو أمير قطر، 1975، ط2، ج4/ 1515.

والساحل المهادن. ولكبح هذا المـدّ في منطقة الخليج العربي، أجرى الانجليز مباحثـات توقيـع إتفاقية مع الدولة العثمانية سنة1913 م، لرسم خط حدوديّ أطلق عليـه تـسمّية الخـط الازرق. وأدرج ضمن خارطة ملحقة بالإتفاقية. وقد بيّن هذا الخط حدود "سنجق نجد"[1]، وبموجبـه أقـرت الحدود السياسية للدولة العثمانية. وقد تخلل هذه الاتفاقية، التوقيع بين الأطراف على أمور تتعلـق بعدم تدخّل الدّولة العثمانيّة في شؤون كلّ من قطر والسّاحل المهادن وعمـان[2] . وبـذلك تخلّـت الدولة العثمانية عن جميع مطالبها في شبه جزيرة قطر والخليج العربي ومـسقط. كمـا اتفقـت الحكومتان "العثمانية والإنجليزية" على ترك إدارة قطر بيد شيخها جاسم آل ثاني وأولاده من بعده، شريطة أن تلتزم الحكومة الإنجليزية بعَدم سماحها لشيخ البحرين، بالتدخّل في شؤون قطر الداخلية أو الإدارية والحيلولة دون محاولاته ضمّها إلى ممتلكاته. ومن جانب آخر حملت الاتفاقية أعتراف الإنجليز بالوجود العثماني في "منطقة نجد"، وأصبحت الحدود العثمانية بعد ذلك، تبدأ من "جزيـرة الزخنونة" الواقعة غرب شبه "جزيرة قطر" وتمتدّ من الشمال حتى الجنـوب إلـى الخـط الأزرق الآنف الذكر. وفي 9 مارس 1914م، وقعت بريطانيا والدولة العثمانيّـة اتفاقيّـة أخـرى سـمّيت باتّفاقية الخط البنفسجي، وبموجبها تمّ تحديد المجال الترابي للدّولة العثمانيّة الذي امتـدّ فـي خـطّ مستقيم نحو الجنوب الغربيّ من شبه جزيرة العـرب. وكانـت هـذه الاتفاقيـة تـصديقاً علـى بروتوكولات ترسيم حدود بين الانجليز والعثمانيين فـي الأعـوام 1903، 1904، و1905 ، تـم توقيعها بينهما لتقسيم المنطقة إلى منطقتي نفوذ عثمانية وإنجليزية[3]. ولقد حدّدت المادة الثّانية مـن الاتفاقية أنّ حدود الدّولة العثمانيّة تشمل المساحة التي تمتدّ عبر الخطّ المستقيم الممتدّ نحو الـشّمال الشرقيّ من "لكمة الشب" مروراً نحو صحراء الرّبع الخالي الذي يقـع علـى زاويـة 45 درجـة لتتشكل الحدود الجنوبية للدولة العثمانية، ووصولا عند نقطة الخطّ البنفسجيّ مع تقاطع خطّ عرض 20 درجة الممتدّ نحو جنوب خور العقير الذي يفصل الحدود الإداريّـة "لمحافظـة نجـد" عـن

[1] – من ضمن البنود التي نصّت عليها الإتفاقية بين بريطانيا والعثمانين في يوليو 1913 م، قبول "نجد" كمنطقة عثمانية، وعلـى إثرها تم تعين عبدالعزيز بن عبدالرحمن والياً(قمنداراً) عليها من قبل والي البصرة "سليمان شفيق"، بحيث تكون تابعة لولايـة البصرة، وقد وقّع "عبدالعزيز" على أحد عشر بنداً، نصّ البند التاسع منها:تعهده بعدم الاعتداء على أراضي الكويـت وحائـل والحجاز وقطر والبحرين بالإضافة إلى أراضي القبائل الممتدة حتى نواحي مسقط.غير أن المصادر السعودية الحديثة – حسب ما أورده الكاتب – تنكر إنكاراً تاماً جميع ما تم الأتفاق عليه. زكريا قورشون، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثمـاني، الدار العربية للموسوعات، بيروت لبنان، 2005 .353- 394 .

[2] – وهنا لابد من الاشارة أن بريطانيا كانت قد عقدت حينذاك اتفاقيات مع شيوخ المناطق الشرقية من شبه جزيرة العـرب جعلت بموجبها هذه المناطق تحت حمايتها.

[3] – زكريا قورشون، العثمانيون وآل سعود في الارشيف العثماني، المرجع السابق، 398 – 399.

أراضي قطر[1]. وذلك بموجب ما ورد في المادة 11 من اتّفاقية 1913م المسماة باتفاقيـة الخـطّ الأزرق. وعلى ضوء ذلك ترك هذا الخطّ مساحة تبدأ من شرقي الربع الخالي حتّى خـط الطـول 50،5 شرقاً، وظلّت هذه المساحة ضمن النفوذ البريطانيّ حينذاك[2] . وقد تم التوقيـع علـى هـذه الإتفاقيات من قبل "ابراهيم حقي باشا" ممثلا عن الحكومة العثمانية و"إدوارد" ممثلا عن الحكومـة الانجليزية[3]. كما أثيرت جدليّة الحدود في العصر الحديث لتحديد مساحة عمان الحقيقية وموقعهـا الفعليّ. وعلى أثرها أرسلت الأمم المتّحدة بعثة إلى عمان، وقد أشارت فـي تقريرهـا الأوّل" أن اسم عمان يستخدم بطرق مختلفة تبعا لمن يقوله وفي الأحوال التي يستخدم فيها"[4]. ثم كلّفت لجنـة أخرى أعدت لهذا الغرض تقريرين مكوّنين من 866 فقرة و24 ملخّصا للإجابة عن السّؤال الأوّل المتعلق بالحدود. ولتحديد موقع عمان كإقليم تتركّز فيه التجمّعات البشريّة، تبيّن لـدى اللجنـة، أنّ اسم عمان هو خليط من كيان سياسيّ وجغرافيّ يرتكز على سلسلة جبال منعزلة تقع فـي الـرّكن الجنوبيّ الشرقيّ من شبه جزيرة العرب، وتتّصل بها عدّة أقاليم[5] . وعلى ضـوء سياسـة الـدّول الاستعماريّة وبالأخصّ بريطانيا، التي استحدثت نظام "فرّق تسد" في فرض هيمنتها علـى الـدّول العربيّة في المشرق العربيّ، كان النّظام يهدف بالدرجة الأولى إلى تجزئه التجمّعات الكبرى إلـى أجزاء صغيرة لتسهل السّيطرة على القبائل الغاضبة المناهضة للوجود الانجليزي، وفي هذا الصدد يقول ولكنسون: "عندما عمدت بريطانيا لكي تقوّي نفوذها في الخليج العربيّ في شـكل امتيـازات لبعض شركاتها البتروليّة للبحث عن البترول، واجهتها أوّل الأمر مشكلة الـدّفاع عـن المنـاطق السّاحلية من الهجوم ثمّ بعد ذلك محاولة الحكّام لاستعادة سيطرتهم على السكان وعلـى المـصادر الكثيرة لعمان العظيمة، لذا فقد قامت بريطانيا بتقسيم المنطقة لعدد من الأقاليم ولهذا الـسّبب فقـد استخدم الكتّاب اسم "عمان" كإشارة للإقليم ككل"[6].

وإذا ما أخذنا الاعتبارات الجغرافية والتسمية القديمة "عمان" لإقليم ما يسمى اليوم بـ"دولـة الإمارات العربية المتّحدة"، فإنّنا نتبيّن أنّ مساحة عمان كانت شاسعة خلال الفترة التـي ندرسـها. إذن فلا غرو إذا ما وصفتها المصادر أنها تتّصل بمهرة جنوباً وأحياناً مهرة من عمان، ثـم إلـى

[1] - العيسائي، علي بن سالم، ***اتفاقية الحدود العمانيّة الدولية دراسة مقارنة***، المرجع السابق. ص 124.

[2] - العيسائي، علي بن سالم، ***اتفاقية الحدود العمانيّة الدولية دراسة مقارنة***، المرجع السابق. ص 125.

[3] - زكريا قورشون، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني، المرجع السابق. ص400.

[4] - ولكنسون جي. رسي، ***الأفلاج ووسائل الري في عمان***. ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التـراث، سـلطنة عمـان 1981، ص9.

[5] - ولكنسون، المرجع نفسه ، ص10.

[6] - ولكنسون، المرجع نفسه، ص11.

رمل الدهناء الممتدّ من اليمامة"الإحساء" إلى بلاد الشّحر في الجنوب الغربيّ[1]. وبغضّ النّظر عن المظلّة السياسيّة التي تنضوي تحتها التجمّعات السّكانية، فإنّ إقليم عمان بموارده الطبيعيّة أعطى انطباعاً مميّزاً من الوجهة النّظرية لإنسان أقاليم الخليج العربيّ وسواحله الشرقيّة منذ القدم إلى وقتنا الحاضر. إذ يمكن أن نطلق عليه جوازاً تسمية "الإقليم الآمن اقتصاديّاً وسياسيّاً"، على أنّ ذلك يقع خارج حيّز هذه الدراسة، ومسألة الخوض فيه تستوجب دراسة أعمق على اعتبار أنّ ظاهرة الثّنائية للحدود السياسيّة العمانيّة شكّلت واحدة من أكثر الظواهر إيغالاً وتأثيراً عبر التّاريخ العمانيّ. (**أنظر الشكل 19**) الخاص بالحدود السياسية في عهد الدولة العثمانية.

II- مظاهر السطح:

يعتبر السّطح أحد الزّوايا ثلاثيّة الأضلاع التي ترتكز عليها شخصيّة الإقليم فهي التي تحدّد ملامحه السياسيّة والاقتصاديّة وبظّواهره التي تميّزه عن غيره من الوحدات الأخرى. فكيف تبدى التقسيمات الجغرافيّة لإقليم عمان؟

1- المرتفعات الجبلية:

"بلاد عمان ما والاها البحر منها سهول ورمال وما تباعد عنه حزون وجبال[2]. ولقد سيطرت سلسلة الجبال المعزولة لتشكل ظاهرة طبيعيّة متوازية على خليج عمان، تتّجه على شكل قوس محوري ضخم بطول (650كم). وتمتدّ بشكل مواز للبحر من رأس الحدّ، وهي أقصى بقعة في شرق جزيرة العرب إلى رؤوس الجبال عند بوابة الخليج[3]. وقد أعطت هذه الجبال إقليم عمان خاصيّة مميّزة وتركت أثارا عميقة في التّاريخ العمانيّ[4]. وتتفرع من هذه الجبال عدة محاور فيمتدّ محور الجزء الشماليّ من الشمال الغربيّ إلى الجنوب الغربيّ، مكوّناً شبه جزيرة مسندم، ويتّجه محور الجزء الأوسط من الشّمال الشرقيّ إلى الجنوب الغربيّ، وهو ما يسمّى بالحجر الغربي، كما يمتدّ محور الجزء الجنوبيّ باتّجاه الشّمال الجنوبي وهو ما يسمّى بالحجر الشرقيّ. وهذا الجزء يمتدّ من وادي سمائل شمالاً حتّى رأس الحدّ جنوباً، وتنقسم هذه المرتفعات إلى عدّة أقسام.

- شبه جزيرة مسندم:

تتكون شبه جزيرة مسندم من هضبة جيرية شديدة التقطع وعرة التضاريس. كما تتكون القشرة الأرضية من عدة انكسارات ذات محور شمالي وجنوبي والتواءات زاحفة ومتقطعة شكّلت سطح الهضبة بصورتها الحالية. ونتيجة لانخفاض سطح الأرض وارتفاع مياه الخليج فقد تكوّنت

---

1 – الهمداني، *صفة جزيرة العرب*، المصدر السابق، ص 264.

2 – الحميري، *الروض المعطار*، المصدر السابق، ص 413.

3 – Wilkinson, *Water and tribal settlement in South East Arabia* 1977.p.6

4 – George Allen *studies on modern Asia and Africa the Arabian Peninsula* society edited by deer 40 p. Wood, 1972.p.69.

في شبه جزيرة مسندم تعاريج وخلجان كثيرة وأودية غارقة يصبّ بعضها في خليج عمان والبعض الآخر في الخليج العربيّ غرباً[1].

- الحجر الغربيّ:

يمتدّ محور الحجر الغربيّ في جنوب شبه جزيرة مسندم حتّى وادي سمائل جنوباً. وتتكوّن هذه المرتفعات من صخور السربنتين والجابرد، وهذه الصخور ناريّة متحوّلة تحتوي على معادن فلزية مثل الحديد والنحاس[2]. وتتخلل هذه الهضبة أودية شديدة الانحدار تصبّ في نطاق الكثبان الرّملية بالسهل الشماليّ الغربيّ الممتدّ إلى الرّبع الخالي، وبعضها يصبّ في نطاق الكثبان الرّملية بإقليم دولة الإمارات. أمّا البعض الآخر فهو يصبّ في خليج عمان. وقد ساهمت وفرة المياه بهذه الأودية في نمو الإنتاج الفلاحيّ الذي اعتمد عليه السّكان في غذائهم واقتصادهم. ونشأت على ضفاف تلك الأودية عديد القرى الممتدّة على طول المرتفعات الجبليّة[3]. وتشكّل تلك المرتفعات هضبة عريضة لها مساحة واسعة، ويبلغ معدل ارتفاعها نحو(4.000 قدم)، كما يبلغ الجزء الجنوبيّ لمسقط المسمّى بالجبل الأخضر نحو(9.904 قدم)، وتسمّى القمة الرئيسيّة للجبل الأخضر "وشام" أو شام، ويصل ارتفاع الهضبة التي تقلّ ارتفاعاً عن الجبل الأخضر نحو (7500 قدم). ولا تتخلل تلك السّلسلة الجبليّة سوى خمسة انقطاعات رئيسيّة وهي:

1 – وادي حتّى وهو يربط بين شناص في ساحل الباطنة ودبي بدولة الإمارات العربية المتحدة.

2– وادي حام الذي يربط مدينة "دبا" بساحل الباطنة والشّريط الساحليّ الذي يتّجه من "دبا" إلى خور فكّان.

3 – وادي الجزي، ويربط بين توام "البريمي" وصحار.

4 – وادي عاهن، وهو يربط الحدان ومنطقة الصير، انتهاء بالجوف وميناء صحار الرئيسي.

---

1 – متولي وأبو العلاء، ***جغرافية الخليج***، مطبعة الفلاح الكويت ط9982/1م ص 48.

2 – متولي، وأبو العلاء ، المرجع نفسه، ص51.

3 – متولي ، وأبو العلاء ، المرجع نفسه، ص 108.

5 – انفراج سمائل وهو مخرج رئيسيّ إلى ساحل الباطنة وميناء مسقط. كما يربط أيضاً بين المناطق الآهلة بالسّكان نسبيّاً في الجوف والغداق والشرقيّة ووسط وادي سمائل نفسه[1].

وتنعكس الطبيعة الخلاّبة لجبال عمان، فيحتضن الحجر الغربي مناطق أكثر أهميّة، كالرستاق التي تحاذي الجانب الساحلي في المرتفعات الجبلية، بينما يحتضن الحجر الشرقي مناطق آهلة رئيسية، كسمائل، وبدبد، والغبراء، وهي محلة صغيرة في وادي سمائل[2].

وتطلعنا المصادر عن الظروف البيئية لجبال عمان، فـ"جبل" نزوى يقع بين صحار والرمال السائلة "الأحقاف" من جهة الشّمال الغربيّ. وهذه الجبال عبارة عن سلسلة مستطيلة من الجنوب إلى الشّمال، وهي سكنى القبائل العمانيّة[3]. ويمكن أن نلاحظ طبيعة الوسط العماني من خلال تقسيماته الجغرافية، فـ"الجوف" يقع بالمنطقة الدّاخلية بين مرتفعات الجبل الأخضر والرّبع الخالي، و تمثّل هذه البقعة من النّاحيتين الجغرافيّة والحضاريّة قلب عمان الداخل. فهي تحتوي على مدن كثيرة أهمّها نزوى العاصمة الأباضية[4]، ومدن أخرى مثل بهلا وجبرين وسلوت. وتقع في النّاحية الشماليّة الغربيّة منها منطقة الظّاهرة، وهي من أهمّ المناطق لأنّها تربط عمان ببقيّة المناطق في شبه جزيرة العرب. وتقع واحات توام "البريمي" في الجزء الشماليّ للظاهرة، وهي مجموعة من القرى تحتلّ موقعاً استراتيجيا على مفترق الطّريق الرابط بين "توام" بصحار من جهة، وداخليّة عمان من جهة ثانية. فهي الطريق البريّة الشماليّة التي تربط عمان بمنطقة الخليج العربيّ، وباقي أجزاء شبه الجزيرة العربية.

– الحجر الشرقي(منطقة الهضبة الجيريّة):

تمتدّ هذه الهضبة من الشّمال الشرقي الممتدّ من وادي سمائل شمالاً حتى عروض رأس الحدّ في الجهة الجنوبيّة الشرقيّة لعمان.

وتتكوّن من الصّخور الرسوبية الجيرية الأفقية، وقد أحدثت بها حركات القشرة الأرضيّة في العصر الكريستالي التوءات محدّبة وتعرّضت لعوامل تعرية. ثمّ غمرتها مياه

1 – Wilkinson, *Water*.opcit.p.10.

2 – Paterson J .E , *Oman in the 20 th century*, London,1973. p.16.

3 – ياقوت، ***معجم البلدان***، المصدر السابق، ج 385/4.

4 – Peterson. Op. cit.p.18 .

البحر في عصر الأيوسيين، وترسبّت عليها طبقات جيرية على شكل أفقيّ[1]. وقد كوّنت هذه الهضبة قوساً جبليّا منحنياً في مختلف الاتّجاهات[2] . كما شكّلت حاجزاً لخليج عمان الممتدّ من مضيق هرمز شمالاً، إلى رأس الحدّ جنوباً. وتنزاح هذه المرتفعات عن البحر تارة لتشكّل سهولا ضيّقة، وتدخل طوراً في أعماق البحر لتخلف موانئ طبيعيّة[3]. وبصورة أوضح يمكن أن ينظر إلى عمان من خلال تقسيماتها أنّ المنطقة الشرقية تقع في الجزء الشمالي من جعلان، تفصلها عن الشمال جبال الحجر الشرقي الممتدة بشكل موازي إلى الشمال الشرقي[4] . فهي موازية للإنحناء الدّاخليّ لجبال الحجر الشرقيّ.

- السهول الشمالية الغربية:

تمتد هذه السّهول من شمال هضبة مسندم بخطّ مستقيم نحو الجنوب الشّرقي يمرّ غرب المرتفعات الجبلية عبر إقليم الصير انتهاءً بمنطقة الجوف في داخليّة عمان[5]. فهي محاذية لمرتفعات الحجر الغربيّ[6] ويتواصل امتدادها إلى رمال الرّبع الخالي. ويتكوّن الجزء المتاخم للسّلسلة الجبليّة من مرتفعات بها طين صخريّ تتخللها أودية تنحدرغرباً، وتغور فوهاتها في رمال الرّبع الخالي[7]. ومن بين تلك الأودية وادي ضنك[8] ووادي العين[9]، وقد نشأت على ضفافها عدّة مدن وقرى مثل بلدة ضنك وعبري والدريز ودوت وينقل وفدى، اعتمدت في نظام ريّها على جريان الأودية وبعضها على الأفلاج الجوفيّة.

أمّا القرى والواحات البعيدة نسبيّا عن مصب تلك الأودية، فقد اعتمدت في ريّها بشكل أساسي على شبكة نظام الأفلاج التي شكّلت دوماً مصدراً رئيسيّا لكثير من قرى البلاد العمانيّة. وشبكة الأفلاج تلك هي عبارة عن قنوات يتمّ حفرها في باطن الأرض تشبه القناة أو الحفر المقطعيّ، وتشقّ هذه القناة تدريجيّا بشكل انسيابيّ نحو سطح الأرض. أمّا المصدر

---

1 – متولي وأبو العلاء، ***جغرافية الخليج***، المرجع السابق،51.

2 – متولي وأبو العلاء، المرجع نفسه، ص48.

3 – البادي، ***دور العمانيين في الملاحة والتجارة***، المرجع السابق، ص39.

4 – Peterson, ap. cit. p.17.

5 – متولي، وأبو العلاء، ***جغرافية الخليج***، المرجع السابق، ص 160.

6 – لوريمر، ***دليل الخليج***، المرجع السابق ،ج 845/2.

7 – لوريمر، المرجع نفسه، ج562/2.

8 – لوريمر، المرجع نفسه، ج65/1.

9 – العاني، عبد الرحمان عبد الكريم، ***تاريخ عمان في العصور الإسلامية الأولى***، دار الحكمة لندن 1999م. ص 42.

الثاني للري، فهو يعتمد على آبار[1] يتم حفرها في باطن الأرض تشكل مياهها مخزون جوفي يعتمد عليه للزّراعة. ورغم من قلّة الأمطار، إلاّ أنّ النسبة المتساقطة على الهضبة الجبلية تكفي لتزويد الخزّانات الجوفيّة إلى جانب الخزّانات الطبيعيّة الجبليّة. وقد تمكّن العمانيّون من زراعة الفواكه "الجرومية من الموز والنخيل والنبق والرمّان"[2]. ويشكّل وجود الآبار وشقّ الأفلاج "القنوات" نظاما دأب عليه المجتمع العمانيّ منذ أزمنة قد تعود إلى الألف الأول ق.م[3].

2- السّواحل البحريّة:

لقد أسهمت تضاريس السّواحل البحريّة بشرق جزيرة العرب وتضاريس سهولها في تكوين سواحل تحوّلت إلى مناطق حضريّة عمانيّة، لعبت دوراً مهماً في النّشاط التجاريّ[4]. إذ تتّصل السواحل العمانيّة جنوباً بأرض مهرة وشمالاً بالبحرين، ويشكّل مضيق هرمز حدّاً فاصلاً بين الخليج العربيّ وخليج عمان، وتكتسي هذه القناة أهمّيّة" أكثر لأنّها تمثّل بوّابة الخليج'[5]. كما تمتدّ السواحل العمانيّة بطول 3165 كم[6]، وتتمتّع بعديد الخصائص مكنتها من السّيطرة على طرق التّجارة.

- السّاحل الشماليّ الغربيّ:

يمتدّ هذا السّاحل من مسقط جنوباً حتى رأس مسندم شمالاً، وهي البقعة التي أشرنا إليها آنفاً بأنّها تفصل الخليج العربيّ عن خليج عمان. ويتكوّن هذا السّاحل من انحناء ضحل كبير يمتدّ موازياً للبحر بخطّ مستقيم، وتمتدّ حدوده في الدّاخل إلى أسفل جبال الحجر الغربيّ، وتتخلل هذا السّهل رمال منخفضة نسبيّاً بالقرب من ساحل البحر. وهذا المجال الترابي يسمّى ساحل الباطنة ويبلغ اتّساعه من 20 إلى30 ميل ويمتدّ على طول 280كم، ويتعرّض إلى الرّياح الموسميّة التي تهب على جنوب شبه الجزيرة، وتندر به الموانى الصّالحة لرسو السفن، بيد أنّ المياه العذبة ووفرة الأسماك ساعدتا على قيام شريط من

---

1 - العبيدلي *أحمد*، *أيام وأحوال*، المرجع السابق، ص49.

2 - الاصطخري، *مسالك الممالك*،المصدر السابق، ص 25. المقدسي، *أحسن التقاسيم*، ص 88.

3 - ولكنسون، *الأفلاج*، المرجع السابق، ص.76.

4 - متولي وأبو العلا، *جغرافية الخليج*، المرجع السابق، ص 47.

5 - Wilkinson, *Water*, op.cit .p.10 .

6 - *الأطلس المدرسي لسلطنة عمان*، المرجع السابق، ص 84. رجب عبد العليم، *العمانيّون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام* ،مطابع النهضة مسقط 1989-ص .45

المناطق المتّصلة ببعضها آهلة بالسّكّان على الساحل[1]. وبعيداً نسبياً عن البحر يوجد شريط طينيّ صخريّ يزداد وضوحا كلما اقتربنا من التّلال الجبليّة[2]. ويتعرّض هذا الشريط إلى أودية شديدة الانحدار نحو البحر، مثل وادي سمائل ووادي الحواسنة ووادي بني عمر ووادي عاهن ووادي حِتّى ووادي حام.

ويعتمد سهل الباطنة أساساً في ريّه على آبار شكلت مصدرا رئيسيّا للمياه، يتراوح عمقها من15 إلى 20 قدم[3] وتحديداً في النّاحية الغربيّة من السّهل. وهذه المياه العذبة أدى توافرها إلى وجود التربة الجيدة، فتمركز السّكان في هذا السّهل نظراً للظروف الملائمة لتعاطي أنشطة اقتصاديّة مثل الفلاحة والملاحة البحريّة[4]. ونتيجة لأهمّيّة تضاريس الجزء الشمالي وأثرها في السّاحل منذ القدم، وصف رأس مسندم على أنّه "**رأس طويل ينتأ ويتوغّل عميقاً في المحيط، وتغطس الجبال في نهاية كل طرف من طرفي القوس في البحر مباشرة**"[5]. وتقترب مرتفعات رأس مسندم من السّاحل، فيزداد ضيقا وغالبًا ما تكون فيه تعرّجات وعرة[6].

وتتّصل شبه جزيرة قطر بالسّاحل الجنوبيّ الشّرقيّ وتمتاز بكثرة التّعرّجات والجروف الصّخرية قليلة الارتفاع، وتوجد خلفها كثبان رملية وبعض المرتفعات[7].

- السّاحل الجنوبيّ الشّرقيّ:

يمتدّ هذا السّهل من مسقط شرقاً حتّى رأس الحدّ جنوباً، وهو سهل صخري ضيق[8]. ويتكوّن من مجموعة من الجروف الوعرة وجيوب من الموانئ الطبيعيّة الصّغيرة. ويتسع نسبياً عند مدينة صور إلى رأس الحدّ، ويتّصل بأرض مهرة جنوباً. وهو سهل رمليّ لا ساكن به حتى حدود ظفار[9] المتميزة بجمال طبيعتها، وتبدو في سهل ضيّق موازٍ للبحر

---

1 - Wilkinson, op.cit.p.8 . E .J. Brill, *Encyclopedia of Islam*, vol VI ,1913. p.76.

2 - لوريمر، ***دليل الخليج***، المرجع السابق، ج1/ 357.

3 - لوريمر، المرجع نفسه، ج1/358.

4 - لوريمر، المرجع نفسه، ج1/ 359.

5 - العبيد لي، ***أيام وأحوال***، المرجع السابق، ص39.

6 - متولي، وأبو العلا، ***جغرافية الخليج***، المرجع السابق، ص75.

7 - العاني، عبد الرحمان عبد الكريم ، ***تاريخ عمان في العصور الإسلامية الأولى*** ، المرجع السابق، ص 40.

8 - العاني، عبدالرحمان، المرجع نفسه، ص 45.

9 - إبن حوقل، ***صورة الأرض***، المصدر السابق ، ص45.

يتألف من أحجار هشّة[1]، وترتدي جبالها حلّة خضراء زاهية . وتـشكّل الجبـال سلـسلة متعرّجة تضيق تارة على البحر، وتبعد طوراً عند مضيق رأس نوس ومرباط اللتان، يوجد بهما حزام أرضيّ منخفض يبلغ عرضه من 6 إلى 12 ميلا عربيّا، وهي منطقة صخريّة[2].

وقد تحدثت المصادر باطناب على وفرة اللبان في ظفار، الذي لا يوجد في أيّ مكان آخر إلاّ في جبالها[3]. ويختلف الجزء الشماليّ من ظفار تماماً عن الجزء الجنوبيّ، إذ نجـد في ناحية الشّمال رمالا قاحلة تحتوي على شجيرات مقاومة للحرارة، مثل السّمر[4].

أمّا مناخ هذا الإقليم[5] فيبدو منسجماً مع جمال الطّبيعة، تـتحكّم فيـه نـسائم الرّيـاح الموسميّة الجنوبيّة الغربيّة، التي تبدأ عادة في أول يونيو "حزيران" من كلّ عـام، معجلـة بقدوم فصل الخريف على الركن الجنوبي من شبه جزيرة العرب.

3- ظروف البيئة:

إن موقع عمان الجغرافي هيّأ لها ظهيراً تجاريّاً وملاحيّاً ساعدها على أن تكون مركزاً هامّاً للحياة الاقتصاديّة تتمتّع باعتبار استراتيجية تضاريسها الجغرافيّة[6]. فهيمنت بموقعهـا على كافة الطّرق البحريّة المتجهة من الخليج العربيّ إلى الأقاليم الاستوائيّة والمداريّة في المحيط الهنديّ.

وفي المصادر العربية انعكست ظروف البيئة العمانيّة، فـ"عمان" ناحية ذات أقاليم مـستقلّة بأهلها فسيحة"[7]، وتفرض الرّمال القاحلة نفسها من جهة الشّمال لحماية الإقلـيم، ويـصبح

---

1 – لوريمر، *دليل الخليج*، المرجع السابق، ج45/1 .

2 – لوريمر، المرجع نفسه، ج567/1.

3 – القزويني، زكريا بن محمود، *آثار البلاد وأخبار العباد*، دار صادر بيروت بدون تاريخ، ص56.

4 – السمر ضرب من شجر الطلح. مدكور، إبراهيم، *المعجم الوسيط*، مجمع اللغة العربيـة مطـابع الأوفـست القاهرة، 1985م.ج280/1.

5 – تنخفض درجة الحرارة في فصل الصيف بهذا الاقليم نظراً لتراكم السحب وتساقط الأمطار الموسمية التي تبـدأ من منتصف شهر يونيو إلى الربع الأخير من شهر أغسطس من كل عام، وهي ما تسمى محلياً بـالخريف، ويقـصده السياح في هذه الفترة من دول الخليج العربي ومن مختلف بقاع العالم للأستجمام أو هربّا من أشعة الشمس، وقد تمت تهيئته مؤخراً من النواحي الخدمية والترفيهية ليصبح أفضل منتجع سياحي.

6 – الأصطخري، *المسالك والممالك*، المصدر السابق، ص25. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، المصدر السابق، ج155/1.

7 – ابن حوقل، *صورة الأرض*، المصدر السابق، ص43.

البحر هو طريق التّجار القادمين بسفنهم من العراق وفارس[1]، ومن البحرين[2]، ومن منطقة الخليج العربيّ، انتهاءً بأقاليم المحيط الهنديّ ذات المادّة الوفيرة[3].

وتنعكس طبيعة البيئة على إقليم عمان لتضفي على الإنسان العمانيّ طابعا يتّسم باليسر في نمط العيش. وقد تنوعت مواردها الطبيعيّة وساهمت في صنع رخاء اقتصادي عاضد بناء شخصيّة الإقليم. فلقد خصتّها الرّسول(ص) بالقول من" تعذّر عليه الرّزق فعليه بعمان"[4].

كما شكّلت السواحل البحرية الممتدة أحد أهم الرّكائز الاقتصاديّة في البلد، فـ"دبا" التي تقع على ضفاف خليج عمان، هي إحدى المدن الساحليّة التي تعدّ أهمّ سوق للعرب قبل الإسلام. فكانت قصبة عمان[5] وإحدى فرضتي العرب. وكانت سوقا ومجمّعا تجاريّا يلتقي فيه التّجّار من الصّين والهند، وإقليم السّند، وتجّار بلاد المغرب. ويبدأ سوقها في نهاية شهر رجب من كلّ عام[6]. كما تميّزت صحار بموقعها الاستراتيجيّ، فغدت مركزاً تجاريّاً ومجمّعا ديمغرافيّا ومحطّة يقصدها الوافدون[7] خاصة بعد استغلالها لظروف العالم الإسلامي وأحواله، لتتبوّأ مكانة هامّة بين المدن من خلال نشاطها التجاريّ. فأصبحت الميناء الأوّل للتجارة القادمة من المحيط الهنديّ، وبوّابة لتجارة الخليج العربي، والمصدر الرئيسي للبحرين وعمان"[8].

ولاستكمال الصورة عن الظروف البيئيّة للسواحل العمانيّة، فإنّ"دما" أخذت دورها كأحد أهمّ القرى الساحليّة" نظراً لوجود مغاصات اللؤلؤ الغالي الثمن بها"، فلقد شهدت حركة تجاريّة نشيطة خصوصاً في فصل الصيف، خلافا لفصل الشتاء، الذي تبقى الحياة

---

1 – ابن حوقل، ***صورة الأرض***، المصدر السابق، ص47.

2 – الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ص109.

3 – المسعودي، ***مروج الذهب***، المصدر السابق، ج287/1 .السيد سالم عبد العزيز، **بحث مقدم في ندوة طرق *الحرير***، وزارة التراث سلطنة عمان، ط1991/1م. ص 53

4 – ياقوت، ***معجم البلدان***، المصدر السابق ج249/3. القزويني، ***آثار البلاد وأخبار العباد***، ص 56.

5 – ياقوت، المصدر نفسه، ج286/2.

6 – ابن حبيب محمد أبو جعفر (ت 860/245)، ***المحبّر***، تحقيق، ليختيشر حيدر أباد 1942م ص 265.

7 – بزرك بن شهر يار الناخذاى الرام هرمزي، ***عجائب الهند***، تحقيق، عبدالله الحبشي المجمع الثقافي أبو ظبي 2000م. ص108.

8 – العبيدلي، ***أيام وأحوال***، المرجع السابق، ص71.

الاقتصادية فيه شبه كاسدة[1]. ويبدو أنّ "دما" كانت قبل الإسلام أحد أسواق العرب، ولعلّ ذلك يرجع لوجود أنواع جيّدة من اللآلئ بها[2]. كما مثّل ميناء مسقط ظهيراً ملاحيّاً وتجاريّاً لإقليم الجوف، حيث كان سكّان مدن وقرى هذا الإقليم يعتمدون بالدرجة الأولى في ميرتهم على نشاط ميناء مسقط و"دما". وتمتدّ المراكز النشطة على طول السّواحل العمانيّة، مثل قلهات التي استقرت بها أوّل موجة هجرة من الأزد العمانيّين قبل الإسلام، لما يتميّز به مينائها الجيّد والمنفتح على مياه بحر العرب[3]. زيادة على صور وريسوت اللتين تميّزتا بموقعيهما الطبيعيين، وميناء سمهرم الذي كان يشهد حركة تجاريّة نشطة للسفن التّجارية القادمة من دول الشرق الأقصى.

وزيادة على التّجارة استغلّ العمانيّون السّواحل في أنشطة عديدة كان من أهمها صيد الأسماك واللؤلؤ[4] في إطار تحصيل قوت السكان اليومي.

- صيد الأسماك:

لقد أوردت التقارير المعاصرة، أنّ السّواحل العمانيّة وتحديدًا في البقعة الممتدّة من المنطقة الواقعة مقابل الشّحر الجنوبيّ إلى مسقط، تعتبر منطقة صيد ثريّة[5]. وقد أشار ابن قدامة أنّ عمان اشتهرت منذ القدم بثرواتها السّمكية[6]، وقد أكّد ذلك ابن بطّوطة في رحلته بعد أن شاهد أهل ظفار يجفّفون السّمك ويعلفونه للماشية[7]. ويشار إلى أنّ "ريف الدنيا من الأسماك ما بين ماهيرويان إلى عمان"[8]. وقد امتاز بحر عمان بوجود السّمك الكبير الذي يستفاد من لحومه ودهونه، حتّى أنه حمل منه في سنة 300هـ/ 922م إلى الخليفة المقتدر في بغداد[9]، وعندما زار ابن بطّوطة مدينة قلهات أثناء رحلته، أقيمت له مأدبة من السّمك لم يستطعم ألذ منها في إقليم من الأقاليم حين قال: "وأكلت بهذه المدينة سمكاً لم آكل مثله في

[1] - الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ج156/1.
[2] - ياقوت، ***معجم البلدان***، المصدر السابق، ج286/3.
[3] - العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج2/ 267.
[4] - الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ج162/1.
[5] - Wilkinson, *Water*. op.cit.P.19
[6] - قدامة، ***كتاب الخراج***، المصدر السابق.، ص29.
[7] - ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي، ***تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار***، شركة الإعلانات الشرقيّة، 24 شارع زكريا أحمد القاهرة، ص183.
[8] - ابن الفقيه، ***مختصر كتاب البلدان***، المصدر السابق، ص110.
[9] - بزرك بن شهريار، ***عجائب الهند***، المصدر السابق، ص30.

إقليم من الأقاليم وكنت أفضّله على اللّحوم فلا آكل سواه"[1]. وهناك نوع من الأسماك العمانيّة يسمّى الوزق، يصطاده العمانيّون ويقدّمونه أعلافا للدّواب والإبل[2].

- صيد اللّؤلؤ:

لقد شكّلت مهنة الغوص على اللؤلؤ في عمان نشاطاً بارزاً، حيث كان العمانيّون يصطادونه من مواقع عديدة، أهمّها "دما" ومسقط،[3] وكذلك صور وقلهات[4]. وفي الجهة الشماليّة اشتهرت صحار بصنوف اللؤلؤ الجيّد مثل "اللؤلؤة اليتيمة" التي يحكى أنّه لا وجود لمثيلة لها. ولقد امتلكها أحد العمانيّين الذي يدعى "مسلم بن بشر" وهو أحد الذين كانوا يجهّزون الغاصة على صيد اللؤلؤ، إذ يروى أنّه بينما كان في رحلة صيد اعتيادية، وقعت بحوزته درّتان إحداهما تدعى "اليتيمة"، فحملهما وباع إحداهما وهي الأكبر والأكثر جودة، إلى الخليفة العباسيّ الرّشيد، الذي اشتراها بسبعين ألف درهم. أما الصّغيرة فباعها بثلاثين ألف درهم إلى تاجر آخر. ولما أستلم "مسلم" ثمن اللؤلؤتين، عاد إلى عمان "وبنى بالمال داراً واشترى ضياعًا واعتقر عقاراً "[5]. ويحكى أنّ رجلاً عمانيًّا آخر ورد من عمان إلى مكّة بلؤلؤتين لم ير مثلهما قطّ فباعهما لرجل سمرقندي بألفي دينار ذهباً. وبعد عدّة أيام قدم إلى مكّة رسول من قبل صاحب عمان يطلب الذي باع اللؤلؤتين، اللتين يبدو أنّهما سرقتا من قصره.[6]

وتكثر مواقع اللّؤلؤ على السّواحل الشّماليّة لعمان، إذ يتمّ اصطياده في المنطقة الممتدّة من مضيق هرمز إلى البحرين، والتي تحصي ما يقارب ثلاثمائة موقع، من بينها جزيرة كيش أو قيس[7] وخارك، وقطر[8] والخيل، وجلفار[9]. ولقد نالت مواقع الغوص في خليج عمان خصوصا والخليج العربي عموماً أفضليّة بين مثيلاتها في سرنديب والبحر

---

1 - ابن بطوطة، ***الرحلة***، المصدر السابق، ص180.

2 - الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ص154.

3 - شيخ الربوة، ***كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر***، المصدر السابق، ص218.

4 - الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ج155/1.

5 - بزرك، ***عجائب الهند***، المصدر السابق، ص 132.

6 - الحميري، ***الروض المعطار***، المصدر السابق، ص 413. البكري، أبي عبيد، ***جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك***. ص 38.

7 - الحميري، ***الروض المعطار***، المصدر السابق، ص 505.

8 - المسعودي، ***مروج الذهب***، المصدر السابق، ج1/ 112.

9 - الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ج162/1.

الأحمر[1] لما يتميّز به لؤلؤ عمان من جـودة[2]. وقـد أورد الجـاحظ تأكيـدًا علـى ذلـك بقوله:"زعموا أنّ معرفة جوهر اللّؤلؤ أنّك تجد مذاقه على ضربين، عذب المذاقة عمـانيّ، وملح المذاقة قلزمي، كلاهما يرسب في الماء"[3].

– نـظم الريّ والفلاحة :

يعتمد نظام الرّي في عمان – الذي قامت عليه الزراعة منذ أزمنة متناهية في القدم– على أربعة عوامل، وهي الغيل[4]والفلج[5] والبئر[6] والقناة[7]. ويوجد نظام الرّي بالغيـل فـي المرتفعات الجبليّة وتحديدًا في مجاري الأودية الخصبة. وطريقة الرّي هذه تتمثّل في حيازة الغيل بالصّخور والطّين على شكل سدّ صغير، ثم يشقّ مجرى ماء في البقعـة الموازيـة للوادي نحو الأرض الزّراعيّة الأقل انخفاضًا من بقعة السّد المحصور بها ماء الغيل[8]. وهذه الطريقة متّبعة في عديد القرى الواقعة داخل الهضبة العمانيّة حتّى وقتنا الـرّاهن، وهـي

---

1 – المسعودي، ***مروج الذهب***، المصدر السابق، ج112/1.

2 – ذكر الجاحظ، أن خير اللؤلؤ الصافي العماني المستوى الجسد الشديد التدحرج والاستواء وإذا كانـت حبتـان متساويتين في الشّكل والصورة و اللون والوزن كان أرفع ثمنهما والعمانيّ أرفع مـن القلزمي لأن العمـاني عذب نقي صافي والقلزمي فيه ملوحة وعيب كثير، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، ***التبـصّر بالّتجـارة***، مكتبة الخانجي، 1994. ص 12.

3 – الجاحظ، المصدر نفسه، ص 11.

4 – الغيل، الماء الجاري في الأودية، وفي الحديث ما سقى بالغيل فيه العشر، وما سقى بالدلو ففيه نصف العـشر، وقيل بالفتح ما جرى من المياه في الأنهار والسواقي، ابن منظور، ***لسان العرب***، بيـروت، دار صـادر ط3 بدون تاريخ، ج160/10.

5 – الفلج نهر صغير والجمع فلوج، والفلج من كل شيء نصفه والفلجات المزارع والفلوجة الأرض الـصالحة للزراعـة، ويشار إلى أن الفلج بالتحريك النهر الصغير، وهو الماء الجاري، ويقال ماء فلج، وعين فلج، وقيـل الفلـج أو المـاء الجاري من العين، والفليج الساقية التي تجري إلى جميع الحائط، والفلجات سواقي الزرع، والفلوجة الأرض الطينيـة المستخرجة للزراعة، ***لسان العرب***، ج315/10.

6 – يشار هنا أن البئر، حفرة في الأرض عميقة يستقي منها الماء عند الحاجة، ومؤنث الجمع آبار، وبئار، وآبار، وأبور، ومن العرب من يقدم الهمزة ويقلبها فيقول آبار، وابر، البستاني بطرس، ***محيط المحيط***، مكتبة لبنـان بيروت، 1987م. ص 26.

7 – القناة احتفرها... والقناة الرمح الأجوف ومجرى المياه الضيق أو الواسع والجمع قنوات وقني و(جمع الجمع). مذكور، ***محيط المحـيط***، ص 794، ويورد ابن منظور أن القناة هي التي تحفر، وكذلك الرمح الأجوف ويقال: هي قناة وقنا ثم قني وهي جمع الجمع والقناة هي الآبار التي تحفر في الأرض متتابعة ليستخرج ماؤها ويسيح علـى وجـه الأرض، والقناة كظيمة تحفر تحت الأرض والجمع قني والهدهد قنّاء الأرض أي عالم بمواقع الماء. ***لسان العرب***، ج331/11.

8 – ولكنسون، ***الأفلاج***، لمرجع السابق، ص 31.

طريقة تعتبر بدائيّة غير أنّها ذات فعاليّة ولا يمكن استبدالها بنظم الــرّي الحديثــة. وقــد استحدث الفلاّحون نظاما لتوزيع كمّية المياه على الحقول الزّراعية بتعين وكلاء، يــديرون توزيع المياه بدقة متساوية[1]. وعلى هذا الأساس يتمّ تعيين فترة ري محدّدة لكــل قطعــة، تسمّى "الأثر" وهو ما يعادل قدماً واحداً من الظل، ويمكن لأصحاب الأرض أي "مالكيها" أن يقتسموا حصة الماء لكلّ واحد منهم يوم واحد[2] أو أقلّ من ذلك. على أنّ ما يعنينا هنا هــي ظروف البيئة الجغرافيّة العمانيّة التي ساهمت في تنشيط الحياة الاقتــصادية منــذ أزمنــة متناهية في القدم.

أما الفلج فهو أحد نظم الرّي التقليديّة القديمة في عمان. ومرادف كلمة فلج الكظيمة أو الكاظمة ولها معانٍ عديدة. فقد سأل الأصمعي عنها بعض علماء الحجاز فقالوا:"هي آبــار متناسقة تحفر ويباعد بينها، ثمّ تخرق ما بين كل بئرين قناة تؤدّي الماء من الأولى إلى التي تليها تحت الأرض فتجتمع مياهها جارية... وفي الحديث أنّ النبي صلى الله علية وســلم، أتى كاظمة قوم فتوضّأ منها ومسح على خفيه "[3]. وهذه دلالة تعني أن القناة تــشترك مــع الفلج في المعنى.

ولقد دأب الأوّلون على اعتماد نظام الرّي بالبئر والقناة، وهما عــاملان متلازمــان. فالقنوات مفردها قناة، وقيل القنا جمع قناة، وهي الآبار التي تحفر فــي الأرض متتابعــة. ويقال أنّ القناة هي الكظيمة التي تحفر في باطن الأرض[4]. وأورد "ولكنسون" فــي هــذا الشأن قصّة أسطوريّة مفادها: "أنّه ذات يوم وبينما كان النبيّ سليمان بن داود عليهما السلام في رحلته على بساط الريح إلى بيت المقدس، وفي طريقه إلى عمان رأى قلعة ســلوت[5]، كما تقول الأسطورة أن سليمان بن داود دخل عمان التي كان يسكنها البدو في ذلك الوقت، وظلّ بهاعشرة أيام، وكان يأمر الجنّ المسخّرة له أن تبني ألف فلج كــل يــوم مــن أيــام

---

1 – ولكنسون، **الافلاج**، المرجع السابق، ص 55.

2 – ولكنسون، المرجع نفسه، ص 56.

3 – ابن منظور، **لسان العرب، المصدر** السابق، ج107/12.

4 – ابن منظور، المصدر نفسه، ج330/11.

5 – لقد أشار ولكنسون، أنه قام بزيارة في فبراير 1973 إلى قلعة سلوت الواقعة بالقرب من نزوى، وقد اتضح له أنها كانت مستوطنة مهجورة قديمة. وقد أكدت بعثة أثرية من جامعة هارفرد كانت قد قامت بزيارة للقلعة، أن القلعة في شكلها الهندسيّ تتّبع الشكل الفارسيّ، وبها قطعاً يرجع زمنها إلى ثلاثــة آلاف ســنة. ولكنــسون، ***الأفلاج***، المرجع السابق، ص 68.

إقامته"[1]. كما يورد المؤرّخ العمانيّ سلمة بن مسلم العوتبي تأكيدًا لذلك: "يقال والله أعلم أن سليمان بن داود دخل عمان... وحفر عشرة آلاف فلج"[2]. ويرجح آخرون أن الفرس اللّخميّين هم من قاموا بأعمال حفر آبار الفلج في عمان لتعزيز الدور الاقتصاديّ. وهو ما يبرر أعمالهم التخريبية عندما تمّ طردهم من عمان حيث "طمسوا أنهارًا كثيرة وأعموها"[3].

أما الطريقة المتبعة في شق الأفلاج فهي تتم بحفر بئر من أعلى الجهة في بقعة ما، وتمرّ عمليّة الحفر بعدّة مراحل، تبدأ المرحلة الأولى بفحص تربة البقعة المراد شقها والتي غالبا ما تقتضي وجود أنواع من الأشجار مثل الغاف والسّدر وشجر السّمر وهي نباتات تكثر عند منابع المياه. أمّا المرحلة الثانية، فيتمّ فيها تحديد موقع البئر الرئيسيّة التي يطلق عليها اصطلاحا لفظ "أمّ الفلج". ثم يتمّ تحديد مسار القناة الرئيسيّة التي غالبا ما تسمّى بـ"عامود" الفلج لتشقّ مباشرة إلى "المزارع" المراد ريّها. ويقوم الخبراء بتحديد عمق الآبار وهندسة سريان المياه، ثمّ تتوالى الآبار وتشقّ قناة من الداخل تكون متّصلة ببعضها ويطلق على هذا النمط من الآبار المتتالية تسمية "النقاب"[4]. ويبدأ سريان المياه بشكل تدريجيّ نحو سطح الأرض حتّى يصل القرية[5]. ومن ضمن مصادر الرّي في عمان الآبار، وقد أوجد العمانيّون طريقة لأستخراج الماء منها بواسطة آلة المنجور، حيث يتمّ وضع الحبال عليها وبها مغراف لغرف الماء وتجرّ بواسطة الخيول أو البقر، وهي إحدى طرق الرّي التقليدية[6]. وتؤكّد المصادر على بدائيتها بالقول: "عمان (...) كلّها نخيل وبساتين عامرة سقياهم من آبار قريبة تنزعها البقر أكثرها في الجبال وأهل هذه البقر الذين ذكرناهم عرب شراة"[7].

ولقد أدّت وفرة المياه الجوفيّة والغيول السائحة في إقليم عمان إلى قيام غطاء زراعيّ ساهم في ايجاد نمط اقتصاديّ حيوي. وقد كثرت الأخبار المتواترة عن خصوبة الرّمال الممتدّة إلى عمق الرّبع الخالي، إذ أنّه يوجد في "بهلاء وجلفار" نهر يسمّى الفلج ينبع من

---

1 – ولكنسون، ***الأفلاج***، المرجع السابق، ص 68.

2 – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج2/280.

3 – السّالمي، أبي عبد الله بن حميد بن سلوم، ***تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان***، مكتبة إشاعة الإسلام، ج1/19.

4 – المعشني، لحمد بن محاد، ***الحياة الاقتصادية في عمان من القرن الثاني الى القرن الخامس الهجري/الحادي عشر للميلاد***، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك، كلية الآداب . ص 96–97.

5 – ولكنسون، ***الأفلاج***، المرجع السابق، ص 53.

6 – الكندي، محمد بن إبراهيم، ***بيان الشرع***، وزارة التراث 1992م، سلطنة عمان مسقط. ج39/325.

7 – المقدسي، ***أحسن التقاسيم***، المصدر السابق، ص 88. الحميري، ***الروض المعطار***، ص 413.

جلفار ويمرّ منها إلى "منح" ثم يصبّ في البحر. وهناك موضع آخر يقع في الرّمال، وبه أرض تسمّى "وبار"[1] "إذا دنا الإنسان منها رأى خصبًا كثيرًا وكروماً وعيوناً، فإذا ما أراد الدخول إليها حثي وجهه التّراب بقوّة، وإذا أبى الدّخول انصرع وخنق"[2].

ولقد بيّنت المصادر العربية تنوع المنتجات الزّراعية العمانيّة، وكان على رأسها التّمور، التي تعدّدت أنواعها من أشهرها "الفرض" و"البلعق" و"الحبحب"، بالإضافة إلى أنواع أخرى من المنتجات العمانيّة، كالموز والعنب[3] والحنطة والشعير والجاورس[4]، وغير ذلك[5]. كما تضمنت المنتجات أنواعاً متعدّدة من الثّمار مثل البطّيخ، والقثّاء[6] والباقل والجوز واللوز والباذنجان والبصل والثوم والتوت والتفاح، والرّمان والأترنج والقطن[7] والحنطة والذّرة[8]. ولقد حظيت بعض المحاصيل الزراعية العمانيّة بأهميّة كبيرة في التّاريخ القديم، ولاسيما الوسيط، لتنوع استعمالاتها في البلاد المتحضّرة، وكان من بينها اللّبان "الكندر"[9] ، الذي كانت له مكانة كبيرة في العصور القديمة بين المنتجات

---

1 – وبار: يشار هنا إلى وبار على أنّها أرض بين اليمن ويبرين، وهي محلّة عاد، فلمّا أُهلك قوم عاد "أورث الله أرضهم الجن فلا يتقاربها أحد من النّاس" وقد أُطلق عليها تسمية وبار نسبة إلى وبار بن إرم بن سالم بن نوح، وهي بين الشحر وصنعاء زهاء ثلاثمائة فرسخ في مثلها، القزويني، ص 63، و أنّ "وبار" أكثر الدنيا أنهارًا، وأكثر الأرض خيرًا وأخصبها ضياعًا وأكثرها شجرًا وثمرًا" ويذكر هنا إلى أنه كثرت بها القبائل وعظمت أموالهم، الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص37. لسان العرب، ج200/15. ويورد ياقوت تأكيدًا آخر على أن "وبار" سميت نسبة إلى وبار بن أميم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح انتقل إليها وقت تبلبلت الألسن فابتنى بها منزلاً... وهي بين الشّحر إلى صنعاء... أرض واسعة زهاء ثلاثمائة فرسخ في مثلها ويقال: أنّها أرض عادٍ وثمود فلمّا أهلكت عاد أورث الله ديارهم الجن... وكانت أرض وبار أكثر الأرض خيرًا وأخصبها ضياعاً وأكثرها مياهاً وشجراً وثمراً" ياقوت، ***معجم البلدان***، ج442/4 . الحميري، ***الروض المعطار***، ص 604.

2 – شيخ الربوة، ***نخبة الدهر***، المصدر السابق، ص 218.

3 – الاصطخري، ***مسالك والممالك***، المصدر السابق، ص 25. ابن حوقل، ***صورة الأرض***، ص 44. الحميري، ***الروض العطار***، 413.

4 – لم نجد لها معنى في القواميس اللغوية وربّما تكون من باب الجزم بالشيء كلمة عاميّة.

5 – الحميري، ***الروض المعطار***، المصدر السابق، ص 413.

6 – القثّاء نبات من الفصيلة القرنبية قريب من الخيار لكنه أطول واحدته قثاءة. مدكور، ***محيط المحيط***، ج742/2.

7 – الكندي، أبو بكر أحمد بن عبد الله بن موسى، ***المصنّف***، وزارة التراث مسقط 1998م، ج59/21–90.

8 – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج2/ 277.

9 – الحميري، ***الروض المعطار***، المصدر السابق، ص 338. ***لسان العرب***، ج164/2. مدكور، ***المعجم الوسيط***، ج2/ 832.

العمانيّة، وكان يجمع من منطقة شحر عمان[1]. كما تنتج البيئة العمانيّة "المقل"، وهو من النّباتات التي نالت شهرة في العصور القديمة والوسطى. والمقل شبيه باللبان، وهو من النبات الذي يتداوى به ولونه أحمر، وله رائحة طيّبة. وشجره مثل شجر اللبان، وينبت في جبل يطلّ على البحر من جبال عمان اسمه قهوان[2].

- المدّخرات الباطنيّة (النّحاس)

يشكّل النّحاس أحد أهمّ الرّكائز الاقتصاديّة للحضارة الأنسانية. ولقد ساهمت عمان بنصيب وافر منه، حيث كشفت لنا المسوحات الأثريّة التي قامت بها بعثة "هارفرد" في عام 1973 م، مواقع متعدّدة في عمان لصهر النّحاس، أهمّها منطقتي الباطن والظاهر، ووادي سمد. وقد تبيّن لنا عراقة تلك المواقع في عملية صهر النّحاس خلال الفترة القديمة. كما قامت "شركة برسكشتر المحدودة" بمسوحات مماثلة لمواقع متعدّدة، وأعدّت تقريراً مفاده أنّ "في عمان مصادر كثيرة لخام النّحاس". وقد أقيمت تلك المواقع بالقرب من منابع المياه والأراضي الصّالحة للزّراعة. وكان يستغلّ معظمها منذ القرن الثّالث ق. م. وهذا دليل على أنّ صهر النّحاس في عمان شكّل حلقة وصل في الحياة الاقتصادية العمانية منذ أزمنة قديمة[3].

وفي الحجر الغربي، يتّم استخراج النّحاس من سفوح الجبال في منطقة تبعد عن السّاحل بنحو 25 كم ، حيث توجد هنالك أحد أهم المواقع لإنتاج النّحاس. إذ تؤكد نتائج المسح الأثريّ، أنّ أكبر مناجم النّحاس وجدت في الجبال الواقعة خلف صحار، مثل مواقع السيّاب والأسيل وعرجاء والبيضاء[4] . وقد استمرّ صهر النّحاس في صحار إلى القرن العاشر الميلادي[5] ، مثلما يؤكّد ذلك المسعودي بقوله: "(...) ونحاس بأرض عمان"[6]. ولعل ذلك يقودنا للاعتقاد بأنّ النّحاس كان يستخرج من عمان بكمّيات كبيرة، إذ تبيّن لاحقا أنّ هذه المناطق تنطوي على ثروة منجمية هائلة[7] . كما يتّضح أنّ هنالك مواقع أخرى بعمان

---

1 – الحميري، *الروض المعطار*، المصدر السابق، ص 339.

2 – ياقوت، *معجم البلدان*، المصدر السابق، ج104/4. هذا الاسم لم يعد معروف في وقتنا الراهن ولعله تغير إلى اسم آخر.

3 – مجلة الدراسات العمانيّة مجموعة مختارة من الدراسات التاريخية، *العدد الأول، وزارة الإعلام سلطنة عمان، مسقط*، 1976م، ص 10.

4 – كوستاب. ب.م، *مستوطنة عرجاء لتعدين النحاس*، وزارة التراث، مسقط، 1983م، ص 9.

5 – مجموعة من المؤرخين، **عمان عبر التاريخ**، وزارة الإعلام، مسقط، بدون تاريخ، ص 74.

6 – المسعودي، *مروج الذهب*، المصدر السابق، ج84/1.

7 – تم العثور على مواقع متعددة لإنتاج النحاس كان من بينها، سمرة طوى، عرجاء، الأسيل والمكينة.

ساهمت في إنتاج كمّيات وفيرة من النّحاس، إذ تبرهن الاكتشافات الأثريّة أنّ وادي عندام في الحجر الشرقيّ كان ضمن قائمة مناطق التعدين[1] .

III- انتشار العرب في عمان

في محاولة منا لاستقراء هذا المعطى البشري، لا بد من التاكيد على أنّ العودة إلى عصور ما قبل التّاريخ لا تدخل عمليّا ضمن إطار هذا الجزء من الأطروحة، لكننا ملزمون بالضّرورة إلى الرجوع اليه لإدراك أصول السلالات العربية الأولى للقبائل التي سكنت عمان على مرّ السّنين.

اشتهرت عمان على مر الأزمنة بوظيفتها التجارية والملاحية وبمواردها الطبيعية، وبحكم هذا التنوع الوظيفي، فقد سكنتها أجناس من أقوام عربية هاجرت إليها بشكل متواصل عبر فترات زمنيّة متفاوتة. وقد أتاح الموقع من جهة، والمجال الوظيفي من جهة أخرى، أن ينتقل سكّانها عبر مسالكها البحريّة إلى أقاليم متعدّدة، كإقليم السّاحل الشرقيّ لأفريقيا والهند والسند، وإقليم الصّين. وقد أصبحت بفضل وضعها التّجاري ملتقى لثقافات متعدّدة ولغات مختلفة ساهمت في نحت الطبيعة الفكريّة المنفتحة للسّكان. وهذه الصيرورة تشرّع السؤال عن الأصول الأولى للشّعوب التي سكنت عمان قديما.

1- الشّعوب العربيّة البائدة:

لقد شكّل موقع عمان الجغرافيّ ظهيرًا وظيفيّا آمنا. وهو ما شجع القبائل العربيّة على النّزوح إليه منذ أزمنة متناهية في القدم، فلقد توافدت إليه هجرات من أقوام عربية انقرض بعضهم وشكّل البعض الآخر التركيبة السّكانيّة الراهنة. ويتّفق المؤرّخون أنّ الصّراعات السياسيّة والأزمات الاقتصاديّة لعرب الجزيرة، هي من أهمّ الأسباب التي حتّمت الهجرة إلى وجهات مختلفة. ومن بينها السّواحل الشّرقية لشبه جزيرة العرب[2].

لقد نزحت إلى سواحل شرق جزيرة العرب شعوب عربية انقرض بعضها مثل عادٍ وثمود. اللذين ينحدران من نسل سيّدنا هود. وكانت هذه القبائل قبل هجرتها إلى عمان،

---

1 - *مجلة الدراسات العمانيّة*، المرجع السابق، ص 102.

2 - Radhi Daghfous, Le Yemen Islamique des origines jusqu' a l'avènement des dynasties autonomes(Ier-IIIè-IX siècles), Tunis,1995,p.p.90-95.

تسكن منطقة الأحقاف بين عمان وحضرموت[1]. كما سكنتها بطون أخرى من العرب القدامى، مثل طسم وجديس[2]، التي سكنت اليمامة شرقي نجد[3]، ثمّ عمان والبحرين[4]. وأطلق عليهم الكتاب العرب اسم "العرب البائدة" وهي شعوب انقرضت. ويذهب بعض المؤرّخين إلى أنّ أقواماً من السومريّين كانوا استقروا في عمان خلال الألوف الأربعة ق.م، ويرجح أنهم أول من أطلق على المنطقة اسم ماجان "Magan"، وهو مصطلح يعني حسب الإشارة "ملك الأغنام والمواشي والنحاس"[5]. وعمان بهذا المعنى مجال جغرافي ذو حيوية اقتصادية توحي باستيطان مجموعات بشرية وأمم متعدّدة بهذا الإقليم، لا يسعنا المقام هنا لحصرها.

2- الشّعوب العربيّة الباقية:

يطلق لفظ الشّعوب العربيّة الباقية على السّلالات العربيّة التي انتشرت في أقاليم شبه جزيرة العرب، وانحدرت منها الشّعوب العربيّة الحاليّة[6]. ولقد قسّم المؤرّخون العرب الشّعوب العربيّة الباقية إلى قسمين:أولّهما العرب القحطانيّون، الذين ينحدرون من سلالة قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح[7]. وأطلقت عليهم تسمية العرب العاربة، وقد حيكت عنهم روايات عديدة، إذ يروى أنّ الرّيح لمّا نسفت صرح النمرود في العراق تفرّق النّاس، وكانوا يتكلّمون اللّغة السريانيّة، ثمّ تبلبلت ألسنتهم، وتفرّقت لغتهم إلى

---

1 – كاشف، سيدة إسماعيل، ***عمان في فجر الإسلام***، المرجع السابق، ص 13.

2 – يورد مايلز إن أقدم جماعات استوطنت شبه جزيرة العرب، هم الذين يسمون بالعرب البائدة، ولعل أكبر تلك القبائل شهرة هما قبيلتا عادٍ وثمود، ثم من بعدهم طسم وجديس شقيقتا عادٍ وثمود ويورد تأكيدًا أن القبائل التي انحدرت من طسم وجديس استوطنتا بين الجو وتوام (البريمي) وأطلقوا على هاتين المنطقتين أسماء المناطق التي نزحوا منها في موطنهم الأصلي مايلز، ***الخليج بلدانه***، المرجع السابق، ص 18.

3 – عمر فاروق، ***تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى***، الدار العربية بغداد 1985م، ص 74.

4 – الدينوري، أبي حنيفة أحمد بن داوود، ***الأخبار الطوال***، تحقيق، عصام محمد الحاج، دار الكتب العلمية بيروت، 2001م، ص35.

5 – ويلسون لفتانت كولونيل سيد ارنولدت، ***تاريخ الخليج***، ترجمة محمد أمين عبد الله دار الحكمة لندن، ص 29.

6 – كاشف إسماعيل، المصدر السابق، ص13.

7 – المسعودى، ***مروج الذهب***، المصدر السابق، ج338/1. ويورد العوتبي، أن قحطان بن عابر هو النبي هود بن شالخ بن لخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح. العوتبي، ***الأنساب***،ج171/1. بينما يورد المبرد، إشارة، مفادها، أنّ قحطان يعود نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، ويضيف، أنّ قحطان بن الهميسع بن تيمن بن نبت بن إسماعيل ابن إبراهيم. المبرد أبو العباس بن يزيد المبرد(ت 286هـ)، ***نسب قحطان وعدنان***، تحقيق، عبد العزيز الميمني الدوحة قطر، 1984.ص24.

اثنتين وسبعين لغة، وقد أصبح في ولد سام تسعة عشر لغة. وقد تكلّم اللغة العربيّة منهم يعرب،[1] وجرهم، وعاد، وثمود وعبيل، وجديس، وطسم، ووبار، وعبد ضخم[2]. ثم تفرقوا فسار قحطان نحو يمين الشّمس ونزل باليمن، لتحكم القبائل العربيّة من نسل قحطان اليمن، وحضرموت وعمان. و نصّب حمير بن عبد شمس إبنه مالكاً، حاكماً على عمان. غير أنّ الأوضاع السياسيّة قد تردت غداة وفاة والده حمير، فسنحت الفرصة لمالك أن يستقلّ بحكم عمان، على غرار ما صنعه غيره من حكّام الإقاليم الأخرى. ويبدو أنّ الحكم قد آل إلى نجل وائل شقيق مالك إثر خروجه على عمه. وبقي الحكم في أحفاده لسنوات عديدة[3]. أمّا القسم الثاني فهم العرب المستعربة[4]، ويطلق عليهم أيضا تسمية العدنانيّين أو النّزاريّين نسبة لنزار بن معد بن عدنان، وهم أيضا من كانوا من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل. ويروى أن هؤلاء المستعربة انضمّوا إلى أبناء قحطان، وتعلموا منهم اللّغة العربيّة. ولقد شكّل نسب عدنان محور خلاف لدى النسّابين حول عدد الأبناء والأجداد، فيما بين عدنان وإسماعيل. ف أنّ اسم والد عدنان هو أدد، وقد سيق نسبه إلى عدنان بن يرى بن أعرق الثرى، ويرجّح آخرون أنّه عدنان بن أدد بن الهميسع بن سلامان بن عوص بن يوز بن قموال بن أبي أبن العوّام بن ناشد بن بلداس بن تدلاف بن طايخ بن جاحم بن ناحس بن ماخي بن

---

1 – المسعودي، ***مروج الذهب***،المصدر السابق، ج366/1.

2 – يشار هنا إن يعرب أورد أبيات شعر عندما سار وقومه نحو اليمن، قال فيها:

أنا قحطان الهمام الأفضل ... أيمن العرب ذي المهل
يا قوم سيروا في الرعيل الأول ... أنا البدوي باللسان المسهل
لأبين المنطق غير المشكل ... يا قوم سيروا في الرعيل الأول
نحو يمين الشّمس في تمهّل. العوتبي، ***الأنساب***، ج77/1.

3 – مايلز، ***الخليج بلدانه وقبائله***، المرجع السابق، ص 22.

4 – يرى جواد علي في كتابه المفصل، أن العرب المستعربة هي القبائل النازلة في أطراف الجزيرة العربية كالقبائل التي تحيط بها حدود الإمبراطورية البيزنطية والأخرى الفارسية، على أن تلك القبائل دخلت عليها أطراف بلسان عجمي وأخرى غير عربية فتعربت، وهؤلاء مثل عرب الحيرة والنبط وبني إرم التي دخلت في العرب ثم تعربت، ويستدل من ذلك أيضاً أن بني غسان هم قحطانيّون غير أنهم أدخلوا في العرب المستعربة، ويؤكد أن الإشارة لدى النّسابون هي تفيد مدلول ثابت مفاده أن العرب العاربة هم القحطانيّون، بينما العرب المستعربة هم العدنانيّون، على أن ما نستدل به أن المصطلح لا يمت بصلة حول المفهوميّة الهادفة لاكتساب اللغة العربيّة، جواد علي. ***المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام***، دار العلم للملايين، بيروت، 1976م، ج508/1.

عيقى بن عبيد بن الدعاء[1]. ويورد اليعقوبي بدوره خبرًا مغايرًا مفاده، أنّ إسماعيل بن إبراهيم هو أوّل من نطق العربيّة، حين قال: "**يعتبر إسماعيل أوّل من شقّ الله فاه باللّسان العربي**"[2]. على أنّ بحث تراتب اللّغة والقبائل العاربة منها والمستعربة، يقع خارج نطاق هذا الجزء من الأطروحة، وإنّما تطرّقنا إليه للإشارة إلى أصول القبائل العربية التي انتشرت في عمان منذ أزمنة موغلة في القدم. **(انظر الشكل رقم 1).**

3-الأصول العمانيّة:

يرجّح أنّ هجرة القبائل العربيّة نحو عمان، قد بدأت في مطلع القرن التّاسع ق.م، ثم استمرّت تباعاً في القرون اللاّحقة[3].واثر ذلك شهدت عمان تدفق هجرتين كبيرتين، وكان ابناء قحطان من العرب اليمنيين أوّل الواصلين اليها. وكان ذلك في عهد يعرب ، الذي فرض سلطته على الشّطر الجنوبيّ من الجزيرة العربية برمته ، بما في ذلك عمان وحضرموت[4]. والعرب من القحطانيّين "هم أوّل من استوطن بارض عمان، في حين تواجد العدنانيّون "النّزاريّون" بها في فترة لاحقة[5]. لقد حدثت الهجرتان المشار اليهما في القرنين الثّامن والسّابع ق.م، إذ تؤكد المصادر على أنّ العرب المهاجرين، هم أحفاد كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[6]. ولقد توسّعت الهجرة بعد انهيار سدّ مأرب، لتشمل أجزاء مختلفة من شبه جزيرة العرب، مثل مكّة وما جاورها، والعراق وعمان[7] . ونتج عن موجة النزوح هذه تغيّر ملحوظ في خارطة التوزع الديمغرافي في شبه جزيرة العرب.

---

1 – جواد علي، *المفصّل*، المرجع السابق، ج1/375-377.

2 – اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي، *تاريخ اليعقوبي*، دار صادر، بيروت. ج1/221.

3 – كيلي جون.ب. *بريطانيا والخليج*، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث مسقط، مطبعة بأبي الحلبي بدون تاريخ، ج1/11.

4 – ويلسون، *تاريخ الخليج*، المرجع السابق، ص 41، المسعودي، *مروج الذهب*، ج1/338.

5 – ويلسون، المرجع نفسه، ص 40.

6 – العوتبي، *الأنساب*، المصدر السابق، ج1/246.

7 – العوتبي، *الأنساب*، المصدر السابق، ج2/191. مايلز، *الخليج بلدانه*، المرجع السابق، ص 37.

4- سكّان عمان في عصر ما قبل الإسلام:

ينحدر معظم سكان عمان الحاليّين من قبائل الأزد اليمنيّين الـذين هـاجروا إليهـا بزعامة مالك بن فهم الأزديّ وبني قومه. وتذكر المصادر العربيّة: "أنّ الأزد هم الأغلبون على عمان"[1]. كما وصفت عمان بأنّها "ديار الأزد"[2]. على أنّهم حسب الإشـارة يـشكّلون الغالبيّة العظمى من سكّان عمان.

وقد تقصت المصادر العمانيّة في هجرة الأزد إلى عمان، إذ يروى أنّ مالك بن فهم الأزديّ كان أوّل من قدم هو وقومه إليها بعد حادثة سيل العرم[3]. فلقـد سـارالأزد حينمـا خرجوا من جنّتي مأرب بادئ الأمر نحو مكّة، وكان بها يومئذ جرهم بن قحطان، فمكثـوا بها حينًا من الزّمن، ينتظرون روّادهم الذين بعثوا بهم إلى أقاليم جزيرة العرب لاستكشاف مواطن الماء والكلإ. وحينما عاد الرواد ، تفرّق الأزد في أرجاء متعددة ؛ فسار بعـضهم إلى السروات، ومنها شدوا الرحال نحو مواطنهم الجديدة، ومنهم من تخلّف بمكة، في حين لحق بعضهم بيثرب. وقد تشتت هذه القبائل بعد أن خرجت من اليمن إلى فـرق كثيـرة، سارت كل واحدة منها إلى موطنها الجديد . فلقد نزل وداعة بن عمر بن عامر موضع يقال له "منوار"، والتحق أناس آخرون بهمدان، ونزل عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد فـي موضع من أرض تهامة يقال له "شمام" على ساحل البحر، أمّا الباقون منهم، فقـد نزلـوا منطقة الناصف من أبيدة، وهو موضع "نجد" والسروات، وهذه المناطق هـي مـستقرلأهل شنؤة.

وقد انقسمت قبائل الأزد إلى عدة فرق وتعدّد رؤساؤها، فكان منهم مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف، وقضاعة بن مالك بن حمير، ومالك بن عمرو وأبناء فهم تيم الله بن أسد بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن الحاف، وهو من قبائل قضاعة الذين ساروا نحو الـيمن.

---

1 – البلاذري، ***فتوح البلدان***، المصدر السابق، م ص 103.

2 – أبو الفداء، ***مختصر كتاب البلدان***، المصدر السابق، ص 92.

3 – يورد ابن منظور أن " السيل العرم الذي لا يطاق ومنه قوله تعالى "فأرسلنا عليهم سيل العرم" وقيل إضـافة إلى الشدّ، وقيل الفأر الذي بثق السكْر عليه... وقيل العرم المطر الشّديد وهو الأرجح، وكان قوم سـبأ فـي نعمة وجنان كثيرة، وكانت المرأة منهم تخرج وعلى رأسها الزّبيل فتحتمل بيدها ما تشاء وتسير بين ظهـران الشجر المثمر فيسقط في زبيلها ما تحتاج إليه من الثمار، فلم يشكروا نعمة الله فبعث الله عليهم جرذًا، وكـان لهم سكر فيه أبواب، يفتحون ما يحتاجون إليه من الماء فثقبه ذلك الجرذ حتى بثق علـيهم الـسكر فغرقـت جنانهم. *لسان العرب*، ج 172.

وقد اجتمعت معهم بعض بطون الأزد من اليمن[1]. ثم تشاوروا على أن يترأسهم مالك بن فهم، وعند توليه الرّئاسة شخص بقومه نحو موضع يقال له "برهوت"، وهو وادٍ بحضرموت، فلبث فيه حيناً من الزّمن. وفي الأثناء بلغه أنّ الفرس يرابطون بعمان، فاستعدّ للسفر إليها وجهّزعساكره المقدّرعددهم بنحو ستّة آلاف بين فارس وراجل[2]. فلمّا وصل الشّحر تخلّف عنه مهرة[3] بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير، الذي يبدو أنه استطاب العيش بمنطقة الشّحر.

أما مالك بن فهم، فقد سار بجيشه – الذي كان على رأس مقدّمته ابنه هناءة، ويقال أيضا فراهيد – نحو عمان حتى وصلها، ودارت بينه وبين الفرس، المقدر جيشهم المدعّم بالفيلة بنحو 30-40 ألف مقاتل، معركة ضارية في منطقة سلوت بناحية الجوف بالقرب من نزوى. وانتهت المعركة بهزيمة الفرس هزيمة ساحقة، أذعنوا بعدها للرّحيل عن عمان[4]، وقد حكمها[5] مالك زهاء 70 عاماً دون منازع[6]. ولقد عجّل دخول القبائل الأزديّة بقيادة مالك بن فهم عمان وطردهم للفرس، بتوافد العديد من القبائل العربيّة إليها. فتكاثروا فيها وامتلأت بهم. كما انتشروا على ضفاف الخليج العربيّ، وامتدّت مضاربهم إلى

---

1 – العوتبي، *أنساب*، المصدر السابق، ج200/2، الأزكوي سرحان بن سعيد، *تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة*، تحقيق عبد المجيد القيسي، بدون تاريخ ص 25.

2 – السّالمي، *تحفة الأعيان*، المرجع السابق، ج1/ 20.

3 – يعد مهرة في نظر النسّابين جدّا لقبيلة عربية جنوبية تنحدر من سلالة حمير، ولها لغتها الخاصة تعرف باللغة
الحميرية، وهذه اللغة يتكلمها أحفاد حمير حتى وقتنا الحاضر، وقد ورد ذكر هذه القبائل في مؤلفات
الكلاسيكيين القدامى. وفي الفترة الحديثة عكف المستشرقون على دراسة تلك اللغة والاهتمام بها. أما فيما
يتعلق بمحافظة هذه القبيلة على لغتها، فيعتقد أنها لم تدخل في عناصر أقوى منها كي تنصهر فيها، بل ظلت
متماسكة ومحافظة على هويتها. جواد علي المفصل، ج 422/4. ابن دريد، أبي بكر محمد بن
الحسن(321هـ) *الاشتقاق*، تحقيق محمد عبد السلام هارون، مكتبة المثنّىّ بغداد، بدون تاريخ. ص 553.

4 – مجهول، تاريخ أهل عمان، تحقيق، سعيد عبد الفتاح عاشور، وزارة التراث، مسقط 1980، ص 16-17.

5 – مالك بن فهم أنه كان رجلا وجيها في قومه شريفاً، وكان يقطن منطقة تقع بعد مأرب يقال لها: السّراة، وقد
رحل منها إلى عمان مغاضباً لأهله وبني عمه بسبب كلبة قتلوها لجاره ، فقال مالك: لا أقيم في بلدٍ يستظلم
فيه جاري، فهاجر الى عمان هو وجماعة من قومه، فسمى الفخذ الذي كان فيه مالك بالسراة، ويقال أن أزد
شنوءة لبثت بالسراة وما حولها حتى كثروا فيها وخلّفت منهم الخلوف بعد الخلوف، ثم نزحوا إلى عمان، فسمّي
الذين نزحوا إليها بأزد عمان، الأزديّ زكريا بن يزيد بن محمد، *تاريخ الموصل*، تحقيق حبيبة القاهرة
1977م. ص 96-97.

6 – العوتبي، *الأنساب*، المصدر السابق، ج278/1.

البحرين وهجر[1]. وقد لحق بمالك بن فهم جماعات من بطون الأزد، مثل ربيعة، وعمران بن عمرو بن عديّ بن حارثة بن عمر بن عامر، ومن بطونهم بارق، وغالب، ويشكر[2]. ثم لحق عمر بن عامر بن ماء السّماء وولداه، الحجر والأسود. وقد تفرّعت من الحجر بطون عديدة. ثمّ تواصلت هجرة القبائل القحطانيّة نحو عمان، فكان من بينها ربيعة بن الحارث بن عبد الله بن الغطريف[3] ، ثم قدمت بطن اليحمد بن حمد، وبنو غنم وغالب[4]، وأربعة بطون من شمس؛ وهي الحدّان بن شمس، ومعولة بن شمس، وزياد بن شمس، والنّدب بن شمس[5]. ثم قدم بنو ريام[6] وهي بطن تعود إلى القمر بن الأمري بن صمطري بن مهرة بن حيدان[7].

كما لحق قوم من خوالة وقوم من عامر[8]، وهو عامر بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة[9]. ثم شدت الرحال إلى عمان بطون من الصّيق وجديد، وأناس من بني يشكل، وبني غامد، وعرمان بن عمرو بن الأزد[10]. كما هاجرت إليها قبائل غير أزديّة منهم بني تيم وهم عدنانيّون. وآل جذيمة بن الحارث، وقوم من بني النبت وقوم من الأنصار، وبنو قطن، وبنو الحارث بن كعب، وآخرون من قضاعة، وفرع من قبائل عبسي[11]. وقد لحقت بمالك بن فهم بعض القبائل العدنانيّة مثل: بني رواحة بن قطيعة بن عبسي، فتفرّع منهما

---

1 – اليعقوبي، ***تاريخ اليعقوبي***، المصدر السابق، ج104/2. العوتبي، ج203/2.

2 – اليعقوبي، المصدر نفسه، ج204/1. الهمداني، ***الإكليل***، الكتاب العاشر في معارف همدان وأنسابها وعيون الأخبار، تحقيق محمد الأكرع، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، بدون تاريخ. ص. 94.

3 – السّالمي، ***التحفة***، المرجع السابق، ج20/1.

4 – السّالمي، المرجع نفسه ج21/1.

5 – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج243/2.ابن دريد، ***الاشتقاق***، ص 506.

6 – بنو ريام قبيلة أزديّة، تسكن في قرية يقال لها: رضاع، ولهم جبل يعرفون به في ناحية الجوف يمتنعون به يقال له: رضوان (الجبل الأخضر) ابن رزيق، حميد بن محمد، ***الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديّين***، تحقيق عبد المنعم عامر بن عمير 2001م وزارة التراث مسقط ص 57.

7 – إبن رزيق المصدر نفسه، ص 330. الهمداني، ***صفحة جزيرة العرب***، ص 92.

8 – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج204/1.

9 – ابن حزم،أبو محمد بن احمد بن سعيد بن حزم، ***جمهرة انساب العرب***،تحقيق،سلام محمد هاروندار المعارف، ط4، بدون تاريخ، ص 343.

10 – الأزكوي، ***تاريخ عمان المقتبس***، المصدر السابق، ص31. مجهول، ***تاريخ أهل عمان***، المصدر السابق، ص 22.

11 – جواد علي، ***المفصل***، المرجع السابق، ج204/4–205.

أبو الهشم العبيسي الرواحي[1]. كما استوطنت عمان بعض القبائل العربية مثل: عبد القيس بن أفصئ بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ومن بطونهم شن ولكيز، ومن ولد لكيز، وديعة وصباح ونكرة وبنو صوحان، ومصقلة وهم بنوعجل، والديل، ومحارب، ومن بطونهم سعد وعوف، والحارث ومن أبناء الحارث، ثعلبة، ومنهم البراجم، وهم عبد شمس، وعمرو وحي، وبنو معاوية بن ثعلبة بن جذيمة[2]. وسكنت عمان قبائل من بني مازن بن الأزد، فمن بطونهم العتيك بن أسد بن عمران بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، وأمّ العتيك، وهي هند بن سامة بن لؤي، وكانت مواطن سامة بن لؤي في "توام"[3].

5 - سكان عمان في العصور الإسلامية:

نستعرض في هذا المجال بعض العشائر والبطون التي كوّنت جزءاً من التركيبة القبليّة في عمان. وأودّ أن أسترعي الانتباه إلى أنّ هذه الزاوية من البحث لا تستوعب كل القبائل والأفخاذ والعشائر والبطون التي شكلت التركيبة القبليّة العمانيّة الحاليّة، وإنّما كان تطرّقنا إليها في إشارة عرضيّة بغية التعرف على جذور السّلالات العمانيّة الأولى.

تنحدر قبائل الأزد القحطانية من سلالة نبيّ الله "هود"عليه السّلام. وهي قبائل يمنيّة نزحت إلى عمان بعد حادثة سيل العرم، التي ورد ذكرها في القرآن الكريم. وقد شكّلت هذه القبائل النواة الغالبة من النّظام القبليّ العمانيّ، وأصبحت العنصرالمهيمن على دواليب السياسة خلال الفترة قيد البحث. وقد أتاحت لهم هذه المنزلة حظوة اقتصاديّة وصلاحيات سياسيّة واسعة، وضمّ كلّ منها عددا من الأفخاذ والعشائر والبطون سنتطرّق إلي ذكرها بشكل مقتضب:

<u>بنو سليمة بن مالك بن فهم</u>، ومفردها السّليمي، ومن ولد سليمة بن مالك عشرة رهط منهم بنو مخاشن بن سليمة، وعراقة بن سعد. ومن أفخاذهم، أبوحمزة المختار بن عوف بن يحي بن مازن، وهو صاحب وقعة قديد[4]، وكان يسكن في قرية "مجز" بجنوب

[1] - السّالمي، ***تحفة الأعيان***، المرجع السابق، ج21/1. مجهول، ***تاريخ أهل عمان***، ص 24.
[2] - ابن حزم، ***جمهرة أنساب العرب***، المصدر السابق، ص 295.
[3] - العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج 276/2.
[4] - العوتبي، المصدر نفسه، ج 218/2.ابن حزم، ***جمهرة انساب العرب***، ص 380.

صحار[1]. وقد هاجرت بعض بطون سليمة إلى العراق، وممّن هاجر إليها بنو محاسن بن سليمة وجماع بن أحمد بن أسلم بن زيد السّليمي، وإليه تنسب سكة جماع بالموصل. ومن بني سليمة بالموصل بنو الحشّاش وهم من ولد عبد بن سليمة. ومن ساكن البصرة من بني سليمة، عطاء السّليمي[2]. ومن ولد سليمة، حماية وعبد وعبيد وكلاب وغنم وزاهر وصيال ورواحة والحملة ورافد وسعد ومحاسن، ومن ولد محاسن بنو جابر[3].

بنو هناءة بن مالك بن فهم[4]: لقد تولّى هناءة المُلك على عمان بعد أبيه، وكان من ولده ثلاثة رهط، هم أسلم بن هناءة، وجهمن بن هناءة، وصائد بن هناءة. ومن أفخاذهم عقبة بن نافع بن هلال بن ضحيان بن هراب بن عائد بن أجود بن أسلم بن هناءة. ومنهم جناح بن عبادة، الذي كان عاملا على عمان لأبي جعفر المنصور[5]. ومن رجال بني هناءة عقبة بن سليم بن نافع بن هلال بن أهبان بن هراب بن عائد بن خنزير[6] بن أسلم بن مالك بن فهم، وهو صاحب دار عقبة بالبصرة[7]. ومن أفخاذهم أيضا الحسين بن قريش الذي ولي فارس وكورة دجلة. ومنهم الشيخ الهنائي أحد عبّاد البصرة المشهورين[8]. ومن بني هناءة في عمان ربخة بن الحارث بن عابد بن حوثر بن أسلم بن هناءة بن مالك بن فهم[9]. ومنهم كذلك غسان بن سعيد الهنائي، وهو من بني محارب. وقد أغار سنة 145هـ/762م على بني نافع وهميم في بلدة نزوى، ونهبها بعد أن تغلب على أهلها وأنصارهم[10]. ومن بني هناءة الأهيف بن حمحام الهنائي صاحب وقعة القاع. ومنهم أبو شح الهنائي وهو أحد عباد البصرة[11].

---

1 – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج2/219. ***الاشتقاق***، ص 498.
2 – الازدي، ***تاريخ الموصل***، المصدر السابق، ص91.
3 – الازدي، المصدر نفسه،ص 101.
4 – الازدي، المصدر نفسه،ص 99.
5 – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج2/222. ***الاشتقاق***، ص 498.
6 – يورد ابن دريد، أنّ معنى كلمة "خنزير" مأخوذ من الخزر وهو صغر العين. ***الاشتقاق***، ص 498.
7 – ابن دريد، ***الإشتقاق***، المصدر السابق، ص498.
8 – ابن دريد، المصدر نفسه، ص499.
9 – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج2/224.
10 – العوتبي، المصدر السابق ، ج2/ 225.
11 – العوتبي، المصدر نفسه، ج2/ 227.

فراهيد بن مالك بن فهم، ومن بطونه بعمان، بكر بن جشم وبني وهب ، ومن بطونهم بنوحديد، والعالم العماني الشهير الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب كتاب العين وكتاب العروض، وهو ينحدر من منطقة الباطنة، "ولاية المصنعة - قرية ودام" وكان قد هاجر إلى البصرة لطلب العلم[1].

ومن فراهيد المبرّد النّحويّ، واسمه أبو العبّاس أحمد بن محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الفراهيدي، ومنهم الرّبيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي، صاحب كتاب المسند، وهو أحد الأئمة والمحدثين الذين حملوا العلم إلى عمان، وكان له دور كبير في نشر المذهب الأباضيّ فيها[2].

ومن القبائل العمانيّة: **بنو اليحمد**، بن حمى بن عبد الله بن نصر بن زهران. ومن بطون اليحمد المجد، وهم بنو ماجد، ومن بطونهم الشرى وهم بنو شار، ومن ولد اليحمد، جابر بن زيد ابن قدامة المؤسّس الأول للمذهب الأباضيّ. ومن اليحمد بنو فجوح، ومن بطونهم بنو كلب، وبنو بحري، ومن بني كلب بنو غراب، ولهم خطط في البصرة. ومن قبائل اليحمد بنو خروص، وبنو السحتن، وبنو هني، وبنو زعل، ومنهم زياد بن الرّبيع بن جيش بن جابر بن فرفار المحدّث[3].

ومن القبائل العمانيّة التي كان لها شأن في الفتوحات الإسلاميّة، **بنو جهضم**، وهو جهضم بن عوف بن مالك بن فهم. ومن رجالهم يزيد بن جعفر الجهضمي، الذي كان على رأس بني مالك بن فهم في جيش عثمان بن أبي العاص لفتح جزيرة ابن كاوان من أرض فارس[4]. ومنهم الجهاضم بالبصرة. ومن أفخاذهم، نصر بن علي المحدّث وجرير بن حازم المحدّث المشهور[5].

ومن أبناء مالك بن فهم: **عمرو بن مالك بن فهم**، وله ثمانية رهط، منهم عايد ومعاوية وقشملة ومالك وعديّ وضجعان وكلاب ووائل. ومن بطون عايد، أشقر ويكنّى أبناؤه بالأشاقر، ومن بني الأشقر، كعب بن معدان الأشقري الخطيب الشّاعر[6].

---

1 – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج2/ 228.

2 – العوتبي، المصدر نفسه، ج229/2. السّالمي، ***تحفة الاعيان***، ج158/1.

3 – ابن دريد، ***الاشتقاق***، المصدر السابق، ص 509. العوتبي، ***الأنساب***، ج160/1.

4 – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج324/2. ابن حزم، ***جمهرة انساب العرب***،ص 380، 474.

5 – ابن حزم، ***جمهرة انساب العرب***، المصدر السابق، ص 380.

6 – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج230/2.

ومن أبناء مالك أيضاً، **بنو الحارث بن مالك بن فهم**، وقد استوطنت بعض بطون بني الحارث في "إبرا" بالمنطقة الشرقيّة من عمان. ويستدلّ على ذلك بحادثة الهجوم الذي قام به غسّان بن سعد الهنائي سنة 145هـ/762م على نزوى لطرد بني نافع وبني هميم منها. و قد تعصّب بني الحارث في إبرا، لبني عمهم من بني هميم بن معن بن مالك بن فهم وقاموا بمؤازرتهم[1] . وتشير المصادر أنّ عدد بطون الحرث الذين ينحدرون من أصول قحطانيّة يبلغ نحو خمسة عشر بطنا. في حين ينتمي ثلاث عشرة بطنا إلى العدنانيّة، حيث تنتشر منازلهم إلى العراق[2].

ومن سكّان عمان **معن بن مالك بن فهم**، ومن أبنائه هميم بن عامر المعني. ومنهم مسعود بن عمر بن عدي بن محارب بن مليح بن شرطان بن معن ويكنّى بـ"قمر" لجماله[3]. ومن أبناء مالك بن فهم، **شبانة بن مالك بن فهم**، ومن أبناء شبانة، رفد. ومن بطن رفد، عبد وشبيب ومنهم حمام بن عبد وحرب بن كعب ومنهم المعلى بن سعد الحمامي[4].

كما **سكنت عمان قبائل العتيك**، وهو العتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو بن عامر بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن من الأزد[5]. ومنهم **المهلّب بن أبي صفرة** بن ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو بن مزيقيا بن ماء السّماء. وكان له من الولد ثلاثة وعشرون، وإحدى عشر بنتاً. وكان المهلّب يكنّى بأبي سعيد نسبة إلى أكبر أبنائه. وينحدر من سلالة سعيد بن المهلّب، **السّادة البوسعيديّون سلاطين عمان**، ومنهم أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد بن خلف البوسعيدي السّعيدي الأزدي العماني[6] مؤسّس الدّولة البوسعيديّة.

ومن القبائل العمانيّة في العصر الإسلامي، بنو طي. ومن بطونهم، **أبناء طي** بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ[7]. ومن ولد طي بعمان **سامة بن لؤي بن الغوث**. ومن قبائل الغوث بن طي، بنونبهان بن عمرو بن

---

1 – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق ، ج225/2.

2 – القلقشندي، ***نهاية الأرب في معرفة انساب العرب***، دار الكتاب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص 54-58.

3 – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج237/2، ابن حزم، ***جمهرة انساب العرب***، ص 473.

4 – العوتبي، المصدر نفسه، ج 239/2، ابن حزم، المصدر السابق، ص 473.

5 – ابن حزم، ***جمهرة أنساب العرب***، المصدر السابق، ص. 367، 368. ابن رزيق، ***الفتح المبين***، ص.19.

6 – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج128/2، ابن حزم، ***جمهرة أنساب العرب***، 367. ابن رزيق، ***الفتح المبين***، ص 309.

7 – ابن حزم، ***جمهرة انساب العرب***، المصدر السابق، ص 397.

الغوث، وبنو ثعل بن عمرو بن الغوث. ومن بطونهم، بنو هنئ بن عمرو بن ثعل، ولهم أفخاذ كثيرة بعمان[1]. ومنهم بنو خطامة بن سعد بن نبهان، ومنهم أيضا مازن بن غضوبة بن سبيعة بن شماسة بن حيان بن أبي بشر بن سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث، الذي كان يسكن قرية سمائل. وكان أوّل من أسلم من أهل عمان[2]. ومن بطون خطامة، جرش وسرح وعرابة. ومن أفخاذهم بنو وهيب وبنو نبهان وبنو أشرق. ومنهم أبو مسلم الخرساني، وحميد الطوسي[3]. ومن قبائل نبهان بنوسعد، وهو سعد بن نبهان[4]. ومن قبائلهم السرحيّون وبنو عرابة واليزيديّون نسبة إلى يزيد بن عمرو بن طي.

<u>**ومن القبائل العمانيّة، بطون سعد العشيرة**</u>، وهو سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن نبي الله هود عليه السّلام.

وتنحدر من سعد العشيرة <u>**قبائل بني عمر**</u> وبني زبيد وبني فليت[5]. ويلقّب سعد العشيرة بـ"مذحج بن أدد" وسمّي سعد العشيرة لكثرة ولده. ومن ولده الحكم، وإليه ينسب بنو حكمان، وجنب[6]. علاوة على بطون جنب بن يزيد بن حرب بن غامد بن مالك بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن قحطان بن هود "عليه السّلام". كما سكنت عمان بطون جسّاس بن عمرو بن جويه بن لوذان بن ثعلبة بن عدي[7].

ومن القبائل العربية في العصور الإسلامية <u>**بنو فزارة**</u>، وهو فزارة بن عمران بن مالك بن بلال بن حارث بن زرارة بن الجون بن أنمار بن جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم، و قد ولي فزارة مظالم البصرة[8]. وقد سكنت بعض بطون فزارة منطقة الباطنة من عمان.

---

1 – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج1/253.

2 – يورد العوتبي قصة إسلام مازن، قائلا: "كان مازن قد قدم على الرسول (ص) قبل دخول الإسلام إلى عمان وأسلم ودعا له النبي (ص) ولأهل عمان بالخير". وكان مازن يقطن محلة في عمان اسمها "سمائل" وله بها صنم مشهور اسمه ناجر، كانت تعظمه بني خطامة وبني الصامت في الجاهلية، وقد ذبح مازن ذات يوم عند الصنم عتيرة (ذبيحة) فسمع صوتا ينبعث من الصنم مناديًا له ويقول: " يا مازن اسمع تسر ظهر خير وبطن شرّ، بعث نبيّ من مضر يدين بدين الإله الأكبر، فدع نحيتاً من حجر تسلم من حرّ سقر، قال مازن: ففزعت". العوتبي، ***الأنساب***، ج1/257. الأزكوي، ***تاريخ عمان المقتبس***، ص39.

3 – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر نفسه، ج1/259.

4 – العوتبي، المصدر نفسه، ج1/260.

5 – الخروصي، سليمان بن خلف، ***ملامح من التّاريخ العمانيّ***، ط 4، مطابع النهضة سلطنة عمان، 2006.ص 160.

6 – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج1/288.

7 – ابن حزم، ***جمهرة انساب العرب***، المصدر السابق، ص 413–414.

8 – ابن حزم، ***جمهرة انساب العرب*** ، المصدر السابق، 256. ابن دريد، ***الإشتقاق***، ص 338.

بنو راسب، وهو راسب بن مالك بن ميدعان بن مالك بن نصر ابـن الأزد. ومـنهم عبدالله بن وهب الراسبي صاحب الخوارج في معركة النهروان[1].

بنو خروص، وهم من ولد شار بن اليحمد بن عبد الله بن عثمان ابن نصر بن كعب ابن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد[2].أما فيما يتعلق بأخوة مالك بن فهم، فقد استعرضت المصادر العمانيّة أنسابهم، وأدوارهم السياسية، والتوزيع الجغرافي لبطـونهم ، وهـو ما سنأتي على ذكره بإيجاز.

يعتبر أبناء شمس بن عمرو بن غانم بن عثمان بن زهران بن كعب بن الحارث بـن عبد الله بن مالك بن نصر بن زهران بن الأزد، أحد أهم القبائل التي أسهمت بدور فاعـل في المجالين السياسي والاقتصادي بعمان. ومن أبناء شمس الذين انحدرت مـنهم بعـض القبائل العمانية، الحدان بن شمس ومعولة بن شمس ونجوى بن شمس وزياد بن شمس. وقد استقر بنو الحدان بعد هجرتهم إلى عمان في منطقة الحجر الغربي، ولـذلك أطلـق علـى المنطقة التي استوطنوها إسم "الحدان" نسبة إلى جدهم الأكبر. ومن بطون الحدان بن شمس، **كيوم بن الحدان**، ويتصل نسبه بـ "نصر" بن زهران. ومن أبناء الحدان، **عبد شمس بن الحدان**[3]. ومن ولده ضحيان بن الحدان، وله ثلاثة رهط، ضحيان، ولقـيط، وميـسان. ومن ولد لقيط، معدان وأبو الحواري وقطن. ومن أبناء الحواري، بـادي بـن لقـيط بـن الحواري بن لقيط بن ضحيان بن ضحيان بن الحدان ابن شمس[4].

---

[1] – العوتبي، *الأنساب*، المصدر السابق، ج169/2.
[2] – ابن دريد، *الاشتقاق*، المصدر السابق، ص 508.
[3] – العوتبي، *الأنساب*، المصدر السابق، ج243/2.
[4] – العوتبي، المصدر نفسه، ج 244/2.

ولعل من نسل بادي بن لقيط قبيلة البادي[1]، التي تعتبرضمن التشكيل القبلي القائم حاليا. وتسكن هذه القبيلة في منطقة الحدّان بالحجر الغربيّ، ورغم أن قبائل بني الحدّان هي من الأصول القحطانية الأزديّة اليمنيّة، إلاّ أنّها تحالفت مع قبائل بني سامة بن لؤي العدنانيّة، التي كانت تسكن "توام" والأجزاء الشماليّة من عمان. كما تحالفت مع بني عوف بن عامر[2]، ومع بني العتيك الذين كانوا يقطنون منطقة الباطنة[3]، ليتشكّل بذلك الحلف "النزاريّ". وقبيلة البادي ضمن القبائل الحدانية – مثل، العيسائي والخنبشي والشيدي والمزيني والغيثي– التي شكّلت قبيلة **بني علي** في فترة لاحقة، متخذين من قرية "ينقل" الواقعة في الطّرف الغربيّ من الحدّان والقرى التّابعة لها مستقرا لهم. ونظراً لعدم توفّر كتابات تاريخيّة عن كثير من القبائل العمانيّة وبطونها أو عشائرها ، فقد اعتمدنا في تقويمنا للمعطي البشري على تسلسل التواجد القبلي من خلال التّوزيع الجغرافيّ للقبائل العمانيّة[4].

<u>ومن أبناء شمس</u>، معولة بن شمس. وقد انتقل ملك عمان بعد مالك بن فهم وأبنائه إلى بني معولة. ومن بطون معولة، جيفر وعبد من أبناء الجلندى بن كركر بن المستكبر بن مسعود بن الجرار بن عبدالعز أوعبدالعزيز بن معولة بن شمس[5]. وكانا ملكين على عمان في عهد الرّسول (ص)[6]. وكانا يقطنان أرياف البادية مثلما يؤكد ذلك العوتبي

---

[1] – ليس بالضرورة أن تكون هذه الفخيذة أو القبيلة قد انحدرت من نسل بادي بن لقيط الذي ورد ذكره في أنساب العوتبي. ونستدل على ذلك بعدم وجود أدلة علمية قطعية مسترسلة بين ثنايا كتب علم التاريخ أو علم النسب يمكنها أن تعزز رواية أنساب العوتبي أو تنفي ذلك. وقد يجوز الأعتقاد لنا أنها اكتسبت اللقب بحكم استيطانها مضارب البادية وهي عكس الحاضرة. ومع مرور الزمن وتزايد الايحاءات الدالة على تنقل أفرادها بين أرجاء البادية، انصبغت بكنية البادي وأصبحت عالقة بها. ويمكن أن نستدل من إشارتي كل من الازكوي وابن رزيق حين تحدثا عن هجوم النباهنة على" ينقل" بقيادة كل من السلطان نبهان بن فلاح وعمير بن حمير النبهانيّين. إذ ذكرا أن أحد أفراد قبيلة بني علي خرج من حصن ينقل إثر الهجوم النبهاني عليها، إلي البادية يستصرخ كلا من الأميرين ناصر بن ناصربن قطن ، وعلي بن قطن بن قطن بن علي بن هلال وقومهما من رجالات البادية لطرد النباهنة منها. ويخص ابن رزيق في إشارته ناصر بن ناصر بن قطن وعلي بن قطن بن قطن بأنهما هلاليّن من قبائل بني هلال. و مهما يكن من أمر، فإنه من الطبيعي أن التوزيع الجغرافي للقبائل العمانية والعرف السائد لها، يؤكد لنا أن جذورها تعود للقبائل القحطانية الأزدية المنحدرة من نسل الحدان بن شمس، والمنتشرة على نطاق واسع في منطقة الحدان. وقد وددت إيضاح هذه الإشكالية لكثرة ما أشيع حولها ورددته الأقلام الصاعدة.الازكوي، سرحان، ***تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة***، ص 94. ابن رزيق، ***الفتح المبين***، ص 225.

[2] – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق ، ج2/320.

[3] – العوتبي، المصدر نفسه ، ج2/313.

[4] – الأزكوي، ***تاريخ عمان المقتبس***، المصدر السابق، ص 52.

[5] – ابن حزم، ***جمهرة انساب العرب***، 384. مجهول، ***تاريخ أهل عمان***، ص 40.

[6] – البلاذري، ***فتوح البلدان***، المصدر السابق، ج1/104. العوتبي، ***الأنساب***، ج 2/261.

بقوله: "**وعلى الريف منهم عبد وجيفر**"[1]. وعندما قدم عمرو بن العاص بكتاب النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى أهل عمان، نزل في موضع يقال له "يزدجر" بناحية صحار، وكان وصوله وقت الظّهر. فبعث إلى ابني الجلندى وهم ببادية عمان. وكان أوّل من لقيه منهما عبداء، الذي كان أحلم الرّجلين خلُقاً، وقد رافق عمرو بن العاص إلى أخيه جيفر بن الجلندي بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم ودفعه إليه مختوماً. ففضّ جيفر خاتم الكتاب وقرأه ثمّ دفعه إلى أخيه عبد فقرأه. وقد استقدم جيفر كعب بن برشة العودي وقبائل الأزد، فأسلموا جميعا. كما بعث إلى مهيرة والشّحر ونواحيها وأهل "دبا" ونواحيها، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا[2]. ومن القبائل التي استوطنت عمان، بنو لقيط بن الحارث، ومن بطونهم كعب بن سور بن عبد الله بن ثعلبة بن سليم بن لقيط بن مالك بن الأزد، وهو الذي ولي القضاء في البصرة لعمر وعثمان[3]. ومن القبائل التي سكنت عمان أيضا، قبائل بني هلال، وبني كعب بن الغطريف بن بكر بن مبشر بن الصعب بن دهمان. ومنهم ربيعة وسلمان وبني يشكر بن مبشر[4]. ومن بطونهم، راسب بن مالك، وعبد الله بن وهب الراسبي ذي الثفنات[5].

ومن القبائل العمانيّة، **الزعاب بن مرة**، وهي بطن من عبيد بن سليمة[6]. وكذلك قبائل بني ناجية، ويتّصل نسبهم إلى سامة بن لؤي[7]. ومن القبائل العمانيّة أيضا، **نهد بن زيد**، وسود بن زيد، وصباح بن زيد، وحنظلة بن زيد. وهؤلاء بطون من زيد بن سود بن أسلم بن عمرو بن مالك[8]. ومن القبائل العمانيّة **القراء، أبناء عامر الحكلي**، وهذه القبيلة تقطن الجنوب الغربي وتحديداً في ظفار. بالإضافة إلى عدد كبير من التشكيلات القبلية، مثل آل كثير والمهرة والمعشنيّون والشنافرة والأشراف والشحر والمشايخ والبطاحرة والعوامر والحضارمة والغسّانيّون وأبناء قطن والزبيديّون والتّميمي والصيعري وقبائل أخرى متعدّدة[9]. ومن القبائل التي استوطنت عمان في الفترة

---

1 – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج 260/2.

2 – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ، ج261/2، مجهول، ***تاريخ أهل عمان***، ص41.

3 – ابن دريد، ***الاشتقاق***، المصدر السابق، ص 500. البلاذري، ***فتوح البلدان***، ج104/1.

4 – ابن دريد، المصدر نفسه، ص 385.

5 – ابن دريد، المصدر نفسه، ص 386.

6 – ابن الكلبي، هشام، أبو المنذر بن محمد السائب الكلبي، ***جمهرة النسب***، لابن الكلبي، تحقيق محمد فردوس، حار اليقظة العربية، دمشق بدون تاريخ ج325/2.

7 – اليعقوبي، ***تاريخ اليعقوبي***، المصدر السابق، ج195/2.

8 – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج233/1-234.

9 – العمري، محمد بن سعيد، ***ظفار الثورة في التاريخ العماني المعاصر***، رسالة ماجستير منشورة، مقدمة في الجامعة العربيّة الخاصة للعلوم بالجمهورية التونسية، مطابع رياض الريس للكتب، بيروت 2004، 35.

الإسلاميّة، **بنو كندة، نسبة إلى ثور** بن عبد بن عفير بن الحارث الملقب بـ"كنـدة". ومـن ولده، معاوية بن كندة، وأشوس بن كندة. ومن بطونهم معاوية ووهب وبـداء والـرائش[1]. ومن بطونهم في عمان، سعد الأرقم، وأولاده حاضر وأزدك ويرى وحبيب وسعد وسـعيد. وهؤلاء أبناء الأرقم ابن النعمان بن وهب بن ربيعة بن معاوية بن الحارث الأصغر. ومنهم بنو حاضر بن سعيد وبنو كاوس بن حاضر. وسكناهم في رستاق اليحمد بعمان. ومنهم بنو رفـد بن حاضر. ولهم جبال تنسب إليهم "جبال كندة" في منطقة الحجر الغربي من عمـان. ومـوطنهم قرية السهيلة لوادي الجزي[2] . ومن ساكن عمان، السميدع الكندي من بني مالك بن ربيعة. وكـان يرى رأى الخوارج في عهد يزيد بن المهلب[3]. ومن القبائل العربية في عمان بنو الحجـر، ومـن بطونهم، **بنو علي بن الحجر بن** عمران بن عمرو بن عامر بن مزيقيا. ومن الحجر، بنو طاحيـة وبنو زياد وبنو إياد وسودة ومرجوم[4].

ولقد استقر المهاجرون الأزد بقيادة مالك بن فهم في المناطق الأكثر ثراءً بعمـان، مثل السواحل البحرية، التي شهدت في العصور الإسلامية الوسيطة حركة تجارية ضخمة لتوفر موانئها اللاإستراتيجية، ولا سيما صحار ذات الظهير الزراعي. علاوة على مينـائي "دبأ" ومسقط اللتين تعتبران من الموانئ الأثيرية في تجارة المحيط الهندي قـديما وحـديثا. كمـا استقر بعض هذه القبائل في المناطق الخصبة، التي ساهمت بدور فاعل في دفع عجلـة الميـزان التجاري، مثل نزوى وسمائل والرستاق وهضبة الجبل الأخضر[5].

أما القبائل العربيّة التي هاجرت الى عمان في فترة متأخّرة، مثل قبائل بني نزار العدنانيّـة التي استقرّت في المناطق الشمالية الغربية الأقلّ ثراءً، فقد افتعلت المنازعات مع القبائل القحطانية التي سبقتها الى السواحل الشمالية الشرقية وكذلك قبائل المناطق الداخلية. ولم يكن للصرّاع سـبب قبليّ عرقي بين القحطانية و العدنانية، بقدرما كان رغبة في السيطرة على المناطق الغنيّة، وتقاسم السّلطة[6]. وقد أصبح هذا الصرّاع تاريخياً منذ العصور الإسلاميّة الأولى، وحتّى عهـود قريبـة. **(انظر الشكل رقم 2).**

---

[1] – ابن حزم، ***جمهرة انساب العرب***، المصدر السابق، ص 425.

[2] – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج1/375.

[3] – الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، ***تاريخ الرسل والملوك***، دار صادر 2003م، ج4/1341.

[4] – ابن حزم، ***جمهرة انساب العرب***، المصدر السابق، ص 371.

[5] – George Allen, op. cit.p. 73.

[6] – متولي وأبو علاء، ***جغرافيّة الخليج، المرجع*** السابق، ص 162.

الفصل الثاني:

الأوضاع السياسية للحركة الأباضيّة

من القرن الثاني إلى الثالث الهجري:

I - النشاط السياسي للحركة الأباضية في حضرموت واليمن والحجاز ومكة.

1 - بداية النّشاط السياسي للحركة الأباضية في حضرموت واليمن 129-130هـ / 746-747م: (الظروف - وكيفية الانتشار).

لقد شجّعت الظّروف السّياسيّة التي مرّت بها الخلافة الأمويّة في أواخر عهدها على قيام ثورة الحركة الأباضية على ولاة بني أميّة في حضرموت واليمن. وكان من أهمّ تلك الظروف خروج الضحاك بن قيس الشيباني سنة 127 هـ / 744م، ثائراً على مروان بن محمد في عقر داره. إلاّ أنّ مروان تمكّن من قتله سنة 128هـ / 745م، في المنطقة الفراتيّة[1]. وقد تلت هذه الثّورة حركة عبد الله بن معاوية بن جعفر الطّالبي سنة 128هـ/745م، الذي اغتاله أبو مسلم الخراساني. علاوة على قيام الثّورة العباسيّة التي عاصرت الحركة الأباضيّة في حضرموت واليمن دون سابق ميعاد. ورغم عدم توفّر أدلّة كافية عن انتشار الدعوة الأباضيّة في اليمن وحضرموت ، إلا أنه يمكننا الاعتماد على الإشارات الواردة بين ثنايا بعض المصادر لرسم صورة عن بداية النّشاط السياسيّ والمذهبيّ للحركة الأباضيّة، التي عملت على زعزعة كيان ولاة الخلافة الأموية في اليمن. فما هي الظروف التي ساعدت على انتشار الدعوة الأباضية في تلك الناحية من العالم الإسلامي؟.

لا تشير المصادر والدّراسات إلى الطّريقة التي انتشرت بها الدعوة الأباضيّة في حضرموت واليمن؛ مقارنة بنظيرتها في عمان والمغرب. حيث ورد في ثناياها أنّ الدّعوة انتشرت عن طريق مجموعة من حملة العلم، كانت قد أرسلت من البصرة إلى هاتين المنطقتين[2] . ولكنّنا إذا ما اعتمدنا على ما ذكر في بعض المصادر، نستطيع أن نرسم فكرة تقريبيّة انطلاقا من اللّقاءات الفكريّة المتكرّرة بين أبي عبيدة بن أبي كريمة في البصرة ومشايخ من علماء حضرموت، الذين كان أشهرهم أبو أيّوب وائل بن أيوب الحضرمي، أحد طلاّب أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، الذي اشترك في ثورة طالب الحقّ باليمن سنة 129هـ /746م[3]، فإننانخلص إلى انتشار الدعوة الأباضيّة بين أرجاء القطر اليمني عامّة.

---

[1] - اليعقوبي، ***تاريخ اليعقوبي***، المصدر السابق، ج2/ 80.

[2] - العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج1/ 93. الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 670 هـ)، ***طبقات المشايخ بالمغرب***، تحقيق، إبراهيم طلاي.ج22/1.

[3] - مهدي طالب هاشم، ***الحركة الاباضية في المشرق العربي***. دار الحكمة 2003، ص 90.

ولعلّ أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة قد استغلّ الظروف الاقتصادية والسياسية المتردية التي شهدها اليمن في ظل ولاة الأمويين من بني ثقيف، والتي تجرّعت الشعوب اليمنيّة مرارتها. وعمل على إرسال دعاة الحركة إلى كلّ من حضرموت واليمن تمهيدا للقيام بثـورة لقلـب نظام الحكم فيها. وهو أمر أكّده عبد الله بن يحيي الكندي الملقب بـ "طالب الحقّ".

وكانت اليمن قد خضعت للولاة الثقفيين منذ عهد عبد الملك بـن مـروان(65-85 هـ/684-704م) يتصدّرهم محمد بن يوسف الثقفي، الذي قامـت فـي عهـده الحركـة الاباضية عام 129هـ/746م. ولقد عمد هؤلاء إبان ولايتهم إلى إرهاق كاهل أهل الـيمن بالضرائب غير الشّرعية، التي كان بعض أمراء بني أمية يأمر بأخذها عنوة. وقد أورثـت هذه السياسة بغض أهل اليمن ونقمتهم على الأمويّين. وهو شعور من الوجهة النّظرية مبني على التعصّب القبليّ المخالف لروح الشريعة الإسلاميّة، ولكنه نابع في الواقع من سياسـة الاضطهاد والابتزاز التى أنتهجها ولاة بني أمية في أهل اليمن. وقد مكّنت هـذه الظـروف قـادة الحركة الأباضيّة من القيام بعمل مسلح ضدّ بني ثقيف في اليمن ثورة على ممارساتهم التعسّفيّة [1].

لقد التفّ النّاس حول "طالب الحقّ" لعدله. وقد كان يشغل منصب القضاء لإبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي، الوالي على حضرموت من قبل القاسم بن عمر الثّقفـي. وحثّـوه على الثّورة. فكتب إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة زعيم التنظيم الأباضي في البـصرة يستأذنه الخروج على السلطة الأموية في اليمن. فردّ على رسالته يحثه علـى التعجيـل بالثّورة قائلا له:"إن استطعت فلا تبق يوما واحداً"[2]. وكانت هذه الردود مـن قبـل زعـيم الحركة في البصرة، بمثابة فتح باب التعجيل لبدء الثورة من جهة، وحثّ أنصار الـدعوة في الأقاليم الإسلامية لمؤازرة "طالب الحقّ" في تنفيذ مهمّته الهادفة إلى قلب نظام الحكـم الأموي في اليمن من جهة ثانية.

2- مشاركة العمانيّين في الثورة والاستيلاء على حضرموت واليمن.

تدعيما لإنجاح الثّورة في كلّ من حضرموت واليمن، أرسل أبوعبيدة مسلم بن أبـي كريمة أبا حمزة المختار بن عوف الشّاري الأزدي لمؤازرة عبد الله بن يحيي الكندي فـي

---

[1] - مهدي طالب هاشم، *الحركة الاباضية في المشرق العربي*، المرجع السابق، ص 93.

[2] - الشمّاخي، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، *كتاب السير والجوابات*، القاهرة الطبعة الحجرية، بدون تاريخ. ص91 .

حضرموت. وكتب إليه قائلا: "إنّا بعثنا لك برجل إنجيله في صدره"[1]. وكانت بين الرّجلين صداقة حميمة انبثقت عن لقاءاتهما المتكرّرة في مواسم الحجّ. ويبدو أنّ العمانيّين تحمّسوا لهذه الثّورة، إذ يشار أنّه شارك إلى جانب أبي حمزة المختارعدد كبير منهم، كالجلندى بن مسعود الذي توجّه إلى اليمن صحبة رجال من العمانيّين من بطون نصر بن زهران اليحمدي، ومن بني الحارث الغطريف، وبني طمثان ومعولة، ومن بني مخلد بن زهران وسليمة، ومن بني معن بن مالك بن فهم، وجابر ابن عمّ المختار[2]، وهلال بن عطيّة الخراساني، الذي قتل في المعركة التي خاضها الجلندى ضدّ القوات العباسيّة أثناء إمامة الظهور التي تشكلت في عمان سنة 132هـ/751م[3].

إنّ هذه الثورة التي قادها طالب الحقّ، كان هدفها أن تحقق للحركة الاباضية كياناً سياسياً. واشتراك العمانيّين فيها كقادة، كانت بمثابة تجربة ودُربة لهم تمهيداً لإقامة إمامة الظّهور الأولى، التي تمّ إعلانها في عمان في فترة لاحقة[4] . ولعلّ الهدف من استيلائهم على دواليب السلطة في اليمن، هو السيطرة على شريان الحركة التجارية المتجهة إلى مركز الخلافة الإسلامية في الشام.

لقد استبشر علماء الأباضيّة – وخاصّة في عمان والبصرة – بقيام أوّل كيان سياسيّ لهم في اليمن. فجرت بينهم وبين زعيم الإمامة "طالب الحقّ" مراسلات كانت تؤكّد على ضرورة التزام قادة الحركة بمبادئ الإسلام، والسيرة التي يجب أن ينتهجها الإمام الأباضي. وهذه التعاليم عبارة عن دستور للحياة الإسلاميّة في المجتمع الأباضي، ونوع من نظم الحكم التي صاغتها مجالس العلماء في البصرة. ولعلّ علماء الأباضيّة كانوا يهدفون من خلال مراسلاتهم تلك، إلى تحقيق إمامة أباضيّة كبرى على أرض الواقع وتسيطر على العالم الإسلاميّ. بحيث تنطلق شرارتها من اليمن باعتبار أنّ ولاة بني أميّة قد ساهموا بسياستهم تلك في إيجاد أرضيّة خصبة، شجّعت على قيام إمامة أباضيّة مركزها الرئيسيّ اليمن.

وكان هذا النّضج السياسيّ للحركة الأباضيّة جديرا باهتمام علمائها في الأمصار. فلقد أرسل أحد العلماء العمانيّين من بين الذين لعبوا دوراً مهمّا في الحياة السياسيّة، ويدعى

1 – الشمّاخي، *كتاب السير والجوابات*، المصدر السابق، ص91.

2 – الأزدي، *تاريخ الموصل*، المصدر السابق، ص78.

3 – للازكوي، *تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة*، المصدر السابق، ص47.

4 – George Allen, op.cit. p.76.

أبوسفيان محبوب بن الرّحيل، رسالة إلى طالب الحقّ، يبيّن فيها صيغ الحكم التي تحرّم الانحراف الذي سار عليه خلفاء بني أميّة. وقد انتقد في تلك الرّسالة نهج بعض علماء الأمويّين المداهنين للخلفاء. وجاء فيها على لسانه: "وقديما عباد الله خولا ودينه دغلا وماله دولا. واستحلّوا الخمر بالنبيذ والمكس بالزّكاة والسّحت بالهديّة، يأخذونها من غضب الله وينفقونها في معصيته. واتّخذوا ذلك من خونة العلم أعوانا ومن الورع أعوانا ومن الضيّاع إخوانا. ووجدوا على ذلك من المستأكلين أعوانا، فهؤلاء الأعوان خطبة أهل الجور على المنابر، وعلى أيديهم قامت راية الفسق في العساكر، وبهم أخيف العالم، ومشى المؤمن في طرقات الأرض بالتقيّة والكتمان، فهو كاليتيم المتفرّد يستبدّ به من لا يتّقي الله". كما حثّهم على قراءة القرآن وصوم شهر رمضان وقيام اللّيل وردّ المظالم إلى أهلها. وحثّهم على الحجّ والوفاء بالعهود وأداء الأمانة"[1] .

لقد بدأت الثورة في حضرموت تشقّ طريقها، بعد أن قبض الثّوار على إبراهيم بن جبلة والي الخليفة على حضرموت وأودعوه السّجن. إلا أنّه أطلق سراحه، فالتحق بالقاسم بن عمر الثقفي والي مروان بن محمد على صعدة [2].

وما إن استقر طالب الحقّ في حضرموت بعد نجاح الثّورة ، توافدت عليه جموع من أباضيّة اليمن. وقرّر التوجّه إلى صعدة وطرد الوالي الأموي منها. وتمهيداً لإنجاح الثورة، كتب إلى أباضيّة صنعاء "إنّي قادم إليكم ". وقد أعدّ لهذا الغرض جيشاً يقدّر بنحو ألف وستمائة مقاتل من الأباضيّة الشّراة [3]. وانضم إليهم النّاقمون على حكم ولاة بني أمية في اليمن. فبلغ عدد الجيش الذي توجّه إلى صنعاء نحو أربعة آلاف؛ كان في ميمنته يحيي بن حرب المهاجري، ومعه الذين انضمّوا من حضرموت. أمّا الميسرة، فكان عليها بلج بن عقبة العماني الذي أرسله التنظيم الأباضيّ في البصرة إلى حضرموت. ويساعده في القيادة أبرهة بن الصبّاح الحميري. وعلى القلب كان "طالب الحقّ" الذي ترك على حضرموت عبد الله بن السيّد الحضرمي كخليفة له [4] . ولمّا علم الوالي الأموي بقدوم طالب الحقّ إلى

[1] – الشماخي، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، *كتاب السير والجوابات*، مراجعة وتحقيق احمد بن سعود السيابي، وزارة التراث سلطنة عمان، ج2/287.

[2] – مهدي طالب هاشم، *الحركة الاباضية في المشرق العربي*، المرجع السابق، ص 95-96.

[3] – الشماخي، *السير*، المصدر سابق، ج1/ 91.

[4] – الشماخي، *المصدر نفسه*، ج1/ 99.

صنعاء، جهّز حملة عسكريّة قدّر المؤرخون عدد أفرادها بنحو ثلاثين ألفا[1]. وقاد الحملة إلى خارج صنعاء. وكان قد استخلف عليها "الضحّاك بن زمل السكسكي". فعسكر بجيشه في قرية تسمّى "الجانح" أو لحج، ومنها انطلق بمقاتليه لمواجهة طالب الحق الذي كان على بعد يومين. ورغم أنّ اللقاء كان في بداية الليل، إلاّ أنّ الوالي الأموي عزم على القتال. فأوقعوا به هزيمة نكراء وتقهقر الجيش الأموي إلى صنعاء بعد أن ترك في ساحة المعركة أربعمائة قتيل. وكانت تلك فاتحة لانتصارات الحركة الأباضيّة وقادتها.[2]

لقد عزّزت هذه الهزيمة من ثقة الأباضيّين بأنفسهم، فأخذ "طالب الحقّ" يزحف باتجاه الشّمال بهدف الاستيلاء على صنعاء حتى وصل منطقة تسمّى "الجوين"[3] . أمّا القاسم بن عمر الثقفي، فقد حفر الخنادق للاحتماء بها بعد أن ذاق مرارة الهزيمة في المعركة السّابقة. واتّخذ لمعسكره موقعا خارج صنعاء[4]. ولم يجرأ على مقاتلة طالب الحق بنفسه، بل عهد بذلك إلى قائده يزيد بن الفيض. حيث أرسله على رأس جيش مؤلّف من ثلاثة آلاف من جند الشّام واليمن. فوقعت مناوشات بين الطّرفين لم تؤدّ إلى نتيجة. وعلى إثرها رجع يزيد بن الفيض إلى القاسم بن عمر الثقفي فتوقف القتال لمدّة يومين، ظلّ الجانبان خلالها في ترقب مشوب بالحذر. وفي نهاية اليوم الثّاني، زحف عبد الله طالب الحق لينهي حالة اللاّحرب. ومع إطلالة اليوم الثّالث، أطبقت القوات الأباضيّة على خنادق القاسم بن عمر الثقفي. وعبثا دافعت القوات الأمويّة، فدخل الأباضيّة الخنادق المحفورة وخاضوا فيها معارك ضارية قتل فيها الصّلت بن يوسف أحد قواد الجيش الأموي وابن أخ القاسم بن عمر الثقفي. ولم يستطع يزيد بن الفيض الصّمود أمام الشّراة بعد أن خاض معركة خاسرة حتى منتصف النّهار. ونتيجة لذلك هرب إلى صنعاء ليلتحق بالقاسم بن عمر. ومن صنعاء غادراها إلى بلاد الشّام مع من تبقى من قوّاتهما[5]. وقد تمكّن طالب الحق من دخول صنعاء دون أيّة مقاومة تذكر.

وعلى إثرذلك عمل هذا الإمام على الإلتزام بالشّريعة الإسلاميّة، حيث كان يعامل المخالفين له مذهبيّا بالحكمة. واستطاع أن يوفق بين النظريّة والتّطبيق. ولا يترك مجالا

---

[1] – خليفة بن خياط، ***كتاب الطبقات***، تحقيق، أكرم ضياء العمري، ط1، بغداد، 1967. ص210.

[2] – الازكوي، سرحان بن سعيد، ***كشف الغمة الجامع لأخبار الغمة***، تحقيق احمد العبيدلي، قبرص، 1985، ص 105-110.

[3] – مهدي طالب هاشم، ***الحركة الأباضية في المشرق***، المرجع السابق، ص. 96.

[4] – ابن خياط، خليفة بن خياط الليثي، ***تاريخ خليفة بن خياط***. دار صادر بيروت،1995. ص 255.

[5] – مهدي طالب هاشم،**الحركة الاباضية في المشرق**، المرجع السابق، ص 99-100.

للعواطف لتفرض وجودها على الأحكام حتّى في أكثر المواقف إحراجاً. وكان يوصي بذلك قوّاده. وقد تجسم ذلك عندما رفض طلب قائده أبرهة بن الصبّاح الحميري للإجهاز على الفارّين ومنعه من النّيل منهم. مؤكّدا أنّ علماء الأباضيّة لا يجوّزون قتال المدبر في الحرب[1]. وهذا دليل على قيمة التّسامح التي تحلى بها هذا القائد حتّى في حالة الحرب. وهو أمر يعكس مفارقة كبرى بين روح التسامح التي ميزت الاباضيين وبين غطرسة الأمويين، البعيدين عن أخلاقيات الحرب في التعامل مع مناوئيهم. ويتّضح ذلك من خلال أمر عبد الملك بن عطيّة بقتل أربعمائة أباضيّ كانوا أسرى عنده بعد معركة مكّة[2].

3- انتقال الحركة الأباضيّة إلى الحجاز ومكة لإخضاعهما وموقف الخلافة الأموية من ذلك

كان هدف "طالب الحق" من إشعال الثورة ضد"الحكم الأموي، هو إصلاح ما أفسده الخلفاء الأمويّون. وإقامة إمامة أباضيّة تعود بالإسلام إلى ما كان عليه زمن الخلفاء الرّاشدين[3]. ولتوسيع دائرة تحرّكاته، فقد جهّز حملة عسكرية سنة 129هـ/ 746م لغزو الحجاز. وكان على رأسها قائده أبو حمزة المختار بن عوف السليمي الأزدي العماني. وقد أمره أن يقيم في الحجاز ويوجه قائده بلج بن عقبة الأزدي إلى الشام لمحاربة مروان بن محمد[4]. وبعد أن تمكّن أبو حمزة المختار بن عوف من الاستيلاء على الحجاز، توجّه إلى مكة على رأس جيش يقدر تعداده بنحو ألف وستمائة[5]. بينما يرجّح ابن خيّاط أنّ تعداد الجيش يقدّر بنحو عشرة آلاف [6]. وأيّا كانت عدّته فقد دخل الجيش مكّة من جبل عرفة في الوقت الذي كان النّاس منشغلين بتأدية الشّعائر على جبل عرفات[7]. فشرح أبو حمزة الشّاري للحجيج النظرة الأباضيّة للحكم، المخالفة لواقع بني أميّة [8]. ولعلّه كان يهدف

---

[1] - الجيطالي، إسماعيل بن موسى، ***شرح قواعد الإسلام***، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم 22067. ب. ص 35. ب.

[2] - مهدي طالب هاشم، ***الحركة الأباضية في المشرق***، المرجع السابق، ص 135.

[3] - George Allen, op cit. p. 76.

[4] - مهدي طالب هاشم، المرجع السابق، ص111.

[5] - الأزدي، ***تاريخ الموصل***، المصدر السابق، ص 102.

[6] - خليفة بن خياط ، ***التاريخ***، المصدر السابق، ص 255-256.

[7] - الطبري، ***تاريخ الرسل***، المصدر السابق، ج375/4.

[8] - مهدي طالب هاشم، ***الحركة الاباضية في المشرق***، المرجع السابق، ص 118.

بخطبته تلك إلى تأليب الشّعوب الإسلاميّة على الخلفاء المغتصبين للحكم من وجهة النّظر الأباضيّة.

وبعد أن استولى أبو حمزة المختار على مكّة توجّه إلى الطّائف بهدف إخضاعها. وحين علم أهلها بقدومه تركوها وأخرجوا النّسوة لملاقاته، غير أنّ القائد الأباضيّ الذي عيّنه أبو حمزة أعطى الأمان لنسوة الطائف. فرجع إليها أصحابها دون أنّ يحدث بين الظهيرين أيّ قتال يذكر. وبعد أن أكمل مهمّته في الطّائف وجّه مجموعة من جنده إلى "قديد" سنة 130هـ/ 747م، لملاقاة الجيش الأمويّ القادم من المدينة، في حين استخلف على مكّة أبرهة بن شرحبيل بن الصّباح الحميري. وكان جيش أبي حمزة مؤلّفا من الأباضيّين القادمين من اليمن، بالإضافة إلى أربعمائة من قبيلة خزاعة الحجازيّة[1]. وقد وصلت قوّاته إلى "قديد" يوم الخميس التّاسع من صفر سنة 130هـ/ 747م. ورغم أنّ الأباضيّين لا يريدون قتالا بقدر ما كانوا يهدفون لإزالة الحكم الأموي، إلا أنّ القوّات الأمويّة حرصت على قتالهم، فدارت بين الطّرفين معركة حاسمة أوقع فيها أبو حمزة بجند المدينة قتلا وأسرا، فهلك قائد أهل المدينة في ميدان المعركة[2]. وولّد ذلك انهيارا معنويّا لقوّات الأمويين في الحجاز. فتقدّم بلج بن عقبة الأزدي نحو المدينة في الثّالث عشر من رجب سنة 130هـ/ 747م. وتبعه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي فأخذ البيعة من أهل المدينة لعبد الله بن يحيي الكندي كرها[3].

لقد حفّزت هذه التطوّرات مروان بن محمد، فأعدّ حملة عسكريّة تقدّر بنحو اثني عشر ألفا ضمّت خيرة فرسان الشام. وقد زوّدت هذه الحملة بأفضل أنواع العدّة العسكريّة. وأجزل العطاء للجند وأوكل قيادتها لعبد الله بن عطيّة السّعدي. وكانت مؤلّفة من القبائل اليمنيّة. ثم توجّهت الحملة صوب الحجاز. ولمّا علم الأباضيّة بتحرّكها، أرسل أبو حمزة المختار قائده بلج بن عطية على رأس ستمائة من الجند لملاقاتهم. فتصادف الجمعان في وادي القرى سنة 130هـ/ 747م، ودارت بينهم معركة طلب إثرها القائد الأباضي الهدنة. إلا أنّ الأمويّين رفضوا. وقد نتج عن ذلك قتل القائد الأباضيّ بلج بن عقبة الأزدي، في حين

---

[1] – مهدي طالب، *الحركة الاباضية في المشرق* المرجع السابق، ص. 120-121.

[2] – اليعقوبي، *تاريخ اليعقوبي*، المصدر السابق، ج2/80. الطبري، تاريخ الرسل، ج4/ 395.

[3] – الأزدي، *تاريخ الموصل*، المصدر السابق، ص 111. خليفة بن خياط، **تاريخ**، ص 255. مهدي طالب، *الحركة الأباضيّة في المشرق*، المرجع السابق، ص 129.

تمكن أبرهـــة الحميـــري من الفرار ليلتحق بأبي المختار بن عوف الذي توجّه إلى مكة بعد أن بلغه خبر هزيمة الأباضيّين بوادي القرى[1].

وما إن علم طالب الحقّ بهزيمة الأباضيّة بوادي القرى، سارع لنجدتهم فتوجّه إلـــى الحجاز. وبالتوازي مع ذلك، توجّه عبد الملك بن عطيّة السّعدي قائد الجيش الأموي إلـــى مكّة للقضاء على القوات الأباضيّة، التي أصبحت في موقف حرج خصوصاً بعد تأخّر نجدة قوّات طالب الحقّ. وفي هذه الأثناء لقي عبد الملك السّعدي أبا حمزة المختار بـــن عـــوف الأزدي، فقتله. ويروى أن زوجة أبي حمزة قد اشتركت في هذه المعركة، وكانت ترتجـــز وتقول:" من سأل عن اسمي فإنّي مريم.... بعت سواري بسيف مخرّم".

كما قتل في المعركة الفقيه الأباضي على بن الحصين، بعد أن حاصره جنود الشّام في أحد بيوت مكّة. وأضرموا النّار من حوله فاضطرّ إلى النزول لقتالهم، غير أنّه قتل مع أبي حمزة المختار وأبرهة بن الصبّاح الحميري، اللذين صلّبا وظلت جثتيهما معلقتين على باب الشّعْب لمدّة سنتين كاملتين. ولم تنزل هياكلهما حتى قيام الخلافة العباسيّة سنة 132هـــ / 749م.[2]

4-القضاء على الحركة الأباضيّة في اليمن.

لقد نتج عن اندحار الأباضية المهزومين في معارك الحجاز ومكّة والمدينة، ضـــعف في الثقة بالنفس. ويبدو أنّ الإمام عبد الله بن يحيي الكندي رجع إلى اليمن قبل أن يصل إلى الحجاز، إثر سماعه بالهزائم المتلاحقة التي تكبدها الأباضيّون في حروبهم مـــع الأمـــويّين بالحجاز ومكّة والمدينة. وقد شجعت انتصارات الأمويّين المتتالية على الأباضـــيّين علـــى المضي قدماً في ملاحقة جيوبهم في الركن الجنوبي من الجزيرة العربية. وفي محاولة منه لطرق الحديد وهو ساخن، أمر مروان بن محمّد وفورانتهاء المعارك في الحجاز ومكّة قائده عبد الملك بن عطيّة السّعدي بالمسير إلى اليمن، على رأس جيش يقدّر تعداده بنحو ثلاثين ألفا. فتوجّه مباشرة إلى صعدة[3] للقضاء على الإمام الأباضيّ عبد الله بن يحيي الكندي، ومن معه من الأباضيّة. وقد اختلفت الروايات حول قيادة الجيش الأموي، إذ يـــشير الأزدي أن القائد الميداني كان سيّار بن إسماعيل أحد قادة الجيوش الأمويّة[4]. وأيّا كان الإختلاف، فقـــد

---

[1] – مهدي طالب، *الحركة الاباضية في المشرق*، المرجع السابق، ص 132.

[2] – مهدي طالب، *الحركة الأباضيّة في المشرق*، المرجع السابق، ص 133.

[3] – خليفة بن خياط، *تاريخ*، المصدر السابق، ص 257.

[4] – الأزدي، *تاريخ الموصل*، المصدر السابق، ص 114.

التقى الجمعان في منطقة صعدة، التي تبعد نحو ستّين فرسخا شمال صنعاء[1]. وخاض الجيش الأموي قتالا ضارياً مع طالب الحق الذي كان معه ألف مقاتل من أهل حضرموت. ونتيجة لاختلال موازين القوى بين الجيشين، فقد حسمت المعركة بقتل طالب الحق لتنتهي الإمامة الأباضيّة الأولى في حضرموت سنة 130هـ/747م[2]. وكان في اشتراك العمانيّين في ثورة طالب الحق تجربة مهّدت لإعلان الإمامة الأباضيّة في عمان، والتي أطلق عليها مؤسّسوها "إمامة الظّهور". كما خاض العمانيّون من أسرة آل المهلّب بن أبي صفرة تجارب عمليّة في شرق جزيرة العرب، ساهموا من خلالها في ترتيب أوضاع الدّولة الإسلاميّة بالقضاء على زعامات فئات الخوارج من الصفرية والأزارقة.

وننتهي إلى القول إنّ الدعوة الأباضيّة وجدت لها أنصاراً في البصرة بين قبائل الأزد منذ أن تمّ القضاء على حركة يزيد بن المهلّب سنة 102هـ/ 720م على يد الأمويّين، الذين أساؤوا معاملة هذه القبائل التي اعتنقت المذهب الأباضيّ، باعتباره يشكّل نهجاً سياسيّاً جديداً مناوئاً للسّياسة الأمويّة. وقد تبنّت الحركة الأباضيّة في بداياتها سياسة حذرة توخت فيها طابعا سريا. وبدأت تدريجيّاً تأخذ منعطفاً جديداً نادى زعماؤه بحمل السّلاح في وجه السّلطة الأمويّة. وقد اعتنقت هذا المذهب في عمان قبائل الأزد مثل قبيلة مالك بن فهم.[3]

ولعلّ السّبب الرئيسيّ لتقبّل الأزد للمذهب الأباضيّ، يعود بالدّرجة الأولى إلى الامتداد القبليّ العمانيّ إلى البصرة من جهة، ولانتشار المذهب الأباضيّ بين هذه القبائل وامتداده إلى عمان من جهة ثانية. هذا فضلا عن أنّ المذهب الأباضيّ لم يحظى باعتراف الأمويين ولا العباسيّين لاحقاً. على أنّ المعتقد الأساسيّ في اختيار الإمام أو الخليفة يجب أن يكون اختياراً حرّاً. ولا تقتصر الإمامة أو الخلافة فيه على قريش. وليس لاعتبارات الأصل أو القبيلة دخل في انتخاب الخليفة أو الإمام من وجهة نظر الأباضيّة. وقد شرّع الفقه الأباضيّ للأمة أو لحملة العلم – الممثل الشّرعيّ لانتخاب الإمام – خلع الإمام متى أخلّ بواجبه، ممّا يعني أنّ الإمام ليس معصوما، فهو مدنّس وليس مقدّساً أو ذا سلطة إلاهيّة باعتبار أنّ

---

[1] – ياقوت، ***معجم البلدان***، المصدر السابق، ج3/398.

[2] – الأزدي، ***تاريخ الموصل***، المصدر السابق، ص114، خليفة بن خياط، ***تاريخ***، ص257.

[3] – مهدي طالب، ***الحركة الاباضية في المشرق***، المرجع السابق، ص161.

الوحي هو المصدر الوحيد له[1]. على خلاف جماعة الشّيعة التي تعلّقت بإمامة علـيّ بعـد تحكيم صفين. ونادت بأن تكون الخلافة وراثيّة على أن تكون من قريش ومن أهل البيـت. وساد هذا المفهوم على أنّ الإمام "كالنّبي معصوم من الخطأ ليكون أهلا لحمل أمانة العقيدة والشريعة بعد النّبي، وبما أن عليًّا لم يعبد الأصنام قبل الإسلام قطّ، فقد تعيّن أن يكون هـو الإمام"[2].

ومن جهة أخرى، فقد رفض السنّة شروط الشّيعة بأن الإمام معصوم مـن الخطـأ. وفضّلوا أن يكون الإمام ثابتاً حتى ولو كان مستبدّاً تجنّباً لفتنة الأمّة، وذلك علـى عكـس المبدأ الأباضي الذي أقرّ بانتخاب الإمام من قبل علماء المسلمين أو المرجعيّة الدينيّة. غير أنّ الأباضية يرون أنّ طاعة الحاكم واجبة إذا كان عادلا، ولا يشترط انتخاب إمـام جديـد فـ"إمام المسلمين جاء بطريق الشّورى أو بغيره إذا كان عادلا تجب طاعته والخروج عنه فسق إذ جاز البقاء تحت حكمه ولا يطاع في معصية وجاز الخروج عنه".[3]

II- انـتشار للحركة الاباضية في عمان، وبـداية نـشاطها السياسي

1- انـتشار الحركة الأباضيّة في عمان

يبدو أنّ الحركة الأباضيّة[4] قد انتشرت في إقليم عمان قبل اعتلاء عبـد الملـك بـن مروان (65- 88هـ/ 684-706م) عرش الخلافة. إذ تشير بعض المصادر أنّ الـشّاعر

---

1 - مروه حسين، ***النزعات المادية في الفلسفة العربية- الإسلامية - الجاهلية - نشأة وصـدر الإسـلام***- دار الفارابي، 2002 .لبنان، ج495/1.

2 - مروه حسين، ***النزعات المادية في الفلسفة العربية- الإسلامية - الجاهلية - نشأة وصدر الإسلام*** المرجـع السابق، ج38/2.

3 - معمر علي يحي، **الأباضية بين الفرق الإسلامية**، وزارة التراث، سلطنة عمان بدون تاريخ. ص172.

4 - لقد حاول الأباضية عبثا أن يثبتوا الفرق بينهم وبين الخوارج على أن العقيدة الأباضية تعود إلـى مـا قبـل التحكيم، يقول أحد الباحثين المحدثين "أنّ الاباضية كانوا أشداء على الخوارج فكيف نعتبرهم مـنهم وهـم لا يتفقون معهم إلا في مسألة التحكيم ورفضهم أن يكون مبدأ الإمامة مـن قـريش؟ النجـار عـامر، ***مـذاهب الإسلاميين***. دار المعارف القاهرة 1995م، ص100. وفي موضوع آخر يـذكر أن سـبب إلـصاق تهمـة الأباضية بالخوارج هو أنّ الدّولة الأمويّة نهجت نهجا قاطعا للتشنيع بالأباضيّة حتـى ينفّـروا النـاس مـنهم لصلابة موقفهم حيال الدولة الأموية التي اعتبرها الاباضية مغتصبة للدولة الإسلامية، ولقد اثبت العامة هـذا الإلصاق دون تمحص مع أن أصحاب المذهب الأباضي يتّفقون، حسب الإشارة مع أغلبية المذاهب، حيث تعد الفرقة الاباضية من أكثر الفرق الإسلامية اعتدالاً وتسامحاً مع جميع مخالفيهم. النجار، ص99.

الخارجي عمران بن حطّان[1]، كان قد هرب من عبد الملك بن مروان والتجأ إلى عمان. فوجد أهلها يعظّمون أمر أبي بلال مرداس بن أدية[2] ويظهرونه، فأظهر أمره فيهم. وقد بلغ ذلك الحجّاج بن يوسف الثقفي في بغداد. فكتب إلى عامله في عمان يخبره أن يقتل عمران بن حطّان. ولمّا علم عمران بذلك، ارتحل من عمان هارباً حتى أتى قوماً من الأزد، "فلم يزل فيهم حتّى مات"[3]. وبذلك يتأكد ظهور الحركة الأباضيّة بعمان منذ وقت مبكّر. فالفترة التي عاش فيها بلال بن مرداس تبرهن على ذلك، باعتبار أنّ العمانيّين كانوا يمتثلون إلى آرائه وأفكاره وكانوا يعتبرونه من أوائل أئمّتهم[4].

ومن جانب آخر، أشار العوتبي أنّ عمران بن حطّان كان قد ارتحل إلى عمان فنزل بين أزدها. وإذا بقوم منهم يتناشدون أشعاره، ويجهلون صدق هويته، فدعاهم إلى أفكاره وآرائه. ووجد فيهم مساعدين له ممن كانوا يتباكون على أبي بلال مرداس، ويذكرون فضله وشهرته الدينيّة والمذهبيّة. وحين علم الحجّاج بذلك، كتب إلى أهل عمان في قتله. إلاّ أنّ عمران خرج إلى منطقة "زوندستان" الواقعة أسفل العراق، فأتى قوما من الأزد. وظلّ ينشر آراءه بينهم حتّى مات[5].

لقد مهّدت آراء أبي بلال – المعتدلة- الطّريق أمام الدّعاة الأباضية في عمان لنشر المذهب الأباضي بين قبائلها الأزديّة. وتؤكّد المصادر العمانيّة أن الجذور التاريخيّة الأولى لدخول المذهب الأباضي إلى عمان، يرجع زمنها إلى الفترة التي حكم فيها الحجّاج بن يوسف الثقفي العراق 75-93هـ / 694-714م متزامناً مع الفترة التي بدأ فيها التنظيم الاباضي السرّي، يشكّل خطراً على الأوضاع السياسيّة للسّلطة الأمويّة في البصرة وعمان.

---

1 – هو عمران بن حطّان الدّوسي كان محدّثا وخطيبا وأديبا لبيبا، وهو أحد أئمة الاباضية وعلمائهم، وقد ألصقه بعض الكتّاب بالصفريّة على اعتبار انه في نظرهم صفريّ المذهب. والجدير بالإشارة أن ابن حطّان تولى الدفاع بالحجة عن الأباضية بعد وفاة عبد الله بن أباض. مهدي طالب، ***الحركة الاباضية***، ص153.

2 – هو أحد الناجين من معركة النهروان واسمه أبو بلال مرداس بن حديد بن دحية التميمي، التجأ بعد معركة النهروان مع نفر من أصحابه. وأقام مع أبناء عمه من قبيلة تميم الذين كانوا يشكلون جزءا هاما من سكان البصرة. وكان يتزعّم هذه القبيلة الأحنف بن قيس السّعدي التميمي (ت87 هـ/686م)، وهو أحد أهمّ الشخصيّات السياسيّة والفكريّة في البصرة.

3 – خليفات عوض، ***نشأة الحركة الاباضية***، الجامعة الأردنية،1978م. ص 65.

4 – المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، ***الكامل في اللغة والأدب*** (ت 210-285هـ) دار إحياء التراث العربي بيروت 2003، ص573.

5 – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج196/2.

ومن الجائز أن نشير إلى أنّ الحجّاج قد أدرك أنّ جابر بن زيد هو المسئول عن نشاط الدّعوة الأباضيّة في العراق. ومن أجل كبح جماحها وشلّ نشاطها، عمد إلى نفي جابر بن زيد إلى عمان مع أحد رفاقه النشطين المسمّى هبيرة[1]. ولم يدر بخلد الحجّاج أنه قد أسّس بصنيعه هذا، اللبنات الأساسيّة للدّعوة الأباضيّة في عمان بنفيه جابرا إليها. فقام بنشر أفكاره التي وجدت إقبالا كبيرا بين القبائل العمانيّة، بسبب حنكته وبراعته العلميّة وآرائه المعتدلة، التي تتماهى مع آراء أبي بلال بن مرداس[2]. ولمّا كان جابر بن زيد من أكبر فقهاء البصرة، ومرجعاً دينيّاً من الدّرجة الأولى ويتمتّع بآراء فكريّة وعقائديّة، فقد استطاع أن يكسب العديد من سكّان البصرة إلى دعوته. وقد ساعده نفيه إلى عمان أن يبث فيها آراءه المذهبيّة، على اعتبار أن دائرة حركته في عمان، كانت أكبر اتّساعاً منها في البصرة، المتلاطمة بآراء الشّيع المختلفة. فضلا عن التّيارات الفكريّة المتأصّلة في النظام القبلي العمانيّ والمناوئة للأموين بالشّام، وهو من العوامل المساعدة على نجاح الدعوة.

لقد ساعدت هذه العوامل مجتمعة الفقيه العماني جابر بن زيد على نشر الدّعوة الأباضيّة، التي اتسمت مراحلها الأ ولى بالطّابع السّياسي السرّيّ . ولقد أسّس بفضل آرائه تلك المدرسة الأباضيّة. وكان مركزها الأساسي في البصرة. غير أنّ وفاته سنة 93هـ/713م، وفق رواية خليفة بن خيّاط[3]، قد أوجدت شخصيّات سياسيّة جديدة للحركة الأباضيّة طبعت تاريخها الفكري والسياسيّ بطابع خاصّ. وكان من أبرزها أبوعبيدة مسلم بن أبي كريمة، الذي قام بتشكيل مجالس حملة العلم، المكلّفين بنشر الدّعوة الأباضية في الأقاليم الإسلامية. يقول النعيمي "Ennami" **"إنّ تطوّر المذهب الأباضيّ ونموّ التنظيم والتوسّع السّريع للحركة في اليمن وعمان وخراسان وشمال أفريقيا، قد تمّ بشكل لا ينكر،**

---

[1] – هو جد أبو سفيان محبوب بن الرحيل وهو أحد أبرز حملة العلم ودعاة المذهب الأباضي في عمان، وتنحدر منه قبيلة الرّحيل الحاليّة الذين تتمركز سكناهم في صحار. Ennami Omar Khalifa, *Al Ibadhiyah* ، *studies in Ibadhism* thesis, University of Cambridge, 1997. .p.62. الشماخي، *السير*، المصدر السابق، ج71/1.

[2] – مهدي طالب هاشم، ***الحركة الأباضيّة في المشرق***، المرجع السابق، ص154.

[3] – خليفة بن خياط، ***كتاب الطبقات***، المصدر السابق، ص 210

بفضل أبي عبيدة ومواهبه الفطرية كرجل علم ودولة، لعب دورا أساسيّا كزعيم للحركة في الفترة الأخيرة من حكم بني أميّة"[1].

كان تخطيط أبي عبيدة يتّخذ شكلا دقيقاً مبنياً على أسس مدروسة غاية في التّنظيم. وبموجبها يتمّ اختيار عناصر قياديّة من جميع الأقاليم الإسلامية. وتدريسهم في البصرة على أفكار سياسيّة غاية في التّنظيم والدّقة، لإرسالهم بعدها إلى الأقاليم التي قدموا منها لإكمال نشر الدّعوة [2]. وكان من بينهم طلبة من عمان. وقد كلّل اختيار هؤلاء بالتّوفيق والنّجاح، وكان له أثر بالغ الأهمية من الوجهتين النّظرية والعمليّة، ساعد على نجاح الدعوة في اليمن وعمان[3] . وقد اتّخذت الدعوة في شكلها طابعاً اتسم بالسّرية والكتمان. ومن خلاله تبلورت الحركة وصيغت أفكارها على أيدي علمائها، الذين أطلقت عليهم تسمية حملة العلم. وهو مصطلح ورد ذكره بصورة خاصّة بعد أن تولّى أبوعبيدة زعامة الحركة في البصرة. وحمل هؤلاء أيضا لقب الدعاة. وقد أنشئت الحركة على مذهب فكريّ سياسيّ كان قد أرسي دعائمه في مدينة البصرة الإمام جابر بن زيد الملقب بأبي الشّعثاء. ثم خلفه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، الذي وصلت الحركة في عهده أوج نشاطها السياسيّ والفكريّ. وبعد وفاة أبي عبيدة، خلفه على قيادة الحركة الرّبيع بن حبيب بن عمر الفراهيدي الأزدي[4].

لقد اختلف المؤرخون في عدد حملة العلم الذين توجّهوا إلى عمان. فالعوتبي يشير إلى أربعة. وهم الرّبيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي[5]، الذي كان يسكن البصرة في موضع يسمّى الخريبية، ومنير بن النير الريامي وبشير بن المنذر النزواني نسبة الى بلدة نزوى، ومحمد بن المعلاّ الكندي الفشحي من الفشح بجبال كندة. ويروى أنّه أوّل من نادى إلى

---

1 - Ennomi, op.cit. P.71.

2 - الدرجيني، *طبقات المشايخ في المغرب*، المصدر السابق، ج121/1.

3 - مهدي طالب هاشم، *الحركة الاباضية في المشرق*، المرجع السابق، ص 156.

4 - العوتبي، *الأنساب*، المصدر السابق، ج93/2.

5 - أنّ الربيع بن حبيب الفراهيدي من غضفان بولاية لوى في ساحل الباطنة، وقد انتقل إلى البصرة في طلب العلم وأقام بها. وفي آخر عمره عاد إلى بلدة غضفان وأقام بها حتّى وفاته. وله مسجد معروف كان يضرب به المثل. البطاشي سيف بن حمود، إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان ط3، 1998م، مسقط، ط861.

تأسيس إمامة أباضيّة في عمان[1]. بينما تشير بعض المصادر إلى أن محبوب بن الرّحيل وموسى بن أبي جابر الأزكي وهاشم بن غيلان[2]، كانوا من بين طلبة العلم ممن قصدوا عمان.

يبدو أنّ تأثير أبي عبيدة كان واضحاً، من خلال تجهيزه للدّعاة الذين لعبوا دوراً مهمّا في الحياة السّياسيّة في كلّ من عمان وحضرموت واليمن ودول المغرب. واستدلالا على ذلك فقد أصبح حملة العلم في عمان سادة الموقف السياسيّ فيها. وقد تبلورت أفكارهم السياسيّة من خلال المجالس، التي كانت تعقد فيها حلقات العلم في الملاجئ السّريّة في البصرة. وذلك تجنّباً لاضطهادهم من قبل خصومهم الأمويّين. وكانت هذه المجالس غاية في التّنظيم والانضباط. وقد أصبح تيّار الفكر الأباضيّ حينذاك متواصلا بين عمان والبصرة، التي شكّلت مركزا إشعاعيّا للدعوة الأباضيّة[3]. ومع مرور الوقت تزايدت أعداد عناصرها. وظهرت إلى جانب أبي عبيدة شخصيّات سياسيّة بارزة مثل حاجب الطّائي الملقب بأبي مودود. وكان يعمل على حلّ المشاكل بين أهل الدّعوة ومراقبة مجالس الدّعاة والحفاظ عليها، وقد زخرت المصادر بأخبارها ولاسيما "سير" الشماخي حين روى:[4] "بلغنا ذات ليلة أنّ في منزل حاجب الطائي مجلسا- قال أبو سفيان الرحيل: فكان المشايخ لا يدعونا نحضر معهم بالليل فقلت لرجل من أهل عمان انطلق بنا الى منزل حاجب لعلّهم يأذنون لنا فوجدنا المختار بن عوف"[5].

وكان المختار بن عوف الأزدي من الذين يحضرون هذه المجالس مع أحد رفاقه المسمّى بلج بن عقبة الأزدي، الذي كان معه في الصّراع الذي دار بينه وبين بني أميّة[6] في الحجاز[7]. وبالنظر إلى ما تقدم كان من نتائج هذه التطوّرات العقائديّة السياسيّة ظهور أوّل نشاط سياسي للحركة الأباضيّة في عمان بإعلان إمامة الظّهور.

2- بداية النشاط السياسي للحركة الاباضية في عمان.

بعد فشل إقامة إمامة أباضيّة في حضرموت واليمن 129-130 هـ/ 746-747م، توفرت الشروط اللازمة سنة 132هـ/749م، لإقامة أول إمامة حاكمة في عمان، أطلق

---

1 - العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج229/2.

2 - ***سيرة ابن مداد***، المصدر السابق، ص25. البطاشي، ***اتحاف الاعيان***، ج86/1.

3 - غباش، حسين عبيد غانم، ***عمان الديمقراطية***، دار الجديد،ط1997م. ص60.

4 - فاروق عمر فوزي، ***الخليج العربي في العصور الإسلامية***، دار القلم، دبي 1983م. ص110.

5 - الشماخي، ***السير***، المصدر السابق، ج1/ 84،

6 - يذكر الأزدي، في ***تاريخه***، ص77، إن أبا حمزة بن عوف من عمان يقطن في بلدة مجز بجنوب صحار.

7 - الشماخي، ***السير***، المصدر السابق، ج84/1

عليها مؤسسوها تسمية إمامة "الظهور" حسب إصطلاح العلماء الأباضية[1]. وقد أشرنا في موضع سابق، أن بعض الزعامات العمانيّة كأبي حمزة الشاري، والمختار بن عوف والجلندى بن مسعود بن جيفر بن الجلندى، الذي ينتمي إلى معولة بن شمس أحد ملوك عمان سابقاً، وبعض من زعامات القبائل العمانيّة، قد شاركوا بشكل مباشر في قيادة هذه الحركة. وقد عادوا بعد فشلها إلى عمان. ويبدو أن الجلندى بن مسعود قد حضر بيعة عبد الله بن يحي طالب الحق.[2] وشارك أيضا في المعركة. غير أنّه عاد إلى عمان بعد فشلها.

ونتيجة للمواقف المتباينة، فقد تهيأت الظروف السياسيّة في عمان من النّاحيتين الداخليّة والخارجيّة. ففي الجانب الداخلي، كان مركز الدّعوة في البصرة قد أرسل أقطابا من حملة العلم "الدّعاة " إلى عمان لبلورة الوضع السياسيّ والعقائديّ، الذي سترتكز عليه مبادئ الإمامة المزمع إنشاؤها. وقد توجّه إلى عمان كلّ من عبدالله بن القاسم وهلال بن عطيّة وخلف بن زياد البحراني وشبيب بن عطيّة العماني وموسى بن أبي جابر الأزكاني والبشير بن المنذر النزواني ومنير بن النير الجعلاني وحاجب الطائي والرّبيع بن حبيب الذي كلف بإدارة التأسيس في مراحلها الأولى من مقرّه في البصرة، قبل أن يتوجّه إلى عمان[3].

أمّا الأسباب التي وفرتها النواحي الخارجية وهيّأت الظّروف لإقامة الإمامة، فتتمثّل في تعيين سلسلة من ولاة الخلافة الأمويّة على عمان من ذوي السياسة المرنة تجاه العمانيّين. إذ أنّه وليَ عُمان في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، عمر بن عبد الله الأنصاري[4]. وقد هادن العمانيّين حتّى وفاة الخليفة. وحينئذ قام عمر الأنصاري بنقل مقاليد السّلطة إلى زياد بن المهلّب، الذي تولّى حكم عمان حتى قيام الخلافة العباسيّة عام

---

[1] - الشماخي، *السير*، المصدر السابق، ج91/1.

[2] - السّالمي، *تحفة الأعيان*، المرجع السابق، ج60/1.

[3] - George Allen, op. cit. p .77 .

[4] - يبدو أن هناك خلط في المعلومات، إذ نجد رواية تتعارض مع تلك الرواية، فخليفة بن خياط يذكر في تاريخه أن زياد بن المهلب كان قد تولى قبل عام 102 وفي السنة نفسها قتل عدي بن أرطأة والقاسم بن مسلم. خليفة بن خياط، تاريخ، ص 208. كما يذكر خليفة بن خياط في موضع آخر اسم واليين على عمان أحدهما سعيد بن مسعود المازني من قبل عدي بن أرطأة الفزاري، وثانيهما هو الفيض محمد بن كردم بيهس، كان والياً من قبل يوسف بن عمر، كما عمل واليا للوليد بن يزيد. *تاريخ خليفة بن خياط*، ص239.

132هـ/ 749م[1]. كما عيّن أبو العباس السفّاح، جناح بن عبادة بن قيس الهنائي والياً على عمان[2]. ثم عزله المنصور أثناء ولايته على البصرة. وعيّن مكانه ابنه محمد بن جناح، الذي سلك سياسة مرنة وأعطى للعمانيّين دائرة واسعة للتّحرّك فيها. ويبدو أنّ محمداً هذا كان كأبيه قليل الميل للدولة العباسيّة. ويتّضح من ذلك أنّ الحركة الأباضية كانت إبّان عهده أقوى حركة سياسيّة في شرق جزيرة العرب. ولقد أدرك ذلك محمد بن جناح ،إلاّ أنّه لم يتّخذ أيّ إجراء سياسيّ ضدها، ويعبّر السّالمي عن السياسة التي اتّخذها محمد بن جناح إزاء الحركة الأباضيّة قائلا: "فداهن المسلمين حتى صارت ولاية المسلمين لهم"[3]

لقد شهدت عمان في عام 132هـ/749م منعطفا سياسيّا مهمّا في تاريخها. فلقد تأسّست الإمامة الأباضيّة الأولى. وظهر أنّ الجهود التي بذلها الدعاة الأباضية في عمان، والتي أدت إلى اعتناق قسم كبير من العمانيّين للدّعوة الأباضية، هي السّبب الرئيسي في تأسيسها. وهو أمر بديهي فدعاة الحركة قد اتخذوا من طبيعة تضاريس عمان ملاذاً آمناً لنشر دعوتهم. بالإضافة إلى استغلالهم لظرفيّة التحوّلات السياسيّة السائدة في شبه جزيرة العرب والتي أدّت إلى سقوط الحكم الأموي وقيام الدّولة العباسيّة، الهادفة إلى حكم العالم الإسلاميّ ومركزها العراق. وبذلك فقد دخلت الدّعوة الأباضيّة طوراً جديداً في المسار السياسيّ. حيث استطاع زعاماتها في البصرة أن يمدّوا نشاطهم السياسيّ والمذهبي إلى إقليم عمان، الذي أصبح امتدادا لمركز الدعوة الأباضيّة في البصرة. إلاّ أن الإنقسامات السياسيّة التي حدثت بين زعامات بني الجلندى حول اختيار الشخصيّة التي سيناط بها عمل زعامة الإمامة المزمع انعقادها، حالت دون ذلك. فما هي الأدوار التي مرّت بها هذه الزعامات؟.

رغم أنّ المذهب الأباضي "أصبح له تأثير مهمّ في الحياة السّياسيّة للمجتمع العمانيّ، غير أن بعض زعامات القوى المعارضة من قبيلة بني الجلندى نفسها لازالت تحتفظ بتأثيرات نزعة قبليّة قديمة. فلقد عارضت هذه الزّعامات عقد الإمامة للجلندى بن مسعود. فرفض البيعة كلّ من جعفر بن سعيد الجلنداني وابنه النظر بن جعفر وزائدة بن جعفر. ونتيجة لهذا ضرب الجلندى أعناقهم كارها " قال وبلغنا أنّ الجلندى لمّا قتلهم فاضت عيناه

[1] – السّالمي، ***تحفة الأعيان***، المرجع السابق، ج53/1، الأزكوي، ***تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة***، ص46، العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج222/2.

[2] – السّالمي، ***تحفة الأعيان***، المرجع السابق،ج53/1.الأزكوي، ***تاريخ عمان المقتبس***، ص46.

[3] – السّالمي، ***تحفة الأعيان***، المرجع السابق، ج54/1.

دموعا فلمّا نظر إليه أصحابه وعيناه تفيضان بالدّموع، قالوا له: أعصبيّة يا جلندى؟ فقال: ولكن الرّحمة". ولهذا السّبب فقد طلب منه أصحابه أن يعتزل الإمامة، إلاّ أنّهم رجعوا والحوا عليه أن يقبلها.[1] ومن الأهمية بمكان أن الدّعوة الأباضيّة كانت تحمل طابعاً دينيّا معتدلاً. وبهذا فقد حاولت تطبيق التعاليم الإسلاميّة السّمحة في شؤون الحكم الإداريّ بعمان. ويلاحظ من ذلك أن أبا صالح الوضّاح والي الجلندى على إبراء، كان قد أمّن قوما استحلّ المسلمون دمهم. فخرج بهم إلى الإمام الجلندى يطلب الصّفح لهم. إلا أنّه لم يصفح في أمر أقرّه العلماء، وهم المرجعية الدينيّة العليا في البلد، فأمر بقتلهم. ولتخفيف حدّة التوتّر الذي نتج جراء ذلك، رفعت مسألة قتلهم إلى علماء الحركة في البصرة، مثل أبي عبيدة بن أبي كريمة وحاجب الطّائي لإصدار فتوى تعزّز من موقف الإمام الجلندى[2]. وكانت هذه الفتوى تدعيماً لموقف الإمام ولحملة العلم الذين بلوروا الفكر السياسيّ لشؤون الحكم بالدّولة الأباضيّة. وهو ما يعني أنّ المرجعيّة الدينيّة الأباضيّة التزمت بتطبيق الأحكام الإسلاميّة منذ بداياتها. وصبغت البلد بالصبغة الأباضيّة التي عكف أهل الدعوة على تطبيقها.

أمّا من ناحية التنظيم العسكريّ الذي أقرّه "الشّراة" في المرحلة الأولى من التّكوين، فقد تمّ تقسيمهم إلى مجموعات تتكوّن كلّ مجموعة بين مائتين إلى أربعمائة. على أن يكون على رأس كلّ مجموعة قائد من حملة العلم. وعلى كلّ عشرة مؤدّب من أهل الفقه[3]. ويبدو أن الحالة الاقتصادية التي شهدتها عمان خلال تكوين الإمامة الأولى، كانت ضعيفة جدّاً. إذ يشار إلى أنّ العطاءات الشهريّة التي كانت تمنح للشّراة لا تتجاوز سبعة دراهم، في حين أنّ قيمة السّلع المستهلكة كانت مرتفعة الثّمن. ممّا استحال على كثير منهم الزّواج لضعف قدراتهم الماليّة. وبالمقابل فقد رفضت النّساء المهور القليلة التي لا تتجاوز العشرة دراهم[4].

ويلاحظ هنا أيضاً ضعف الحالة الاقتصاديّة التي رافقت الإمامة. إذ يبدو أنّها لا تواكب متطلّبات الدّولة في مراحلها الأولى، بسبب المواقف المختلفة في وجهات النّظر،التي كان أهمّها قتل بعض زعامات الأزد من بني الجلندى الذين أشرنا إليهم سابقا. فبالرغم من

---

[1] – السّالمي، ***تحفة الأعيان***، المرجع السابق ، ج63/1.

[2] – السّالمي، المرجع نفسه، ج63/1.

[3] – السّالمي، المرجع نفسه، ج61/1.

[4] – السّالمي، المرجع نفسه، ج1/ 61–62.

توفّر المراسي التجارية في إقليم عمان، ووفرة الإنتاج الزراعيّ[1] ، والمساعدات الماليّة التي كانت تأتي من مركز الدعوة الأباضية في البصرة، إلاّ أنّ هذه الأموال يبدو أنّها لا تفي بمتطلّبات الإمامة. ولعلّ مدّخرات الدّولة ووارداتها من الضرائب المفروضة على التّجارة، كانت تنقل من عمان إلى الخلافة الإسلامية في الشام.

إنّ هذه الحالة الاقتصاديّة السيّئة أثّرت على الإمامة الأباضيّة بقيادة الجلندى بن مسعود. ولمعالجة الأوضاع الأقتصادية والنهوض بها، بدأت الأمامة تفرض نفسها ككيان سياسيّ حاولت السيطرة على المجتمع القبلي في عمان بشكل تدريجيّ. مستغلّة الظروف السياسيّة المحيطة بعمان، والتي تكمن في عدم وجود سلطة مركزيّة للخلافة الإسلامية، نتيجة الصراع الدّائر بين الخلافة المركزيّة والحركات السياسيّة المعارضة لها كالحركة الخارجية التي أنهكت قوى الخلافة الأمويّة، أو المعارضة العبّاسية التي قضت عليها وحلّت محلّها في عام 132هـ/749م.

III- الإطاحة بالإمامة الأباضية الأولى 132-134هـ/ 749-753م

1- الانعكاسات السياسيّة على الإمامة بعد تبلور واقعها بين المسير والمصير.

لقد ساعدت الظروف السياسيّة على تدعيم موقف الإمامة. ولمّا كانت عمان بمنأى عن ميدان الصّراع الذي استوطن الشّام وحضرموت وامتدّت جذوره إلى خراسان[2]. فقد شكّلت الإمامة الاباضية التي أقيمت على أرضها منعطفا سياسيّا بارزاً. بدأ من خلاله التّحكّم بمسار طرق التّجارة البحريّة، التي تضاعفت أهميّتها بعد انتقال النقل التجاريّ إلى العراق[3]. وبطبيعة الحال فإنّ مثل هذا التّطور السياسيّ المهمّ يزعج الخلفاء العباسيّين. على اعتبار أنّ العباسيين كانوا يهدفون إلى حكم العالم الإسلامي آنذاك. وبالرغم من أنّ الأوضاع السياسيّة في إقليم العراق لا تسمح لهم بمدّ سلطتهم إلى الأقاليم البعيدة عن مركز السّلطة، إلاّ أنّ إقامة إمامة أباضيّة على أرض الواقع في إقليم عمان يعتبر من وجهة نظر الخلفاء العباسيّين حدثاً سياسيّاً مهمّاً. خاصّة وأنّ الإمامة الجديدة التي تمّ إنشاؤها، معارضة للخلافة العباسيّة من النّواحي العقائديّة وتطلعاتها السياسية. ولهذا السّبب فقد سعى العبّاسيّون إلى

---

[1] – المقدسي، *أحسن التقاسيم*، المصدر السابق، ص98. ابن قدامة، *كتاب الخراج*، ص31.

[2] – خليفات عوض، *نشأة الحركة الأباضية*، المرجع السابق، ص129.

[3] – فاروق عمر، *الخليج العربي*، ص176، البادي، حميد، *دور العمانيين في الملاحة والتجارة*، ص47.

القضاء عليها عام 134هـ/751م. حيث اعتبروا ثورة الأباضية عملا من أعمال الثـوار المارقين عن سلطة الخلافة. ويستدعي الأمر إخضاعهم لحضيرتها. وهو هدف من الأهداف الأساسيّة للمحافظة على الخطّ التجاريّ الذي يربط مركز الخلافة في العراق بمنطقة المحيط الهندي وبلدان جنوب البحر العربيّ وشرق افريقيّة. ولمّا كانت عمان تتحكّم بهذه الطـرق، فقد جرّد العباسيّون حملة عسكريّة بقيادة خازم بن خزيمة التميمي[1]. وقـد أمـر الخليفـة أبو العبّاس السّفاح عامله في البصرة بإعداد سفن لحمل خازم وجنده، الذين كـان عـددهم سبعمائة جندي. فتوجّهت الحملة إلى جزيرة ابن كاوان. وكان خازم بن خزيمة قـد ضـمّ رجالا من أهل بيته ومن أهل مرو والرّوذ وبني تميم من أهل البصرة[2]. ولما وصل إلـى جزيرة ابن كاوان، وجّه نحو خمسمائة من جنده بقيادة فنضلة بن نعيم النهشلي للقضاء على الخوارج الصّفرية، الذين يقودهم شيبان بن عبد العزيز اليشكري، الذي انسحب بـالخوارج الصّفرية من العراق في عام 129هـ/746م، بعد أن شدّد الخناق عليهم القائد الأموي عامر بن ضبارة مما أضطره وأتباعه إلى الانسحاب إلى جزيرة إبن كاوان الواقعة على ضـفاف الخليج العربي من ناحية الشّرق. لقد ركب شيبان وأتباعه البحر فارين نحو منطقة "جلفار" الواقعة في النّاحية الشمالية من سواحل عمان. غير أنّ الجلندى بن مسعود رفض مكـوثهم في عمان، وأرسل إليهم قوّة عسكريّة بقيادة يحي بن نجيع البصريّ الأباضيّ، الذي أرسله التنظيم في البصرة مع أحد الدّعاة ، وهو هلال بن عطيّة الخرساني[3] لمعاونة موقف الإمام الجلندى بن مسعود وتعزيزه. ولقد دعا القائد الأباضي يحي بن نجيع الصفريّة إلى المذهب الأباضي قبل البدء في مراحل القتال، إلاّ أنّهم رفضوا ذلك. وورد فـي أخبـار الروايـة الأباضية، أن يحي بن نجيع توجه بدعاء أنصف فيه الفريقين فقال: "اللّهم إن كنت تعلم أنّـا على الدّين الذي ترضاه والحقّ الذي تحبّ أن تؤتى به فاجعلني أوّل قتيل من أصحابي ثـم اجعل شيبان أوّل قتيل من أصحابه واجعل الدّائرة على أصحابه وإن كنت تعلم أنّ شـيبان وأصحابه على الدّين الذي ترضاه والحقّ الذي تحبّ أن يؤتى به فأجعل شيبان أوّل قتيل في

---

1 – ابن الأثير، عزالدين أبي الحسن علي أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني، ***الكامـل فـي التـاريخ***. دار صادر، بيروت، 1965، ج451/5. الطبري، ***تاريخ الرسل***، المصدر السابق، ج462/7.

2 – الطبري، ***تاريخ الرسل والملوك***، ج463/7. ابن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، المصدر السابق، ج451/5.

3 – الرقيشي، خلف بن أحمد بن عبد الله، ***مصباح الظلام، شرح دعائم الإسلام***. مخطوطـة تحـت رقـم 1735، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط. ص 55-56.

أصحابه"[1]. وتشير المصادر العمانيّة أنّ الأباضيّة لم يبادروا بالقتال "ولا نجــرّد ســيفاً ولا نقاتل إلاّ من قاتلنا"[2].

وكان الأباضيّون قد تميّزوا بهذه الفلسفة الأخلاقيّة دون غيرهم من الفرق الإســلاميّة الأخرى. وقد أشرنا في موضع سابق أنّ الصفريّة رفضوا قبول المذهب الأباضي والاتّفاق مع الجلندى لمواجهة قائد الجيش العبّاسي. وهو أمر جعلهم في وضع محرج. فمن النّاحية العسكرية، هم غرباء عن البيئة العمانيّة، ثم إنّهم أوقعوا أنفسهم في مستنقع لا يمكن الخروج منه، على اعتبار أنهم يواجهون قوّتين؛ قوّة الإمامة من جهة وقوّة الجيش العباسي من جهة ثانية[3]. ونتيجة لرفضهم المتعنّت، وقعت بينهم وبين الأباضيين معركة انتهــت بهــزيمتهم. وكان من نتائجها مقتل القائد الصفريّ شيبان بن عبد العزيز اليشكري سنة 134هـ/751م. أمّا الأباضيّة، فقد قتل قائدهم يحي بن نجيع[4]. وفي هذه الأثناء وصل خازم بن خزيمة إلــى عمان. وتذكر المصادر أنّ الهدف الأساسيّ من الحملة العبّاسية، هو القضاء على الإمامــة التي تقلّد زعامتها الجلندى بن مسعود[5]. ويبدو ذلك واضحاً من خلال العرض الذي تقدم به خازم بن خزيمة إلى الجلندي. فلقد طلب منه إعلان الطاعة للخليفة العباسي وتسليمه خاتم شيبان وسيفه، ليكون حجة له عند الخليفة[6]. غير أن الجلندى لم يقبل العــرض واستــشار علماء الأباضية لتحديد موقفه من العرض الذي اقترحه عليه خازم.[7]

لقد كان موقف علماء الأباضيّة واضحا. وفي هذه اللّحظة الحاسمة لــم يكــن أمــام الجلندى سوى القبول بخيار الحرب. وخاض الطرفان معركة ضارية كثر فيها القتل فــي صفوف الجيش العباسيّ[8]. وكاد العمانيّون أن ينتصروا، لولا خبرة خازم وإضرامه النّار في

---

[1] – الأزكوي، ***تاريخ عمان المقتبس***، المصدر السابق، ص47.

[2] – المبرد، ***الكامل في اللغة والأدب***، المصدر السابق، ص619.

[3] – الطبري، ***تاريخ الرسل والملوك***، المصدر السابق، ج7/463، الأزكوي، ***تاريخ عمان المقتبس***، ص47.

[4] – الرقيشي، ***مصباح الظلام***، المصدر السابق، ص56،الطبري، ***تاريخ الرسل***، ج7/453. ابن الأثير، ج5/451.

[5] – الطبري، ***تاريخ الرسل***، المصدر السابق، ج7/462.

[6] – الرقيشي، ***مصباح الظلام***، المصدر السابق، ص57.

[7] – السّالمي، ***تحفة الاعيان***، المرجع السابق، ج1/65.

[8] – يورد الطبري، في تاريخ الرسل، ج1/463 .أن خازم سار في البحر بمن معه إلى عمان وقد أرســى علــى السحل العماني فخرجوا إلى صحراء فلقيهم الجلندى وأصحابه فاقتتلوا قتالا شديدا وكثر القتــل يومئــذ مــن أصحاب خازم وقتل ممن قتل أخ لخازم لأمه يقال له: إسماعيل مع تسعين رجلا من أهل مرو والرّوذ"

بيوتهم لتتغيّر موازين المعركة لصالح العباسيّين، واضطراب الصفوف العمانية، ممّا أدّى إلى هزيمتهم إثر مقتل كلّ من الجلندى وهلال بن عطيّة[1].

لقد قتل من العمانيّين يومئذ نحو تسعمائة وفق رواية الطّبري[2]. ويؤكد كل من ابن الأثير والطبري، أنّه بعد أن أضرم العباسيّون النّار في بيوت العمانيّين، التي كانت مبنية من السعف والخشب "الحلفاء"، قتل من أصحاب الجلندى يومئذ نحو عشرة آلاف على سبيل الحصر، وبعث خازم برؤوسهم إلى البصرة[3]. ولعل هذه الرّواية تعوزها الدقة، وربّما صيغت على سبيل التّهويل الإعلاميّ، لأنّ خازماً كان محكوماً بالقتل من قبل الخليفة العباسي قبل توجّهه إلى عمان. وقد يكون الهدف من تهويل الخسائر في صفوف الأباضية، لإظهار شخصيّته وبراعته الحربيّة والقتاليّة. ثم أنّه يصعب تصديق هذه الرّواية على اعتبار أنّ القوة العباسيّة قوامها سبعمائة جندي، تعرّض كثير منهم للقتل حسب رواية الطبري. حيث وصل عدد القتلى في صفوفهم نحو أكثر من تسعين قتيلا فضلا عن الجرحى. بينما كان عدد القتلى العمانيّين وفق الإشارة الأولى للطبري تسعمائة قتيل، فكيف يرتفع العدد إلى عشرة آلاف قتيل !!؟.

2-المشهد السياسيّ بعد الإطاحة بالإمامة الأباضيّة الأولى (134هـ/751م

أ- الصّراعات القبليّة)

بعد أن تمكّن العبّاسيّون من الإطاحة بالإمامة الأباضية الأولى(132-134هـ / 749-751م)، سلّموا مقاليد السّلطة إلى حلفائهم من بني الجلندى المعارضين لإمامة الجلندى بن مسعود. وعلى اثر ذلك عادت القوّات العباسيّة بأمر من الخليفة العباسي السفاح. وقد تزعّم كلّ من راشد بن النظر ومحمد بن زائدة آل الجلندى، اللذين سيطرا على الوضع كرؤساء قبليّين، مقاليد السّلطة في عمان بعد مقتل الجلندى. فتأجّجت نار الفتنة في البلاد بعد رحيل القوّات العباسية. و برزت على مسرح الأحداث في هذه الظرفية قوّتان عمانيّتان، كان تأثيرهما أقوى من النّاحية السياسيّة. وقد مثّل الجانب الأوّل القوى الموالية لبني العبّاس، و على رأسها قبيلة آل الجلندى، بالإضافة إلى قبائل أخرى من بني هناءة

---

1 - مجهول، ***تاريخ أهل عمان***، المصدر السابق، ص 74.

2 - الطبري، ***تاريخ الرسل***،المصر السابق، ج463/7، ابن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، ج452/5.

3 - الطبري، ***تاريخ الرسل***، المصدر نفسه ج463/7، ابن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، ج452/5.

وغيرهم[1]. ونظرا لتلك الإعتبارات سيطر بنو الجلندى على زمام السّلطة، بدعم من القبائل الموالية لهم لفترة امتدّت قرابة أربعين عامــا(134-177هـــ /762-793م). وكانــت سيطرتهم على المناطق الساحليّة التي تمتّعت بحركة تجاريّة ضخمة، أمــرا مبيّنــا ســعى العبّاسيون لتحقيقه من أجل إحكام قبضتهم على مسارات التّجارة ومراكزهــا فــي منطقــة الخليج العربيّ، وضمان انسيابها نحو العراق[2]. إلاّ أنّ آل الجلندى الموالين للعبّاسيّين، لــم يفرضوا كامل سيطرتهم على السّواحل البحريّة العمانيّة بشكل محكم. بدليل أنّ القراصــنة الهنود، كانوا قد اتّخذوا من السّواحل العمانيّة مسرحاً لتحرّكاتهم. وتمكّنوا من تنفيذ عمليّات السّلب والنّهب والقتل. ولم يقع إجلائهم إلاّ في عهد المهنا بن جيفر، و هو أمر سنأتي على ذكره لاحقا. أمّا الجانب الثّاني، فقد شغلته قوى الدّعوة الأباضية المتمثّلة في حملة العلم وهم المرجعيّة الدينيّة للحركة. وقد بدأت هذه القوى تفرض نفسها كقوّة إسلامية على إقليم عمان. وأصبحت المتحكم الفعلي في المناطق الداخليّة والجبليّة من الإقليم. وتذكر المصادر العمانيّة أنّ شبيب بن عطيّة، كان من أبرز شخصياتها، إذ قام بدور سياســيّ فعّــال بــين القبائــل العمانيّة، بل إنه عمل كأمير للدّعوة بعد مقتل الجلندى. وكان يجبي القرى في غياب العمّال العبّاسيّين المختصّين في تحصيل الضّرائب. ويكفّ يده ويعتزل الأمر حين قدومهم، وهو ما يوحي بضعف القوى الموالية للعباسيّين آنذاك[3].

لقد استمرّت الدّعوة الأباضيّة في عمان حتّى بعد زوال الإمامة الأباضيّة الأولى، تمــارس نشاطها بحيويّة ما يزيد عن أربعين عاما(134-177هـ/ 762-793م). وخــلال هــذه الفترة دخلت البلاد في دوامة مــن الــصراعات الداخليّــة. ففــي شــهر شــعبان ســنة 145هـ/762م، أغار غسّان بن سعيد المحاربي الهنائي، وهو أحد الزعامات العمانيّة البارزة على نزوى، ونهبها وهزم بني نافع وبني هميم و"قتل منهم خلق كثير"[4]. وقد حفزت هذه الحادثــة

---

[1] – فاروق عمر، ***تاريخ الخليج***، المرجع السابق، ص163.

[2] – فاروق عمر، المرجع نفسه، ص177.

[3] – في نظر الأباضية (نظام الإمامة) لا تحصّل الضرائب إلا إذا بسطت الإمامة سلطتها وتحكّمت في حماية البلد، وهذا دليل على أن علماء المذهب الأباضي كانوا يعتبرون الحماية نوعًا من الخدمة التي تؤدّي إلى استتباب الأمن للمجتمع، وبالمقابل فإن الجباية تكون شرعاً واجباً وفق النص "إنما جبايته كانت وفق حمايته فمتى حصلت له الحمايــة جبى ما قدر عليه ومتى زالت عنه بالعجز عنها رفع يده"، السّالمي، ***تحفة الأعيان***، ج1/72.

[4] – السّالمي ***تحفة الأعيان***، المرجع السابق، ج1/73، الأزكوي، ***تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة***، ص48، فــاروق عمر، ***الخليج***، ص 190.

قبائل بني الحارث في إبرا بشرقيّة عمان، وتزعّم هذه القبائل أحد رجالاتها من قبيلة بكرة يقال له"زياد بن سعيد" فاجتمع رأيهم أن يمضوا إلى العتيك ليقتلوا غسّان الهنائي. وبالفعل فقد تمّ تنفيذ المخطّط فخرجت رجالاتهم، وجلسوا بين داره ودار جناح بموضع يقال له الخور[1]، "فمرّ بهم رجل مريض من بني هناءة من غير أن يشعر فقتلوه عند محلّة تسمّى المقصّرة". ونتيجة لهذه الحادثة قام منازل بن خنبش العابري الهنائي، وكان عاملا لمحمد بن زائدة وراشد بن النّظر الجلندانيين بالإغارة على بني الحارث في إبرا بشرقية عمان، وقتل أربعين رجلا منهم[2].

ويبدو نظريّا أن النّزاعات التي مرّ بها النّظام القبلي في عمان قد تركت آثارا سيّئة على مجرى الحياة السياسيّة في المجتمع العمانيّ. فلقد وقف بنوهناءة إلى جانب بني الجلندى المعارضين للدّعوة الأباضيّة والمستهدفين من قبلهم لإزالتهم من السّلطة نظرا لتأييدهم للدّولة العباسيّة[3]. وفي هذه الأثناء خرج غسّان بن عبد الملك أحد أبرز الزّعامات المعارضة ثائرا على حكم آل الجلندى، وقد استغلّ حملة العلم هذه الظّرفيّة لتفعيل الدّعوة الأباضيّة محاولين إزالة أل الجلندى من السّلطة. ويشار هنا أنّ الشّخصيّة المرشّحة للإمامة هوغسّان بن عبدالملك، رغم أنّ الأباضيّة وزعاماتهم كانوا على دراية بأنّ غسّان لم تحمد سيرته بسبب ظلمه. إلا أنّ قدامة بن موسى بن جابر الأزكوي، ومحمد بن عبد الله بن جسّاس وقفا بجانبه مساندين له[4]. وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ هذا الموقف لا يتفق من النّاحية النّظريّة والمبادئ الأباضية التي تقضي بعدم معاونة الظّالم، فالمنظومة الأباضية تقضي مبادئها، أن الخروج على الباغي أو جهاد المشرك لابدّ أن يُلتزم بهما مع الإمام الملتزم بآداب الحرب من الوجهة النّظرية للإمامة الأباضيّة[5] "**يجب فرض الجهاد لمن أراد جهاد مشرك أو باغ أو من يجب جهاده مع الإمام**"[6]

---

[1] – الأزكوي، ***تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة***، المصدر السابق، ص48.

[2] – السّالمي، ***تحفة العيان***، ج73/1، الأزكوي، ***تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة***، ص48.

[3] – الأزكوي، ***تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة***، ص48. السّالمي، تحفة الاعيان، ج73/1.

[4] – السّالمي، ***تحفة الاعيان***، المرجع السابق، ج73/1.

[5] – أبو المؤثر الصلت بن خميس الخروصي، ***كتاب الأحداث والصفات من علماء القرن الثالث الهجري***، تحقيق الدرويش جاسم ياسين 1996م، وزارة التراث، مسقط، ص5.

[6] – البسيوي، أبو الحسن علي بن محمد البسياني، ***مختصر البسيوي***، وزارة التراث، سلطنة عمان، بدون تاريخ ص12، باب الجهاد.

لقد مهّدت هذه المواقف من الناحية العملية لإنجاح الدّعوة الأباضيّة، وهو دليل على النّضج السّياسيّ لأهل الدّعوة ممثّلة في "حملة العلم"، الذين علّلوا مساندتهم لغسّان، بـ"**جواز الخروج مع الظّالم على من هم أظلم منه**"[1]. وكان هذا الموقف قد اتّخذ منحى جديدا في تاريخ الصّراع السياسيّ العمانيّ، ثمّ إنّه أصبح ينذر بسقوط آل الجلندى، الذين أصبح موقفهم مهدّدا من النّاحية النّظريّة.

ب- ضعف مركزيّة السّلطة

لم يستطع بنوالجلندى بزعامة زائدة وراشد بن النّظر توطيد الأمن في الإقليم المضطرب أبّان سلطتهم. ولقد أشرنا آنفاء، أنّ آخر الاضطرابات كانت بقيادة غسّان بن عبدالملك أحد أبرز الشّخصيّات المعارضة لحكم آل الجلندى.

لقد مر الصّراع إلى مرحلة جديدة تعتبرالأقوى في تاريخ الصدامات التي واجهها الجلندانيّون خلال حكمهم الذي امتدّ أربعين عاماً. وتتجلّى هذه المرحلة في الدّور القياديّ لمدرسة أبي عبيدة بن أبي كريمة في البصرة. فلقد قام طلاّبه من حملة العلم بتمهيد أرضية خصبة للثّورة، فحشدوا الأباضيّة من مختلف القرى العمانيّة بعد أن جرت مكاتبات بينهم "**فكاتبوا وهم يومئذ أهل ضعف فاجتمعوا وتآلفوا على إقامة الحقّ**"[2]. وكان محمّد بن المعلّى الكندي الفشحى من الفشح بجبال كندة أوّل من تولّى قيادة الأباضيّة في حروبهم ضدّ آل الجلندى. وقد تجمّعوا في منطقة المجازة بناحية الظّاهرة[3] في حين حشد راشد بن النّظر أتباعه من منطقة مهرة الواقعة جنوب عمان، واتّجه بهم شمالا نحو منطقة الظّاهرة، إلى أن وصل منطقة "المجازة بناحية الغابة من أرض الظّاهرة شرق الوادي منها"[4]. وتمكّن الأباضيّة من هزيمة راشد بن النظر وقتل كثير من أتباعه [5].

كانت وقعة المجازة في شهر رمضان 177هـ/793م، وعلى إثرها ترك راشد بن النّظر مدينة نزوى. وبذلك دخلت الإمامة الأباضيّة مرحلة جديدة من الصّراع السياسيّ مستغلّين الصراع بين القبائل العمانيّة لصالحهم. لقد تهيّأت الظروف المناسبة لإزالة آل

---

[1] – السّالمي، *تحفة الأعيان*، المرجع السابق، ج72/1.

[2] – George Allen, op.cit. p.76، السّالمي، *تحفة الأعيان*، ج73/1.

[3] – السّيابي، سالم بن حمود، *عمان عبر التاريخ*، وزارة التراث مسقط، 2001. ج269/1.

[4] – العوتبي، *الأنساب*، المصدر السابق، ج229/1.

[5] – السّالمي، *تحفة الأعيان*، المرجع السابق، ج74/1.

الجلندى من السّلطة، وإعلان الإمامة الثّانية التـي بـدأت مراحلهـا فـي أواخـر عـام 177هـ/793م. وتشير المصادر إلى ذلك بالقول: "ثمّ منّ الله على أهل عمان بالألفة على الحقّ فخرجت عصابة من المسلمين، فقاموا بحقّ الله وأزالوا ملك تلك الجبابرة، وذلـك أنّ مشايخ العلماء اجتمعوا في نزوى، وكان رئيسهم وعميدهم موسى بن أبي جابر الأزكـوي فأرادوا عقد الإمامة لمحمد بن أبي عفّان، وقد حضر معهم رؤساء لا يؤمّنون على الدولـة فخاف الشّيخ موسى ألاّ تكون للمسلمين دون أن تقع الفتنة، فقال قد ولينا فلان قريـة كـذا وولينا فلان قرية كذا حتى فرّق أولئك الرؤساء وقال قد ولينا ابن أبي عفان نزوى وقـرى الجوف"[1].

إنّ هذا الأسلوب السياسيّ المتطوّر عزّز مكانة مجلس الشّيوخ المنعقد لبلورة الموقف الرّامي إلى ترسيخ النّظام السياسيّ الجديد، الذي سترتكز عليه مبادئ الإمامـة الأباضـيّة الجديدة المزمع انعقادها. و قبل أن تتّخذ هذا الموقف كانت الحركة تتّسم بالضعف، فقد أشار البسيوي إلى ذلك بقوله "فإنّ المسلمين كانوا مستضعفين متفـرّقين لا يوالـون أحـدا مـن أصحاب راشد ولا من ولاته خرجوا عليه في قرى شتّى حتّى جمعهـم الله بعـد الفرقـة وكثّرهم بعد قلّة لا يطلبون ملك الدّنيا وإنّما يطلبون نصر دين الله وسنن العدل"[2].

بعد هذا التّقسيم الإداري الذي قام به موسى الأزكوي، أصبحت معظـم التقـسيمات الإدارية بعمان في قبضتهم. فلم تبقى سوى منطقة الباطنة ذات الأهمية الاقتصادية والمركز التجاري الذي كان الجلندانيّون قد أحكموا سيطرتهم عليه. ولذلك أوكل موسى بـن جـابر ولاية صحار بمنطقة الباطنة لمحمّد بن المعلّى الكندي "وقد ولّيناك صحار وما يليها فاكفنـا أمرها وولّينا محمد بن أبي عفّان القريات وبقيّة الجوف فرضى كلّ موقعه"[3].

IV– قيام الإمامة الأباضيّة الثّانية (177-280هـ/ 793-893م)

1– تقاليد الإمامة والوضع السّياسي الدّاخلي

إنّ هذا المنحى الذي أفرزته المدرسة الأباضيّة طيلة صراعها السّياسي مـع الدّولـة العباسيّة بدأ يؤتي ثماره من وجهة النّظر السياسيّة. فلقد اختير محمّد بن عبد الله بـن أبـي

1 – مجهول، ***سير العلماء الأباضيّة***، مخطوطة تحت رقم 3558، وزارة التّراث مسقط، ص126.
2 – البسيوي، أبو الحسن، ***الحجة على من أبطل السؤال والحجّة في الحدث الواقع بعمان***، وزارة التّراث مسقط، بدون تاريخ. ص8.
3 – السّالمي، ***تحفة الأعيان***، المرجع السابق،ج74/1.

عقان أحد زعماء قبيلة اليحمد الأزديّة[1]، الذي كان قد أرسله التّنظيم الأباضيّ في البصرة إماماً. فبعد أن أبدى استعداده بقطع الشّراء بويع الإمامة[2]، في أوّل يوم من شوّال من عام 177هـ/793م. وهناك رواية أخرى تقول إنّ الإمامة عقدت في شهر رجب أو في شهر رمضان من السّنة نفسها[3]. وأيّا كان فقد تولّى محمد بن أبي عقان مقاليد السّلطة في جوّ مشحون بالصّراعات السياسيّة بين القبائل العمانيّة، وحينئذ قام ابن عفان بعزل الولاة الذين كان قد عيّنهم موسى بن أبي جابر[4]. ورغم أنّ محمد بن أبي عفان كان أحد قادة الدعوة الأباضية[5]، إلاّ انّه واجه مهمّة صعبة مع التّكتلات والأحلاف القبليّة، وفي مثل هذه الظروف كان لابدّ أن يتعامل بحزم إزاء حركات العصيان. وكان الشّخص المرشّح الذي يمكن أن يعتمد عليه للقضاء على الاضطرابات والفتن في المنطقة الشرقيّة بعمان، هو سعيد بن زياد بن قدامة[6]. وقد عمد سعيد بعد إخماد الفتن والاستيلاء على المنطقة الشّرقية في عام 175هـ/762م الى تدميرها انتقاماً لبني الحارث من بني هناءة من أهل نزوى، الذين كانوا قد أوقعوا بهم إبّان حكم راشد بن النّظر[7].

وقد أغاض ذلك حملة العلم، واتّهموا ابن عفان بالخروج عن مبدأ الإمامة لأنّه متغطرس[8]. وكانت ردود الفعل هذه من جانب حملة العلم كافية لإقصاء محمد بن عبدالله بن أبي عفان عن الإمامة، فلقد قرّر الأباضية خلعه[9]. وبذلك انتهت إمامته، وانتخب بدلا منه الوارث بن كعب الخروصي سنة 179هـ/795م.

---

[1] – كان قد اختير محمد بن المعلى الكندي ليبايع بالإمامة نظير خدماته التي قدمها في مرحلة الكتمان والظهور، إلا انه لم يقطع الشّراء، فبويع بالإمامة بدله محمد بن عبد الله بن أبي عفان اليحمدي.

[2] – السّالمي، ***تحفة الأعيان***، المرجع السابق، ج75/1. سيرة ابن مداد، ص57.

[3] – ***سيرة ابن مداد***، المصدر السابق، ص56.

[4] – السّيابي، ***عمان عبر التاريخ***، المصدر السابق، ج273/1.

[5] – البسيوي، ***الحجّة على من أبطل السؤال في الحدث الواقع بعمان***، المصدر السابق، ص17.

[6] – مجهول، ***سير العلماء الاباضية***، مخطوطة، ص5، السّالمي، ***تحفة الاعيان***، ج73/1.

[7] – الازكوي، ***تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة***، المصدر السابق، ص78.

[8] – السّالمي، ***تحفة الاعيان***، المرجع السابق، ج76/1.

[9] – الازكوي، ***تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة***، المصدر السابق، ص49.

تقلّد الوارث بن كعب الخروصي منصب الإمامة في شهر ذي القعدة سنة 179هـ/795م[1]. ويعتبر عهده من أزهى عهود الإمامة في تاريخ عمان السياسيّ. فلقد ساد الاستقرار كلّ ربوع عمان وامتدحه المؤرّخون لحسن سيرته، يقول الأزكوي: "فوطأ الوارث اثر السلف الصالح من المسلمين وسار بالحق وأظهر دعوة المسلمين وعز الحق وأهله وأخمد الكفر ودفع الله الجبابرة"[2]. وكان الوارث قد اشترك في عزل محمد بن عبد الله بن أبي عفّان، فخرج صحبة موسى بن أبي جابر الذي حملوه على سرير "من ازكي إلى نزوى لكبر سنّه"[3]، وحينئذ عقد موسى الإمامة للوارث بن كعب في مدينة نزوى التي تعد العاصمة الإداريّة والسياسيّة للإباضية في العصور الإسلامية، وذلك بعد مشاورة علماء الأباضيّة الذين بايعوه كإمام شار للدعوة حسب التقاليد المعمول بها[4]. وقد أوجدت إمامة الوارث توازنا دقيقا بين القبائل العمانيّة، وانعكس ذلك على الوضع السياسيّ والاقتصاديّ الذي أصبح لبنة قويّة استمرّت لعهود متتالية، أمّا مقامه في نزوى باعتبارها مقرّ الإمامة، فله تناغم مهمّ من حيث الوجهة النّظرية للإمام كرجل دولة، و من شأنه أن يتيح له بسط هيمنته على القبائل العمانيّة التي عرفت بصراعاتها السياسيّة، باعتبار أنّ منطقة الجوف والمنطقة الشّرقية من عمان هي الموطن الأساسي لهذه القبائل. أمّا صحار التي كانت المعقل الرئيسيّ لممثّلي السّلطة العبّاسية من آل الجلندى، فقد بقيت مركزاً تجاريّا واقتصاديّا مهمّا وصل أوج ازدهاره خلال الفترة قيد البحث[5]. ولقد استمرّ الوارث بن كعب في الإمامة نحو اثنتي عشرة سنة وستة أشهر. وكان له الأثر الكبير في استقرار الأوضاع الداخليّة حتّى وفاته غرقا سنة 192هـ/807م أثناء محاولة لإنقاذ بعض السّجناء من أحد الأودية العمانيّة، ودفن في نزوى[6].

وبعد وفاته اجتمع علماء الأباضيّة للنّظر في انتخاب إمام جديد. وكان من أبرز المجتمعين سليمان بن عثمان ومسعدة بن تميم، وقد أراد سليمان أن يكتب الى أهل الشّرق والسرّ، إلاّ أن مسعدة بن تميم لم يوافق على رأي سليمان بسبب المتاعب التي كانت تثيرها

[1] – *سيرة ابن مداد*، المصدر السابق، ص58.

[2] – الازكوي، *تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة*، ص49، فاروق عمر، *تاريخ الخليج*، ص204.

[3] – الرقيشي، *مصباح الظلام*،مخطوطة، المصدر السابق، ص55.

[4] – البسيوي، *الحجة على من أبطل السؤال*، المصدر السابق، ص22.

[5] – George Allen, op.cit.p. 77.

[6] – ابن مداد، *سيرة ابن مداد*،المصدر السابق، ص58. مجهول، *سير العلماء الاباضية*. مخطوطة، ص127.

قبائل بني هناءة ومهرة الذين كانوا يقطنون المنطقة الشّرقية بعمان، فقال له: "أتريد يا أبا عثمان أن تجمع النّاس فيختلفون علينا ولكن اقطع الأمر"[1]. ويذكر السّالمي أنّ مسعدة حذّر سليمان بن عقان من التباطؤ في اختيار إمام جديد تجنّباً للفرقة التي قد يحدثها غوغاء النّاس[2]. وحينئذ وقع الاختيار على غسّان بن عبد الله الفجحي اليحمدي الأزدي لتولّي مقاليد الإمامة، وقد بويع في شهر جمادى الأولى سنة 192هـ/807م[3]. ولم تذكر المصادر العمانيّة شيئا عن سيرته الذّاتية[4]، إلاّ أنّه يبدو من خلال مواقفه أنه أحد الشّخصيات البارزة في المجتمع العمانيّ. وقد يلاحظ ذلك من خلال سيرته الحميدة، ومواقفه السياسيّة التي تعرّض لها أثناء إمامته[5]. أمّا أهمّ الاضطرابات الدّاخليّة التي واجهها غسّان إبّان حكمه، فكانت المعارضة التّقليديّة لبعض آل الجلندى وبني هناءة. فلقد خرج راشد بن شاذان بن غسّان بن سعيد بن شجاع الهنائي من بني محارب وسار إلى دما "السيب الحاليّة" ونهبها وقتل واليها. فوجّه غسّان قوّة في طلبه ومن كان معه من محاربي بني هناءة. غير أن راشدا ما أن علم بقدوم رجالات غسّان، حتّى هرب من السّيب الى جبال الفجح "برستاق اليحمد"، طالباً اللجوء عند قبائلها. وقد سوّيت قضيّته بأخذ الأمان له من غسّان وأصحابه[6]. ويبدوا أنّ راشدا قد ترك الجوانب السياسيّة، فلم تذكر له المصادر أيّ دور.

إنّ الانقسامات القبليّة التي تعرّض لها المجتمع العماني تعتبر أمراً طبيعيّاً تتعرّض له المجتمعات العربيّة لأسباب قد تبدو هيّنة من النّاحية النّظريّة. وقد أشار بعض الكتّاب أنّ الانقسامات التي تعرّض لها المجتمع العماني، كانت بسبب اعتناقه للدّعوة الأباضيّة. ولكن يلاحظ أنّ أسباب الانقسام أعمق من ذلك، فهي تكمن في اختلافات وجهات النّظر حول الشّخصيّة المؤهّلة من وجهة نظر تلك القبائل للوصول الى هرم السّلطة، وليس لها علاقة بنواح مذهبيّة. ولنا أن نعتقد بأنّ أهمّ الانقسامات التي حدثت هي بسبب الوشائج القبليّة في ظل التكالب على السلطة. ومهما يكن من أمر، فإنّ الإمام غسّان أظهر براعة في السّيطرة

---

[1] – الرقيشي، ***مصباح الظلام***، مخطوطة، المصدر السابق، ص55.

[2] – السّالمي، ***تحفة الأعيان***، المرجع السابق، ج1/81.

[3] – الرقيشي، ***مصباح الظلام***، المصدر السابق، ص56.

[4] – السّالمي، ***تحفة الأعيان***، المرجع السابق، ج1/81-82. مجهول، ***سيرة العلماء الاباضية***، مخطوطة، ص126-127

[5] – الازكوي، ***تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة***، المصدر السابق، ص51.

[6] – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج2/226.

على هذا المجتمع، فتمكّن من إحلال الأمن والعدل في ربوعه. وقد بلغت الدّولة في عهده قمّة ازدهارها وقوتها. ويشير الازكوي إلى ذلك صراحة بقوله:"كانت تلك الأيّام صدر الدّولة وقوّتها وقمّة العلماء"[1].

كما ازدهرت مدينة نزوى عاصمة الإمامة الأباضيّة والمركز الإداريّ الرئيسيّ لعمان. وفي زمانه سمّيت "بيضة الإسلام"، وكانت قبل ذلك تسمّى "تخت ملك العرب"[2]. ولعلّ اسمها الأخير يدلّ على أنّها كانت مقرّا لملوك الأزد القحطانيّة.

وبعد وفاة الإمام غسّان بن عبد الله اليحمدي(192-207هـ/ 807-822م)، بويع بعده بالإمامة عبدالملك بن حميد العلوي وهو من بني علي بن سودة بن عامر ماء السماء في الثاني والعشرين من شهر شوال سنة ثمان ومائتين للهجرة[3]. ولا تذكر المصادر الأباضيّة شيئا عن سيرته الذّاتيّة أو حياته الخاصّة قبل تقليده الإمامة. غير أنّ السّالمي أشار الى اشتراكه في حركة الدّعوة الأباضيّة التي أدّت إلى زوال سلطة راشد بن النّظر ومحمد بن زائدة الجلندانيّان وإعلان الإمامة الثّانية. وكان حينذاك من الشّبّان الدّاعين إلى إزالة آل الجلندى من السّلطة[4]. وقد امتازت إمامته نسبيّا بالاستقرار والهدوء، وأصبحت مدينة صحار المركز التّجاري ّوملتقى المذاهب الفكريّة من قدريّة ومرجئة. وكثر فيها المستجيبون لهذه المذاهب العقائدية. ويظهر أنّ هذه المذاهب تدفقت على صحار بسبب اكتظاظها بالتّجار المسلمين وغيرهم. وقد لاقت تلك المذاهب قبولا ورواجا بين أهاليها وأهالي ولايات أخرى، مثل "توام" وغيرها. وبسبب ذلك تبرّم العلماء العمانيّون من دخول هذه المذاهب وانتشارها في المجتمع العماني، ومن بين هؤلاء هاشم بن غيلان الذي حرّض الإمام عبدالملك بن حميد وحثّه على طردهم. وممّا كتبه إليه "وأنّه بلغ قوما من القدرية والمرجئة بصحار قد أظهروا دينهم ودعوا النّاس إليه وقد كثر المستجيبون إليهم ثم قد صاروا "بتوام" وغيرها من عمان وقد يحقّ لنا أن ننكر ذلك عليهم بانّا نخاف أن يعلو أمرهم في سلطان المسلمين فأمرْ يزيدا أو إكتبْ إليه ألاّ يترك أهل البدع على إظهار دعوتهم"[5].

1 – الازكوي، ***تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة***، المصدر السابق، ص51.

2 – السّالمي، ***تحفة الأعيان***، المرجع السابق، ج83/1.

3 – الرقيشي، ***مصباح الظلام***، مخطوطة، المصدر السابق، ص55.

4 – السّالمي، ***تحفة الأعيان***، المر جع السابق، ج73/1.

5 – السّالمي، ***تحفة الأعيان***، المرجع نفسه، ج93/1.

لقد ضعف الإمام عبد الملك في آخر فترة حكمه، وصار يسيّر دقـة الأمـور وإدارة الدولة موسى بن علي الذي كان من أبرز القادة والعلماء في تلك الفترة. ورغم أنّ بعـض العلماء رأوا في عجز الإمام وشيخوخته سببا لعزله، إلاّ أنّ موسى بن علي رفض ذلـك. فبقي فيها حتى مات سنة 216هـ/831م، وبذلك تكون إمامته ثمانية عشر عامـا وسـبعة أشهر[1]. وخلفه المهنّا بن جيفر اليحمدي بعد أن عقد له الإمامة موسى بن علي الأزكـوي، يوم الجمعة من شهر رجب سنة 226هـ/ 840م. ويبدو أنّ علماء الأباضيّة اتّفقوا من حيث المبدأ على إمامته دون خلاف يذكر[2]. وقد امتاز عصره بسلطة مركزيّة قويّة، وهذا دليـل على قوّة شخصيّته وحكمته في إدارة الدّولة. وكان له ضبط وحزم، وأشيع عنه أنّه لا يكلّم أحداً في مجلسه ولا يميل مع خصم على خصم، ولا يسمح لأحد من أعوانه أن يقوم مـادام قاعدا حتّى ينتهي الوقت المقرر للجلسة. كما أنّه لا يسمح لعساكره أن يدخلوا عليه أحدا من أهل "**النفقة إلاّ بالسّلاح**"[3]. وتبيّن جملة هذه المواقف أنّ هذا الإمام كان أقوى مـن تقلّـدوا الإمامة في الفترة الإسلامية في عمان. وبفضل سيرته وقوّة شخصيته اكتسب ثقة العمانيّين واحترامهم وغرس الهيبة في نفوسهم. وهو مع ذلك مدرك لمدى رغبتهم في تغيير الحكّـام وإثارة القلاقل. وقد اقترحت جماعة على موسى بن علي، الذي كان يعمل قاضياً للإمام، أن يدعوه إلى الاعتزال وكان ذلك في آخر عمره فواجهه بالرّفض[4]. وبهذا يكون قد قطع دابـر الانـشقاقات التي قد تحدث عادة عند كبر سن الإمام واستمراره في الإمامة، دون أن يصغي لمعارضيه، كمـا حدث لاحقاً في إمامة الصّلت بن مالك الخروصي. وقد أزعجت صرامته وشدّته بعـض علمـاء الأباضية من أمثال محمد بن محبوب الرّحيل، وبشير بن المنذر، غير أنّهما رفضا الإفصاح عـن ذلك للحفاظ على كيان الدّولة من حدوث انقسامات بين صفوف المجتمع العماني[5].

وقد ظهرت على عهده مسألة خلق القرآن التي رفضها علماء الأباضيّة ودعوا إلى معاقبـة معتقديها عقابا صارما معلّلين ذلك بقولهم: "القرآن كلام الله ووحيه وكتابه وتنزيلـه علـى محمّد صلى الله عليه وسلّم"، وأمروا المهنا بالشّدّ على من يقول بخلق القرآن[6].

---

[1] – الرقيشي، ***مصباح الظلام***، مخطوطة، المصدر السابق، ص51.

[2] – الازكوي، ***تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة***، المصدر السابق، ص53.

[3] – الرقيشي، ***مصباح الظلام*** ،مخطوطة، المصدر السابق ، ص58.

[4] – السّالمي، ***تحفة الأعيان***، المرجع السابق، ج102/1.

[5] – السّالمي، المرجع نفسه، ج101/1.

[6] – السّالمي، المرجع نفسه، ج105/1.

لقد توفي الإمام المهنا في السادس من ربيع الآخر (237هـ/251م)، فوليه الصّلت بن مالك الخروصي (237-276هـ/851-885م). حيث اجتمع كبار علماء الأباضية وزعاماتهم برئاسة محمد بن محبوب الرّحيل لمناقشة موضوع تنصيب إمام جديد، فوقع الاختيار على الصّلت بن مالك الخروصي، لتعقد له البيعة في السّادس عشر من ربيع الثّاني سنة 237هـ/851م يوم مات المهنا[1]. وتذكر المصادر العمانيّة أسماء عدد من الذين شهدوا هذه البيعة من أهمهم، محمد بن علي القاضي، وسليمان بن الحكم، والوضّاح بن عقبة، ومحمد بن محبوب، وزياد بن الوضّاح وغيرهم[2]. ومن خلال بعض الرّوايات فإنّ مجلس التّنصيب اتّسم بجوّ من التّوافق والانسجام[3]. وقد شهدت عمان استقراراً سياسيّا ونمواً اقتصاديّا، ولم يعد للمعارضة أي دور يذكر في عهده. أمّا فيما يتعلق بسياسته الدّاخلية، فيظهر أنّها كانت مركزيّة، مشابهة لسياسة سلفه المهنا. ويلاحظ ذلك من خلال العهد الذي كتبه إلى غسّان بن خليد واليه على رستاق هجار إحدى الولايات العمانيّة. وتعنينا منه بعض الفقرات التي يظهر فيها عمله بالتّعاليم الإسلامية وتأكيده على السّلطة المركزيّة للإمام، حيث كتب يقول: "أوصيك بتقوى الله في سرّك وجهرك وأن تكون على أمر الله حدثا وفي مرضاته راغبا وأن تعمل بالعدل في الرّعية وأن تقيم بينهم بالسّوية...وأن تقيم فيهم كتاب الله وتحيي فيهم سنّة نبيّه (ص)...واحذر أن يستميلك إلى أحد منهم هوى ولا تركن إلى أهل الجهل والباطل والطّمع والغنى فإن الله قد حذّر نبيّه (ص) "واحذرهم أن يفتنوك عن بغض ما انزل الله إليك" "ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون" وقال "ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإنّ الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين"[4].

أمّا بالنسبة إلى تأكيده على السّلطة المركزية للإمام، فقد كان لا يجيز للولاة المنصّبين، البتّ في الأحكام إلاّ بعد الرّجوع إليه لمشاورته وأخذ الإذن منه[5].

وقد عرفت التّجارة في عهده تنظيما دقيقا مردّه إلى حرصه على الرّفق في محاسبة التجّار بقيم عادلة تقدّر بأوسط سعر البلد فيما زاد عن الصّدقة[6].

---

[1] - الرقيشي، ***مصباح الظلام***، مخطوطة، المصدر السابق، ص 61.

[2] - أبو المؤثر، ***كتاب الأحداث والصّفات***، المصدر السابق، ص3. وهو أحد الذين حضروا بيعة الصلت.

[3] - أبو المؤثر، المصدر نفسه، ص 4.

[4] - السّالمي، ***تحفة الأعيان***، المرجع السابق، ج124/1.

[5] - السّالمي، المرجع نفسه، ج126/1.

[6] - السّالمي، المرجع نفسه، ج127/1.

وفيما يتعلّق بأهل الذمة الموجودين في عمان، فقد وردت في العهد إشارة تنظّم حياتهم الاجتماعيّة. حيث أوصى بأخذ الجزية منهم عند حلول كلّ شهر، واستثنى منهم الفقراء والصبيان والنّساء والشيخ الكبير والعبيد، وأوصى بأن تربط أوساطهم "بالكساتيج"[1]، وجزّ نواصيهم، حتّى لا يتشبّهوا بالمسلمين[2].

وبالإضافة إلى ذلك فقد شدّد على الفرق الإسلاميّة الأخرى، ومنعهم من ترويج أفكارهم ومعتقداتهم، وأظهر الشدّة مع من خالف قول المسلمين من قدريّة ومعتزلة وخوارج ومرجئة، حتّى لا يقولوا بغير قول أهل الدّعوة[3].

كما أحدث تغييرًا جذريًا في المناصب العليا بالدّولة، فلقد عزل أبا مروان الذي كان واليًا للمهنا بن جيفر اليحمدي على صحار. وعيّن مكانه محمد بن الأزهر العبدي. أمّا صحار فقد عيّن قاضيًا عليها محمد بن محبوب الرّحيل سنة 249 هـ/960م[4].

2- الوضع السياسيّ الخارجي(حماية التّجارة البحرية ومسالكها)

لقد استطاع العمانيّون أن يرسخوا الكيان السياسي للإمامة الأباضية الثانية زمن خلافة هارون الرشيد (170-193هـ/786-808م)، أي قبل أن يتمكّن العباسيّون من مهاجمة عمان. وأورد أحد الكتّاب جملة من العوامل التي أدّت إلى نجاح العمانيّين في إقامة الإمامة الأباضيّة الثّانية، ومنها بُعد عمان عن مركز الخلافة العباسيّة، بالإضافة إلى وعورة الطّريق البريّ المحاذي للضفّة الغربيّة للخليج العربي الذي يربط عمان بمركز الخلافة، إضافة إلى قلّة القبائل الحليفة للعبّاسيّين في هذا الإقليم. وهي عوامل أخّرت العبّاسيّين عن مساندة حلفائهم في عمان[5].

وتجدر الإشارة إلى أنّ الإمامة الأباضيّة الثانية كانت قد تأسّست عام 177هـ/793م، في حين أنّ الحملة العباسيّة التي أعدّها هارون الرّشيد كانت قد أرسلت على سفن من البصرة، وتوجّهت إلى جزيرة ابن كاوان في ذي الحجّة سنة 190هـ/805م وفق رواية الطبري[6]، ممّا يعني أنّ الحملة قد تأخّرت نحو ثلاثة عشر عاماً. وقد اختلف المؤرخون حول قيادة الحملة،

---

[1] - الكستيج خيط غليظ بقدر الإصبع من الصوف يشده الذميون فوق ثيابهم، والجمع كستيجات وهو لفظ فارسي معرب، وأصله كستى بالفارسية. البستاني بطرس، **محيط المحيط**، مكتبه لبنان، بيروت 1987.ص779.

[2] - السّالمي، ***تحفة الأعيان***، المرجع السابق، ج1/130.

[3] - السّالمي، ***تحفة الأعيان***، المرجع السابق، ج1/130.

[4] - السّالمي، المرجع نفسه، ج1/109.

[5] - مهدي طالب هاشم، ***الحركة الأباضية***، المرجع السابق، ص192. فاروق عمر، ***تاريخ الخليج***، ص205.

[6] - الطبري، ***تاريخ الرسل والملوك***، المصدر السابق، ج1/1738.

ففي الوقت الذي يرى فيه الأزكوي والسّالمي أنّ قائد الحملة هو عيسى بن أبي جعفر المنصور[1]، يذكر الطبري أن قائد الحملة هو عيسى بن جعفر بن سليمان[2]. ويؤكّد كلّ من فاروق عمر ومهدي طالب أنّ قائد الحملة هو عيسي بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس[3]. وكانت الحملة مكونة من نحو ستة آلاف كان منهم نحو ألف فارس وخمسة آلاف راجل. وقد كتب داود بن يزيد بن المهلّب في البصرة إلى الإمام وارث بن كعب الخروصي يخبره أنّ عيسى بن جعفر قد وصل بعسكره إلى عمان[4].

ويروى أنّ عيسى بن جعفر حين خرج من البصرة، ترك الأمر مباحا لجنده. فأخذوا يفجرون بالنّساء ويسلبونهنّ في طريقهم قبل الوصول إلى عمان. فبلغ أهل عمان ذلك "فحاربوا عيسى ومنعوه من دخول بلدهم فظفروا به فصلبوه وامتنعوا عن السّلطان ولم يعطوا طاعة"[5]. وقد أرست السّفن العبّاسيّة على السّواحل العمانيّة بمنطقة جلفار، وتوغّلت الحملة كثيراً في السّهول الشّماليّة من عمان حتّى وصلت منطقة "حتّي". وتشير المصادر العمانيّة أن الوارث الذي يقيم في نزوى أمر واليه على صحار مقارش بن محمد اليحمدي على ثلاثة آلاف رجل[6]. فالتقى "مقارش" بالحملة العباسيّة في منطقة "حتّي" الواقعة في الشطر الشّماليّ من عمان. ودارت بين الجيشين معركة شرسة، انهزم على إثرها عيسى بن جعفر وحاول الإفلات من المعركة للوصول إلى مراكبه الرّاسية على السّاحل. إلاّ أنّ الإمام الوارث جهّز حملة بحريّة مكونة من ثلاثة مراكب كان يقودها أبو حميد بن فلح الحدّاني السلوتي يعاونه عمرو بن عمران، فتمكّنا من أسر "عيسى بن جعفر" وإيداعه سجن صحار. وبعد أن إكمال المهمّة، بعث للإمام الوارث بن كعب يخبره بنتائج المعركة[7]. لكنّ الإمام الوارث حين رجع إلى نزوى قام خطيبًا في النّاس، قائلاً: "أيّها النّاس أني قاتل عيسى بن جعفر فمن كان معه قول فليقل. وهنا أفتى أحد فقهاء الأباضيّة للإمام بقتل عيسى

---

[1] – الأزكوي، ***تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة***، المصدر السابق، ص50.

[2] – الطبري، ***تاريخ الرسل والملوك***، المصدر السابق، ج1/1738.

[3] – فاروق عمر، تاريخ الخليج، المرجع السابق، ص206. مهدي طالب، ***الحركة الاباضية في المشرق***، ص194.

[4] – الازكوي، ***تاريخ عمان المقتبس***، المصدر السابق، ص50.

[5] – ابن حبيب، ***المحبَّر***، المصدر السابق، ص488.

[6] – السّالمي، ***تحفة الأعيان***، المرجع السابق، ج79/1، الأزكوي، ***تاريخ عمان المقتبس***، المصدر السابق ، ص50.

[7] – فاروق عمر، ***تاريخ الخليج***، المرجع السابق، ص 208 مهدي طالب، ***الحركة الأباضية***، ص 196. ويذكر فاروق أن عدد المراكب العمانيّة التي اشتركت في قتال الحملة العباسية بقيادة عيسى بن جعفر كانت ثلاثمائة مركب، بينما تؤكد المصادر العمانيّة أن عدد المراكب كان ثلاثة مراكب فقط. مهدي طالب، الحركة الأباضية، ص 196، فاروق، ***الخليج العربي***، ص 207–208. السّالمي، ***تحفة الأعيان***، المرجع السابق، ج79/1 الأزكوي، ***تاريخ عمان المقتبس كشف الغمة***، ص 50.

أو تركه[1]. وحينئذ قــرر أن يودع "عيســى" السّجــن. ولا ريب إنّ مثـــل هـــذا الموقـــف الحكـــيم من قبـــل الإمام من شأنه ألا يعـــرّض عمـــان لغـــزو جديـد انتقامـــاً لقتـــل عيسى بن جعفر، الذي يمت برابطة العمومة للخليفة العبّاسي هارون الرشـيد. بيـد أنّ جماعة منشقة بقيادة يحيى بن عبد العزيز أحد حملة العلم تمكنوا من الوصول إلى سّجن صـحار فتسوروه وقتلوا "عيسى" من حيث لا يعلم الوالي ولا الإمام، ثم انصرفوا في حينهم[2]. وقد حفـزت حادثة مقتل "عيسى" ، هارون الرشيد لتجهيز حملة جديدة على عمان، غير أنه توفيّ. وقـد حـال حدث وفاته الذي أعقبته صراعات داخليّة بين الأمين والمأمون على خلافة العهـد، دون ذلـك[3]. وحينئذ وجدت الإمامة الأباضيّة متنفساً لتقوية كيانها السّياسيّ.

ونظرا لتلك الإعتبارات بدأ العمانيّون العمل على تثبيت أركان الدولة التي تركها العباسـيّون وأحلافهم من بني الجلندى في حالة صراع داخليّ، ناهيك عن عدم استتباب الأمن على سـواحلها البحريّة الممتدة، جرّاء خطر القراصنة الهنود[4].

لقد بدأت الإمامة الأباضيّة في بناء قواها الحربيّة وتدعيم أسطولها البحريّ ببنـاء أسـطول تمكّن العمانيّون بواسطته من السّيطرة على المياه الإقليميّة العمانيّة، وطرد البوارج التي تعود إلى كفرة الهند الذين اتّخذوا السواحل الخليجيّة مسرحا لهم لعمليّات السّلب والنّهب. وقد اكتملت القـوّة البحريّة في عهد الإمام المهنا بن جيفر لتصل ثلاثمائة سفينة حربية[5].

لقد تمكّن العمانيّون من خلال أسطولهم البحريّ من حماية سواحلهم البحرية، حيث تميّزت تلك السفن بتفوّقها على بوارج الهند سرعة، بحيث لم تعد تقدر على الإفلات أو الهـرب منهـا. ولمّا كان العمانيّون أمهر، و أكثر خبرة في الشؤون الملاحيّة من الهنود، فقد نجحوا نجاحا كبيـراً في السّيطرة على زمام الملاحة في سواحل شرق جزيرة العرب. وتمكنوا خلال حملتهم التأديبيّـة ضدّ بوارج الهند من السّيطرة على المياه الإقليمية وتأمين طرق التّجارة القادمة من المحيط الهندي إلى الخليج العربي. وامتدّت هيمنتهم على نواح بعيدة في المحيط الهندي وجزائره[6]. فسيطروا على جزيرة سقطرى التي تقع بالقرب من السّاحل الشّرقي لإفريقيا المتـاخم لدولةالحبـشة المـسيحيّة،

---

[1] – السالمي، *تحفة الأعيان*، المرجع السابق، ج1/79..

[2] – الأزكوي، *تاريخ عمان المقتبس*، المصدر السابق، ص 50.

[3] – الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، المصدر السابق، ج1/1757.

[4] – مهدي طالب هاشم، *الحركة الأباضيّة*، المرجع السابق، ص 239.

[5] – السالمي، *تحفة الأعيان*، المرجع السابق، ج1/101.

[6] – يذكر الهمداني، أن طول الجزيرة ثمانون فرسخاً. *صفة جزيرة العرب*،المصدر السابق، ص23.

والتي كان لموقعها أثر بارز اقتصاديًا واجتماعيًا. وقد استوطن الجزيرة بعض الأباضيّين من عمان ومهرة وحضرموت[1].

ولا تشير المصادر إلى الحقبة التي بدأت فيها سيطرة العمانيّين على الجزيرة. إلاّ أنّ هناك اتّفاقا بينها على أنّ الدّعاة من الأباضية أدخلوا دعوتهم إليها منذ وقت مبكّر[2]. وقد يكون التّجار هم من أدخلوا هذه الدّعوة. وبمرور الوقت أصبحت محطّة تجاريّة للسّفن العمانيّة، وبالتّالي فقد أصبحت تتبع إداريًا إقليم عمان. ويتّضح ذلك من خلال قصيدة لامرأة مسلمة تسمّى الزهراء من أهل الجزيرة، كتبتها إلى الإمام الصّلت بن مالك تستغيثه لإنقاذ الجزيرة من النّصارى الأحباش الذين هجموا عليها وقتلوا والي الإمام فيها، حيث تقول:

قل للإمام الذي ترجى فضائله	ابن الكرام وابن السادة النّجب
وابن الجحاجحة الشمّ الذين هم	كانوا سناها وكانوا سادة العرب
أمست سقطرى من الإسلام مقفرة	بعد الشرائع والفرقان والكتب[3]

وعلى إثر هذه القصيدة، جهّز الصّلت حملة بحريّة بلغ تعداد مراكبها نحو مائة مركب أولى قيادتها لسعيد بن شملان ومحمد بن عشيرة. وقد تمكّنت الحملة من استعادة الجزيرة

[1] – الهمداني، ***صفة جزيرة العرب***،المصدر السابق، ، ص93، العوتبي، ***الأنساب***، ج235/.

[2] – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق،ج235/1 .السالمي ***تحفة الأعيان***، ج112/1. الازكوي، ***تاريخ عمان المقتبس***،49، الرقيشي، ***مصباح الظلام***، مخطوطة، ص61.

[3] – السالمي، نفس المرجع والصفحة، ج112/1، تكملة القصيدة.

وبعد حيّ على الحلال صار مغتبطاً	في ظل دولتهم بالمال والحسب
لم تبق فيها سنون المحل ناظرة	من الغصون ولا عودًا من الرطب
واستبدلت بالهدى كفراً ومعصية	وبالأذان نواقيساً من الخشب
وبالذّراري رجالاً لا خلاق لهم	من اللئام علوا بالقهر والغلب
= جار النصارى على أولئك وانتهبوا	من الحريم ولم يألوا من السّلب
وأخرجوا حريم الإسلام قاطبة	يهتفن بالويل والأعوال والكرب
قل للإمام الذي تُرجى فضائله	بأن يغيث بنات الدين والحسب
كم من منعّمة بكر وثيّبة	من أل بيت كريم الجد والنسب
تدعوا أباها إذا ما العلجُ همّ بها	وقد يلقف منها موضع اللبب
وباشر العلج ما كانت تظن به	من الحلال بوافي المهر والقهب
وحلّ كل عراء من ملتفها	عن سوءة لم تزل في حوزة الحجب
وعن فخوذ وسيقان مدملجة	وأجعد لعناقيد من العنب
مهرًا بغير صداق ولا خطب	إلا تضرب العوالي السّمر والغفت
أقول للعين والأجفان تسعفني	يا عين جودي على الأحباب وانسكبي
ما بال الصلت ينام الليل مغتبطًا	ولو حبوتم على الأنقان والرّكب
حتى يعود عماد الدّين منتصبًا	ويهلك الله أهل الجور والرّيب

والقضاء على الأحباش النّصارى. وقد كتب الصّلت عهدًا لقادة الحملة تضمن تعاليم سامية عن آداب الحرب، وتبيّن التزام الأئمّة الأباضيّين بمبادئ الشّريعة الإسلامية ومدى تسامحهم مع أسرى الحرب من الأديان الأخرى من نساء ورجال، جاء فيه "وإن كرهوا أن يقبلوا الإسلام ويدخلوا فيه فلتدعوهم إلى الرّجعة من نكثتهم والتّوبة من حدثهم إلى الدّخول في العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين على أن لهم الحق بحكم القرآن وحكم أهل القرآن من أولي العلم بالله وبدينه من أهل عمان ممّن نزل إليهم أمر المسلمين، فإن أجابوا وتابوا فلتقبلوا ذلك منهم ولتأمروهم بترك ما في أيديهم وأيدي أصحابهم من أهل الحرب من نساء مسلمات ثم لا يتزوّج رسلكم من عندهم حتّى يقدم معهم رؤساء أهل الحرب ويسلّموا إليكم النّساء المسلمات اللائي سبوهن"[1].

ثمّ أوصاهم أن يقبلوا توبة من وصل إليهم تائبا من أهل الحرب، وأن لا يعرّضوا ممّن جاء مستأمنًا مسلمًا بسفك دم، وأن لا ينتهكوا الحرمات، ولا يسبوا ذرّية ولا غنيمة مال. كما أمرهم بأن يحضروا سباياهم إلى عمان لينظرهو في أمرهم[2]. ولا يقتلوا الصبيّ الصغير ولا الشّيخ الكبير ولا المرأة المسالمة عند اقتحام المعركة، إلاّ إذا ساعد أيّ من هؤلاء مقاتلتهم فيحلّ قتله.

كما راعى الصّلت بن مالك في وصيته "أنه من أراد من أهل الصلاة من رجال أو نساء أو صبيان أن يخرجوا معكم إلى بلاد المسلمين فاحملوهم إلى حمولتكم وأنفقوا عليهم من مال الله حتّى يصلوا[3] ويقصد ببلاد المسلمين عمان.

كما أوصاهم بمحاسبة التّجار على تجارتهم بالرّفق والدّعة، وأن يقوموا عليهم كما أرادوا للتجارة، على أن يكون البيع بقيمة عادلة "وسطا على أوسط سعر البلد". ومن أراد أن يقضي دينه من ورقة يطرح عنه. وإذا كان على رجل مفلس دين فإنّه لا يحاسب عليه[4].

---

[1] – السالمي، *تحفة الأعيان*، المرجع السابق، ج 117/1.

[2] – السالمي، المرجع نفسه، ج118/1.

[3] – السالمي، المرجع نفسه، ج 123/1.

[4] – السالمي المرجع نفسه، ج 127/1.

ولا تؤخذ الصّدقة من الإبل العوامل ولا البقر الزواجر[1]. وقد أوصاهم بأخذ الجزية من أهل الذمة الدهّاقين والملوك على أن تكون أربعة دراهم كل شهر[2].

وقد أصبحت الجزيرة في النصف الأوّل من القرن الرابع الهجري/ العاشر للميلاد تشكّل خطرًا على المراكب الإسلاميّة المتجهة نحو الهند والصين وشرق أفريقيا. إذ يتّضح أن جزيرة سقطرى ومياه المحيط الهندي التي كانت ضمن دائرة المجال الحيوي للأسطول العمانيّ، غدت عرضة لخطر أعمال القرصنة بعد أن تمكّن العباسيّون من القضاء على الإمامة الأباضية الثّانية سنة 280هـ/893م، وهو ما سيفضي إلى الحديث عنه في موضع لاحق. **(انظر الشكل رقم 3).**

---

[1] - السالمي، ، *تحفة الأعيان*، المرجع السابق ، ج129/1.

[2] - السالمي، المرجع نفسه، ج130/1.

الفصل الثّالث:

المظاهر الحضارية.

I – هياكل الدولة

لقد أعلن الإسلام لأول مرة في تاريخ البشرية أنّ العلم حقّ للجميع. وكان العلم قبل ذلك خاصّا بالكهنة ولا يحقّ لسواهم طلبه. ومن هذا المنطلق ساهم العمانيّون في بناء صرح الحضارة الإسلامية. وبرزوا في ميادين مختلفة وجوانب متعدّدة من جوانب النشاط البشريّ. فلقد ساهموا في مجالات العلم والسياسة والاقتصاد. وبرز أقطاب منهم في اللغة والأدب والفقه والحديث، وفي التّاريخ والسّير والخطابة. وقد برزت مدارس متميزة في هذا المجال ساهمت بدور كبير في إثراء الفكر والعلم والمعرفة، سواء أكان ذلك في عمان أو غيرها من البلاد الإسلامية.

1– المدارس

لقد برزت في عمان نخبة من العلماء تحدّثنا عنهم في مواضع مختلفة من هذه الأطروحة. وكان لهم أثر كبير في تعدّد المدارس التي تخرّج منها أفواج من حملة العلم. وكانت أولى المدارس التي قامت بدور نشط مدرسة جابر بن زيد، التي تأسّست في البصرة في النصف الثّاني من القرن الأوّل الهجري. وقد قصدها العديد من العمانيّين وتتلمذوا على يد مؤسّسها وخلفه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة. وتخرّج منها العديد من العلماء العمانيّين[1] عملوا كفقهاء وسياسيّين[2]. وقاموا بتدريس العلم ونشره في عمان وغيرها. وقد ظهرت مؤلّفات عديدة في الفقه والدّين. وكان أول مؤلّف لسالم بن زكوان الهلالي وهو عبارة عن رسالة سجّل فيها آراءه في الولاية والمسائل الفقهيّة. وكان تلميذاً مجتهداً من تلاميذ جابر بن زيد. وقد ظهرت في القرن الثاني الهجري مدرسة فقهيّة في صحار، كان قد ترأسها الشيخ العلاّمة محبوب بن الرحيل. وهو أحد حملة العلم الذين وفدوا في مطلع القرن الثّاني الهجري إلى عمان. وكان من أبرز تلامذته الشّيخ أبوصفرة عبد الملك بن أبي صفرة. وقد ألّف ابن أبي صفرة كتابا جامعا يحتوي على أحاديث تؤكّد أحاديث جابر بن زيد. ووفد إلى مدرسة محبوب بن الرحيل العديد من الطّلاّب العمانيّين، منهم أبناؤه محبّر ومحمد وموسى بن علي وعزان بن الصّقر وعبد الله بن محمد بن محبوب بن الرحيل وأبوالمؤثر الصلت

---

1 - Ennami, op.cit. p 71-75

2 - op.cit. p.76

بن خميس الخروصي[1]، صاحب كتاب "الأحداث والصفّات"، وكتاب في الفقه يسمّى" البيان والبرهان".

وفي القرن الثالث الهجري/ التاسع للميلاد، ظهرت مدرسة العلامة موسى بن أبي جابر في إزكي. وقد تخرّج منها علماء أجلاء من بلدتي سيجا ونزوى، ومنهم يعقوب بن غيلان السيجاني وسليمان بن عثمان العقري من عقر نزوى. وقد ظهرت حينئذ مؤلفات في الفقه كان منها "جامع" أبي علي في الفقه، للفقيه موسى بن علي يقع في مجلدين، وكتاب "الجواهر" لمحمد بن محبوب بن الرحيل الذي يحتوي على سبعين جزءاً.

وقد ألف العالم العماني الحجر بن محبوب عدّة مؤلفات في الفقه، منها "الخزانة" في سبعين مجلّداً، وكتاب "المحاربة"، وكتاب في التوحيد، و"البستان". وقد ظهر في القرن الثالث الهجري الشيخ أبو الأزهر بن محمد بن جعفر الازكوي صاحب كتاب" جامع ابن جعفر". كما ظهر أبو الحواريّ وله مؤلفات عدة أهمها "جامع أبي الحواري" الذي يقع في مجلّدين . وفي القرن الثالث الهجري تمّ تأليف كتاب "الأشياخ "من قبل عدد من مشايخ المذهب الأباضي، وهو يتألف من عدّة مجلّدات ضاع بعضها[2].

وفي القرن الرّابع الهجري العاشر للميلاد ظهرت العديد من المدارس العلميّة والفقهيّة في عمان، أهمّها مدرسة الصّرح في بهلاء. وهي مدرسة عامرة بالعلم، وقد أنشأها العالم أبو محمد عبد الله بن محمد بن بركة البهلوي. وكان ينفق عليها من ماله. وقد تخرّج منها العديد من العلماء منهم غسّان بن محمد بن الخضر الصلاني وأبو مروان سلمان بن محمد بن حبيب وسعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب، الذي تقلد الإمامة في عام 320هـ/932م، وأبو الحسن البسيوي، ونحو أربعين عالما من العلماء المغاربة، وغيرهم[3].

أما نزوى، فقد نشأت بها المدارس منذ فترة مبكرة. وقد قامت المساجد بدور المدرسة، حيث ضمّت مختلف الشّرائح العمريّة، وكانت تدرّس فيها مختلف العلوم لاسيما العلوم الفقهيّة والدّين والحساب واللّغة. وكانت حلقات العلم تعقد في صحن المسجد.

كما تخرج من جامع الشواذنة في نزوى العديد من علماء القرن الثالث الهجري ، كان من أشهرهم العلامة أبو عبد الله عثمان الأصمّ، وأبو علي الحسن بن سعيد. و من

[1] – *عمان عبر التاريخ*، المرجع السابق، ص235.

[2] – *عمان عبر التاريخ*، المرجع نفسه، ص236.

[3] – الأزكوي، *تاريخ عمان المقتبس*، المصدر السابق، ص65. *عمان عبر التاريخ*، ص 236. مجهول، *تاريخ أهل عمان*، المصدر السابق، 1985. ص81.

المساجد التي اشتهرت بالتدريس في نزوى في القرن الثالث الهجري، مسجد سعال، ومسجد الشيخ البشير بن المنذر، ومسجد محمد بن الحواري، ومسجد محمد بن روح. وقد تخرّج من هذه المدارس العديد من العلماء. ثم توالت حلقات العلم فيها. ومع مرور الوقت بدأ التفكير في بناء ملاحق إضافيّة بالمساجد خصصت للتّدريس، ومن أهمّها مدرسة الخليل التي نشأت في القرن السادس الهجري[1]. وقد أثرتْ هذه المدارس المكتبة العمانيّة بمختلف العلوم الفقهيّة والفلكيّة واللّغة، والحساب، وغيرها. وقد أشرنا آنفا إلى ما تمّ تأليفه من قبل علماء عمانيّين تخرّجوا من تلك المدارس عبر مراحل زمنيّة متفاوتة.

وفي هذا الإطار نسوق دفعة جديدة من هذه المؤلّفات على غرار "الجامع في أصول الفقه وفروعه" للمؤلف ابن بركة، وهو يقع في مجلّدين، حيث يعتبر من أهمّ المؤلّفات الفقهيّة. و كتاب "التقيّد"، وقد قيّد فيه ما سمعه من معلّمه الشيخ بن مالك الصلاني. ويتضمّن المؤلّف تعريفا بمبادئ الأمم المختلفة وفلسفاتها. كما ألّف كتاب "التّعارف" وهذا الكتاب يختصّ بالمعاملات، وقد شرح فيه ما تعارف عليه النّاس في التّعامل. الى جانب مؤلّفات أخرى منها "شرح كتاب الجامع "لابن جعفر، وكتاب "الموازنة" وكتاب "المفسدات" وكتاب "الإقليد" وغيرها.

ومن المؤلّفات الهامّة التي أثرتْ المكتبة العمانيّة، مؤلّفات الشيخ أبي سعيد محمد بن سعيد الكدمي الناعبي. وهي كثيرة منها "كتاب المعتبر في الفقه"، وهو كتاب يقع في تسعة أجزاء[2]، و"كتاب الاستقامة في الولاية والبراءة"، وكتاب "الجامع المفيد" الواقع في مجلّدين، و يتحدّث عن مجموعة من الفتاوي. ومن مؤلّفاته كتاب "زيادات الإشراف" ، وهو لا زال مخطوطا يقع في أربعة مجلّدات، وهو مأخوذ من "كتاب الأشراف" لابن المنذر النيسابوري[3].

كما ظهر في تلك الفترة أبو قحطان بن خالد الهجاري، الذي ألّف كتابا في أصول الدّين والفقه، ويقع هذا الكتاب في مجلّدين واسمه "الجامع في أصول الدّين والفقه".

---

[1] – البوسعيدي، يعقوب بن عبد الله، *نزوى عبر التاريخ*، بحث للمنتدى الأدبي في نزوى، ط1، 2001م. ص40.

[2] – فقدت من الكتاب سبعة أجزاء وتبقى جزءان وقد قامت وزارة التراث مشكورة بطباعتها.

[3] – *عمان عبر التاريخ*، المرجع السابق، ص237.

وفي القرن الخامس الهجري ظهرت العديد من المدارس الفقهيّة وتخرّج منها مجموعة من العلماء ممن أثروْا المكتبة العمانيّة بمؤلّفاتهم. ومن أشهر هؤلاء محمد بن إبراهيم الكندي صاحب "بيان الشّرع". وهو كتاب قيّم يقع في أثنين وسبعين جزءاً. ويتحدّث عن علم الكلام وعلوم الشّريعة، وهو من ضمن الكتب التي عولنا عليها في هذه الأطروحة. وكان الكندي من تلاميذ أبي علي الحسن بن أحمد النّزوي الذي أشرنا إليه آنفا. ويعتبر البسيوي من أهمّ علماء القرن الخامس الهجري الذين اشتهروا بالتّأليف، وله مؤلّفات عديدة أهمّها "كتاب الجامع" ويقع في أربعة أجزاء. وله كتاب "مختصر البسيوي" و"سبوغ النّعم" لازال مخطوطا، وكتاب "المقصد في الأديان والأحكام" وكتاب "السيرة الكبيرة".

كما ظهر في مجال التّأليف العالم أبو زكريا يحي بن سعيد، وله كتاب "الإيضاح في أحكام القضاء" وهو من الكتب القيّمة في مجال القضاء[1].

ومن المدارس التي نالت شهرة في القرن الخامس الهجري، مدرسة أبي علي قاضي الإمام الخليل بن شاذان، الذي تقلّد الإمامة في 407هـ/1016م[2]. وقد أصبحت هذه المدرسة تستقبل العديد من الطلبة. وكان قد أنشأها على حسابه الخاص في محلة العقر بنزوى، رغم الإستعداد الذي أبداه أحد تلاميذهبشأن العون المادي ، إلا ّأنّ أبا علي لم يقبل منه ذلك. و هو الذي عرف بشخصيّة الزاهدة الورعة، إذ أشادت المصادر بزهده وبراعته العلميّة[3]. وقد أدّت كثرة المدارس إلى ظهور العديد من المؤلّفات، حيث برزت في القرن السادس الهجري مؤلّفات مختلفة، مثل كتاب "الكفاية" لمحمد بن موسى الكندي، وهذا المؤلّف يقع في واحد وخمسين مجلّداً، غير أنّه مفقود. كما أنّ له كتابا آخر اسمه "جلاء البصائر" يتحدّث فيه عن الزّهد. كما ظهر كتاب "المصنّف" لأحمد بن عبد الله الكندي ويقع في أثنين وأربعين مجلّداً، وكتاب "المختصر في علم المنطق والفلسفة" للجوهري، وكتاب "التخصيص في الولاية والبراءة"، وكتاب "التسهيل في الفرائض"، وكتاب "الاهتداء في

1 – *عمان عبر التاريخ*، المرجع السابق، ص238.

2 – مجهول، *تاريخ أهل عمان*، المصدر السابق، ص93. السالمي، *تحفة الأعيان*، المرجع السابق، ج203/1. *عمان عبر التاريخ*، المرجع السابق، ص239.

3 – السالمي، *تحفة الأعيان*، المرجع السابق، ج208/1– 209. *عمان عبر التاريخ*، ص239.

الأحداث التي وقعت في عمان"، وظهر أيضا كتاب "السّير في النّحو" وكتاب "الذّخيرة في علم الكلام" وغيرها من الكتب[1].

2- بيت المال (الزّكاة)

لقد أوجد الإسلام نظماً اقتصاديّة تخالف ما كان سائداً في التجارب البشرية. فقبل الإسلام كان الفقير يخضع لضريبة يدفعها للغنيّ، وقد يودي رفضه دفعها بحياته[2]. ولمّا جاء الإسلام عدل من هذه المعادلة المجحفة، وذلك بأن تكون الضريبة من الغنيّ إلى الفقير حسب قوله تعالى: "وفي أموالهم حق معلوم للسّائل والمحروم"[3]. وقد حدّد الإسلام القدر الذي يجب أن يدفعه الغنيّ للفقير والميقات الذي يجب أن تخرج فيه الزّكاة، ولنا أن نتساءل حول المبادئ التي حدّدها الإسلام في هذا الشأن.

كانت خزينة الدولة الأباضيّة في الفترة الإسلامية الوسيطة، تعتمد على مصادر ماليّة متنوعة أهمّها الزّكاة. وهي من الأركان الرّئيسيّة الخمسة التي نصّ عليها القرآن والسّنّة النبويّة الشريفة. و يعتبرها الإسلام أحد أهمّ الوجوه الأساسية للفلسفة الاجتماعية لخلق التوازن المعيشيّ بين أفراد المجتمع[4].

وتذكر المصادر أنّ نسبة الزّكاة التي يدفعها التّجار المسلمون على مواردهم النقديّة وعلى التقييم النقديّ الذي بحوزتهم، قد تصل نسبة 2.5%. وقد اشترط التشريع الإسلامي سنة كاملة المدّة يراعى فيها أن تبقى الموارد النقديّة بحوزة أصحابها من المسلمين[5] تدفع إثرها الزكاة. ويجوز للمصدّق – وهو محصّل الزّكاة- أن يتّفق مع صاحب الحليّ فيأخذ ذلك ذهبا أو فضّة، كما يجيز له أن يحسب كليهما على أن يكون الذّهب فضّة والفضّة ذهبا حسب رأي الفقهاء. وله أن يحسب عشرة مثاقيل ومائة درهم، على أن المثقال في الرّأي الشرعيّ أقل من عشرة دراهم، مما يعني أنّ الزّكاة قد تسقط عنه إذا ما تمّ احتسابها

1 - *عمان عبر التاريخ*، المرجع السابق، ص239.

2 - أحمد شلبي، *الحضارة الإسلامية ودور العمانيين في تطويرها*، حصاد ندوة الدراسات العمانية، وزارة التراث والثقافة سلطنة عمان،1980. ج263/2.

3 - *سورة المعارج* ، آية (25).

4 - غباش حسين، *عمان الديمقراطية*، المرجع السابق، ص81.

5 - تبدأ السنة الضريبية في التشريع الاباضي من شهر رمضان، ومرد ذلك إلى خلع الإمام الجلندي في شهر رمضان، جون ولكنسون، *صحار تاريخ وحضارة*، سلسلة تراثنا ط2 – وزارة التراث بدون تاريخ، ص27.

بالدّراهم، و لا يعفى منها إذا ما تمّ احتسابها بالذّهب. وتختلف أنواع الفضّة من الوجهة النظريّة للتّشريع الإسلاميّ.إذ تفرض الزّكاة منها بحسب جودتها "إذا كانت فضّة خالصة تبلغ مائتي درهم في الوزن ففيها خمسة دراهم منها أو من غيرها"[1]. وهو أمر متّفق عليه بين جميع المذاهب الإسلاميّة[2].

كما نصّ التّشريع الجبائي على أنّ بعض السّلع لا تعتبر سلعاً إلا إذا دخلت حيّز البيع والشّراء. وقد اقتصر هذا المفهوم على المنتجات الطبيعيّة للبحر "كاللآلئ" و"العنبر"، والأشجار البّرية كاللّبان والأصباغ" والمقل[3]. أمّا الحليّ فثمّة خلاف في زكاتها. فقد انقسم العلماء بين مؤيّد ورافض، فعمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر وابن مسعود وسعيد بن المسيّب وعطاء بن سعيد بن جبير وابن سيرين وجابر بن زيد، يوجبون زكاتها. بينما يرى فريق آخر كعائشة (رضه) وأسماء بنت أبي بكر وغيرهما، أنّ زكاة الحليّ غير واجبة[4].

أمّا علماء الأباضيّة فقد ذهبوا مع الفريق المؤيّد لجباية الحليّ مدعّمين رأيهم بقول الله تعالى: "والذين يكنزون الذّهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم"[5]. ثمّ إنّ هذه السّلعة تعتبر ذهبا ويحتفظ بها، وهي بهذا المعنى تجوززكاتها، وكانت هذه الموادّ مطلبا أساسيّا لتغذية بيت المال.

كما يُغذّى بيت المال أو خزينة الإمامة، صادرات المنتجات العمانيّة كالتّمور والفواكه والأسماك والماشية والذّرة والصربة[6] والدّهن والملح وغيرها[7]. ولا تحصل الضّريبة على المال الذي بحوزة الشّركات ما لم يمض عليها حول كامل. ويفصل النّظام الجبائي بين الممتلكات الشخصيّة ورأس المال الذي يأتي به صاحبه لاستثماره في عمان. كما لا يميّز النّظام الجبائي في الاستحقاق الضريبي بين السلع التجاريّة الواردة بحرا وتلك التي ترد

---

1 – الكندي، *بيان الشرع*، المصدر السابق، ج24/18.

2 – اعتمد التشريع الاباضي بإجماع جملة من علماء المسلمين كالإمام الشافعي واحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية وغيرهم. أما الروايات فقد نقلت عن عمر بن الخطاب وعائشة أم المؤمنين، وابن عباس. الكندي، *بيان الشرع* ،المصدر السابق، ج38/18.

3 – جون ولكنسون، *صحار تاريخ وحضارة*، المرجع السابق، ص27.

4 – الكندي، *بيان الشرع*، المصدر السابق،ج29/18.

5 – *سورة التوبة*، آية 34. الكندي، *بيان الشرع* ،ج30/18، جون ولكنسون، *صحار تاريخ وحضارة*، ص27، السالمي، *تحفة الأعيان*، ج87/1.

6 – شحوم حيوانية تطهى جيداً وتخزّن في أوانيَ فخارية للاستهلاك وللميرة طيلة السنة.

7 – الكندي، *بيان الشرع*، المصدر السابق، ج30/18.

برّاً. ولما سئل الإمام "غسان" علماء الأباضية عن مشروعية تحصيل الزكاة ممّن يقدم من بلاد الهند في تجارة، قالوا: " إذا وصل إلى عمان وباع متاعه فخذ منه الزكاة في حينـــه. وإذا لم يبع المتاع حتّى حال عليه الحول يقيّم متاعه كما يباع، ثمّ خذ منه الزّكاة"[1].

أمّا السّلع البرّية فلا يؤخذ منها إلاّ إذا حال عليها الحول وهي بحوزة أصحابها. وفيما يتعلّق بالذميّ الذي يختلف إلى عمان، فإنّه إذا أقام فترة تقلّ عن ثلاثة أشهر لا تؤخذ منــه زكاة. في حين تؤخذ منه إذا زاد عن ذلك بأثر رجعيّ على أن تحسب المــدّة مــن حــين وصوله. ويستثنى من ذلك فيما لو ذهب الذميّ إلى بلد آخر من بلاد الإسلام حيــث يــدفع المستحقات الواجبة عليه هناك. أمّا إذا توجّه إلى غير ديار الإسلام وترك أسرة أو ممتلكات في عمان، فتخصم المدّة التي تغيّب فيها عن البلاد[2]. وكان العمانيّون يعــاملون الجاليــات الأجنبيّة من التجار معاملة حسنة. فيأخذون منهم مقدار ما يدفعه العمانيّون في بلدان هؤلاء التّجار. لذلك ميّز النّظام الجبائي التّجار الأجانب وخصّهم بنوع من العدالة والمساواة. وهي خصائص راقية في النّظام التجاريّ[3]. وهذه الفئة من التجار تصنف تحت مصطلح "بــلاد أهل الحرب"، أي من غير الدّول الإسلاميّة. والثابت أن صحار كانت مركزاً تجاريّاً سانحا لممارسة التّجارة. ومتى بيعت البضائع التي ترد من البلاد غير الإسلامية أخــذت عنهــا العشور " المكوس" . وإن لم يتمّ بيعها فإنّ الضّريبة تحقّ عليها بعد مرور حول كامل[4].

يبقى أن نشير إلى أن البضائع المروريّة، التي تمرّ بالموانئ العمانيّة وهي في طريقها نحو الموانئ الخليجيّة كسيراف والبصرة والأبله، لا تخضع للضّريبة الجمركية، شريطة أن لا يمضي عليها حول كامل "أمّا من قدم من البصرة وسيراف بمتاع فلا تؤخذ منه الزكـــاة حتى يحول عليه الحول"[5]. أما العمانيّون الذين يعملون في حقل التّجــارة خــارج عمــان فيمكنهم أن يقيموا إقامة مؤقتة، ولا يسمح لهم النّظام الشرعيّ بالإقامة الدّائمة. ومتى عــاد التّاجر العماني إلى بلده، تؤخذ منه الزّكاة عن المدّة التي قضّاها في الخارج[6].

---

[1] – السالمي، ***تحفة الأعيان***، المرجع السابق، ج87/1.

[2] – جون ولكنسون، ***صحار تاريخ وحضارة***، المرجع السابق، ص28.

[3] – غباش، ***عمان الديمقراطية***، المرجع السابق، ص82.

[4] – جون ولكنسون، المرجع السابق، ص28.

[5] – السالمي، ***تحفة الأعيان***، المرجع السابق، ج87/1.

[6] – جون ولكنسون، ***صحار تاريخ وحضارة***، المرجع السابق، ص 29.

وفي هذا الصدد أيضا يمكن أن نشير إلى الغنيمة التي يأتي بها الإمام من الحرب. فمتى ما حصلت هذه الغنيمة، فإنّ الإمام هو المسئول الوحيد عنها. ويتولّى الإشراف على نفقات الدولة، إلاّ أنّه لا يحقّ له أن يتصرّف فيها دون مشورة أهل الحلّ والعقد. فالأموال الجبائية "الزكاة، الضرائب" بشكل عام مردّها إلى خزينة الإمامة. وهي ملك للشّعب، ويعدّ التّصرّف فيها دون رقابة، جرماً يعاقب عليه التّشريع الأباضيّ.

II – النظم الدفاعية

1 – الجيش

تشير بعض الدراسات إلى أنّ التّصور الأباضيّ رفض فكرة وجود جيش نظاميّ معترف به حتّى لا تتجاوز الإمامة مهمّتها التقليدية. وحتّى لا يستبدّ الإمام المنتخب بالسّلطة الدائمة، باعتبار أنّ الفكر الأباضيّ حافظ على الطّابع السّلمي للإمامة من جهة، ولأن مبدأ الاعتدال يغذيه مبدأ الشّورى في الفكر الأباضيّ من جهة ثانية. ولقد اعتمدت هذه الوجهة النقدية على نصّ تشريعيّ يقيّد واجبات الرّعية تجاه الإمام المنتخب، كان قد أورده العالم العماني أحمد بن عبد الله الكندي في كتابه "المصنّف"، مفاده أنه" إذا ثبتت الإمامة للإمام وقام بالحقّ فعليهم إجابته إذا دعاهم ونصرته إذا استنصرهم"[1]. وتضيف هذه الدّراسة، أنّ الإمام المنتخب إذا لم يمكنه تجنّب الحرب، يطلب تعبئة جيش من المتطوّعين من أبناء القبائل للدّفاع عن الإمامة، على أن ينصّب نفسه قائدا للجيش المتطوّع[2].

غير أنّ المصادر العمانيّة تؤكّد أنّ الفكر الأباضي عزّز من مكانته الدّفاعية. وهو مبدأ أقرّه علماء الأباضيّة للحفاظ على شكل الإمامة وعلى استقرار كيانها السياسيّ في الدولة. ولقد أورد المؤرّخ العماني سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري – الذي عاش في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر للميلاد– في كتابه "الأنساب"، تأكيداً على وجود جيوش منظّمة تحافظ على أمن البلاد،حين قال: "فلمّا صار في الروضة من تنوف من حدود الجوف وجّه إليهم راشد بن النّظر "الإمام" السّرايا والجيوش خيلاً ورجالاً، وكان من قوّاده على السّرايا يومئذ عبد الله بن سعيد بن مالك الفجحي والحواري بن عبد الله الحداني"[3].

---

[1] – غباش حسين، *عمان الديمقراطية*، المرجع السابق، ص82.

[2] – غباش، المرجع نفسه، ص83.

[3] – العوتبي، *الأنساب*، المصدر السابق، ج314/2، الازكوي، *تاريخ عمان المقتبس*، المصدر السابق ، ص57، السالمي، *تحفة الاعيان*، ج159/1.

كما أنّ المهنا بن جيفر جمع جيوشا برّية بتقسيمات مختلفة، فضلا عن القوات البحريّة الأخرى. إذ ذكر أنّ عدد الفرسان الذين خصصوا لحراسة العاصمة الأباضيّة نزوى بلغ نحو ستّمائة فارس، فضلا عن الخيول التي أعدّت للدفاع عن البلاد. وكان له من الإبل نحو سبعمائة "ناقة"[1]. وفي رواية أخرى تسع آلاف مطيّة أو ثمانية آلاف، وهي تابعة لبيت مال المسلمين. كما بلغ عدد عساكره بنزوى عشرة آلاف مقاتل وهؤلاء تمّ إعدادهم لحراسة العاصمة. وهذه القوّة تعكس مدى اهتمام الفكر الأباضي بالنواحي الدفاعية. وتدل على حجم هذه القوّة، إذا ما أضيفت إليها بقيّة العساكر في مختلف الولايات كصحار وجلفار ودما وجعلان وبقيّة الولايات العمانيّة الأخرى[2].

ولقد عملت هذه القوّات على كبح جماح زعامات القبائل البدويّة الثائرة،التي حاولت عبثاً زعزعة أمن الدّولة وكيانها بالخروج على السّلطة. وتشير المصادر أنّه في عهد الإمام غسّان بن عبد الله اليحمدي(192-207هـ/807-822م)، تمرّد صقر بن محمد بن زائدة الجلنداني أحد رؤوس القبائل العمانيّة. فبعث إليه "غسان" سريّة[3]. وفي زمن الإمام مهنا بن جيفر (208-226هـ/808-840م)، تمرّدت قبيلة مهرة، حيث رفضت دفع الزّكاة السنويّة المفروضة على الإبل. وعند وصول عبد الله بن سليمان إلى أرض مهرة – وهو المكلّف بأخذ الزّكاة – اعترض عليه رجل مهرى يقال له وسيم بن جعفر، كانت قد وجبت عليه فريضتان. فأبى أن يعطي إلاّ فريضة واحدة. وحين سأله المصدّق "جابي الزكاة"، قال المهري: "إن شئت تأخذ فريضة واحدة وإلا فانظر إلى قبور أصحابكم"[4].

لقد حفزت هذه الحادثة الإمام المهنا بن جيفر، وكتب لولاته في أدم وجعلان يطلب منهم أنّه من ظفر بـ "وسيم" يستوثق منه تمّرده ويخبر الإمام. فكتب إليه والي أدم "إنّي استوثقت منه "أي وسيم" وأنه وصل أدم"[5]. فأرسل إليه "المهنا" (208-226هـ/808-840م-) أحد قادته المعروف بأبي المقارش، ومعه كتيبة من أصحاب الخيل وأردفها بكتيبة أخرى من المشاة. وظلّ الإمام يرسل الكتيبة تلو الأخرى، حتّى لقيته كتيبة المجلّد والرمّاح

---

[1] – السالمي، ***تحفة الاعيان***، المرجع السابق، ج1/101.

[2] – السالمي، المرجع نفسه، ج1/101.

[3] – مجهول، ***سير العلماء الاباضية*** مخطوط، المصدر السابق، ص7.

[4] – الرقيشي، ***مصباح الظلام***، مخطوطة، المصدر السابق، ص59.

[5] – مجهول، ***قصص وبار جرت في عمان***، تحقيق عبد المنعم عامر ط3، 1983م، وزارة التراث، مسقط، ص56.

في محلّة بأدم. فأتوا به إلى الإمام في نزوى[1]. و بذلك استطاع الإمام المهنا احتواء الأزمة بطريقة تعكس حسن إدارته للأمور لاسيما مع القبائل الصعبة المراس.

كما شهدت عمان على عهده آخر حركات تمرد بني الجلندى، حيث تزعّم المغيرة بن روشن الجلنداني قبيلته مع مجموعة من المارقين، فهجموا على أبي الوضّاح الذي كان والياً على "توام" وقتلوه. وقد أوعز الإمام إلى والي صحار أبي مروان أن يسير بمن معه من الجند لإخضاع ابن روشن في "توام". فتوجّه أبو مروان بجيشه يسانده المطار الهندي ومن معه من رجالات الهند، الذين وصفتهم المصادر بالسّفهاء[2]. وقد بلغ عدد الجيش نحو اثني عشر ألف مقاتل، وهذا دليل على قوّة المعركة وشراستها[3].

وتروي المصادر العمانيّة أن هارون الرشيد(170-193هـ/ 786-808م) أعدّ حملة توجّهت إلى عمان كنا قد أشرنا إليها سابقاً. فكتب الوارث بن كعب إلى والي صحار مقارش بن محمد اليحمدي يخبره أن يسيّر جيشاً لملاقاة الحملة العباسيّة. فأرسل جيشاً يتألّف من ثلاثة آلاف مقاتل. ودارت الحرب بينهما سجالا في منطقة "حتّي" الواقعة في الشّطر الشمالي من عمان، انتهت بهزيمة الجيش العبّاسي[4].

ومن الأهمية بمكان التأكيد على التشبث الذي أبداه الأباضيّون بأخلاقيات الحرب قبل العزم على شن الغارات أو الغزوات. وهو ما أوصى به العلماء وشيوخ الإباضية "ينبغي له "أي الإمام" إذا أراد أن يرسل سرية أو جيشا أن يشاور العلماء الذين يخافون الله. فإذا ما عزم على ذلك، أمر عليهم أميراً مرضيّا لهم. وكتب له عهدا يشترط عليهم أن لا يتعدّوا أمره فيكاتبونه، وإذا أحرقوا المنازل وسفكوا الدّماء، فليس في ذلك على الإمام من شيء[5].
كما تبيّن المصادر العمانيّة النّظم السّائدة في الفكر الأباضي، والتي تعنى بالدفاع عن البلد من هذه النظم، "إمامة الدفاع". وهي عادة ما تكون وليدة لظروف سياسيّة تهدّد كيان الدّولة الأباضيّة مثل موت الإمام الشّاري، أو عجزه عن تسيير شؤون الدّولة. فقد يلجأ حملة العلم لاختيار إمام يقود الجماعة في معاركهم الدّفاعيّة ، كبيعة عبد الله بن سعيد الحضرمي إماما

1 – الرقيشي، *مصباح الظلام*، مخطوطة، المصدر السابق، ص59.
2 – مجهول، *سير العلماء الإباضية*، مخطوطة، المصدر السابق، ص8.
3 – مهدي طالب هاشم، *الحركة الاباضية في المشرق*، المرجع السابق، ص218.
4 – الازكوي، **تاريخ عمان المقتبس**، المصدر السابق ، ص51، مهدي طالب، *الحركة الاباضية*، ص 197.
5 – الكندي، *المصنف*، المصدر السابق، ج148/10.

للدّفاع[1]، بعد موت الإمام الشّاري عبد الله بن يحي الكندي "طالب الحق" في اليمن على أيدي الأمويّين سنة 130هـ/747م[2]. ولما عقد طلبة العلم في عمان الإمامة لمحمّد بن عبد الله بن أبي عقان[3] (177هـ/793م)، تضاربت الآراء حول إمامته. إذ يرى البعض أنّ إمامته شراء، وهناك رأي أكثر ترجيحاً على أنّ إمامته كانت إمامة دفاع حتّى تضع الحرب أوزارها[4].

أما النمط الثّاني الذي اقرّه النظام الأباضيّ للدّفاع عن البلد، فهو إمامة الشّراء[5] أو الشراة. وهي لفظة عُرف بها الأباضيّة على الدّوام، وللفظة عمق دينيّ وسياسيّ. ولعلّ من أهم معانيها الموت في سبيل الله في ساحة المعركة، إذ لا يجوز لمن باع نفسه في سبيل الله أن ينسحب من ساحة المعركة أو يتخلّى عن القتال حتى ينتصر أو يقتل. وتعتبر هذه الشّروط قاسية في نظر مخالفيهم وحتّى في نظر بعض الأباضيّة أنفسهم. وتزداد سلطة الإمام الشّاري بكثرة عدد الشّراة الملتفين حوله ممّن تمت مبايعتهم بالشّراء، فإذا ما تجاوز عددهم أربعين شاريا أصبح الإمام يتمتّع بسلطة شرعيّة أكبر. وحينها يجوز له تطبيق الأحكام الشّرعيّة خصوصا في جباية الأموال وإقامة الحدود. وهذه السّلطة كان قد تمتّع بها الإمام الشّاري أبو بلال مرداس، وطالب الحقّ في حضر موت، وبعض أتباعه من الشّراة، كأبي حمزة الشّاري وغيره من قادتهم[6].

وهناك تفويض شرعيّ قد اقرّه التّشريع الأباضيّ في أوقات الخطر المتأتّي، والذي من شأنه أن يهدّد أمن الدّولة. وهو توسيع السّلطة التفويضيّة للإمام في اتّخاذ التدابير المناسبة لحماية البلد. فلقد أوردت المصادر الأباضيّة في هذا الشّأن، فتوى تجيز للإمام أن يجبر

---

[1] – الدرجيني، *طبقات المشايخ*، المصدر السابق، ج152/2، الشماخي، *السير*، ص92.

[2] – الدرجيني، المصدر نفسه، ج258/2.

[3] – يذكر السالمي، أن ابن عفان هو من اليحمد إلا انه نشأ في العراق فقصدوا به عمان، *تحفة الأعيان*، ج75/1.

[4] – السالمي، *تحفة الأعيان*، المرجع السابق، ج75/1.

[5] – لقد اتخذ الاباضية مبدأ الشراة، من قوله تعالى "ومن الناس من يشري نفسه..." "أي يبيعها ويبذلها في الجهاد وثمنها الجنة. كما أورد أيضا في قوله تعالى "أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة". ولقد باع الاباضية أنفسهم في طاعة الله أي باعوها ابتغاء للجنة، وذلك لمعاداتهم للأئمة الجبابرة. وهي إشارة إلى أعدائهم من بنو أمية والعباسيين. غير أن أعداؤهم نعتوهم" باللجاج أي غضبوا"، وهو أمر يرفضه الاباضية قطعا. *لسان العرب*، ج105/7.

[6] – مهدي هاشم، *الحركة الاباضية في المشرق*، المصدر السابق، ص270.

الرّعية على الجهاد حيث تضمنت "وإذا كان ذلك عليهم جاز له أن يجبر من امتنع عن الدّفاع ضدّ البغاة على البلد لأنّ له أن يجبرهم على مصالحهم"[1].

وقد نصّ التشريع على عَدم إجبار الرّعيّة على توفير الكراع والسّلاح في أوقات الغزو. وإنّما كان ذلك من مهامّ الإمامة أو السلطة الحاكمة "وليس للإمام جبر الرّعية على السّلاح ولا على الكراع إذا أراد الغزو إلى عدوّه... ومن لم يكن له كراع ولا سلاح فليس للإمام أن يجبره لأنّ أهل هذه الدعوة أهل عدل وأهل العدل يحلفون"[2].

ويلاحظ هنا من خلال النّصوص الواردة أنّ هذه التشريعات اتّخذت كتعزيز لجيوش الإمامة في حال عجزها عن مقاومة الغزاة.

2-الأسطول البحريّ.

إن التصوّر الأباضيّ لبسط السيطرة على مياه السّواحل الشرقية لجزيرة العرب جدير بالاهتمام. ويلاحظ هنا أنّ الفراغ السياسيّ الذي أفرزته التطوّرات السياسيّة التي أدّت إلى القضاء على الإمامة الاباضيّة الأولى سنة 134هـ/751م، قد أحدث انقساما بين الزّعامات الأزديّة في عمان حينذاك. وكان هذا الانقسام يمثّله محوران أساسيان مختلفا الاتّجاه. فأمّا المحور الأوّل، فقد كان مؤيّداً للسّلطة العبّاسيّة مواليا لها، وكانت تتزعمه قوى المعارضة من بني الجلندى. وكان أبرز هؤلاء محمد بن زائدة وراشد بن النظر[3].

سيطر هذا التيار الذي تزعّمه الجلندانيّون تدعمه بعض القبائل الأزديّة، على الشواطئ العمانيّة ذات الوضع الاقتصاديّ الجيّد[4]. وعلى هذا الأساس تعتبر هذه العائلة الممثل الوحيد لقوى المعارضة للإمامة الأباضيّة قبل آل الجلندى وبعدهم [5]. وأمّا المحور الثاني، فكانت تمثّله قوى الحركة الاباضيّة التي بدأت تفرض نفسها على كافة إقليم عمان. وكان لها دور مهمّ في نشر المذهب الأباضي. فلقد نجحت هذه الحركة نجاحا ملحوظاً في السّيطرة على أفكار عناصر هذا المجتمع، تأهّبا لقلب نظام الحكم الذي كان يتولاّه آل الجلندى، الموالين

---

[1] – الكندي، *المصنف*، المصدر السابق، ج182/10.

[2] – الكندي، المصدر نفسه، ج182/10.

[3] – السالمي، *تحفة الأعيان*، المرجع السابق، ج63/1.

[4] – يظهر أن السلطة العباسية وأحلافهم في عمان لم يتمكنوا من بسط هيمنتهم على السواحل العمانية. بدليل أن هذه السواحل تعرّضت أبان حكمهم لموجة من لصوص الهند عانت التجارة البحرية منهم كثيرا .السالمي، *تحفة الاعيان*، ص82.

[5] – مهدي طالب، *الحركة الاباضية في المشرق*، ص175.

لبني العبّاس. غير أنّ الأوضاع الاقتصاديّة للمجتمع العماني طيلة فترة الصّراع الذي امتدّ نحو أكثر من أربعين عاما (134-177هـ/793-893م)، أي قبيل نجاح أهل الدّعوة الأباضيّة في تشكيل إمامتهم الثّانية، كانت متردّية بتأكيد من الازكوي حين قال: "كان في زمن الجلندي رحمه الله أن استولت الجبابرة على عمان فأفسدوا فيها وكانوا أهل ظلم وجور فمن هؤلاء الجبابرة محمد بن زائدة وراشد بن شاذان بن النظر الجلندانيان"[1].

وعلى إثر نجاح الدّعوة الأباضيّة ودور أهل العلم في السّيطرة على أفكار السّواد الأعظم من العمانيّين، تهيّأت الظروف المناخيّة المناسبة لإقصاء الجلندانيين عن السلطة. فقد استثمر حملة العلم وفقهاؤهم الاضطرابات ضدّ آل الجلندى محاولين بذلك إزاحتهم. وقد نجحت المحاولة. وفي خضمّ هذه الأجواء المشحونة بالصراعات السياسيّة، بدأ التّاريخ الفعليّ للإمامة الأباضيّة الثّانية يكتب. فبعد عدّة محاولات جرت لترشيح شخصيات عمانيّة لمنصب الإمامة بعد زوال سلطة آل الجلندى، مثل محمد بن المعلّى الكندي ومحمد بن عبد الله بن أبي عفان وموسى بن أبي جابر الازكوي، توفق الوارث بن كعب الخروصي اليحمدي سنة 179هـ /795م، في أن يصبح أوّل إمام في عمان[2] للمرحلة الثانية. وقد واجه "الوارث" في بداية مشواره السّياسي مشاكل القبائل العمانيّة. غير أنّه قام بمعالجتها بإقصاء بعض زعاماتها. مثل إجلاء زياد بن سعيد أو سعيد بن زياد إلى البحرين[3].

أمّا على الصّعيد الخارجي، فقد أرسل الوارث حملة بحريّة تتألف من ثلاثة مراكب[4]، قادها أبو حميد بن فلح الحمداني السّلوتي يعاونه عمرو بن عمر. وقد تمكّن هؤلاء القادة من أسر عيسى بن جعفر وإيداعه السّجن[5]. وتعدّ هذه الحملة أوّل انتكاسة للخلافة العباسيّة في التّاريخ الإسلامي من طرف عمان. وقد ساعدت نتائجها على ترسيخ الجذور الأباضيّة فيها. ولم تعاود الخلافة العبّاسيّة بعدها تحرشها بعمان، حتى عام 280هـ/ 893م . كما امتدحت المصادر التاريخيّة سيرة الوارث بن كعب، فروى الأزكوي: **"فوطئ الوارث أثر السّلف الصّالح من المسلمين وسار بالحقّ وأظهر دعوة المسلمين وعزّ الحقّ وأهله وأخمد الكفر ودفع الله الجبابرة"[6].**

---

1 – الازكوي، ***تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة***، المصدر السابق، ص48.

2 – السالمي، ***تحفة الأعيان***، المرجع السابق، ج1/77.

3 – الازكوي، ***تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة***، المصدر السابق، ص48.

4 – الازكوي، المصدر نفسه، ص50.

5 – السالمي، ***تحفة الأعيان***، المصدر السابق، ج1/79، الازكوي، ص50.

6 – الازكوي، ***تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة***، المصدر السابق، ص49.

أمّا في زمن الإمام غسّان بن عبد الله اليحمدي(192-207هـ/807-822)، فقد بلغ الازدهار التجاريّ في عمان ومنطقة الخليج أوجه. وتشير المصادر أنّ السّواحل العمانيّة تعرضت لموجة من اللّصوص الهنود، الذين كانوا يجوبون مياه المحيط بمراكبهم. وللإبقاء على الاستقرار الأمنيّ فيها والحفاظ على الحركة التجارية وتامين وصول السفن وحمايتها، فقد باشر الإمام غسّان بن عبد الله اليحمدي في بناء أسطول بحري يتكون من ثلاثمائة سفينة من السّفن السّريعة، التي أطلق عليها تسمية الشذا والغرف. وكان الإمام غسّان أول من أوجد هذا النوع من السفن حسب ما أورته مخطوطة الرقيشي "كانت في زمنه البوارج تقع على عمان وتفسد في سواحلها فاتّخذ لها هذه الشّتنوات لغزوهم وهو أوّل من اتّخذها وغزا بها وانقطعت البوارج عن عمان"[1].

ويؤكد ذلك الازكوي قائلا: "غسّان" أوّل من اتّخذ هذا النّوع من السّفن. و"كانت البوارج تقع على عمان في زمنه وتفسد في سواحلها. فاتّخذ غسّان الشذا والغرف لغزوهم، وهو أوّل من اتّخذها وغزا فيها. فانقطعت البوارج عن عمان"[2]. ولما كانت للعمانيّين قدرة ملاحيّة ومهارة فائقة، فقد أحرزوا نجاحاً كبيراً في حملتهم التأديبيّة ضدّ القراصنة. لدرجة أنّ سفنهم لم تعد تشكّل أي خطر على السّفن التّجارية [3]. وفي عهد الإمام المهنا بن جيفر(226-237هـ/ 840- 851م)، تعرّضت جزيرة سقطرى لهجوم شنّه نصارى الحبشة عليها. وتمكّنوا من قتل والي الإمام فيها. واستباحوا الجزيرة ونهبوها. وقد أعدّ الإمام المهنا حملة بحريّة أبحرت من عمان إلى سقطرى. وكان عدد مراكب الحملة مائة مركب كان قد أسند قيادتها لمحمد بن عشيرة وسعيد بن شملان. وقد تمكنت الحملة من إسترجاع الجزيرة وطرد الأحباش النّصارى منها[4].

III – العمارة: شكل الخصوصيّة العربية الإسلاميّة

1 – العمارة العسكريّة (القلاع – الأبراج – الحصون)

تشكّل العمارة العسكريّة في كل قطر رمزا للسّلطة وأنموذجا لها. كما تعتبر أيضا دليلا على أبّهة الدولة وعظمتها، وعلامة لقراءة تاريخها السياسيّ على مرّ الأزمنة. ولمّا

[1] – الرقيشي، *مصباح الظلام*، مخطوطة، المصدر السابق، ص 56.

[2] – الازكوي، *تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة*، المصدر السابق، ص51.

[3] – السالمي، *تحفة الأعيان*، المرجع السابق، ج82/1.

[4] – السالمي، المرجع نفسه، ج101/1.

كانت عمان أحد أهمّ الأقطار الحيويّة من النّاحية الإستراتيجيّة أوالاقتصاديّة، فقد كثرت بها الاستحكامات الحربية، حتّى أنّ الإحصائيّة تشير إلى أنّ عددها بلغ نحو(500) بين حصن وقلعة[1]. ورغم أنّ عوامل التعرية والتجوية، قد طمست بعض معالمها، إلاّ أنّ آثارها لازالت باقية تعكس أصالة الإنسان العماني في كل الأزمان. وتتلخّص الاستحكامات العسكريّة في:

- القلاع

القلاع واحدتها قلعة[2]. وهي عمارة خصّصت للإستحكامات الحربيّة، وعادة يتمّ تشييدها على التّلال والشرفات الجبليّة أو في منطقة إستراتيجية لغرض المراقبة أو الدفاع عنها من الاعتداءات الخارجيّة. ولكلّ قلعة فتحات خصّصت لرمي السّهام. وهي مقر للجند ولا مجال لإقامة المدنيين بها. وتوجد معظم هذه الأبنية في المناطق الجبليّة المأهولة بالسّكان. ويعود تاريخ التحصينات العمانيّة إلى عهد السّاسانيّين وخلفائهم من الاخمينيّين والفرثيّين[3]. ولا شك أنّ عمليّة التحصين كانت من أهمّ الركائز التي ارتكزت عليها حركة تشييد الحضارات القديمة. وبالتّالي فانّ القلعة قد احتلت مكانة بارزة في مخطّطات المدن لدرء الخطر المحتمل على المدينة. ويمكن أن نلاحظ ذلك من خلال الاكتشافات الأثريّة لمنطقة "بات"، الواقعة في عبري بمنطقة الظاهرة من عمان. ففي هذه المنطقة أبنية ذات تحصينات مختلفة، بعضها على شكل دائري والبعض الأخر عبارة عن قلاع يرجع تاريخ بنائها إلى الألف الثالث قبل الميلاد. وهي عبارة عن شكل برج[4] قد يصل قطره إلى عشرين مترا وارتفاعه نحو عشرة أمتار[5]. وتشير المصادر أنّ أقدم الإستحكامات التي تمّ بناؤها في عمان، هي قلعة "سلوت". حيث زارها المؤرّخ الانجليزي و"يلنكسون" عندما كان متواجدا في عمان سنة 1973م. وأكّد أنّها كانت مستوطنة يرجع زمنها إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد. وقد اعتمد في روايته تلك على ما أثبتته الأبحاث التي قامت بها بعثة أثريّة من

---

1 – سعاد ماهر، *الاستحكامات الحربية في مسقط*، حصادة ندوة الدراسات العمانية وزارة التراث 1980، ج133/2.

2 – قال الجوهري، القلعة بفتح اللام، الحصن المنيع في الجبل وجمعه قلاع... وبهذه البلاد قلاعا بنوها فجعلوها كالقلعة ويقال القلعة هي الحجارة، وقيل الصخور العظام فهي متقلعة وواحدتها قلاعة ويقال أيضا القلاعة صخرة عظيمة وسط فضاء السهل حجمها مثل الدار أو المسجد، متفردة لا ترقى، *لسان العرب*، ج282/4.

3 – مجموعة من المؤرخين، *القلاع والحصون في عمان*، قسم الدراسات مكتب نائب رئيس الوزراء. 1994م، ص44.

4 – البرج، هو الحصن والجمع بروج وهو سور المدينة والحصون بيوت تبنى على السور وقيل البروج تشيد على نواحي القصر، *لسان العرب*، ج360/1.

5 – مجموعة من المؤلفين، *عمان في التاريخ*، دار ميل للنشر شارع بروكلي لندن 1995. ص260.

جامعة هارفارد. ويورد المؤلف قصة حول ذلك جاء فيها: "انّه ذات يوم وبينما كان نبيّ الله سليمان بن داوود، في رحلته اليوميّة على بساط الرّيح من بيت المقدس إلى عمـــان، رأى قلعة سلوت، وأمر الجنّ أن تتقصى في خبرها. غير أن رسوله الهدهد أعلمه أنّ القلعة غير آهلة"[1]. وتقع في النّاحية الشّرقيّة من وادي سيغم، وهي على بعد ثلاث كيلومترات شـــمال غرب بلدة بسيا. ويظهر أنّ النباهنة استخدموها إبّان حكمهم"[2].

وهناك قلعة بُهلاء، التي مازالت تحتفظ بجمالها. ولقد اختلف المؤرّخون فـــي تـــاريخ تشيدها. فالبعض يرى أنّها شيدت عام 1500ق.م. بينما ذهب فريق آخر إلـــى أنّ الملـــك نبوخذ نصر هو الذي شيّدها، حين كان بعمان قبل رحيله إلـــى بـــلاد الرّافـــدين لتأســـيس إمبراطوريّته[3]. ويرى آخرون أنّ تاريخ القلعة يعود إلى فترة ما قبل الإســـلام، أي زمـــن الاحتلال الفارسي لعمان[4]. في حين تذكر بعض المصادر العمانيّة أنّ احمد بن هلال، الذي كان قد عيّنه القائد العبّاسي محمد بن نور واليا علـــى عمـــان بعـــد رحيلـــه عنهـــا ســـنة 280هـ/893م ، كان مقرّ إقامته بهلا[5]. غير أنّه سرعان ما نقـــل مقـــرّ الـــسلطة ســـنة 305هـ/917م إلى صحار، للذود عنها من خطر القرامطة[6]. **(انظر الشكل رقم 4).**

ومن القلاع المهمّة في عمان قلعة الرّستاق، التي يرجع بناؤها إلى سنة 226م على عهـــد السّاسانيّين. وهي تقع على صخرة ويحيط بها سور خارجيّ. ويبرز بين المبـــاني المـــشيّدة بـــرج كسرى، الذي يعتبر أقدم إنشاء فيها. وهو عبارة عن بناء عال بيضويّ الشكل بواجهة جداريّة مـــن قطعة واحدة، وله مدخل صغير من الواجهة الشرقية يفضي إلى ممرّ شديد الانحدار[7]. علـــى أنّ الرّجوع إلى فترة ما قبل الإسلام، لا تدخل عمليّا ضمن إطار هذه الأطروحة، ولكن محاولة التّقصي في تاريخ العمائر العسكرية العمانية إضطرنا الى ذلك.

---

[1] – ولكنسون، **الأفلاج ووسائل الري في عمان**، المرجع السابق، ص68. ***القلاع والحصون***، ص59.

[2] – ***القلاع والحصون في عمان***، المرجع السابق، ص59.

[3] – لم تحدد المصادر الفترة الزمنية التي تم تشيد القلعة فيها، غير انه يعتقد جزما وفق ما يفهم من سياق الإشارة أنها بنيت ربما في الألف الأول قبل الميلاد، البوسعيدي هلال بن محمد بن احمد، ***تاريخ الحصون والقلاع في عمـــان***. 1988م. ص13-20.

[4] – ***القلاع والحصون في عمان***، المرجع السابق، ص59.

[5] – الازكي، تاريخ ***عمان المقتبس من كشف الغمة***، المرجع السابق، ص59.

[6] – ***القلاع والحصون في عمان***، المرجع السابق، ص59.

[7] – ***عمان في التاريخ***، المرجع السابق، ص264، القلاع والحصون، ص50.

-**الأبراج**.

البرج هو عبارة عن بناء حربيّ يكون عادة مربّعا أو مستدير الشكل، وله فتحات لرمي السّهام زمن المعارك الحربية. وتبنى الأبراج غالبا في مرتفعات جبليّة تشرف على المدينة أو القرية. و يتمّ تشييدها كذلك على أسوار للمراقبة. وقد تشيّد في الموانئ التجاريّة لغرض الخفر والحراسة[1].

-**الحصون**.

الحصن هو أحد أهمّ الاستحكامات الحربيّة الكبيرة، وربّما أمنعها. وهو عبارة عن بناء يحيط بمساحة شاسعة من الأرض ليحميها أو يحصّنها. والحصن يحتوي على مخازن للأسلحة التقليديّة، التي تكفي لحصار قد يطول أمده. وعادة ما يتكون هذا التحصين من ثلاثة طوابق. أما الطابق السفلي فقد ضم مجموعة من الآبار إلى جانب المستلزمات الغذائيّة. وأمّا الطابق العلويّ، فقد خصّص لرمي السّهام أثناء الحروب. ويستخدم الطّابق الأوسط للأسرة الحاكمة. ويعتبر الحصن في عمان رمز السّلطة الحاكمة. وتحيط به أسوار ضخمة بأبراجها الحصينة. وله منافذ عديدة وبوابات ضخمة تحقها الأبراج من جانبيها تستخدم لمراقبة المجال الذي تحكمه[2]. وبحسب المصادر يعتبر حصن صحار[3] المسمّى "يستجرد"[4] أقدم الحصون وأعرقها. وتبعد منطقة يستجرد عن صحار نحو 25كم من جهة الشّمال. وكانت هذه القرية تمثّل مركزا إداريّا للحامية الفارسيّة، وبها الحصن الآنف الذّكر، الذي شيّد على نتوء صخري يقال له الغرابة[5]. وتؤكّد بعض المصادر أنّ المناطق المتاخمة ليستجرد، كانت بها مناجم لتعدين النّحاس[6]. ممّا يؤكّد أهميّة المنطقة وحيويّتها. وتذكر المصادر أنّ هذا الحصن قد شيّد على نتوء عال يصل ارتفاعه نحو 100 متر،

---

[1] – سعاد ماهر، ***الاستحكامات في عمان***، المرجع السابق، ج136/2.

[2] – سعاد ماهر، ***الاستحكامات في عمان***، المرجع السابق، ج135/2.

[3] – تؤكد المصادر العمانية أن عمر بن العاص حين قدم رسولا بكتاب الرسول (ص) نزل بمنطقة يستجرد التي بناها الفرس، حيث تبعد المدينة عن صحار نحو 25كم إلى جهة الشمال الغربي، مما يجيز لنا أن نعتقد جزما أن حصن صحار الحالي كان مخصصا لحراسة الميناء التجاري الشهير ومقرا للوالي المكلف بجمع الزكاة أو العشور التي تحصل من التجارة الواردة، حول ذلك انظر السالمي، ***تحفة الأعيان***، ج41/1.

[4] – ياقوت، ***معجم البلدان***، المصدر السابق، ص3–301. يذكر أن معنى كلمة يستجرد، هي كلمة فارسية وتعني القرى الكثيرة التي تقع في أماكن متفرقة، منها قريتان بمرو، وبسرخس يستجرد لقمان، وبيلخ يستجرد حموكيان، ويستجرد مدينة بالصفانيان، ويستجرد كسروية بها أبنية كثيرة وعجيبة من جواسر وإيوانات كلها من الصخر... الخ.

[5] – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج262/2، ***القلاع والحصون***، ص51.

[6] – كوستاب، ***مستوطنة عرجاء لتعدين النحاس***، المرجع السابق، ص27.

ويحيط به سور صخريّ وعر، يشرف على منحدرات التلّ السحيقة، وهي غير سالكة في معظم الأماكن[1].

أمّا حصن صحار الذي مازال قائما، ف أنّ تاريخ بنائه يرجع إلى عمان بن قحطان. ويرجّح آخرون أن مالك بن فهم الأزدي هو من قام ببنائه[2]. فيما تؤكّد بعض الدّراسات أنّ الذي بناه، هو الوارث بن كعب الخروصي سنة 179هـ/795م ، وكان قد بناه على أنقاض حصن قديم. وهناك رأي آخر يرى أنّ الذي بناه، هو أحمد بن هلال الذي كان يشغل منصب والي عمان سنة 305هـ/917م.

ومن الحصون المهمّة التي بنيت في الفترة الإسلاميّة، حصن نخل. الذي بني على تلّة جبلية يصل ارتفاعها نحو 200قدم. وترجّح بعض الرّوايات أن الحصن تمّ تجديده في عهد بني اليحمد عام 200هـ/815م[3]. غير أنّه لا توجد هناك أدلّة قاطعة في هذا الشأن، لعدم وجود كتابات تاريخيّة معاصرة لتلك الفترة. **(انظر الشكل رقم 5).**

أمّا حصن نزوى، فقد ذكرته المصادر على أنّه شيّد في منطقة العقر بنزوى عام 225هـ/845م في عهد المهنا بن جيفر[4]. وفي رواية أخرى بنى هذا الحصن على يد الإمام الصلت بن مالك الخروصي 237هـ/851م. وقد شيّد في موضع بالقرب من الجامع[5]. **(انظر الشكل رقم 6).**

2- العمارة الدينية والمدنيّة

أ- عمارة المساجد

يبدو أنّ المساجد في عمان كان يغلب عليها بصفة عامّة طابع البساطة في شكلها المعماري. فلا توجد بها زخارف مقارنة بغيرها من المساجد الإسلاميّة التي شيّدت زمن

---

1 - ***القلاع والحصون***،المرجع السابق، ص51.

2 - ***عمان عبر التاريخ*** ،المرجع السابق، ص263.

3 - ***القلاع والحصون***، المرجع السابق، ص100. سعاد ماهر، ***الاستحكامات في عمان***، ص146.

4 - ***عمان عبر التاريخ***، المرجع السابق، ص204.

5 - الازكوي، ***تاريخ عمان المقتبس من الكشف***، المصدر السابق، ص154، ***عمان عبر التاريخ***، ص264.

الدّولة الأمويّة أو العبّاسيّة في منطقة الشّام أو العــراق ودول المغــرب العربــي[1]، إلاّ أنّ المكوّنات المعماريّة لا تخرج عن الطّابع السّائد لعمارة المساجد الإسلامية، فهي ذات صحن مكشوف[2]، تحيط به الأروقة كغيره من المساجد وقد ذكر ابن بطوطة في رحلتــه مــسجد قلهات بأن "حيطانه بالقاشانيّ وهو شبه الزليج"[3].

ومن الظّواهر المعماريّة لعمارة المساجد في عمان مسجد صحار ويظهر أنّــه كــان مسجدا جامعا تقام فيه صلاة الجمعة[4]. وممّا يؤكّد ذلك أنّ عمرو بن العــاص حــين قــدم مبعوثا إلى عمان بكتاب الرّسول (ص)، كان قد نزل مدينة صحار المركــز الاقتــصادي، ومكث فيها يعلّم أهلها الإسلام. أمّا انتشار الدعوة بين أرجاء القبائل العمانيّة، فقد تكفّل بــه عبد وجيفر، ووصلت دعوتهما إلى الأطراف الجنوبية، كمهرة وحضرموت وكذلك الأقاليم الشماليّة من عمان[5].

وقد ذكرت المصادر العربيّة مسجد صحار بإسهاب. فذكره كلّ من ياقوت والمقدسي على أنّه يقع على السّاحل، وبه مئذنة حسنة طويلة "الجامع على البحر لــه منــارة حــسنة طويلة في آخر الأسواق ومسجد صحار على نصف فرسخ، فقد بني أحسن بناء"[6].

ويبدو من خلال هذا التعريف، أنّ المسجد كان قد أنشئ بعيد دخــول الإســلام إلــى عمان، وظلّ مدرسة لتعليم أصول الدّين.

أمّا جامع نزوى، فقد ذكرت بعض الدراسات أنّه بني في السّنة الثّانية للهجرة، أي بعد اجتماع العلماء وإفتائهم بجواز صلاة الجمعة خارج صحار. وتُرَجّح الدّراسة أنّ المسجد قد أنشئ ليصبح جامعا مركزيّا للمدينة. وقد تمّ توسيعه على مراحل متفاوتــة. وباعتبــار أن المحلة التي أنشئ بها مأهولة بالسّكان ومتاخمة لسوق نزوى، فقد سهّل لمرتــادي الــسوق سواء كانوا من داخل المدينة أو خارجها، عملية الوصول إلى المسجد في أوقات الفروض. وبمرور الزّمن، فقد أصبح معلما إسلاميّا تخرّج منه جلّ العلماء[7]. ومــن أهــمّ المــساجد

---

1 – ***عمان عبر التاريخ***، المرجع السابق، ص265.

2 – جعيط هشام، ***الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية***، دار الطباعة بيروت 1993م، ص220.

3 – ابن بطوطة، ***الرحلة***، المصدر السابق، ص181.

4 – ابن بطوطة، المصدر نفسه، ص180.

5 – الازكوي، ***تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة***، المصدر السابق، ص57.

6 – المقدسي، ***أحسن التقاسيم***، ص87، ياقوت، ***معجم البلدان***، ج178/4.

7 – البوسعيدي، ***نزوى عبر التاريخ***، المرجع السابق، ص27، السالمي، ***تحفة الأعيان***، ج91/1.

الإسلاميّة القديمة في نزوى أيضا "مسجد سعال"[1]، الذي يعتبر أحد أقدم المساجد التي كانت تدرّس فيها أصول الدّين والشّريعة. وقد استخدمت في بنائه الصّخور بالإضافة إلى مـادّة الجصّ في فترة لاحقة. والجصّ هو طين يتمّ حرقه ثم يعمد إلى استخدامه في العمارة قديما. وهذه المادّة تمتاز بمقاومتها للعوامل الطبيعية لفترة زمنيّة طويلة، وتعطي العمارة جمـالا جذّابا. وقد أشار بعض الدّارسين المحدثين أنّ المسجد أعيد ترميمه في النّصف الأوّل مـن القرن السّابع الهجري/ الثالث عشر للميلاد. وظلّ محافظا على شكله إلى وقتنا الحاضر.

أمّا المحراب، فقد نقشت عليه زخرفة بكتابات ذات حروف كوفيّة، وبأشكال مزهريّة. كما نقشت بجدرانه الدّاخلية زخارف جصّية، أعطته جمالا بديعا[2]. ويعدّ مسجد المضمار في سمائل من أعرق المساجد التي بنيت في عمان فيما بين سنتي 6 و7 من ذي الهجرة.

بقى أن نشير إلى المساجد التي اندثرت وأصبحت أثرا بعد عين. فلقـد ذكـرت المـصادر العمانيّة العديد منها. فالعوتبي الذي عاش في القرن الخامس الهجري، يشير إلى مسجد بن عبادة الهنائي، الذي يرجح أنّه بني في مطلع القرن الثاني الهجري، قبل إمامـة الظّهـور (132-134هـ/749-751م[3]) في "غضفان"، وهي محلّة بالباطنة شمـال صحار[4]. وثمّـة إشارة إلى أنّ الربيع بن حبيب الفراهيدي صاحب كتاب المسند، وهو أحد قاطني "غضفان"، كان قد شيّد بها مسجده في مطلع القرن الثاني الهجري، الثامن للميلاد[5].

---

[1] – سعال بلدة في نزوى. وقد ذكر قدامة في معرض حديثه عن نزوى "بلدان متصلان بينهما وادي الفلج احد البلدين سعال والأخرى العقر. وهما مدينتان صغيرتان عامرتان بهما نخل كثير ومزارع وحدائق نخل... وشربهما من نهر الفلـج. قدامة، *كتاب الخراج*، ج157/1.

[2] – *نزوى عبر التاريخ*، المرجع السابق، ص28، تورد المصادر العمانيّة أن العلماء الاباضية الأوائل حرّموا النقش علـى جدران عمارة المساجد. وقد اعتمدوا في ذلك على ما نصّ عليه التشريع النبوي في نمط عمارة المساجد، التي شيدت في عهد النبي (ص) "**ينبغي لمن بني بيتا أن يكون واسعا للصلاة والذكر**" وعن ابن عباس عن النبي (ص) قال "أمرت بتشييد المساجد" قال له ابن عباس "أزخرفها كما زخرفتها اليهود والنصارى. وعنه (ص) "ما ساء عمل قط إلا زخرفوا مساجدهم". ويبدو أن العمانيّين في القرون الإسلامية الأولى، قد اتبعوا ما نصّت عليه السنة النبويّة في بناء المساجد. إلا إن نمط العمارة العمانيّة يبدو أنه قد تغير في عهد الدولة النبهانيّة، التي بدأ نفوذها في مطلع القرن السادس الهجـري، الثاني عشر للميلاد. الكندي ، *بيان الشرع*، المصدر السابق، ج56/10. الكندي، *بيان الشرع*، ج86/1.

[3] – العوتبي، *الأنساب*، المصدر السابق، ج222/2.

[4] – البطاشي، *إتحاف الأعيان*، المرجع السابق، ج89/1

[5] – البطاشي، *إتحاف الأعيان*، المرجع السابق، ج86/1.

كما تورد المصادر اسم جامع "دما" "السيب" حاليًا. ووصفته بأنّه يقع في النّاحية الشّرقية لحصن "دما"[1]. وفي أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع للميلاد، كان أبو المؤثر الصلت بن خميس الخروصي البهلوي، قد ارتحل من بهلا إلى محلّة تسمّى "العقر" بنزوى. وقد اختطّ مسجدا له بها نسب إليه[2]. ومن المساجد الشّهيرة التي لا زالت أثارها باقية إلى يومنا هذا، مسجد العلاّمة الشيخ أبو محمد ابن بركة من علماء القرن الرّابع الهجري. وقد شيّده في مدينة بهلا[3]، التي كانت أحد أهم المعالم العمانيّة في منطقة الجوف بعد نزوى. وتشير المصادر إلى مسجد هلال بن النّير أحد حملة العلم. ويرجّح أن المسجد كان امرأة بيتاً تتّخذ فيه المشورة بين علماء الأباضيّة[4]. كما مسجد شيّدته من بلدة منح تدعى فيقاء، في محلّة "بدما" تسمّى المعبيلة. ويشار أيضا إلى مسجد طارود في بلدة بركاء، كان قد شيّد في النّصف الأوّل من القرن الثالث الهجري[5]. ولم تتطرّق المصادر إلى المادّة التي بنيت منها مساجد ساحل الباطنة، إلاّ أنّه قد يحملنا على القول إنّها ربما تكون قد بنيت من اللّبن[6] وخشب جريد النّخل أو خشب "النّيك" المستورد من أقاليم المحيط الهندي، وهو ما كان رائجا حينذاك. وتؤكّد كتابات الجغرافيّين العرب أنّ مسجد صحار كان مبنيّا من الطّين[7]. ممّا يدعم الفكرة القائلة إنّ المادّة التي استخدمها العمانيّون في بناء عمارتهم كانت تتحكّم فيها ظروف البيئة العمانيّة نفسها.

ننتهي إلى القول أنّ دراستنا للمساجد العمانيّة بشكل عامّ في العصر الإسلامي، ليست دراسة منوغرافية. وإنّما تطرّقنا إليها في إشارة عارضة قصد الكشف عن المساجد المتخذة، خصوصا وأن الدّراسات تتحدث في معظمها عن الفترة الحديثة، ولا تعطي الباحث صورة واضحة المعالم، فالدراسات الأثرية الخاصة بالمساجد ما زالت متعثرة في بيان مختلف جوانبها و الكشف عنها.

---

[1] – السالمي، *تحفة الأعيان*، المرجع السابق، ج18/1، البطاشي، *إتحاف الأعيان*، ج262/1.

[2] – البطاشي، *إتحاف الأعيان*، المرجع السابق، ج89/1.

[3] – البطاشي ، المرجع نفسه ج265/1.

[4] – السالمي ، *تحفة الاعيان*، المرجع السابق، ج102/1.

[5] – السالمي، المرجع نفسه، ج111/1.

[6] – هو الطوب المصنوع من الطين، ويورد المقدسي إشارة إلى مصلى العيد على انه اختط وسط نخيل البلد مما يظهر أن المناسبات الدينية (الأعياد) كان الناس يجتمعون في بقعة خصّصت منذ الوهلة الأولى من بدء الإسلام وساد هذا الوضع إلى وقتنا الحاضر، المقدسي، *أحسن التقاسيم*، ص87.

[7] – ياقوت، *معجم البلدان*، المصدر السابق، ج179/4.

ب - العمارة السكنيّة

يتّضح أنّ الدّراسات الأثريّة لتحديد نوعيّة العمارة السّكنية في عمان لازالت مجالاً بكراً ينقصه التّحري الدّقيق والتّوثيق الجيّد، الذي يمكن من خلاله معرفة حركة الامتداد العمرانيّ في مختلف الأزمنة. وفي هذا الصّدد تواجهنا إشكاليّة عدم وجود مراجع يعتد بها لمعرفة النّسيج العمرانيّ في الفترة الإسلاميّة، إلا أنّنا وفي محاولة لإظهار الشّكل المعماري في الفترة الإسلاميّة، سنعتمد على ما اكتشفته بعثة جامعة هارفرد التي قامت بعرض كافة المواد الأثريّة الخاصّة بالعصر الإسلاميّ ودراستها. وكذلك على الإشارات المقتضبة الواردة في كتب الفقه العمانيّة وكتب الجغرافيّين العرب في الفترة الإسلاميّة، والذين كانوا شهود عيان. وفي دراستنا هذه يمكن أن نقسّم النّمط العمرانيّ للنسيج السّكاني العماني إلى الأقسام التّالية:

- شريط الباطنة السّاحلي:

لقد أوردت المصادر الجغرافية إشارات مختلفة عن نوعية العمارة العمانيّة في الفترة الإسلامية، فلقد أشار كلّ من المقدسي وياقوت الحموي إلى أنّ أهل صحار كانت منازلهم شاهقة البنيان، وقد بنيت من الآجر[1] والسّاج[2]. ولا تبيّن هذه المصادر فيما إذا كان تخطيط الدّور السّكنية على السّاحل يماثل تخطيط الدور السكنيّة في القرى الواقعة في الأودية أو سفوح الجبال التي تمرّ بداخلها مياه الأفلاج. وهو ما يعني أن هناك نوعا من الاستحكامات الحربيّة. إلاّ أنّ بعض هذه المصادر يشير إلى أنّ المدن السّاحلية محصنّة، أبوابها من حديد[3]. وكان شربهم من الأنهار والآبار[4]. إذ نتبيّن أنّ وسيلة الرّي المتّبعة داخل المدن السّاحلية حينئذ ممكنة بالطريقتين. و كان أحد المستثمرين المجوس قد تعاقد على أن يجري الماء من أحد الجبال المطلّة على مدينة صحار بمبلغ قدره ثمانمائة كنجلة دنانير، وكلّ كنجلة تسعة أمنا. كما أبرم عقدا قام بموجبه ببناء خانات للتّجّار مفروشة مكان الآجر باللّبن المتّخذ من النّحاس، وكانت لبنة النحاس الواحدة تقدر بنحو مائة إلى مائة وخمسين

---

[1] - الأجور والياجور والاجرون، والآجر طبيخ الطين وواحدتها بالهاء (أجرة) والآجر الذي يبني به وهي كلمة فارسية معرّبة ويقال أجرة للجمع، *لسان العرب*، ج78/1.

[2] - المقدسي، *أحسن التقاسيم*، المصدر السابق، ص87، ياقوت، *معجم البلدان*، ج5/ 78.

[3] - الحميري، *الروض العطار*، المصدر السابق، ص413.

[4] - المقدسي، ، *أحسن التقاسيم*، المصدر السابق، ص88.

أمنا[1]. و لنا أن نستنتج أنّ نمط بناء المستوطنات السّاحلية يتماشى والتّراتب الاجتماعي أو الطبقيّ من حيث الغنى والفقر. وبالتّالي، فإن ذلك ينعكس على نوعية العمارة أو المستوطنة، وقد نلاحظ ذلك عند تجّار سيراف الذين وصلوا حدّا كبيرا من التفاخر في البناء، إذ تفوق الدّار الواحدة المائة ألف درهم[2].

وقد سجلت في صحار بعض العمائرالتي استخدم في بنائها الحجارة أو الطين أو الطوب الأحمر[3]. وتؤكّد الاكتشافات الأثريّة أنّ قسما كبيرا من تلك العمارة يقع تحت قلعة صحار الحديثة، وهي متّجهة نحو مكّة[4]. ويعتقد أنّها ترجع إلى مسجد صحار الذي ذكره المقدسي في النّصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر للميلاد[5].

كما تبيّن الاكتشافات الأثريّة أنّ مادّة القرميد[6]، التي يتمّ استخراجها من مناجم صحار، كانت تستخدم في بناء عمارتها. على أنّ النّوع الذي شيع استعماله سميك مربّع. ويشبه القرميد العماني نظيره الإيراني. وهو ما يدل على الروابط الوثيقة بين عمان والمدن التجاريّة الغنية كسيراف وشيراز وغيرها من المدن المتعدّدة في الضفة الشرقية من المحيط الهندي، والتي كانت مرتبطة مع عمان بعلاقات اقتصاديّة كبيرة. وتؤكّد الاكتشافات أيضا على وجود صناعات متباينة، وعلى درجة عالية من التّطوّر، ولا تبعد كثيرا عن مدينة صحار المسوّرة. وأهمّ هذه الصناعات القرميد المحروق ومناجم الحديد وصهر النّحاس[7].

كما بنيت بعض البيوت بالخشب ونوع من الحلاف[8]. وربّما كان هذا النمط من البيوت مخطّطا تخطيطا عفويّا ريثما تتمّ هيكلته بالموادّ الثّابتة. وهذا الأمر كان سائدا في الكوفة،

---

1 – الحميري، ***الرّوض المعطار***، المصدر السابق، ص413.

2 – الاصطخري، ***مسالك الممالك***، المصدر السابق، ص139.

3 – وليامسون، اندرو، ***صحار عبر التاريخ***، منشورات وزارة التراث، مسقط،1994م. ص25.

4 – وليامسون، اندرو، المرجع نفسه، ص27.

5 – وليامسون، اندرو، المرجع نفسه ، ص28.

6 – القرميد، حجارة لها حروق يوقد عليها حتى إذا ما نضجت بني بها، وقد تكلمت به العرب قديما، ويقال: هي حجارة لها تخاريب أي حروق يوقد عليها حتى إذا ما نضجت قرمدت بها الحياض والبرك أي طليت، ***لسان العرب***، ج132/11.

7 – كوستاب. ب.م، ***مستوطنة عرجاء***، المرجع السابق، ص21.

8 – السالمي، ***تحفة الأعيان***، المرجع السابق، ج67/1. مجهول، ***تاريخ أهل عمان*** ،ص74، الطبري، ***تاريخ الرسل***، ج463/7.

فقد شيّد أهلها مساكنهم من القصب قبل أن يستأذنوا عمر بن الخطاب في البناء باللّبن[1]. وأيّا يكن، فإنّ الاكتشافات الأثريّة تؤكد أنّ بعض منازل أهل صحار كانت تُشيّد بسعف النّخيل، أمّا التسقيف فيتمّ بجذوعه أيضا[2]. ولم تحدّد الاكتشافات الفترة الزمنيّة التي كان يتمّ فيها بناء هذا النّوع من الدّور السكنيّة، إلاّ أنّ المصادر الجغرافيّة في روايتها تؤكّد أن "صحار مدينة طيّبة الهواء والخيرات والفواكه مبنيّة بالآجر والسّاج كبيرة ليس في تلك النّواحي مثلها"[3].

ويستدلّ من هذه النّصوص أنّ معظم الإنشاءات السكنيّة المبنيّة من السّعف، كانت قد شيّدت في القرى أو المناطق الزراعية. وهو ما أثبتته الاكتشافات الأثريّة لاحقا[4]. ونعتقد أنّ الذين يعملون في حقل الزّراعة هم أصحاب تلك المنازل المشيّدة بالسّعف أو الخشب، في حين أنّ المواقع التي يقطنها التّجار أو الفئات الغنيّة والوافدون على البلدة للتجارة، تشيّد المنازل فيها بالحجارة والطّين، وقد يضاف إليها النّحاس أحيانا[5].

- الوديان وسفوح الجبال.

تمثّل الجبال العمانيّة رمزا لوحدة البلد وعزلتها. ولمّا كانت لعمان صلات تجاريّة مع جميع الأطراف ذات العلاقة، فقد أصبحت ملتقى تجاريّا وهدفا لذوي الأطماع فيها. وهو ما يفسر استقرار القبائل العمانيّة في مستوطنات بالوهاد الوعرة وعلى سفوح الجبال.

لقد أثبتت المسوحات الأثريّة أنّ أقدم مستوطنة كانت قد شُيّدت عند أطراف وادي بني خروص. وهي مستوطنة بدائيّة، وكان وضعها يشبه وضع المنطقة الزّراعية الواقعة خلف ميناء صحار، والتي يرجع عهدها إلى القرنين التّاسع أو العاشر للميلاد[6].

---

[1] - جعيط هشام، ***الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية*** المرجع السابق، ص89. البلاذري، ***فتوح البلدان***، ج4/648.

[2] - وليامسون أندرو، ***صحار عبر التاريخ***، المرجع السابق، ص25. ***سيرة ابن مداد***، ص58.

[3] - ياقوت، ***معجم البلدان***، المصدر السابق، ج5/178.

[4] - وليامسون،اندرو، ***صحار عبر التاريخ***، المرجع السابق، ص25-32 كوستا، ص16.يذكر ابن مجاور، أنّ في صحار اثني عشر ألف قرية واثني عشر ألف قصر مع اثني عشر ألف نهر مع اثني عشر جامع. وكان لكل "ناخذاة" قصر. وكان بها نحو مائتان وسبعون قبان لوزن البضائع. ***صفة بلاد اليمن، ومكة، وبعض الحجاز، تاريخ المستبصر***، طبع في مدينة ليدن، بريل 1954م. ص285.

[5] - الحميري، ***الروض المعطار***، المصدر السابق، ص413.

[6] - ***عمان في فجر الحضارة***، سلسلة تراثنا، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، العدد 6 ط2، ص60.

ويختلف نمط المستوطنات السّكنية في الأودية عنها في سفوح الجبال. ففي الأودية تقوم العمارة على قلاع أو أبراج تشيد على نتوءات الجبال الشاهقة وتخصّص لحراسة المستوطنة. وهذه الاستحكامات لازالت آثارها قائمة تعكس عراقة العمران العمانيّ. ولقد استخدم العمانيّون الحجارة والطين أو اللّبن أحيانا، وهي طريقة تعود إلى عهود قديمة[1].

أمّا العمارة المشيدة على سفوح الجبال، فتسمّى الحارات وواحدتها حارة. وهذه الأبنية تعكس الظروف السياسيّة الصّعبة التي مرّ بها المجتمع العماني. ويتمّ تخطيط الحارة بطريقة تلائم أوضاع الحرب المحتملة. و الحارة أو المستوطنة في أنموذجها غالبا ما تكون مسوّرة تمر الأفلاج بداخلها أو قريبا منها. وتجري الأفلاج داخل المسجد الذي يستخدم علاوة على وظيفته، مدرسة لتعليم أصول الدين. كما تخطّط بداخل المستوطنة أزقّة أو شوارع لتسهيل حركة التّنقل. ويرتبط التّخطيط العمراني بالجانب الاقتصادي، إذ تقام الأسواق كجزء من الحارة، وغالبا ما تشيّد داخل أسوارها. ولهذا السبب لا تتأثّر المستوطنات بالحصار الذي قد تفرضه الجهة المعادية أثناء الحرب[2].

وعلى هذا الأساس، كانت عمليّة تحصين المستوطنة لدى العمانيّ أمراً بالغ الأهميّة ويرتكز في جوهره على تجارب قديمة. و لهذا احتلّت القلعة أو البرج مكانا بارزا في تخطيط المدن إدراكا لأهميتها في درء الخطر عنها[3]. وأحيانا نجد القلاع أو البروج منتشرة على التّلال، التي تمرّ في سفوحها الطرق المؤدّية إلى المستعمرة بهدف حراسة التجارة القوافليّة وحمايتها، إذ لا تكاد تخلو بقعة تمرّ بها تلك الطّرق من برج مشيّد أو قلعة محصّنة[4]. كما ترتبط البساتين بالمستوطنة، وغالباً ما تكون مسوّرة بسياج واحد، وربّما يفصل البستان والمستوطنة أحيانا[5].

---

1 – ***عمان عبر التاريخ***، المرجع السابق، 261.

2 – الكندي، ***بيان الشرع***، المصدر السابق، ج39/198.

3 – ***عمان عبر التاريخ***، المرجع السابق، ص260.

4 – ***عمان عبر التاريخ***، المرجع السابق، ص260.

5 – الكندي، ***بيان الشرع***، المصدر السابق، ج39/204. **الكندي**، ***بيان الشرع***، ج1/ 206.

خـــــاتمة

لقد فتحت طبيعة موقع عمان الجغرافيّ نافذة أطلّت من خلالهـا علـى دول العـالم الخارجيّ، من خلال سواحلها البحريّة المتّصلة في جهة الجنوب الشرقي بـدول المحـيط الهنديّ وشرق إفريقيا، وفي الشّمال الغربيّ بسواحل الخليج العربيّ الممتدّ إلى شطّ العرب، انتهاء بالعراق التي أصبحت في الفترة مدار البحث أكبر سوق لسلع الشرق الثمينة. وقـد ساهمت طبيعة عمان وموقعه في رسم صورة اقتصاديّة واجتماعيّة وحضاريّة متكاملة في مختلف الحقب التاريخيّة الماضية، طبعت الإنسان العمانيّ بطابع خاص متأثّر إلى حدّ كبير بالبحر.

ومع ازدياد حجم التطوّرات السياسيّة مع مطلع القرن الثاني الهجري/ الثامن للميلاد، تأثّر العمانيّون كثيراً بتلك المستجدات، باعتبار أن الموقع والإنسان العماني يشكّلان امتداداً للبصرة التي شهدت حركات مذهبيّة وسياسيّة متلاطمة ومناوئة للخلافة الإسـلاميّة. ولقـد قسّمت تلك الحركات المذهبيّة العالم الإسلاميّ حينذاك إلى معسكرين؛ أولهما مثّلته الخلافة الإسلامية، وثانيهما مثّلته حركة الخوارج. وهو أمر حتّم التّصادم المسلّح. وكان من أهـمّ تلك الحركات، حركة الضحّاك بن قيس الشيباني الخارجي، وحركة عبد الله بن معاوية بن جعفر الطّالبي، والحركة الأباضيّة في حضرموت والتي عاصرت الثورة العباسية .[1]

لقد استمرّ الصّراع بين الأمويّين والحركات المناوئة لهم حتّى أواخر عهـد دولـتهم (132هـ/749 م). ولمّا كان الأباضيّون في البصرة يهدفون إلى إحياء نظام الإمامة التـي فشلت تجربتها في حضرموت واليمن (129هـ/ 746م)، فقد جنّدوا خريجي مدرسة أبي عبيدة بن أبي كريمة في البصرة، لتنفيذ المهمّة. على أن يكون ذلك بعيداً عن مركز الخلافة الإسلاميّة الذي انتقلّ حديثا إلى العراق. ولقد ثبت أن عمان هي الجهة الآمنة و الأرضـية الخصبة- من الوجهة النّظرية لقادة الحركة-، لإقامة الإمامة الأباضيّة المزمع بعثهـا. ولا شك أن هذا الإختيار تدعمه اعتبارات عديدة، أهمّها موقع عمان الاستراتيجي الذي يتميّـز بمسالكه الوعرة ، وإحساس العمانيّين بمرارة الوضع من جرّاء تعرّضهم لغزوات الجيوش الأمويّة في الفترة المتراوحة ما بين (75-95هـ/694-713م) . وهو أمر مهمّ بقيت آثاره

[1] – الأزدي، ***تاريخ الموصل***، المصدر السابق، ص77.

دامغة في نفوس القبائل العمانيّة، الأمر الذي حفزها على احتضان بذور الثّورة التي نـادت بالاستقلال عن الخلافة الأموية أو العباسيّة -لاحقا- في بلاد اعتبرت أرضيّة خصبة. كان لهذه المبادرة دلالات بعيدة من الوجهة النظرية للخلفاء العباسيّين. فالحركة الجديدة تـشكّل بعداً سياسيّاً مضاداً لسياستهم، التي تهدف إلى نقل مركز الخلافة إلى العراق للسّيطرة على أقاليم العالم الإسلامي وعلى المنافذ الحيويّة فيه. ممّا يعني أنّ انفراد الحركة الأباضية بإقليم عمان الذي تصبّ فيه جميع طرق التجارة العالمية المتّجهة إلى أقاليم الخليج العربي، يشكّل تهديداً خطيراً لمسارات التّجارة ومستقبل العباسيين السياسي، ولهذا فقد عامل خلفـاء بنـي العباس الحركة الأباضيّة معاملة الثّوار.

وبالرغم من البون الشاسع بين الخوارج الأباضيّة وبقيّـة الفـرق مثـل الأزارقـة والصفريّة وغيرهما، والذين خاض العمانيّون ضدّهم حروبا طائلة وتمكّنوا مـن القـضاء عليهم، إلاّ أنّ الحركة الأباضيّة ألصقت بتلـك الحركـات الخارجيّـة، وبالتّـالي أصـبح الأباضيون هدفاً لجيوش الخلافة الإسلامية في الشّام وفي العراق لاحقا، رغم تشدّدهم فـي تطبيق التّعاليم الإسلاميّة.

لقد حاول العمانيّون خوض تجربة تأسيس إمامة أباضيّة جديدة في عمـان مـستغلّين ضعف الخلافة العبّاسية، التي واكب قيامها انبلاج الإمامة الأباضيّة الأولى في عمان. ثمّ إنّ قيام إمامة أباضيّة في إقليم عمان، سيضرّ بمصالحهم في منطقة المحيط الهنـدي وشـرق إفريقيا.

ونتيجة لهذه العوامل، فقد جرّد العباسيّون حملة عسكريّة لإعادة عمان إلى حظيـرتهم في العراق. وقد تمّ القضاء على الإمامة الأباضية الأولى سنة 134هـ/ 751م. وبـسط العباسيّون نفوذهم على عمان نحو أربعين عاما (134-177هـ/751-793م). ونظـرا للقلاقل التي أحدثها النّظام القبلي المناوئ للوجود العباسيّ في عمان، نجح علماء المـذهب الأباضي في تثبيت أركان الإمامة الأباضية الثانية سنة 177هـ/793م. وتمكنوا من بناء دولة دامت نحو أكثر من مائة عام. وشهد إقليم عمان خلالها اسـتقراراً سياسـيا وعهـداً زاهراً. وتمكّنوا من المساهمة الفاعلة في بناء الحضارة الإسلامية، حيث أسهموا بالعديد من العلماء الذين برزوا في ميادين مختلفة، وساعدوا في إثراء الفكر الإنسانيّ.

الباب الثاني

الملاحة والتجارة العمانية في المحيط الهندي

مقدمـــــة

الفصل الأول : صناعة السفن وطرق الملاحة

الفصل الثاني : دور عمان التجاري والملاحي في الأقاليم الإسلامية

الفصل الثالث : دور عمان التجاري في إقليم السند والهند والصين

خاتمـــــة

مقدمة

لقد عرف الإنسان العماني طريقة التّعامل مع مياه المحيط الهنديّ منذ أن كانت السّفن تصنع من جذوع النخيل أو السعف. فتعرّف على خاصيّة الملاحة التي فرضتها طبيعة مياه المحيط الهندي وسواحله. ومن هذا المنطلق حتّم عليه الأمر تأسيس بنية ترتكز على مبادئ الملاحة البحريّة وأسسها وذلك ببناء السّفن، وخاض غمار التجربة التي هيمن عليها الفكر البشري مستفيدا من الطبيعة التي أمدّته بالمواد اللازمة لهذه الصناعة، وبذلك تتجلّى قدرة الإنسان وعظمته، حين خاض مياه المحيط الهندي وأمواجه العاتية حاملاً فوق سفنه أثمن أنواع السّلع التي ساهمت في الرّقي الحضاري للإنسانية.

لقد تعامل الإنسان العمانيّ الملاح مع الرياح الموسمية والتّيارات البحريّة وهواجس البحر الأليف الذي طبع الإنسان بطابعه. فتجلّت عظمة الخالق الذي سخّر للإنسان علوم الإبحار في عرض المياه العاتية، متّخذا من النجوم ليلاً بمساعدة الأشرعة دليلاً للوصول إلى وجهة رحلاته. وقد أدّت هذه الخاصيّة إلى هيمنة الإنسان العماني على مسارات الطرق البحرية في سواحل منطقة الخليج العربي، امتداداً إلى أقاليم المحيط الهندي وشرق إفريقيا. وهو ما أيّدته المصادر الجغرافيّة التي كانت شاهدة على الوضع الملاحي والتجاري في الحقبة الإسلامية.

ونتيجة لهذا التمازج بين طبيعة مياه المحيط الهندي والإنسان الملاّح، فقد نشأت حركة تجارية ضخمة توطّدت أركانها، وبنت عمان من خلالها علاقات تجارية بينها وبين مختلف البلدان والأقاليم الإسلامية، امتداداً إلى دول المحيط الهندي وأقاليمه الغنيّة بمواردها الطبيعية. وقد أضحت المرافئ العمانيّة نقطة انطلاق السّفن التجارية المبحرة نحو مختلف الأقاليم، سواء تلك التي في جانب المحيط الهندي أو الأقاليم العربية. فعن طريق الموانئ العمانيّة تتمّ عملية التبادل التجاري، وتتزود السّفن بما تحتاجه من مؤن ومياه. فضلاً عن إعادة تصدير السلع المهمّة النادرة، التي كانت تُصدّر وبكميات كبيرة إلى أقاليم المحيط الهندي كالهند والصين وأقاليم السند.

إن التناغم بين السلع الثمينة في منطقة المحيط الهندي وبين الإنسان في الأقاليم الشّماليّة الغربيّة بمجملها، حمل العمانيّين على استيراد هذه السلع بكمّيات كبيرة. فتعاملوا مع أهل مناطقها واستوطنوا ربوعها وديارها، وأقاموا وكالات تجاريّة في أماكن إنتاجها

وأسواقها، ونشروا ثقافاتهم الإسلامية وحضارتهم الرّاقية، التي استمدّت إشعاعها من العلوم الإسلامية السمحاء. ومن هنا بدأت مساهمتهم في بناء صرح الحضارة الإسلامية في الحقبة مدار البحث، وقاموا بدور إنساني مهمّ توارثه المجتمع العمانيّ إلى وقتنا الحاضر.

الفصل الأول:

صناعة السفن وطرق الملاحة

لقد ارتبط ازدهار عمان في الفترة الإسلامية الوسيطة بحجم التّجارة والملاحة البحريّة. وبحكم موقعها الإستراتيجي الذي كان مجالا حيويّا لتجارة الخليج العربي في عهد السّيادة الإسلاميّة، فقد أصبحت موانئها تعجّ بالسّفن التجاريّة القادمة من منطقة المحيط الهندي. ولقد نبغ العمانيّون وأبناء الخليج العربي في ركوب البحر، منذ أزمنة موغلة في القدم، وصاروا أبرع النّاس بالشّؤون الملاحيّة وأعلمهم بالأنواء والطرق ومهابّ الرّياح والمدّ والجزر. وقاموا ببناء سفن تجاريّة ضخمة، ساهمت في إنشاء صرح الحضارة الإسلامية بمختلف أنماطها وجوانبها.

I – صناعة السفن

تعتبر السفن أحد أهمّ أضلاع مربّع النشاط التجاري البحري. وهي الوسيلة المثلى لنقل التجارة البحرية العالمية في جميع الأزمان. وترتبط صناعة السّفن بحجم التّجارة وبنوعيتها. لذلك فقد سمّاها ابن خلدون[1] "صناعة التجارة"، ووصف السفن بأنّها "أجرام هندسيّة صنعت على قالب الحوت، باعتباره سابحا في الماء بقوادمه وكلكله ليكون ذلك الشكل أعون لها على مصادمة الماء، وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسمك تحريك الرّياح، وربّما أعينت بحركة المجاديف كما في الأساطيل". وهذه الصناعة في أصلها محتاجة إلى جزء كبير من الهندسة في جميع أصنافها.

ولقد برع العمانيّون في بناء السفن، بحكم التموقع على مفترق طرق التّجارة العالمية التي تربط أقاليم العالم الإسلامي في الجهة الغربية بمنطقة المحيط الهندي. ولعلّ في اتصال الملاح العماني بمجتمعات أقاليم المحيط الهندي الصناعية، واحتكاكه بصناع السفن في تلك الناحية، ما عزّز من قدرته على بناء سفن تجاريّة عملاقة ساهمت في نقل التجارة الإسلامية بين العالم الإسلامي ومنطقة المحيط الهندي.

يعتبر الخشب المادة الأساسيّة لبناء السّفن. وقد انتقى صانعوها أفضل أنواعه، من جوز الهند والسّاج الذي ساد استخدامه في صناعة السفن العمانيّة وسفن الخليج العربي والمحيط الهندي. وهذا النوع من الأخشاب يمتاز بصلابته وقدرته على مقاومة الملوحة، فضلا عن أنه لا يتقلّص بفعل الماء، ولا يتشقق أو يتغير شكله، ولا ضير عليه من الحديد، ويمكن أن

[1] – ابن خلدون، *مقدمة موسوعة ابن خلدون*، المصدر السابق، ص 731-732.

يعمّر في الماء على وجه التحديد أكثر من مائتي عام. ومقارنة بغيره من الأخشاب، فهو مرنٌ في التشكيل والتّجارة. وهو أمرٌ مهمّ لبناء السفن، لأجل التّحكم في أشكالها وأحجامها.

وينمو خشب السّاج في جنوب الهند، وفي بورما، وسيام، واندونيسيا، وكان يرد إلى عمان والخليج العربي منذ أزمنة قديمة. وتؤكّد الاكتشافات الأثريّة العثور عليه بين آثار البابليّين والأكمينيّين والساسانيين[1]. ومع ازدياد الحركة التجاريّة في العالم الإسلامي خلال العصور الإسلامية الوسطى، زاد الطّلب عليه. وكانت الهند تمدّ العرب بكميات منه لبناء سفنهم[2]، وأيضاً لبناء الدّور[3] والمساجد[4].

ويتمّ استيراد الخشب بطريقتين؛ الأولى يقطع ويربط بالحبال، ثمّ يترك عائماً على الماء تجرّه السفن العائدة من الهند إلى البلاد العربية.

أما الطريقة الثانية، فهي الأكثر نجاعة وجدوى، وهي أنّ يتحول العمانيّون إلى جزائر الهند لصناعة سفنهم، يحملون معهم آلة النّجار وغيرها، بغرض بناء السّقن والصواري والأشرعة على عين المكان . فيقطعون الخشب ثم يترك حتّى يجفّ، بعد ذلك يقطّع ألواحاً وتفتل منه الخيوط، وهي الحبال التي من لحاء جوز الهند، وتخرز السفينة بالحبال في نفس مكان الإنتاج، ثم تشحن بالأخشاب، وتبحر إلى عمان[5]. وكانت بعض الأخشاب تأتي من سندان وصيمور[6].

لقد اهتمّ الهنود بزراعة شجر جوز "الهند"، حيث جرت العادة أن يقصدوا جزائر بالبحر، يغرسون بها شجر النارجيل طلبا للأجر. وكان تجّار الخشب من عمان يأتون إلى تلك الجزر فيحملون ما أرادوه منه إلى بلادهم، وقد أكّد ذلك السيرافي قائلا: "وبعمان من يقصد إلى الجزائر التي فيها النارجيل ومعهم آلات النّجار وغيرها، فيقطعون من خشب

---

1 – حوراني جورج فاضلو، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، ترجمة، يعقوب بكل، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ ص 245-246.

2 – الندوي، محمد إسماعيل، ***تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية***، دار الفتح للطباعة والنشر بيروت، بدون تاريخ ص 43.

3 – الاصطخري، ***مسالك الممالك***، المصدر السابق، ص 137.

4 – يورد ناصر خسرو تأكيدا لطريقة بناء مساجد البصرة بخشب الساج"ورأيت في مسجد البصرة عمودا من الخشب طوله ثلاثون ذراعا وسمكه خمسة أشبار وأربعة أصابع وكان أحد طرفيه أسمك من الطرف الآخر قيل أنه من أخشاب الهند" *ناصر خسرو، سفرنامة*، ترجمة يحيى الخشاب 1993م الهيئة المصرية للكتاب ص 166.

5 – الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ج1/75. حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، ص 211.

6 – بزرك، ***عجائب الهند***، المصدر السابق، ص145. كوبر أ.د، ***جغرافية النقل البحري***، المرجع السابق، ص30.

النارجيل ما أرادوه فإذا جفّ قطع ألواحا ويفتلون من ليف النارجيل ما يخرزون به ذلك الخشب، ويستعملون منه مركبا وينحتون منه أدلاقا وينسجون من خوصه شراعا ومن ليفه خرابات[1] وهي القلوس[2] عندنان فإذا ما فرغوا من جميعه، شحنت المراكب بالنارجيل فقصد بها عمان فيبيع، وعظمت بركته ومنفعته إذ كان جميع ما يتّخذ منه غير محتاج إلى غيره"[3]

أمّا المادة الصناعية الثانية التي استخدمها العمانيّون في بناء السّفن ، فهي تتكون من أخشاب الأشجار التي تنمو في عمان. مثل السّدر، والقرط، وهما نوعان من شجر السنط أو "الأكاسيا". وهذه الأنواع من الأخشاب كانت تصنع منها أضلاع السفن. ويستعاض أحيانا بدلاً منها بخشب الميط المستورد من إيران والعراق وحينا آخر من الهند نفسها[4]. ويمكن أن ينظر إلى الطريقة المتبعة في بناء السفن، على أنها سهلة وبسيطة، ولكنها في الواقع تحتاج إلى أيد مدرّبة وتتمتّع بمهارة فائقة في ضبط المقاييس اللازمة لذلك، بالإضافة إلى معرفة نوعيّة الخشب الذي يتطلّبه كلّ موضع في السفينة.

ولقد كشفت لنا عملية بناء السفن في ظفار، الطريقة التي كانت سائدة في عمان والخليج العربي وعموم البلاد المطلّة على المحيط الهندي، و هي طريقة خياطة السفن بالحبال التي تستخدم في خرز الألواح وربطها بدلاً من المسامير. وهي في العادة حبال مصنوعة من ألياف النخيل[5] أو خوص النارجيل[6]. ويصفها ابن جبير[7] بأنها "أمراس من القمبار، وهو قشر جوز النارجيل يدرسونه إلى أن يتخبّط، ويفتلون منه أهراسا يخيطون بها

---

[1] – الخربة هي العروة المزادة وجمعها خرب وخرابات، ***لسان العرب*** ج48/4، ويورد مدكور تأكيد آخر على أن الخربة هي المزادة ونحوها جعل لها خربة، وهي العروة. **مدكور، المعجم الوسيط** ج231/1.

[2] – القلس: هو حبل من الليف غليظ من حبال السفن. ***لسان العرب***، ج279/11. السيرافي، أبو زيد الحسن، ***رحلة السيرافي***، ط1 أبو ظبي، المجمع الثقافي 1999. ص 85.

[3] – السيرافي، المصدر نفسه، ص 86 .

[4] – مجموعة من المؤرخين، ***عمان وتاريخها البحري***، وزارة التراث، مسقط، مطابع النهضة 2002 ص 156.

[5] – شوقي عبد القوي عثمان، ***تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية***، عالم المعرفة، الكويت 1990م، ص122.

[6] – ابن جبير. أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير، ***رحلة ابن جبير***، دار مكتبة الهلال، بيروت، 51986، ص42

[7] – ماهر سعاد، ***البحرية في مصر الإسلامية***، دار الكتاب العربي للنشر، بدون تاريخ، ص193.

المراكب". وربما كانت هذه الطريقة سائدة في بلدان الخليج العربي ثم نقلها عنهم سكّان سواحل المحيط الهندي[1].

وتتمّ عملية البناء بدءا بوضع السفينة في شكل مستطيل يطبّق تدريجيّا لتتناسب المقدّمة مع المؤخّرة، ثم تلصق الألواح بعضها البعض، و تثقب حافة الألواح بطريقة متناسقة بمقدار بوصتين بين ثقب وآخر. وعند الانتهاء من ذلك تجري عملية شقّ الألواح بصورة عمودية حتى تتساوى الخياطة مع السّطح[2].

ويصف لنا ماركوبولو- الذي أبحر إلى المحيط الهندي وزار هرمز القديمة في القرن السابع الهجري وأواخر القرن الثالث عشر الميلادي- طريقة صناعة السفن في هرمز. فأفاد أنّ الألواح تثقب بعناية ممكنة بمثقاب حديدي قرب حواقها، ثم تدق فيها دبابيس أو أوتاد خشبيّة تثبّت في مقدّمة السفينة أو مؤخّرتها، وتخاط بعد ذلك بحبال مفتولة تصنع من ليف جوز الهند "النارجيل". وهذه الحبال يتمّ تصنيعها مسبقاً بحيث يتمّ نقعها في الماء حتى تتقوّى أجزاؤها، وبذلك تبقى خيوط الفتل نظيفة وجاهزة[3]. وترتبط بأسلوب خياطة السّفن عملية أخرى كانت سائدة في عمان والخليج العربي وعموم بلاد المحيط الهندي، وهي عملية ضرورية لغرض سدّ الشقوق والثقوب السّفليّة والخارجية في ألواح السفينة بعد عملية الخرز، وتعرف هذه العملية بـ "القلفطة"، وهي طلاء بدن السفينة من الخارج، تستخدم فيه عادة شحوم مستخلصة من سمك القرش بعد أن "يصيدون ما صغر منها فيطبخونها في القدور فيذوب جميع لحمها ويعود شحماً مذاباً، وهذا الدّهن مشهور ببلاد اليمن وفي عدن وغيرها من المدن السّاحلية، وفي بلاد فارس وساحل عمان وبحر الهند والصين وهو "عمدتهم في سدّ خروق المراكب بعد خرزها"[4]. ثمّ يضاف إليها بعض الدّهون الأخرى مثل زيت الخروع أو السّمْن المستخلص من الحيوانات أو النباتات[5]، أو بالقار[6]. وتتمّ الخياطة والقلفطة في وقت واحد. وطريقة القلفطة الأكثر شيوعاً في صناعة السّفن العمانيّة، هي

---

[1] – *عمان وتاريخها البحري* ، المرجع السابق، ص154.

[2] – ماركوبولو، ***رحلات ماركوبولو***، ترجمة عبد العزيز جاويد، الهيئة العامة للكتاب،1986، ج81/1.

[3] – ماركوبولو، المصدرنفسه، ج82/1

[4] – الإدريسي، ***نزهة المشتاق، المصدر السابق***، ج94/1.

[5] – ابن جبير، ***رحلة ابن جبير*** ، المصدر السابق، ص42.

[6] – كوبر، أ.د. **جغرافية النقل البحري**، ترجمة ربيع الملط ، أكاديمية النقل البحري دار المعارف الإسكندرية، بدون تاريخ، ص 31.

مزج الليف بالقطن الخام، ثم يشرب بزيت كبد سمك "اللخم" أو زيت جوز الهند أو زيت السردين، ويطلى به هيكل السّفينة من الأسفل تحت مستوى سطح الماء. ويمكن أن يضاف إليها طلاء آخر مصنوع من الزيت، أو الصّمغ الممزوج بالجير، وذلك لوقاية السّفينة من التسوّس، وهذه الطريقة تتمّ دفعة واحدة من الجانبين. وبعد أن تتمّ عملية القلفطة تجهّز السفينة وتضاف إليها أضلاع جانبيّة لحمايتها أثناء الاصطدام بالصخور أو الأمواج، ويتمّ خرز الأضلاع بالحبال، وهذا العمل يقتصر على منطقة ساحل الباطنة بعمان[1]. **(انظر الشكل رقم 7).**

لقد تميّزت عمان ومنطقة الخليج العربي خصوصاً وبلاد المحيط الهندي عموماً بخاصيّة خرز السفن بالحبال بدلاً من المسامير. وقد استرعت هذه الظاهرة انتباه الجغرافيّين القدامى والباحثين المحدثين على حد السواء، وتفاوتت تفسيراتهم لتعليل أسبابها. ففي حين قدم بعضهم تفسيراً اعتمد فيه على القصص الخرافي الأسطوري أو الاجتهاد، أو التفسير المستند إلى الملاحظة. ومنهم من اكتفى بوصفها متجاهلاً أسبابها وعللها. بينما فسّرها فريق آخر تفسيراً اقتصادياً.

ومن أشهر الكتّاب الذين استندت تفسيراتهم إلى الخيال أو الأسطورة ، الكاتب السنسكريتي بهوجا "Bhoja"، الذي كان أوّل من قال: بوجود صخور من المغناطيس في البحر تجذب الحديد والسّفن المثبّتة بالمسامير. وهي أسطورة "شائعة في العالم القديم[2]"، وربّما انتقلت إلى الجغرافيين العرب في العصر الإسلامي، و لم يحاول أحد من هؤلاء أن يتقصى في أسبابها، رغم أنّها ظاهرة تسترعي الانتباه على الإختلاف المسجل بين منطقة وأخرى. ومن الطّريف أن أسلوب بناء السّفن، من المحيط الهندي حتى بحر الصين شرقاً وبحر القلزم غرباً كان ذا طابع موحّد، متمثل في استعمال الخيوط بدل المسامير. وكان أسلوب الخياطة في صناعة السّفن أصعب كثيراً من استخدام المسامير[2]، على أنّ غالبية الجغرافيين الذين شاهدوا السّفن التي تستعمل فيها المسامير – كالمسعودي وابن جبير وابن

[1] – ***عمان وتاريخها البحري***، المرجع السابق، ص 161-162، حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، ص248، 257.

[2] – صنع أحد الباحثين بمساعدة الحكومة العمانية سفينة مخيّطة، يرجع نوعها إلى السفن العمانية القديمة التي كانت تجوب مياه المحيط الهندي في العصور الإسلامية، وكان طول عارضتها 52 قدماء، وقد اشترك معه في صنعها اثنا عشر فردا واستمر عمل البناء حوالي أربعة أشهر، وقامت تلك السفينة برحلة اعتيادية في المحيط الهندي ووصلت إلى الصين وذلك عام1980م وقد تبن أن أسلوب صناعة السفن بالحبال ليس عملا سهلا. ***تيم سفرين، رحلة السند باد، عمان، 1983م.***

بطوطة وماركوبولو – لم يحاولوا استنباط تفسير علميّ لتلك الظاهرة، بل اكتفى جلّهم بتقديم تفسيرات ارتجالية ليس لها أساس من الصحّة.

فالمسعودي يرى أنّ استعمال الخيوط بدل المسامير في تثبيت الألواح "لا يكون إلا في البحر الحبشي لأن مراكب البحر الرّومي والعربي كلها ذوات مسامير، ومراكب البحر الحبشي ليس فيها حديد لأن ماء البحر يذيب الحديد، فترقّ المسامير في البحر وتصفف، فاتخذ أهلها الخياطة بالليف بدلا منها وطليت بالشحوم والنورة"[1]. على أنّ الاعتقاد السائد من وجهته النظريّة أنّ ماء البحر يذيب الحديد هو اجتهاد شخصي لا يستند إلى حقيقة علمية، وقد حاول القول ضمناً أن مياه المحيط الهندي تختلف من حيث نسبة ملوحتها. وفي واقع الأمر و من خلال التجارب العلمية ، لا توجد هناك فوارق كبيرة في نسبة الملوحة بين البحر الأبيض والمحيط الهندي وخلجانه[2].

أمّا ابن جبير وهو رحالة من أهل الأندلس، فقد شاهد سفن البحر المتوسّط المسماريّة أوالمثبتة بالمسامير، وسفن البحر الأحمر المخيطة بليف القمبار، ولم يحاول أن يعلّل تلك الظاهرة وإنما اكتفى بوصفها[3].

ويورد الإدريسي[4] تفسيراً آخر فيه شيء من الواقعية، وهو ما جرى الاعتقاد فيه من وجهة نظره أنّ المراكب المخروزة بالليف تكون أكثر مرونة وأمناً إذا ما اصطدمت بالصخور أو تعرّضت للتيّارات البحريّة والأمواج العاتية الموجودة بكثرة في مياه الخليج والمحيط الهندي أكثر منها في مياه البحر الأبيض المتوسط، على اعتبار أنّ السّفن المخيطة

---

[1] – المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج123/1.

[2] – لقد أجريت مقاسات لنسب الملوحة بين البحار والمحيطات، وقد أحتل البحر الأحمر درجة أكبر في نسبة الملوحة بين البحار تتراوح بين 37–41 في الألف، بينها تراوحت درجة الملوحة في البحر الأبيض المتوسط بين 37–39 في الألف، وفي الخليج العربي تراوحت نسبة الأملاح ، ما بين 37–38 في الألف، وفي بحر العرب ما بين 30–32 في الألف، بينما تراوحت نسبة الأملاح في بحر الصين بين 25–35 في الألف. أما نسبة الملوحة في المحيط الهندي فتتراوح بين 33–36 في الألف. جودة حسنين، ***جغرافية البحار والمحيطات***، المعارف الإسكندرية 2000م ص 105–113. عبد الحكيم غنتاب إذبيح ، ***دور البصرة التجاري في القرن الثاني حتى القرن الرابع الهجري***، أطروحة دكتوراه، دولة غير منشور، جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية 1997م ص 235.

[3] – "والجلاب التي يعرفونها في البحر الفرعوني (البحر الأحمر) ملفقة الإنشاء لا يستعملون فيها مسمار البتة، وإنما هي مخيطة بالقمبار" *ابن جبير*، ***رحلة ابن جبير***، ص42.

[4] – الإدريسي، ***نزهة المشتاق، المصدر السابق***، ج94/1–95

بالحبال تستطيع امتصاص الصدمات أكثر منها المسمّرة بالحديد. ويتّفق ابن بطوطة مع هذا التّفسير فيقول :"وبهذه الحبال تخاط مراكب الهند واليمن لأن ذلك البحر كثير الحجارة، فإن كان المركب مسمرا بمسامير الحديد صدم الحجارة فتكسّر، وإذا كان مخيطا بالحبال أعطى الرطوبة فلم يتكسر"[1].

وقد قدّم ملاّح البندقية ماركوبولو– الذي أبحر في المحيط الهندي – تفسيراً يستند إلى فرضيّة خاطئة منذ زيارته إلى هرمز القديمة، وهو أنّ الأخشاب التي تبنى منها السّفن في هرمز كانت من النّوع الرّديء، فهي خطرة للملاحة، وترجع عيوبها إلى عدم استخدام المسامير في بنائها، وقد أكّد أنّ الخشب المستخدم في البناء سيتعرّض إلى التصدّع والانشقاق وهو كالفخار سواء بسواء، وعندما يحاول النجّار دقّ المسمار في الخشب يرتدّ ثانية، وكثيراً ما ينكسر، على أنّ الألواح تثقب بكلّ عناية ممكنة بمثقاب حديديّ قرب حوافها، ثم تخاط معاً بحبل مفتول يؤخذ من "ليف جوز الهند"[2]. ويمكن أن ينظر إلى هذا التفسير على أنه ليست له أية صلة بالخشب المستخدم في بناء سفن هرمز، بل هو تفسير خاطئ. حيث تؤكّد تجارب منطقة الخليج العربي أنّ الأخشاب المستخدمة في صناعة السّفن الآنفة الذّكر هي من أفضل الأخشاب مرونة وقوّة[3].

ولقد أكّد بعض الباحثين المحدثين أنّ السّبب الأوّل في اللّجوء إلى خياطة السّفن بالحبال بدلاً من تسميرها بالمسامير يعود إلى نواح اقتصادية منها ارتفاع ثمن الحديد. وبالتّالي فإن عمليّة إعادة صناعة المسامير عمليّة مكلفة. وهي إشارة توحي بأنّ صهر الحديد وصناعة المسامير لم تستطع مجاراة عمليّة الخياطة في رخص ثمنها. أمّا السبب الثاني فهو أنّ موادّ الخياطة متاحة وسهلة المنال[4].

كما علّل بعض الباحثين المحدثين ذلك بسبب اقتصادي آخر، وهو طول المسافة التي تقطعها السّفن أثناء رحلتها مما يجعلها عرضة للأمواج العاتية التي تجعلها تتفكّك أو تتخلخل، إضافة إلى غلاء الخشب خصوصا وأنّ السواحل العربية تفتقر إلى هذه المادة، التي أضحت أساسيّة ومهمّة لتحديث السفن. وهو ما جعل أصحابها لا يخاطرون باستعمال

---

[1] – ابن بطوطة، *الرحلة*، المصدر السابق، ص 384.

[2] – ماركوبولو، *رحلات ماركوبولو* المصدر السابق،ج81/1. آدم متز، *الحضارة الإسلامية*، ج362/2.

[3] – حوراني، *العرب والملاحة في المحيط الهندي*، المرجع السابق، ص245. آدم متز،المرجع السابق، ج363/2.

[4] – حوراني، المرجع نفسه، ص125.

المسامير، لأنّه بتوالي الإبحار فقد يتطلب الأمر إعادة تسمير الألواح في مواضع ثانية جديدة قريبة من الثقوب السّابقة، ومعنى ذلك أنّ السفينة ستُستهلك في فترة زمنية قليلة. ولن تعود صالحة لأن أخشابها ملئت بالثقوب وربما تتشقق. لذلك فإنّ عمليّة الخرز والخياطة – خصوصاً وأن الخياطة ستتم في الثقوب القديمة– أمر مهمّ لإطالة أمد السفينة[1].

وهنا نود أن نسترعي الانتباه، أنّنا لا نتفق و أصحاب تعليل الظّاهرة الذين قالوا: إنّ سفن الخليج العربي والمحيط الهندي تخاط بالحبال بدلا من المسامير لسبب اقتصاديّ. مؤكّدين أن ّهذا الرّأي ليس موضوعيّا، خصوصاً ونحن نعلم أنّ التجار من ملاك السفن في الخليج العربي، وصلوا بفعل التجارة في العصور الإسلامية حداً كبيراً من الثراء. وكذلك أقاليم منطقة المحيط الهندي وبخاصة الهند والصين، اللتين كانتا آنذاك أكثر ثراءً وتحضّراً من دول البحر الأبيض المتوسّط التي كانت تستخدم المسامير في بناء سفنها. كما نعلم جيّداً أنّ الحديد كان يستخرج من دول شرق إفريقيا ويعاد تصديره إلى منطقة الهند الصناعيّة أو إلى الجزر الواقعة على ضفاف المحيط الهندي، وتتمّ صناعته هناك. وعندما تنتهي عملية التصنيع، يعاد تصديره إلى مختلف أقطار العالم. فضلاً عن أنّ الهند كانت هي المصدر الرئيسي للسيوف والأسلحة الواردة إلى المنطقة العربية[2]. وإذا ما تأمّلنا قوّة التجارة الإسلامية في العصور الوسطى ومقدرة التّاجر الشرائيّة، سنجد أنّ هؤلاء التّجار من أصحاب السّفن كانوا أكثر ثراءً ومقدرة على تسمير سفنهم بالمسامير. أفليس من الأجدى أن تسمّر السّفن وتصبح قوية لمقاومة الصّخور والتيّارات البحرية والأمواج العاتية، بدلا من أن تتكسر في عرض البحار وتضيع الناس والأموال النفيسة؟ ثم لماذا كانت الهند ودول المحيط الهندي على وجه الخصوص –وهي موطن الأخشاب والحديد والجهة الوحيدة التي اشتهرت بصناعته منذ القدم– تصنع سفنها بطريقة الخياطة حتى عهود قريبة؟

من المرجّح أن تكون ظاهرة خياطة السّفن بالحبال في منطقة الخليج العربي ودول المحيط الهندي آنذاك، تقليدا ربما فرضتة طبيعة الظروف البيئية للمنطقة التي تناغم معها الإنسان البحّار منذ أن كانت المراكب البدائيّة تصنع من جذوع النّخيل، ثم طبّقت أساليب الخياطة على الأخشاب الجيّدة التي كانت تأتي ضمن التجارة المستوردة من الهند. وربما

---

[1] – شوقي عثمان، ***تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية***، المرجع السابق، ص125.

[2] – لومبارد موريس، ***الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي***، ترجمة عبد الرحمان حميده، دار الفكر، دمشق، 1998م، ص 292.

انتشرت هذه الطريقة في سواحل الهند نفسها[1]. ولعلّ ظروف البيئة في منطقة المحيط الهندي لم تساعد على صناعة السفن بالمسامير، وإذا ما حدث ذلك اعتبر ضرباً من المغامرة. أو أنه أمر غير طبيعيّ يدخل في باب قلة الدراية من طرف صنّاع السفن.

ورغم ذلك تشير المصادر أن الحجاج بن يوسف الثقفي استقدم صنّاعا شاميين ليصنعوا له أوّل أسطول بالمسامير في الخليج العربي لتعزيز أسطوله الذي استعمله لغزو الهند والديبل[2]. إلاّ أنّ المصادر لم تذكر شيئاً عن قدرة تلك السّفن، ولا عن مقاومتها للتيّارات والأمواج البحريّة أو عن مدى ديمومتها؟

1- أنواع السفن

لقد صنع العمانيّون أنواعاً مختلفة من السفن تميزت بأسماء عربية على أساس أحجامها وتصميم أجسامها. وقد استخدمت في بنائها أنواعاً مختلفة من الأخشاب كان من أشهرها خشب السّاج "التيك" الذي كان يجلب "من ساحل مليبار نحو مدن الخليج العربي والبحر الأحمر"[3]. ولقد فرضت طبيعة الملاحة في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي أنواعا من السفن تتلاءم وطبيعة ظروف المنطقة وخصائصها المتميزة. ورغم عدم وجود إشارات دقيقة عن مقاييس السفن وأحجامها، و ارتكازاعلى ما جرت عليه الطبيعة الجغرافية وأبعادها الملاحية وظروف وضع النقل التجاري بين الخليج العربي ومنطقة المحيط الهندي، فإنه يتضح لنا جليا أن أنواع السفن التي استخدمت في التجارة الإسلامية كانت ذات أحجام ومقاييس تتلاءم وبعد المسافة ومع طبيعة البضاعة وحجمها ومتطلبات حراستها، إذ تشير المصادر أنّ حمولتها قد تصل إلى أكثر من ألف شخص بينهم تجار وملاحون[4]. وقد اكتسبت تلك السفن شهرة من حيث أنواعها وأحجامها وكان أشهرها:

– **البوم**: وهي من أقدم سفن المحيط الهندي التي كانت تستخدم في العصور القديمة[5]. وقد ذكرها ابن المجاور الذي زار عمان في الربع الأول من القرن السابع الهجري في

---

[1] – حوراني، *الملاحة العربية في المحيط الهندي*، المرجع السابق، ص 253.

[2] – صالح العلي، **التنظيمات الاجتماعية في البصرة في القرن الأول الهجري**، دار الطليعة للطباعة والنشر ببيروت، 1989م، ص274. حسن صالح شهاب، *تاريخ بحرية عمان التقليدية*، ط1، وزارة التراث، مسقط، 2001م، ص32.

[3] – لومبارد، *الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي*، المرجع السابق، ص166.

[4] – بزرك، عجائب *الهند*، المصدر السابق، ص 165.

[5] – شهاب، *تاريخ بحرية عمان التقليدية*، المرجع السابق، ص36.

معرض حديثه عن الملك تاج الدين صاحب مكران الذي بعث في الربع الثاني من القرن السادس الهجري من يشتري له حصاناً من مسقط بعمان، أن صاحب جزيرة قيس أو "كيش" في بحر عمان اعترض المركب الذي كان يحمل الحصان "بدونينج وبومات فقطعوا عليه الطريق وأخذوا الحصان منه"[1]. كما جهز صاحب جزيرة قيس حملة بحرية لغزو عدن "لأخذها من أربابها بني زريع (459-569هـ) وكانت سفن الحملة تتكون من نوع"الدوانيج والبومات، ونوع آخر من السفن اسمه "النهابيق"[2] "Nahabeeq" البدن أو "العويسيّة"، وهي أكثر السفن العمانيّة شهرة وإحدى أهم الأنواع التي تستخدم حتى وقتنا الحاضر[3]. وهذا النوع هو من المراكب القمبارية العربية التي لم يتغير شكلها حتى بعد استعمال المسامير في بنائها[4]. وكانت تستعمل قديماً في نقل تجارة المحيط الهندي[5].

ويصنع البدن بأحجام مختلفة كان الصغير منه يستخدم في صيد السمك، والمتوسط يستخدم في النقل الساحلي، بينما يستخدم الأكبر حجما- الذي يسمى بالعويسيّة- في السفرات البحرية الطويلة نحو دول المحيط الهندي[6]. كما يمتاز البدن بتصميمه المنخفض والمستقيم ذو الصدر البارز، أما المؤخرة فهي عالية تثبت عليها الدفة بالحبال ولها عمق أكثر من الدفة عن القاعدة. والنوع الأكبر حجماً المستعمل في الأغراض التجارية البعيدة هو من أنواع السفن التي يركّب عليها صاريتان، وتصل حمولتها نحو (1000 طن). كما يبلغ معدل طولها نحو "50 قدما"، والعرض نحو"10" أقدام[7]. وهي مصنوعة من خشب السّاج، وتمتاز بعارضة مزدوجة يجعل لها قعر مسطح ضيق يساعدها على الوقوف بشكل منتصب عند شدّها إلى الشّاطئ[8].

---

[1] - ابن مجاور، ***تاريخ المستبصر***، المصدر السابق، ص 299. شهاب، ***تاريخ بحرية عمان التقليدية***، ص36.

[2] - شهاب، ***تاريخ بحرية عمان التقليدية***، المرجع السابق، ص 124-126.

[3] - شوقي عثمان، ***تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية***، المرجع السابق، ص139.

[4] - شهاب، ***تاريخ بحرية عمان التقليدية***، المرجع السابق، ص36.

[5] - ماهر، ***البحرية في مصر الإسلامية***، المرجع السابق، ص333.

[6] - شهاب، ***تاريخ بحرية عمان التقليدية***، المرجع السابق، ص37.

[7] - شوقي، ***تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية***، المرجع السابق، ص139.

[8] - مايلز، ***الخليج بلدانه***، المرجع السابق، ص139.

- **الشذا:** هي ضرب من السّفن الحربية في عهد الإمام غسان بن عبد الله اليحمدي (192-208هـ) وجمعها شذاءات وشذوات[1]. وقد تمّ بناء هذا النوع من السفن عندما غزت بوارج الهند "المتلصّصة" ناحية "دبأ" و"جلفار" من السّواحل العمانيّة، و أخذت تعترض السفن التجارية فيما بين صحار والبصرة[2]. فاستخدم العمانيّون سفن الشذا لطردها[3]. وقد وصف العمانيّون سفن الشّذوات بأنها "كالذباب" صغيرة الحجم[4]. ويبدو أنّ هذا النوع من السّفن شاع استعماله على نطاق واسع في منطقة الخليج العربي، حيث استعملها العباسيون في نقل جيوشهم إبّان حروبهم ضدّ الزنج. ويذكر الطبري ذلك في سنة "267هـ/880م، قائلا:"وركب أبو العبّاس سميرية وجعل "الشذا" خلفه فسار نحو الشذاة التي علق بها الزنج لما أبصرها، فأدركها والزنج ممسكون بسكانها يحيطون بها من جوانبها يرمون بالنشاب والآجر"[5]. وثمة إشارة أن العباسيين في أواخر دولتهم، استعملوا هذا النوع من السّفن إثر انقطاع الحروب البحريّة في غرض التّجارة البحرية للسّفرات البعيدة[6]، ولعلّه من الأرجح التسليم بأنّ العباسيّين والعمانيّين قد طوّروا هذا النّوع من السّفن إلى أحجام كبيرة تتلاءم مع السفن التجارية العملاقة العابرة نحو المحيط الهندي. أمّا فيما يتعلّق بمقاسات الطول والعرض، فلم نجد إشارة نستطيع من خلالها الاطلاع على مقاسات هذا النوع من السّفن. كما صنع العمانيّون نوعا آخر من السّفن يسمّى الغرف، كانوا قد استخدموها ضمن أسطولهم البحريّ في الفترة الإسلامية.

- **السبنوق:** أو السنبوك: يعتبر هذا النّوع من أهمّ السفن العمانيّة لعراقته. وقد تحدّث عنه بزرك بن شهريار الذي عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر للميلاد نقلا عن بعض ربابنة الخليج العربي المرتادين بلاد الصّين قال :"وحدّثني بعض البحريّين أنّه كان ماضياً

1- *لسان العرب*، المصدر السابق، ج7/64.

2 - شهاب، *تاريخ بحرية عمان التقليدية*، المرجع السابق، ص33.

3 - الرقيشي، *مصباح الظلام وشرح دعائم الإسلام*، مخطوطة، المصدر السابق، ص56.

4 - ماهر، *البحرية في مصر الإسلامية* ، المرجع السابق، ص351

5 - الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، المصدر السابق، ج6/2097.ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7/340 - 341.

6 - ماهر، *البحرية في مصر الإسلامية* ، المرجع السابق، ص352.

بين سريرة والصين في "سنبوق" قال: فلما سرنا بين سريرة[1] مقدار خمسين زاما[2]، وقع علينا الخبّ ورمينا الحمولة إلى البحر[3]". يُتبيّن من النص أنّ هذا النوع، يعتبر من السفن ذوات الأحجام الكبيرة التي استعملت في نقل تجارة المحيط الهندي آنذاك. إذ يروى أنّ حمولتها تبلغ ما بين (80 إلى 180) طناً وهي مكشوفة ومدبّبة عريضة المؤخّرة وليس لها ظهر ولها شراع لاتيني مربّع[4]. ويكثر استعمال هذا النوع على سواحل المحيط الهنديّ، وخصوصاً على سواحل قاليقوط. ويعتبر من حيث الشكل أكثر ملاءمة للإبحار في المحيطات[5]. وتختلف أحجامه من قطر لآخر فسنابق اليمن أكبر حجماً وتستعمل للشّحن و الأسفار البعيدة[6]. وربما أخذ العمانيّون هذا الطراز من اليمن لاستخدامه في أسفارهم إلى الهند والصين منذ أزمنة متقدمة.

وقد اشتهرت منطقة صور العمانيّة بهذا النوع من السفن منذ عهود قديمة، وكانت تستخدم في الرحلات البحرية البعيدة، حيث تتراوح حمولتها ما بين "20" إلى "150" طناً. وهناك نوع آخر في منطقة الخليج العربي أقلّ حجماً يستخدم لصيد اللؤلؤ، حيث يبلغ معدل طولها ما بين"25" إلى "40" قدماً، ولها دقة صغيرة ومجاديف وصار واحدٌ[7]، وحمولتها بين "15" إلى "60" طناً[8].

وقد أكّد ابن بطوطة أنّه رأى هذا النوع من السّفن في مقديشو بسواحل شرق أفريقيا "ومن عادة أهل هذه المدينة أنه متى وصل مركب المرسى تصعد السنابق والقوارب الصغار". كما رآه في ظفار وفي البصرة، وكان مخصصا لإنزال البضاعة من السفن التجارية الراسية في عرض البحر" فلما وصل المركب إلى الساحل خرج عبيد السلطان

---

1 – سريرة تتبع لمدن الزابج تكسيرها 400 فرسخ. السيرافي، ***رحلة السيرافي***، ص66. ويورد شيخ الربوة على أن أسمها سزبرة ويحيط بها ألف ومائة ميل وفيها مدن كثيرة كانت أهمها سزبرة ومنها يجلب الكافور الجيد. ***نخبة الدهر***، ص142.

2 – الزّام : كلمة هندية، وهي وحدة لقياس المسافة بالبحر. ويعادل "الزّام" مسيرة ثلاث ساعات بالشراع، أي ما يعادل 12 ميل بحري. أنور عبد العليم، ***ابن ماجد الملاح***، دار الكتاب العربي للطباعة، بدون تاريخ. ص160.

3 – ماهر، ***البحرية في مصر الإسلامية***، المرجع السابق، ص149.

4 – شوقي، ***تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية***، المرجع السابق، ص150

5 – خالد سالم محمد، ***ربابنة الخليج العربي***، مصنفاتهم الملاحية، ط1، الكويت 1982م، ص171.

6 – ***عمان وتاريخها البحري***، المرجع السابق، ص146.

7 – خالد، ***ربابنة الخليج العربي***، المرجع السابق، ص171 .

8 – ابن بطوطة، ***الرحلة***، المصدر السابق، ص173..

وصعدوا في سنبوق إلى المركب"[1]، **(انظر الشكلين رقم 8 و9)**. وهناك نوع من السفن العمانيّة يسمّى:

– **البغلة:** وهي من أقدم أنواع السّفن التي كانت تجوب مياه المحيط الهندي[2]. ويبلغ طولها من المقدمة إلى المؤخرة نحو أربعة وسبعين قدماً، أما العرض فيبلغ نحو خمسة وعشرون قدماً، ويقدّر العمق بنحو أحد عشر قدماً، وتتراوح حمولتها بين مائة وخمسين طناً إلى أربعمائة طن[3]. وهناك من رأى أنّ حمولتها تصل نحو "500" طن[4]، ولها مؤخّرة مربّعة، وهي ذات شراعين[5]. وتتناقض الروايات حول وجود هذا النوع من السفن. ففي تاريخ عمان البحريّ، لا توجد أدلّة على وجود البغلة أو الغنجة قبل القرن الثالث عشر الهجري، التّاسع عشر للميلاد. بينما نقع في مخطوطة الحريري المودعة بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم 5847 في الورقة 119-ب، والتي رسمها بحسب حوراني[6] في عام (634هـ/1237م)، على أنّ هذا النّوع من السفن كان موجودا في العراق وسواحل الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى، بيد أنة كان ينضوي تحت اسم آخر بسبب ضخامته كاسم المركب[7]، أو السّفن الصينية التي لم يكشف النّقاب عن هويّتها حتى وقتنا الرّاهن. **(انظر الشكلين رقم10 و11)**.

– **الدونينج:** هي سفينة خاصّة بالخليج العربي. وقد ذكرها ابن مجاور في معرض حديثه عن صاحب جزيرة قيس في بحر عمان، وذكر أنّ صاحب جزيرة قيس أوفد في عام (548هـ/1153م) حملة بحريّة لغزو عدن بهدف أخذها من أربابها بني زريع. وقد شاركت في

[1] – ابن بطوطة، *الرحلة*، المصدر السابق، ص173.

[2] – عبد الحكيم غنتاب ، *دور البصرة التجاري*، المرجع السابق، ص 220.

[3] – شوقي، *تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية*، المرجع السابق، ص139.

[4] – *عمان وتاريخها البحري*، المرجع السابق، ص 118.

[5] – الألوسي، عادل محي الدين، *تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا حتى القرن الرابع الهجري*، الحرية للطباعة، بغداد، 1983م، ص120.

[6] – حوراني، *العرب و الملاحة في المحيط الهندي*، المرجع السابق، ص 334.

[7] – يورد ابن منظور، أن المركب هو الدابة، والجمع مراكب...ويقال أن المركب الموضع. وفي حديث الساعة لو نتج رجل مهرا لم يركبه حتى تقوم الساعة: ويقال راكب المهر فهو مركب بكسر الكاف إذا حان له أن يركب، والمركب واحد مراكب البحر، وركاب السّفينة التي يركبونها وكذلك ركّاب الماء، والعرب تسمى من يركب السّفينة، ركاب السّفينة، وقد جعل ابن أحمر ركاب السفينة ركبانا، فقال : بهل بالفرقد ركبانا كما يهل الراكب المعتمّر، يعنى قوما ركبوا السفينة فغمّت السماء، ولم يهتدوا، *لسان العرب*، ج298/5.

الحملة عدّة مراكب مثل " البومات، والنارنجيات، والنهابيق والدونينج"[1]. غير أنّنا لم نجد إشارة عن مقاييس تلك السّفن أو أحجامها. ولعلّه من الجائز أن نعتقد، بأن "الدونينج" لها أحجام مختلفة تستخدم حسب الحاجة إليها. وكانت السفن العابرة للمحيط تحمل فوق ظهرها مراكب صغيرة، ويبدو من إشارة بزرك في القرن الرّابع الهجري، أنّ المراكب المحمولة على ظهور السفن من نوعين، كان القارب هو أكبر حجما فيها، إذ أنّه حُمِل في القارب ذات مرة خمسة عشر رجلاً مقابل أربعة في الدونينج[2]. كما يروى أنّ القارب يحمل فيه المسافرون و الأمتعة من الساحل إلى المراكب الكبيرة الرّاسية في عرض البحر[3]. ويمكن تزويده عند الضرورة بصار وشراع[4]. ويستعمل عند الحاجة للملاحة على السواحل وكذلك للنجاة.

- **الرمث:** قال ابن منظور[5] "الرمث خشب يشدّ بعضه إلى بعض كالطرف ثم يركب عليه في البحر"[6]. ويستخدم هذا النوع من السفن في الساحل العماني خصوصاً في صيد الأسماك. وكان أهل سقطرى يستخدمونه في رحلاتهم إلى مسقط وساحل الباطنة. وهو يصنع من ثلاثة جذوع تتراوح أطوالها بين ستة وسبعة أقدام تشدّ بالحبال، وكان الجذع الأوسط أطولها[7]. ويتحرّك "الرمث" بمجداف مزدوج. ويعتبر من المراكب التي تبنى في السواحل الهنديّة والسواحل الشرقية لأفريقيا[8].

- **المشعيات:** هي ضرب من سفن الخليج العربي التي وردت في نزهة المشتاق للإدريسي حين يتكلّم عن صاحب جزيرة قيس فيقول : "وصاحب جزيرة قيس يغزو بلاد الهند

---

1 – ابن مجاور، ***تاريخ المستبصر***، المصدر السابق، ص124. لعل كلمة "دو" مأخوذة من اللغة السواحلية وهي "diu" ومعناه السفينة.

2 – بزرك، ***عجائب الهند***، المصدر السابق، ص 87. يورد ياقوت أن صاحب جزيرة قيس في بحر عمان له دوانيج وسفن كثيرة وكان يرهب بها ملوك الهند، ياقوت، ***معجم البلدان***، ج108/4.

3 – بزرك، ***عجائب الهند***،المصدر السابق، ص61.

4 – بزرك، المصدر نفسه، ص74.

5 – ***لسان العرب***، المصدر السابق، ج308/5.

6 – يقول أبو صخر الهذلي، واصفاً الرمث "تمنيت من حبي لعلية...أننا على رمث في الشرم ليس لنا وفد" ويقال أن الشرم هو موضع في البحر، أمّا جمع الرمث أرماث، ***لسان العرب***، ج308/5.

7 – شوقي، ***تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية***، المرجع السابق، ص 149.

8 – ***عمان وتاريخها البحري***، المرجع السابق، ص153، ماهر، ***البحرية في مصر الإسلامية***، ص345.

بالمراكب المسماة بالمشعيات[1] يكون طول المركب منها طول الغراب[2] وهي من عود واحد يجدف فيه مائة رجل... وأخبر مخبر أنّه عند صاحب جزيرة قيس منها "50" مركباً[3]، وأنّها تعتبر من عجائب الدنيا، والمركب منها منحوت من خشبة واحدة ويتّسع إلى "50" رجلا[4]. وكانت تستخدم في جزرالديبجات في بلاد الهند، وكان طول الواحدة منها ستّين ذراعاً[5].

– **البوصي:** هو ضرب من السفن، وكلمة "بوصي" لفظ فارسي معرّب أصله بوزي[6] وهي من سفن الخليج العربي ذات الأحجام الكبيرة. وقد ركب فيها ناصر خسرو أثناء رحلته من الأبله إلى عبدان[7].

– **الغنجة:** العربية هي من أصل هندي وسمّيت باسم (غنجاGanga) أو جنجا وهو النّهر المقدّس لدى الهندوس المعروف اليوم بالكانج. وهي من السفن العمانية التي تجوب المحيط الهندي8، حيث تتراوح حمولتها بين 130 و300 طناً. أما طولها فيتراوح بين 75 و 120 قدماً، وهي شبيهة بالبغلة[9] ولها مؤخرة مربّعة وممرات خلفية وفتحات وعرضها أقلّ قياساً مقارنة بطولها. وتزوّد بثلاثة صوار كما هو الحال في البغلة، ولها زخرفة عبارة عن نتوء مستدير صغير[10].

– **الجهازي:** مأخوذة من "الجهاز"، وهي كلمة فارسية الأصل بمعنى السفينة[11]، وكان هذا النوع من السفن يستخدم لنقل التجارات الضخمة البعيدة، وتعتبر "الجهازي" من السفن

---

[1] – المشعيات: يورد ابن الوردي أن هذا النوع من السفن اسمه السيفيات، وكان صاحب جزيرة قيس يغزو بها بلاد الهند، ويتفق ابن الوردي مع الادريسي في المهام التي تنفذها تلك السفن. الوردي، سراج الدين أبي حفص عمرو، ***خريدة العجائب وفريدة الغرائب***، بدون تاريخ، ص73.

[2] – الغراب نوع من سفن القرطاجيين والرومان، وهو يستخدم في حوض البحر الأبيض المتوسط. ماهر، ***البحرية في مصر الإسلامية***، ص399.

[3] – الإدريسي، ***نزهة المشتاق، المصدر السابق***، ج157/1.

[4] – الوردي، ***خريدة العجائب وفريدة الغرائب*** المصدر السابق، ص73. الألوسي، ***تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا***، ص120.

[5] – الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ج72/1.

[6] – ***لسان العرب***، المصدر السابق، ج537/1.

[7] – ناصر خسرو، ***سفرنامة***، المصدر السابق، ص168.

[8] – شهاب، ***تاريخ بحرية عمان التقليدية***، المرجع السابق، ص42.

[9] – ***عمان وتاريخها البحري*** ، المرجع السابق، 123.

[10] – شوقي، ***تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية***، المرجع السابق، ص156.

[11] – حوراني، ***العرب و الملاحة في المحيط الهندي***، المرجع السابق، ص338

ذات المؤخرة المربعة[1] مع تعديل مختلف نسبياً في الشكل والزخرفة، وقد جاء ذكر "الجهازي" في كتاب العرب والملاحة في المحيط الهندي[2]. وذكر ابن بطوطة أنه ركبها أثناء رحلته إلى الهند[3].

– **الأهورة:** هي من السّفن التي أخذها عرب الخليج عن الهند بعد الإسلام[4]، وربما كان العمانيّون بحكم اتصالهم التجاري الوثيق مع هذا الإقليم، وبصناعة السفن العمانية التي استوطنت فيه. ويرجح أنهم أخذوا ذلك النّوع من السّفن منذ فترة ما قبل الإسلام، غير أنّ مصادرنا العربية التي جاءت في صدر الإسلام لم تشر إلى ذلك. وتشبه "الأهورة" "الطريدة"[5]، إلاّ أنها أوسع منها وأقصر، وعلى النصف منها معرش من الخشب يصعد له على درج وعليها نحو أربعين رجلاً جذّافا[6].

– **الجاكر:** هي نوع من السفن العربية التي تجوب مياه المحيط الهندي، يقول عنها ابن بطوطة[7]: "ركبنا في مركب إبراهيم الذي يسمّى "الجاكر" وجعلنا فيه من الخيل الهندية سبعين فرسا، وجعلنا باقيها من خيل أصحابنا في مركب آخر". ويضيف قائلا: "وكان ركوبي في مركب وفيه خمسون راميا من المقاتلة الجشان، وهم زعماء هذا البحر، وإذا كان بالمركب أحد منهم تحاماه لصوص الهند وكفّارهم".

ويستشفّ مما ورد في هذين النصين أنّ الجاكر من السفن الكبار التي تستعمل للتجارة، على اعتبار أنّها من القطع البحرية التي تتّسع لعدد كبير من المقاتلين والرماة، حيث جرت العادة على اصطحابهم في السفن التجارية الكبيرة للدفاع عن السّلع المتاجر بها.

– **البارجة:** والجمع بوارج : البارجة هي لفظ معرب للكلمة "بيرة" بالهندية بمعنى السفينة البحرية الكبيرة[8]. وقد ذكرها الطبري في أحداث (865/251م) حين قال: "ولخمس بقين من

---

1 – الألوسي، ، ***تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا***، المرجع السابق، ص122.

2 – حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، المرجع السابق، ص242.

3 – ابن بطوطة، ***الرحلة***، المصدر السابق، ص 340-353.

4 – الألوسي، ***تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا***، المرجع السابق، ص121.

5 – "الطريدة نوع من سفن البحر المتوسط تحمل بالخيل وراكبها" وتستعمل بالإضافة إلى ذلك للأسفار البحرية وهي أيضا من مراكب الأسطول، وعرفت في فترة لاحقة باسم "الشواني" الألوسي، ***تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا***، المرجع السابق، ص121.

6 – ابن بطوطة، ***الرحلة***، المصدر السابق، ص 266 .

7 – ابن بطوطة،***الرحلة***، المصدر السابق، ص269.

8 – الزيات حبيب، *معجم المراكب والسفن في الإسلام*، ***مجلة المشرق 23 كانون الأول 1369-1349م***، ص348.

صفر داخل البصرة عشر سفائن بحرية تسمى البوارج في كل سفينة اشتيام[1] وثلاثة نفاطين ونجّار وخباز وتسعة وثلاثون رجلا من الجذّافين والمقاتلة، فذلك في كل سفينة خمسة وأربعون رجلا"[2]. وهناك نوع من السفن يسمّى الرستوج كان يستخدم في السفر إلى سواحل شرق إفريقيا، ولم تذكر المصادر حجمه[3]. كما أتى الرقيشي[4] على ذكر البارجة "كان البوارج تقع في عمان وتفسد في سواحلها". والبارجة من السفن الحربية الكبيرة بالأساس لكنها تستخدم للنقل التجاري والأسفار البعيدة في أوقات السلم[5]. ولقد وجدت أنواع عدة من السفن العمانيّة والسيرافيّة التي تميّزت بكبر حجمها، وعرفت عند الجغرافيّين العرب بأسماء السفن الصينية. وورد ذكرها في العديد من المصادر. ولقد أثارت هويتها جدلاً واسع النّطاق لدى جلّ الباحثين المحدثين، ومجمل هذه التساؤلات متمحور حول ما إذا كانت سفنا صينيّة الأصل، أم أنّ تسميتها جاءت على سبيل الاستعارة كونها تتاجر مع بلاد الصين؟.

كانت هذه السفن تجوب مياه الخليج وتصل إلى سيراف فيعبّأ المتاع فيها من البصرة وعمان[6]. ولقد رفض "Hirth" فكرة وصول سفن الصين إلى موانئ الخليج العربي في القرون الإسلامية الأولى. إذ يرى أنّ عدن وسيراف لم تكونا معروفتين لدى الصينيّين، ولم تصل إليهما السفن الصينية حتى أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد[7].

ويستند في تعليله هذا إلي الإجراء الذي كانت تقوم به الحكومة الصينية، وهو تسجيل ربابنة السفن التجارية في دفاتر التجارة البحرية "بخانفو"، مما يعني أن ربابنة تلك السفن لم يكونوا من بلاد الصين[8]، وقد انضمّ جورج حوراني إلى هذه الفكرة بعد مناقشته لروايات عدّة، على أنّ سفن الصين لم تصل السواحل العربية قبل الإسلام، ويعتقد أنّ وصولها تحقق

---

[1] - يشار إلى أن كلمة الاشتيام، تعنى رئيس المراكب أو الربان، ذكرها البحتري في معلقته، التي قال فيها: إذا زمجر يغضون دون الاشتيام عيونهم، وفوق السّماط للعظيم المؤمّر. ماهر، ***البحرية في مصر الإسلامية***، ص273.

[2] - الطبري، ***تاريخ الرسل والملوك***، المصدر السابق، ج1995/5م.

[3] - ابن الفقيه الهمذاني، ***مختصركتاب البلدان***، المصدر السابق، ص270.

[4] - الرقيشي، ***مصباح الظلام وشرح دعائم الإسلام***، مخطوطة، المصدر السابق، ص121.

[5] - الألوسي، ***تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا***، المرجع السابق، ص121.

[6] - السيرافي، ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص24.

[7] - Hirth Fr and Rockhill , W. Chau ju kua on *the Chinese and Arab trade in the Twelfth and Thirteenth centuries*, Amsterdam oriental Press, 1966. .p.15. Basil Davidson, *The lost cities of Africa*,USA ,1959. p. 183-184.

[8] - . *Chau ju kua*, op. Cit .p.9

بعد عدة قرون من ظهور الإسلام[1]. و هو مع ذلك لا يرفض وجود علاقات تجاريّة بين العرب والصينيين في تلك الأزمنة، ويرى أنّ الإشارة هي للسّفن العربية التي تتعامل بالتجارة مع الصين[2]، وهو ما يعني أنّ تلك السفن لم تكن وصلت حتى ذلك الوقت إلى السواحل العربية. ويعلّل أن السّفن المزعومة بالسّفن الصينية، ربما تكون قد بنيت في الصين[3]. غير أنّ مصادرنا العربية تعارض هذه الفكرة، فتتحدث عن وصول سفن صينية إلى السواحل العربية قبل هذا التاريخ بأزمنة كثيرة. كما تؤكّد وجود صلات تجاريّة متينة بين عرب الخليج والصينيّين منذ زمن مبكّر. وكانت رحلة التّاجر العماني الأباضي أبو عبيدة (141هـ/758م) خير دليل على ذلك. وهي تبيّن العلاقة العريقة بين عمان والصين. ويؤكد السيرافي في رحلته بحدود سنة 237هـ/851م، أنّ سفن الصين كانت ترسو في سيراف وتعبّأ بالسّلع المنقولة إليها من عمان والبصرة وغيرها على متن سفن أصغر حجماً[4]. ويصف لنا الجغرافي العربي المسعودي، الذي كان شاهد عيان في القرن الرابع الهجري/العاشر للميلاد مراكب الصين فقال: "كانت تلتقي بمراكب المسلمين في كلة بار، وهي منتصف المسافة بين عمان وبلاد الصين، ولكن قبل ذلك الزّمان كانت مراكب الصين تأتي إلى عمان وسيراف، وساحل فارس والبحرين، والأبلة، والبصرة"[5]. فهل كان ذلك قبل الإسلام؟ أم في الفترة الإسلامية أي قبل أحداث كانتون 264هـ/877م التي منع فيها الأجانب الذين لم ينلهم القتل من العودة إلى الصّين[6] بعد الرحيل عنها؟ وهل طال هذا الإجراء التّجار والملاحين الصينيين وحال دون رحيلهم إلى البلاد العربية؟

فيما يتعلق بفترة ما قبل الإسلام، يرى بدر الدين الصيني في كتابه العلاقات بين العرب والصّين، أنّ علاقة الصين بالعرب لم تكن وليدة عصر الإسلام، بل كانت قائمة منذ قرون سبقت ذلك، غير أنّ عراها لم تتوثّق كما هو الحال في زمن الإسلام[7]. ويستند في إشارته تلك إلى الوثائق الصينية التي دوّنت تاريخ الصين القديم. على أنّ تلك الوثائق

[1] – حوراني، *العرب والملاحة في المحيط الهندي* ، المرجع السابق، ص 111-114.
[2] – حوراني، المرجع نفسه، ص222.
[3] – حوراني، المرجع نفسه ص195 .
[4] – السيرافي، *رحلة السيرافي*، المصدر السابق، ص24 .
[5] – المسعودي، ، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، المصدر السابق، ج105/1.
[6] – حوراني، *العرب والملاحة في المحيط الهندي*، المرجع السابق، ص225.
[7] – الصيني، بدر الدين، *العلاقات بين العرب والصين*، ط1، مكتبة النهضة المصرية، 1950م، ص8.

تخص في جانب هام منها العلاقات بين الصين والبلاد العربية في زمن "الإمبراطور ووتي" في عام 122ق.م، عندما بعث أحد أمرائه العظام المعروف باسم "يانغ جيانغ" إلى البلاد العربية، بحيث فتحت هذه الزيارة باباً جديداً نحو علاقات وطيدة مع بلاد العرب منذ ذلك الزّمن[1]. وقد استمرّ تدفق القوافل التجارية نحو العراق وإيران في إطار التبادل التجاريّ بين العرب وبلاد الصين، وكانت تستورد الخيول من الخليج العربي وإيران، وهي من أثمن البضائع المستوردة لدى الصينيين[2]، و اكتسبت شهرة أكثر من غيرها. ومن أهمّ المدن العربية التي تعامل معها الصّينيون في حوض البحر المتوسط والبحر الأحمر" الإسكندرية"ومنطقة الشّام. وكان التّاجر الصيني يحمل معه من بلاد العرب، الذّهب والفضة والعنبر والعقيق، واللؤلؤ الأحمر، والمرجان، ثم المنسوجات القطنية ذات الصناعة الرومانية[3]. وهذا دليل قاطع على رسوخ علاقات الصينيين بالعرب منذ عصور ما قبل الإسلام. أما في الفترة الإسلامية، فقد أقيمت علاقات وطيدة بين الصينيين والعمانيّين، والعرب بصفة عامة منذ عهد بني أميّة[4]. وقد توثقت عراها على مدى القرون الإسلامية الأولى.

ولقد حصّل التّجار العمانيّون وتجار الخليج العربي من مالكي السّفن في إطار التبادل مع الصين آنذاك، أموالا طائلة. حيث سلكوا سبل التستّر والتعتيم عن أخبار تجارتهم وأحوالها سواء في الخليج العربي، أوفي باقي البلاد العربية التي تعاملوا معها في حوض البحر المتوسط والبحر الأحمر. بل إنهم احتكروا التجارة مع تلك الجهات دون سواهم[5]. و هو ما يبرر، أنّ العلاقات بين عمان والصّين امتدت جذورها إلى زمن الإسلام. فهل كانت السفن المسماة بـ"السفن الصينية" هي على ملك المسلمين وظلّت تنقل التجارة بين العرب والصين؟

من المرجّح أن ما أوردته المصادر بتسمية السفن التجارية الواردة إلى الخليج العربي بـ "السفن الصينية"، هو أن تلك السفن لم تكن صينية الجنسية. وإنما اكتسبت الاسم

---

[1] – الصيني، ، *العلاقات بين العرب والصين*، المرجع السابق ، ص9.

[2] – الصيني، المرجع نفسه، ص10.

[3] – الصيني، ا المرجع نفسه، ص14.

[4] – الصيني، ***العلاقات بين العرب والصين***، المرجع السابق ، ص182.

[5] – الصيني، ***العلاقات بين العرب والصين***، المرجع السابق، ص15

لأمرين، أما الأول، فإن السفن المزعومة كما أشرنا سابقا بسفن الصيّن، ربما تكون سفنا عربية بنيت في الصين[1]. وهو ما أكده بعض الباحثين من أن صانع سفن صيني اسمه "يانغ سو" كان يبني سفنا ذات خمسة طوابق واسعة وعميقة مساحتها تصل إلى ستمائة قدم في الطول ومائة في العرض، وكان البحّارة يصعدون إليها على سلالم تبلغ عشرة أقدام[2]. وقد اشتركت هذه السفن في نقل التجارة بمنطقة الخليج طيلة الفترة الإسلامية قيد البحث. وهو أمر قد أكّده ابن بطوطة و سنشير إليه لاحقا.

وأما الأمر الثاني، فربّما اكتسبت هذه السفن تسميتها من المكان الذاهبة إليه باعتبارها تنقل التجارة من الصين إلى الدول العربية والعكس، أو بمعنى أدقّ أنّها مخصّصة لنقل تجارة الصين[3]. ويروى أنّ هذه السفن قد تميّزت بكبر حجمها[4] إذ تبلغ حمولتها نحو ألف ومائتي رجل[5] بحيث يمكنها أن تحمل ما تحتاجه السّفرات الطويلة المحفوفة بالمخاطر وأهوال البحر، بالإضافة إلى السّلع التي تدرّ أرباحا مجدية لأولئك البحارة[6]. وهي تعتبر أكبر سفن بلاد الشرق، حيث يصعب عليها اجتياز مضايق الخليج العربيّ الذي تجتازه غيرها من السفن. وكان ما يؤخذ منها من موانئ مليبار يبلغ نحو عشرة أضعاف ما يؤخذ من غيرها. وكانت ضخامتها تثير عجب أهل خانفو "كانتون" إذ يصل علوها عن سطح الماء نحو عشرة أقدام، مما يدفع لاستخدام السّلالم أثناء الصّعود إليها والوصول إلى

---

[1] - شوقي عثمان، ***تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية***، المرجع السابق، ص134.

[2] - حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، المرجع السابق، ص222 .

[3] - يورد ابن بطوطة أن السفن المسماة سفن الصين، هي ثلاثة أصناف، الكبار منها تسمى "الجنوك" واحدها "جنك"والمتوسطة تسمى "الزو" والصغار تسمى "الكلم" ويكون للمركب منها اثنا عشر قلعاً وما دونها ثلاثة، وقلعها من قضبان الخيزان منسوجة كما الحصر، ويخدم في المركب ألف رجل منهم بحرية ستمائة ومنهم أربع مائة من المقاتلة والربان.. ولما حان السفر إلى الصين جهز له السلطان السامر جنكا من الجنوك الراسية بمرسى قاليقوط، وكان وكيل الجنك يسمى سليمان الصندي الشامي وكانت بينه وبين ابن بطوطة معرفة، فطلب منه مصرية (غرفة بالمركب) وقال له: تجار الصين أكثروا من اكتراء المصاري ذاهبين وراجعين. ابن بطوطة، ***الرحلة***، المصدر السابق، ص366-377.

[4] - بزرك، ***عجائب الهند***، المصدر السابق، ص165.

[5] - *Chau ju kua*, op. Cit p.33.

[6] - حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، المرجع السابق، ص222-224.

سطحها[1]، وكان إبحار هذه السفن في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلاد، على السّاحل بين ميناء كويلون "Cuilon" في غرب الهند إلى ميناء كانتون في شرق الصين[2].

2- الصواري والأشرعة

الصاري هو الدقل أو الدقول وتسميته البحرية الصاري وهو "سهم السفينة"[3]. وكان يصنع من جذوع "النخيل" قبل أن يستبدل بشجر جوز الهند أو خشب السّاج و يركب على بعض السفن صار واحدٌ، يسمّيه البحارة أحيانا العقل الأكبر. ومع تطوّر الملاحة وتعدّد المغامرات البحرية، تمّ تزويد السّفن بأكثر من صار. وكان الصاري يركب على السفينة بحيث يتناسب مع الطّول[4] ويصل طول بعضها نحو خمسين ذراعا، أي ما يعادل ستة وسبعين قدما[5].

أمّا الأشرعة، فكانت تسمّى القلاع أو قلع السفن. وتنسج القلاع عادة من "خوص" جوز الهند أو ورقه [6]، و أحيانا من سعف النّخيل، أو القطن في بعض الأحيان[7]. ولقد اختصّت السّفن العربيّة بخاصية الشّراع المثلّث لسهولة ثنيه من المقدمة والمؤخّرة، وكان هذا النوع مستخدما منذ بداية العصور الإسلامية الأولى أو قبل ذلك[8]. إذ لم تجدْ مصادرنا بالإشارة إلى مرجعه أو أصله.

ولقد استعمل ملاحو البحر المتوسط على سفنهم الشراع المربّع، وهو الشكل السائد عندهم حينذاك، ثم استعمله الهنود في القرن السابع الميلادي على سفنهم[9]. ويرى حوراني[10] أنّ الشراع المربّع كان هو السائد في العالم القديم، وفي جميع أرجاء البحر المتوسط. كما استعمله المصريون والفينيقيون واليونان والرومان على سفنهم. وفي

---

1 - *Chau ju kua*, op. Cit p.9.

2 - Huzzyyen, *Arabia and the far East* ,Cairo, 1942 .p.143.

3 – ***لسان العرب***، المصدر السابق، ج4/380.

4 – حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، المرجع السابق، ص264.

5 – بزرك، ***عجائب الهند***، المصدر السابق، ص53.

6 – السيرافي، ***رحلة السيراف***، المصدر السابق، ص86 .

7 – ***عمان وتاريخها البحري*** ، المرجع السابق، ص162.

8 – أنور عبد العليم، ***الملاحة وعلوم البحار عند العرب***، عالم المعرفة، الكويت، 1979م، ص86.

9 – ***عمان وتاريخها البحري***، المرجع السابق، ص113، أنور عبد العليم، ***الملاحة وعلوم البحار عند العرب*** ، ص86.

10 – حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، المرجع السابق، ص266.

العصرين الهليني والروماني كان الشراع يشدّ بصارٍ صغير مائلٍ في مقدمة السفينة. والشراع المربّع يضمن الرسوخ والاستقرار للسّفن الكبيرة خصوصاً في البحار الصاخبة[1]، إلا أنّه يصعب التّحكم به إذا ما كانت الرّياح معاكسة.

لقد جرت محاولة ناجحة لتكييف الشراع المربّع كي يتناسب مع الاتجاهات المعاكسة للرّياح، وهي أسهل طريقة لتركيب شراع مربّع بحيث يمتدّ من مقدمة السفينة إلى مؤخّرتها، وحين يتمّ خفضه قليلا عند المقدمة يوفرطاقة جذب أكبر ويزيد من حفظ التوازن عند مصارعة المدّ للرياح العاتية[2]. ويمكن تقصير الجزء الأمامي من الشراع بحيث يرتفع قليلا نحو مؤخّرة السفينة ليأخذ قسطا أوفر من الرّياح[3]. وهذه الأشرعة بأنواعها المختلفة وطرق تركيبها كانت سائدة في الهند الصينية، ولعلّ الفكرة انتقلت من هناك إلى العالم العربي.

لقد أصبح اختراع الشراع المثلث أمرا بالغ الأهمية للملاحة البحرية، حيث أطلقت عليه تسمية الشراع العربي المثلث، وكان يمتاز أثناء الإبحار بالقدرة على استقبال الرياح بشكل أكبر، ويرجع ذلك لسهولة تقصير مقدمته ورفع مؤخرته حتى يزداد الامتداد الخلفي.[4]

ويعدّ الشراع العربي المثلث جهازاً مميزا، وقد تمّ إنشاؤه نتيجة تطوير الشراع المربّع، و الشراع المثلث بعد تطويره أقرب ما يكون مربّع الأضلاع، بحيث تبلغ نسبة ثنيه من جهة الأمام نسبة إلى الامتداد الخلفيّ نحو(6.1%). ويرجّح أنّه تمّ تطوير هذا النّوع من الأشرعة قبل الإسلام في الخليج العربي وفي البحر الأحمر، بحيث يمكن للسفن أن تسير بشكل أفضل مع الرياح أثناء تركيب الشراع المثلث عليها[5].

أما الشراع المثلث الكامل، فمن المحتمل أن اليونانيّين الذين استوطنوا شرق البحر المتوسط، هم الذين قاموا بتعديله قبل عام (287هـ/900م). وبهذا التعديل أصبح شراعا

---

[1] – أنورعبد العليم، ***الملاحة وعلوم البحار عند العرب*** ، المرجع السابق، ص86.

[2] – شوقي عثمان، ***تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية***، المرجع السابق، ص126.

[3] – حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، المرجع السابق، ص127.

[4] – شوقي عثمان، ***تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية***، المرجع السابق، ص127.

[5] – ***عمان وتاريخها البحري*** ، المرجع السابق، ص114.

مثلثا تماما[1]. كما قاموا بتصميم الجزء الأمامي للمركب بشكل مدبّب[2]، وهي تعديلات ربما حدثت بعد الفتح الإسلامي[3]. **(انظر الشكل رقم 12).**

II- طرق الملاحّة في المحيط الهندي

قبل الخوض في غمار الطريق الملاحي الذي سلكه الملاحــون العمــانيّون وعــرب الخليج في رحلاتهم نحو بلاد المحيط الهندي- انطلاقا من مواني الخليج العربي، كالبصرة والأبله وسيراف، إلى جانب صحار ومسقط وهما الميناءان الهامّان في إعادة تصدير السّلع إلى مختلف بقاع العالم في العصور الإسلامية- يجدر بنا أن نشير أوّلاً إلى نوعية الرّيــاح التــي كانت تدفع السفن التجاريّة المحمّلة بالسّلع الثّمينة في عرض البحر، وهي تجــوب البحــار إلــى وجهاتها النهائية.

لقد تميّزت تيارات المحيط الهندي بأهمية خاصة من حيث تأثيراتها، فتيّارات القسم الــشمالي منه حين تصل إلى السواحل الشرقية، يسود هبوب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية[4] مــن شــهر نوفمبر إلى شهر إيريل من كل عام. وعندئذ تجري التيّارات البحرية في كل من خلــيج البنغــال، والبحر العربي، بعكس حركة دوران عقارب الساعة، غير أنّ جريانها يكون من الجنوب لــدائرة عرض جزيرة سرنديب "سيلان". كما يوجد تيّار آخر استوائي راجع يجري في فصل الشتاء نحــو الشرق، ويختفي في فصل الصيف[5]. وترتبط مواسم السفر في المحــيط الهنــدي ارتباطــاً تامــاً بمواعيد تلك الرياح. وقد أورد الجغرافي العربي المسعودي حقيقة هذا الأمر بقوله: "ولكــل مــن يركب هذه البحار من الناس رياح يعرفونها في أوقات تكون فيها مهابّها، وقد علموا ذلك بالعادات

---

[1] - شوقي عثمان، ***تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية***، المرجع السابق، ص27.

[2] - ***عمان وتاريخها البحري*** ، المرجع السابق، ص114.

[3] - ***عمان وتاريخها البحري***، المرجع نفسه، ص114.

[4] - يتبع البحارة أثناء رحلاتهم في المحيط الهندي، الرياح الموسمية الجنوبية الغربية للوصول إلى الهند والــصين والرياح الموسمية الشمالية الشرقية للوصول إلى ساحل الجزيرة العربية، ثم إلى الساحل الإفريقي، وقد عبــر البحارة في أسفارهم البحرية عن الرياح التي تهب من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي شتاء باسم "الصبا" والتي تهب من الجنوب إلى الشمال الشرقي صيفا "بالدبور" ويورد ذلك في بيتان من الشعر هما :

مهب الصبا من مطلع الشمس مائل * إلى الجدي والشمال حق مغيبها

وبين ســــــهيل والمغيب تخفقت * دبورا ومطلعها إليه جنـــــوبها.

أنور عبد العليم، ***الملاحة وعلوم البحار عند العرب*** ، المرجع السابق، ص159.

[5] - جودة حسين، ***جغرافية البحار والمحيطات***، المرجع السابق، ص204-205

وطول التجارب، يتوارثون ذلك قولا وعملا ولها دلائل وعلامات يعلمون بها إبّان هيجانه وثورانه وأحوال ركوبه "[1].

وكان على من فاته الإبحار في موعد الرياح المناسبة أن ينتظر إلى موعدها في العام القادم[2]. ولا تخلو الملاحة البحرية من بعض الصّعاب في السواحل الشرقية لجزيرة العرب، إلا أنّها ممكنة طوال العام. ويشار ضمنا أنّ الإبحار إلى بحر فارس يتعرّض لبعض الصّعاب خصوصاً حين دخول الشمس في برج السنبلة وقرب الاستواء الخريفي، فتكثر أمواجه بشكل يومي إلى أن تصير الشمس في برج الحوت، ويشتدّ الموج في آخر الخريف حين تكون الشمس في برج القوس، ثم يبدأ الهدوء تدريجيا حين تعود الشمس إلى الجوزاء.

أمّا الإبحار من عمان إلى سيراف التي تقع على بعد مائتي فرسخ فممكن طوال السنة[3]. وكذلك فإنّ الملاحة في البحر الأحمر والخليج البربري وخليج عدن منتظمة طوال العام، حيث لم يكن الإبحار فيها مرتبطاً بمواسم معيّنة. وينطبق ذلك على الملاحة في السواحل العمانيّة والهند، حيث كانت السفن التجارية تقطع رحلاتها كلها بمحاذاة السواحل العمانيّة[4]، باعتبار أن ربابنتها على دراية بمواضع هذه السواحل، ويسترشدون في الليل بالنجوم وفي النهار بالشمس. وحين تكون السماء مغيمة، فإنهم ينظرون إلى الإبرة المتّجهة جنوباً أو يستخدمون حبلاً طوله مائة قدم، مزوّد بخطاف يرفعون بواسطته قدراً من طين قاع البحر، ويستنشقونه لمعرفة أمكنتهم[5].

لقد تمكّن الإنسان العماني الملاح بفضل ثقافته الملاحية وعلومها أن يمدّ هيمنته الملاحية إلى نواح عديدة من البقاع ذات الصلة بالتجارة. وفي هذا الصدد سنستعرض طرق الملاحة نحو الهند والصين التي كانت نقطة بدايتها الموانئ الخليجية. **(انظر الشكل رقم13).**

1- طرق الملاحة إلى الهند والسند

لقد تجلّت طرق الملاحة البحرية نحو المحيط الهندي في المصادر العربية. فأفادت أنّ سفن الرحلات الضخمة تتوقف في سيراف عند مدخل الخليج العربي لكثرة الأمواج، وقلة

---

1 - المسعودي، مروج *الذهب ومعادن الجوهر*، المصدر السابق، ج85/1.

2 - حوراني، *العرب والملاحة في المحيط الهندي*، المرجع السابق، ص217

3 - المسعودي، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، المصدر السابق، ج111/1. ابن الفقيه، *مختصركتاب البلدان*، ص14.

4 - حوراني، *العرب والملاحة في المحيط الهندي*، المرجع السابق، ص74.

5 - *Chau ju kua*,.op.cit. p.324 .

الماء في مواضع منه[1]. وقد أشرنا في موضع سابق إلى أنه ينقل إليها المتاع من عمان والبصرة على سفن أصغر حجما، ثم تعاود الإبحار نحو المحيط الهندي[2]، بعد أن تستعذب الماء وتتزوّد بالمؤن. فيكون أمامها طريقان يوصلانها إلى أوّل محطة في إقليم الهند وهي كولوملي بساحل مليبار. وكان الطريق الأول هو الذي الأكثر ارتيادا للسفن الإسلامية باعتباره طريقاً مختصراً. وهو الطريق البحري الغربي للخليج العربي الذي يمرّ عبر السواحل العمانيّة، حيث تبدأ الرحلة من سيراف في "سبتمبر أو أكتوبر"، أي قبيل اشتداد الرياح العاصفة بالخليج العربي، فتبحر السفينة من سيراف نحو مسقط في مسافة تقدر بنحو مائتي فرسخ، وتمرّ أثناء إبحارها بموضع يسمّى الدردور[3] "، وهو مضيق بين جبلين تسلكه السّفن الصغار ولا تسلكه السفن الصينية وفيه جبل كسير وعوير[4]. فإذا ما جاوزت الجبال وصلت إلى صحار، ثم تعرّج منها إلى مسقط فتتزود منها بالماء والمؤن، ثم تبحر في رحلة مباشرة إلى كولوملي أي "كويلون الحالية"[5] مستعينة بالرياح الموسمية الشمالية الشرقية. وتقدّر المسافة من مسقط إلى كولوملي بنحو شهر إذا ما اعتدلت الرّيح[6]. وتوجد في كولوملي "مسلحة تجبي السفن، فيؤخذ من السفن الصينية ألف درهم ومن غيرها

---

[1] – يورد الاصطخري، توضيحاً للأماكن الضحلة في الخليج العربي فيقول : "وفي هذا البحر (أي الخليج) هوارات كثيرة، ومعاطف صعبة أشهرها ما بين جنابة والبصرة وهو مكان يسمى هورجنابه، وهذا المكان مخوف لا تكاد تسلم منه سفينة خصوصا عند هيجان البحر. الاصطخري، ***مسالك الممالك***، المصدر السابق، ص32 .ولقد عولجت مسالة تعرض السفن للارتطام أو الجنوح والكسر أثناء إبحارها في الأماكن الضحلة بالخليج العربي، بوضع أخشاب كمنارة لهدايتها، فيذكر لنا ناصر خسرو ذلك بالقول"وضعت أربعة أعمدة كبيرة من خشب السّاج على هيئة منجنيق وهو مربع قاعدته متسعة وقمته ضيقة، ويرتفع نحو أربعين ذراعا وعلى قمته حجارة وقرميد. وكان الغرض منه شيئين أولهما: إذا بلغت السفينة في الأماكن الضحلة ارتطمت بالأرض، ففي البرج حراس يشعلون سراجاً بالليل حتى يراه الملاحون من بعيد فيحتاطون وثانيهما: ليعرف الملاحون الاتجاه ويحتاطون القرصان. ناصر خسرو، ***سفرنامة***، ص169. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص26.

[2] – السيرافي، ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص24. ابن الفقيه، ***مختصركتاب البلدان***، المصدر السابق، ص14.المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج79/1.

[3] – يسمى الدردور (مسندم) وهو في لغة البحريين دوامة البحر، ويقال لججو أي وقعوا في الدردور، حسن شهاب، ***تاريخ بحرية عمان التقليدية***، المرجع السابق، ص131.

[4] – كسير وعوير، هي جزر في عرض المحيط الهندي بالقرب من مسندم، وقد سميت في فترة لاحقة بـ(جزر سلامة وبناتها) وهي دوامة بحرية خطرة، وكان على البحارة معرفة موضع الدوامة قبل الوصول إليها لتجنيب سفنهم خطرها. شهاب، ***تاريخ بحرية عمان التقليدية***، المرجع السابق، ص13.

[5] – Huzzyyen, *Arabia and the far East*, P.143.

[6] – *Chau ju kua*, op.cit.p.15. السيرافي، *رحلة السيرافي*، المصدر السابق، ص29 .

عشرة دنانير إلى عشرين ديناراً[1]. وبعد أن تستعذب الماء تسير السفن من كولوملي "حسب سليمان التاجر"[2] إلى ميناء آخر على الجنوب يسميه "ابن خرداذبه"[3] "بلين"، ويفترق الطريق إلى فرعين يمرّ أحدهما إلى طريق الصين وهو الطريق الذي سلكه "سليمان التاجر" حيث يدور التجار بسفنهم حول رأس كوموريون "camp of Comarion;" ثم يتجهوا إلى مضيق بالك "Striait Palk" بين رأس الهند الجنوبي[4] وسرنديب[5]. وكان ذلك يتمّ في النصف الثاني من نوفمبر إلى النصف الثاني من ديسمبر، وعندئذ تضطر السفن للتوقف برهة من الزمن في كولوملي حتى تصير عواصف الرياح الشمالية الشرقية في خليج البنغال أقل حدة، وذلك مع نهاية ديسمبر[6]. وبعدها تجوب السفن خليج البنغال وهو الفاصل بين كولوملي وبحر هركند، وتستغرق الرحلة فيه نحوا من الشهر. فإذا جاوزه البحارة صاروا إلى ميناء كله بار[7] وهي متيامنة عن بلاد الهند. ثم تبحر السفن إلى موضع يقال له " تيومة" وبها ماء عذب، ومنها تسيرعبر مضيق "ملقا" مستعينة بالرياح الموسمية الشمالية الشرقية[8]، ثم تعرج على موضع يقال له كدرنج، تستغرق الرحلة إليه من "تيومة" نحو عشرة أيام. وبعد أن تستعذب السفن الماء، تبحر إلى موضع يقال له الصنف في رحلة تستغرق عشرة أيام، ثم تبحر منها إلى جزيرة صندرفولات في زمن قدره عشرة أيام، وبعد أن تستعذب الماء تسير نحو بحر صنجي[9] وفي بحر صنجي جزيرة كبيرة ترسو السفن بها فينزل التجار والبحارة للاستجمام، و تعتبر هذه الجزيرة أولى بوابات الصين[10].

---

[1] – السيرافي ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص26 .

[2] – السيرافي، ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص27.

[3] – ابن خرداذبه، ***المسالك والممالك، المصدر السابق***، ص63.

[4] – Huzzyyen, *Arabia and the far East,*, op. cit. p. 144.

[5] – سرنديب "هي مدينة عظيمة على بحر هوكند وبها جبل الراهون الذي نزل عليه سيد آدم (ع). ياقوت، ***معجم البلدان***، ج42/1.

[6] – شوقي **عثمان** ***تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية***، المرجع السابق، ص91.

[7] – كله بار، فرضة بالهند، تقع منتصف الطريق بين عمان والصين، وموقعها في طرف خط الاستواء، ولقد حظيت بأهمية في الفترة الإسلامية، فهي غالبا ما تكون نهاية المطاف لمراكب العمانيّين والسيرافيّين، فتتبادل معها التجارة دونما الحاجة الإبحار إلى المواني الصينية. المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج105/1.

[8] – أنور عبد العليم، ***الملاحة وعلوم البحار عند العرب***، المرجع السابق، ص71. السيرافي، ***رحلة السيرافي***، ص28. ابن خرداذبه، ص67.

[9] – السيرافي، ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص29. ابن الفقيه، ***مختصركتاب البلدان***، المصدر السابق، ص115.

[10] – شيخ الربوة، ***كتاب نخبة الدهر***، المصدر السابق، ص154.

أما الطريق الآخر الذي يخرج من الموانئ الخليجية نحو "كولوملي" فيسير بمحاذاة الساحل الشرقي للخليج العربي، حتى يصل المليبار. وقد وصف ابن خرداذبه هذا الطريق بأنّه يبدأ من البصرة إلى جزيرة خارك "540 فرسخا" ومنها تبحر إلى جزيرة "لاوان" والمسافة إليها نحو "80 فرسخا"، ثم إلى جزيرة أبرون "8 فراسخ" وتواصل رحلتها إلى جزيرة "حنين" ثم إلى جزيرة قيس "كيش" ومن جزيرة "كيش" إلى كاوان، ومنها تعبر في رحلة تستغرق نحو سبعة أيام حتى تصل إلى "تارا" ثم إلى الديبل، وهي أكبر موانى السند قاطبة، وتتواصل الرّحلة إلى مهران"مصب السند" ومن مهران إلى "أوتكين" نحو أربعة أيام، ومنها تبحر إلى كولوملي ثم إلى سندان حتى تلتقي الطريق الأول الذي يخرج من الموانى العمانيّة نحو كولوملي[1]، غير أن الرحلة عبر هذا الطريق تكون طويلة نسبيا مقارنة بالطريق الأول وتحتاج إلى زمن إضافي يزيد على الشهر تقريبا.

2- طرق الملاحة إلى الصين

عندما تنطلق السفن من ميناء كله بار الآنف الذكر، كان بعضها يبحر نحو سومطرة وجاوة، على أن الجزء المتبقي من الطريق نحو الصين كان الأشد صعوبة وخطرا، حيث تستغرق الرحلة فيه حوالي "70 يوما"[2]. وكانت السفن حين تبحر شرقا بعد مغادرتها كله بار تعبر مضيق "ملقا" مدفوعة بالرياح الموسمية الصينية، ثم تدور حول شبه جزيرة الملايو، وتسير باتجاه الشمال الشرقي إلى "مايط" ومنها إلى جزيرة "تيومة" وهي في بحر كدرنج "خليج سيام"، وتقطعها في عشرة أيام[3]، ومنها تبحر إلى موضع يقال له الصنف أي "الهند الصينية" والمسافة إليها عشرة أيام. فإذا استعذبوا الماء منها تواصل الرحلة سيرها إلى صندرفولات، والمسير إليها عشرة أيام، وهي جزيرة في البحر[4]، وعندئذ تقترب السفن من مشارف أبواب الصين، وهي جبال في البحر يمر الطريق من خلالها في مواضع خطرة لوجود تيارات بحرية قوية حتى يصل إلى لوقين "هانوي" الحالية وهي أول مرافئ الصين. وأخيراً تسير السفن بطريق ساحلي إلى خانفو "كانتون" حاليا حيث تصلها بعد شهر واحد[5].

1 – ابن خردانبة، ***المسالك والممالك***، المصدر السابق، ص62.

2 – Huzzyyen, *Arabia and the far East*,.op.cit.p.144

3 – السيرافي، ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص28. كوبر، ***جغرافية النقل البحري***،المرجع السابق، ص32.

4 – شيخ الربوة،***كتاب نخبة الدهر*** ، المصدر السابق، ص154 .

5 – Huzzyyen, *Arabia and the far East*,, op.cit.p.144 . ابن الفقيه، ***مختصركتاب البلدان***، ص19.

أما عن رحلة العودة، فإن السفن بعد أن تقضي فصل الصيف في "خانقو"، تعود فيما بين أكتوبر وديسمبر مع هبوب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية إلى مضيق "ملقا"، ثم تعبر بحر هركند "خليج البنغال" في شهر يناير، وتسير غربا حتى تصل ميناء كولوملي، ثم تبحر ثانية نحو ريسوت في فبراير أو مارس مستعينة بالرياح الموسمية الشمالية الشرقية حتى تصل ريسوت، ثم تشد الرحال إلى مسقط مستعينة بأول نسمات الرياح الموسمية الجنوبية التي تبدأ في أول إبريل، لتنتهي رحلتها إلى الموانى الخليجية[1].

3- طرق الملاحة إلى البحر الأحمر

حين تعذّر السفر برّا من البلاد العمانيّة، اتخذ العمانيّون المسالك البحرية مسلكا لتنقلاتهم نحو مختلف بقاع العالم. ولقد زاد الموقع الجغرافي الهام الذي تشغله عمان في أقصى الطرف الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة العرب من إضفاء شهرة ملاحية للعمانيّين منذ أزمنة متناهية في القدم، ذلك أنّ عمان تقع بين مخرج الخليج العربي، ومدخل المحيط الهندي، على الطريق التجاري البحري الذي يربط عمان بشرق أفريقيا والهند والصين، في حين تعذّر الاتصال بين عمان والمناطق المجاورة لأسباب سياسية واقتصادية [2].

ولقد أكّدت النقوش السومريّة والأكديّة، على دور عمان "ماجان" الفاعل في تنمية الصلات البحرية في القرن الثالث قبل الميلاد بدليل ما كان قائما بينها وبين أرض الجزيرة وبلاد دلمون "البحرين". حيث كانت السفن العمانيّة تمخر عباب البحر الأحمر منذ عهد ساحور"حوالي 470 ق.م" في الأسرة الخامسة[3]، على أنّ فترة العصور القديمة لا تدخل عمليا ضمن أطر هذه الأطروحة، ولكن رسوخ أقدام العمانيّين في الملاحة البحرية[4] يقف وراء تبرير ذلك خصوصا أنّ عمان ارتبطت من جانب آخر بالمغرب العربي في نسق من العلاقات التجارية والثقافية. فما هي الطرق التي سلكها الجانبان في اتصالهما؟.

---

[1] - حوراني، *العرب والملاحة في المحيط الهندي*، المرجع السابق، ص221.

[2] - السيد عبد العزيز سالم، *البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي*، مؤسسة نشاب، الجامعة الإسكندرية، 1993م، ص135. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، المصدر السابق، ج1/159.

[3] - السيد عبد العزيز سالم، *البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي* المرجع السابق، ص135. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، ج1/159.

[4] - حوراني *العرب والملاحة في المحيط الهندي*، المرجع السابق، ص27-30.

يبدأ الطريق البحري المؤدّي إلى البحر الأحمر والبحر المتوسط من الموانئ العمانيّة، فكانت السفن عند خروجها من البصرة وسيراف بالخليج العربي، تتزوّد بالماء والمؤن من صحار أومن مسقط، ثم تدور حول السواحل العمانيّة متّبعة الطريق الساحلي نحو فرضة ظفار الواقعة بين حضرموت وعمان مروراً بالشّحر، ثم إلى ساحل بلاد مهرة وحضرموت، وتسير نحو عدن مسافة مائة فرسخ[1]. وكان تجار سيراف يركبون البحر إلى جدّة ويقومون بتفريغ الأمتعة هناك، فتُحمل بعد ذلك إلى مصر في مراكب القلزم[2]. وكانت السفن تخرج من الموانئ العمانيّة في شكل قافلة نحو البحر الأحمر[3]، و" لا يتهيأ لمراكب السيرافيين سلوك "البحر الأحمر" لصعوبته وكثرة جباله النابتة فيه"[4]، و ثمّة طريق كان يصل شبه جزيرة العرب ببلاد المغرب، وبلاد الفرنجة عبر البحر الأبيض، ويسلك هذا الطريق التجار من اليهود الراذانية الذين يتكلّمون بلغات عدة، كالفارسية والعربية و الرومية والأفرنجية، والأندلسية، والصقلبية، وكانوا يفدون إلى دول المشرق برّاً أو بحراً حاملين معهم من المغرب الخدم، والجواري والغلمان والديباج وجلود الخزّ والفراء والسّمور والسيوف. وكانوا يركبون من بلاد الفرنجة في البحر الأبيض المتوسط حتى يصلوا الفرما[5] حاملين تجارتهم على ظهور الدواب إلى القلزم، ويركبون البحر الأحمر من القلزم نحو موانئه الهامة مثل "الجار" و "جدة"، ثم يعرجون بتجارتهم نحو بحر العرب متّجهين نحو "عدن" و يواصلون سيرهم نحو بلدان الهند والسند والصين. أما رحلة العودة، فكانوا يحملون معهم أهم منتجات بلاد الشرق مثل المسك والعود، والكافور، والدار صيني "القرفة" وغير ذلك فيعودون إلى القلزم، ثم إلى الفرما، ثم يركبون البحر المتوسط إلى أوروبا. وهو نفس الطريق الذي يسلكونه إلى المشرق. وهناك طريق آخر يخرج من الفرنجة في البحر المتوسط إلى أنطاكية، ثم إلى الجابية على مسافة ثلاث مراحل، فيركبون الفرات إلى بغداد، ومنها إلى الأبله وصولا إلى عمان،

---

[1] – ابن خرداذبه، *المسالك والممالك*، *المصدر السابق*، ص61.

[2] – السيرافي، *رحلة السيرافي*، المصدر السابق، ص89 .

[3] – بزرك، *عجائب الهند*، المصدر السابق، ص14.

[4] – السيرافي، *رحلة السيرافي*، المصدر السابق، ص89 .

[5] – كان يحمل إليها المتاع من جميع الممالك المحيطة "بالبحر الأبيض المتوسط، والبحر الأحمر"، كالطرائف والتحف والطيب والأفاوية والعقاقير والجواهر والرقيق، المسعودي، *التنبيه والإشراف* ، ص20 .

والهنـــد والصين[1]. و لقد أشـــار اليعقوبي[2] إلى طريق كان يستخدم في العصور الأولـــى في السفر نحو بلاد المغرب، على أنه كان يخرج من مصر إلى برقة. وهـــو يبـــدأ مـــن الفسطاط في الجانب الغربي من النيل، ويمرّ بموضع يقال له "المنى" ثم إلى "الدير الكبيـــر" ومنها يتّجه إلى "برقة"، ثم يتّجه من برقة إلى مدينة "سرت" ومنها يتّجه إلـــى "طـــرابلس"[3] ومن طرابلس إلى نفوسة -"وأهل نفوسة قوم أباضيّة وكان رئيسهم يسمى إليـــاس، حيـــث كانوا لا يخرجون عن إمرته ولهم منازل وضياع يؤدون الزكاة إلى إبن رستم في تاهرت"- ويسير الطريق من نفوسة على الجادة العظمى إلى مدينة قابس ثم إلى القيروان، ويتفـــرّع منها إلى عدة أفرع، بعضها يخرج إلى تونس، وهناك طريق آخر يخرج من القيروان نحو قمّودة، ومنها إلى قفصة، ويسير منها إلى قسنطينة في مسافة أربع مراحل، كما يخرج من القيروان طريق آخر يتجه نحو مدينة "الزاب"، كما يتفرع من القيروان طريق آخر يـــسير نحـــو سجلماسة، ومنها إلى قابس[4]. وقد انتقلت عبر هذه الطرق تجارات الهند والسند والصين، والخلـــيج العربي بصفة عامة، فضلا عن السلع التجارية التي كانت تزاولها دول المغرب نفسها.

4- أثر الفكر الإسلامي على الملاحة البحرية :

لقد نشطت العلاقات بين العمانيّين والعرب بصفة عامة وبين أهل مناطق المحيط الهنـــدي - كالهند والسند والصين وسواحل شرق أفريقيا- قبل ظهور الإسلام بقرون عديدة[5]. وفـــي أعقـــاب الدعوة الإسلامية انتشر العمانيّون والعرب بشكل عام في أرجاء مختلفة من بلاد المحيط الهندي

---

[1] - المسعودي، *التنبيه والإشراف*، *المرجع السابق*، ص132. عبد الباقي أحمد، ***معالم الحضارة العربية في القرن الثالـــث الهجري***، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991م ص139.

[2] - اليعقوبي أحمد بن يعقوب عبد الباري من واضح، ***مختصر كتاب البلدان***، دار صادر، 1893م. ص342-351.

[3] - يورد المقدسي بدوره تأكيدا آخر، على أن الطريق، يخرج من طرابلس نحو "سرت" في مسافة خمس مراحل، ثم يتجه إلى برقة والمسافة بينها وبين سرت أربعة عشر مرحلة، ثم يتفرع طريق آخر فيخرج من طـــرابلس نحو قابس في أربع مراحل، فيسير إلى القيروان في مسافة أربع مراحل، ومن القيروان إلـــى قفـــصة ســـبع مراحل، ومنها إلى قسنطينة ثلاث مراحل، ثم يتجه نحو تاهرت، وكانت المسافة بين تاهرت و قسنطينة نحـــو خمسة عشر يوما، ثم يعبر إلى فاس في مسافة تستغرق ثلاثة أيام، وهناك طريق يتفرع من القيروان فيخـــرج من زويلة في مسافة نحو شهر واحد، كما يتفرع طريق من القيروان إلى سجلماسة في مسافة ثلاثين مرحلة، ويخرج طريق آخر من القيروان نحو "تونس" تستغرق الرحلة فيه نحو ثلاث مراحل، وهناك طريق آخر يتجه من القيروان إلى قابس أو إلى قرنة حتى يصل المهدية.المقدسي، ***أحسن التقاسيم***، ص،183-185.

[4] - ابن حوقل، ***صورة الأرض***، المصدر السابق، ص86-92

[5] - أنور عبد العليم، ***ابن ماجد الملاح*** ، المرجع السابق، ص29.

سواء كانوا تجاراً أو دعاة لنشر الإسلام أو لأجل الاستقرار. ولقد دخلت إثر ذلك أفواج من مختلف الأمم في الدين الإسلامي، باعتبار أنّ الدين الإسلاميّ أعطى صورة واضحة المعالم عن تنظيم الوحدة الاجتماعية وترابطها، وفي أعقاب الفتح الإسلامي، امتزج العنصر الهندي بالعنصر العربي، واضطلع بدوره الاجتماعي والفكري، على غرار كل من اليونان والفرس اللذين عرفا تطورا اجتماعيا وفكريا، بل إنّ العنصر الهندي فـاق العنـصر اليونـاني أو الفارسي بالنظر إلى ما قدّمه من تراث انساني في ظلّ الخلافة العربية الإسلامية.

ولقد ظهر أول امتزاج عن طريق الزواج والتناسل منذ بداية صدر الإسلام، فـدخلت الهنديات بلاد العرب سيدات وسبايا، وكان عليّ ابن أبي طالب "كرم الله وجـه" أوّل مـن تزوج هندية، وهي "خولة" احدى سبيات الهند، ويقال أنّها جارية من سـبي بنـي حنيفـة، فولدت له ولده محمد الملقب بـ"محمد بن الحنفية"[1]. وكذلك "سلافة بنت يزدجر" آخر ملوك فارس، وهي عمة أم يزيد بن الوليد، كانت هي الأخرى أمّا لأبي الحسن بـن علـي بـن الحسين الملقب بزين العابدين، وكان زين العابدين كثير البرّ بها. ويضيف ابن خلكان نقـلا عن ابن قتيبة في كتابه "المعارف" أن أم زين العابدين سندية، يقال لها: سلافة وقيل غزالة[2]. وقد زوّجها بعد أبيه بزبيد مولى أبيه، فولدت له عبد الله بن زبيد وهو أخ لعلي بن الحسين لأمه[3]. وكذلك كانت "حبابة" جارية يزيد بن عبد الملك سندية من كجزرات بجنوب الهنـد، وكان يزيد يحبها، وكانت تناديه بالأب، وقد زوجها يزيد إلى عمر بن هبيرة[4]. ولـم يكـد يصل العصر العباسي الأول حتى تدفقت الهنديات من السند وكجزارات بجنوب الهند على بلاط الخلفاء. وامتلأت بهن الأسواق والندوات في بغداد، ودخلن بيوت العـرب كـسيدات ومربّيات للأطفال ومغنّيات وراقصات في قصور الأمراء[5]. كما تدفقت أفواج من المماليك

---

[1] – ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر (608-681هـ)، ***وفيات الأعيان وأنباء الزمان***، دار إحياء التراث العربي بيروت، 1998م ج315/2. المباركيوري، القاضي أبو المعالي طهر، ***رجال الـسند والهند***، دار الأنصار، مصر 328ط. 132. ***تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية*** ص45.

[2] – ابن خلكان، المصدر نفسه، ج127/2-128.

[3] – الندوي، ***تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية***،المرجع السابق، ص46.

[4] – المباركيوري، القاضي أبو المعالي طهر، ***رجال السند والهند***، المصدر السابق، ص87.

[5] – الندوى، ***تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية***، المرجع السابق، ص46.

الهنود على قصور الخلفاء في بغداد، وامتلأت بهم الأسواق والمحافل، فضلا عن الهنود الأحرار الذين استوطنوا البلاد العربية وتزوّجوا من عربيات.

وفي عمان كان الرقيق يتدفقون من الهند والسند وإقليم خراسان، ومن بلاد فارس، وكان يطلق عليهم كلمة وصيف أو خدم[1]. وكانوا يستخدمون في التجارة والزراعة، أما الإناث فقد اتّخذن للمتعة والتسلّي أو للعمل في المنازل كمربيات وخادمات[2]. وقد بدأ تمازج الدم العربي بالهندي بظهور خليط من العلماء والأدباء والخبراء والسياسيين، وظهر من هؤلاء السندي "شاهك" مولى المنصور الذي أسدى خدمات جليلة للعباسيين منذ تأسيس الدولة العباسية[3].

وقد نلمس من هذا التمازج تفجّر مختلف العلوم والثقافات خصوصا في مطلع فجر الدولة العباسية، حين انتدب أبو جعفر المنصور (154هـ /771م) إلى بلاطه عددا من الهنود العلماء للاستفادة من علومهم، وتوالت السفارات الهندية على بلاط أبي جعفر، فكان أشهر علماء الهند الذين وفدوا، العالم الشهير "مناكا" "monaka" أو "كناكا Kanaka"، وكان قد أحضر معه في علم الفلك مادّة علمية تسمى "السندهانت"[4] التي عرّبها العرب لاحقا إلى "السندهند". وقد توالت بعد ذلك ترجمة الكتب الفلكية إلى اللغة العربية، فقد أصدر المنصور أوامره لـ"محمد إبراهيم الفزاري" بترجمة الكتب الفلكية من اللغة السنسكريتية إلى اللغة العربية، وسرعان ما استفاد العرب من علوم الفلك الهندية، وسارعوا إلى استخدام طريقة "السندهند". وفي زمن المأمون ألّف محمد بن موسى الخوارزمي كتابا سماه "السندهند"، واستفاد العرب منه في مجال الجغرافيا[5]. كما ترجمت في عصر المأمون كتب الآثار اليونانية والفارسية، وعلوم الرياضة إلى اللغة العربية ومنها كتاب المجسطي لبطليموس[6].

---

[1] – الكندي، *المصنف*،المصدر السابق، ج3/94-232. و،ج2/197.

[2] – الكندي، المصدر نفسه، ج27/37.

[3] – الندوى، ***تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية***، المرجع السابق، ص47.

[4] – يورد الندوى، خبرا مفاده، أن السند هند في اللغة السنسكريتية تعني المعرفة أو العلم، أو المذهب العلمي، الندوي، المرجع نفسه، ص74.

[5] – الندوي، ***تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية***، المرجع السابق، ص75.

[6] – أنور عبد العليم، ***ابن ماجد الملاح***، المرجع السابق، ص29. حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، ص276.

ونتيجة لهذا الكمّ من العلوم التي تدفقت في زمن الخلافة الإسلامية، فقد استوعبت عقول العرب المتفتّحة وذكاؤهم الخارق كثيرا من العلوم، وقد أضافوا معلومات جديدة على ما اقتبسوه منها، وعلى إثر ذلك ظهر في القرن التاسع الميلادي مؤلفون جدد، كأمثال ابن خرداذبه، والخوارزمي. وفي القرن العاشر الميلادي ظهر المقدسي، والمسعودي، والاصطخري، وابن حوقل، وظهر في القرنين الحادي عشر والثاني عشر البيروني والإدريسي، وفي القرن الثالث عشر ظهر القزويني وياقوت، والنابلسي وأبو الفداء وابن بطوطة، والعديد ممن ألف في الكزموجرافيا والجغرافيا الفلكية والوضعية[1].

وفي ظل التواصل الثقافي بين الهند والعرب الذي بدأ من القرن الثامن الميلادي ظهر أدب المغامرات الجغرافيّة والقصص البحرية، وكان أوّل عربي بدأ بمغامرات تجارية نحو بلاد الهند والصين، هو العالم الأباضي العماني أبو عبيدة عبد الله سنة 132هـ/ 750م[2] الذي سبقت إشارتنا إليه. وقد تبعه بعيد ذلك "النظر بن ميمون" من سكنى البصرة ويقال إنه من أصل عماني.

وقد تتابع أدب المغامرات الجغرافية، وتجسّدت هذه المرة في سليمان التاجر السيرافي (237هـ / 851م) في رحلة مباشرة نحو بلاد الهند والصين، وصف فيها الطرق البحرية والأمم والشعوب التي زارها في أثناء رحلته تلك، بالإضافة إلى الطريف من أخبار الملاّحين والبحريين، والظواهر التي تتعرض لها الملاحة البحرية.

ولقد تجلّت هذه العلوم في إضفاء نظرية ملاحية ساعدت الملاحين العمانيّين خصوصا، والعرب بصفة عامة في الوصول إلى أقصى بقاع العالم. ويشير الجغرافي العربي المقدسي[3] (375هـ/985م) أنّ الملاحين كانوا يحملون معهم دفاتر، وكانوا يستعينون بها لمعرفة الطرق الملاحية. مما يعنى أنهم اتخذوا هذه النظرية من واقع تجربتهم العلمية التي كانت سائدة في القرن العاشر الميلادي. ويضيف المقدسي قائلا في هذا الصدد: "وأما أنا فسرت هذا البحر "المحيط الهندي" نحو ألف فرسخ ودرت على الجزائر إلى عبادان سوى ما توهت بنا المراكب إلى الجزائر ولججه، وصاحبت مشايخ فيه ولدوا

---

[1] – أنور عبد العليم، ***ابن ماجد الملاح*** ، المرجع السابق، ص29–30.

[2] – اللواتي، علي حسن خميس، ***أضواء على المجتمع العماني في القرنين الرابع والخامس الهجري***، بين دراسة لفئات المجتمع بحث مقدم للملتقى العلمي الأول حول تراث سلطنة عمان، جامعة آل البيت 2002، ص317.

[3] – المقدسي، ***أحسن التقاسيم***، المصدر السابق، ص24

ونشئوا من ربابين وشاتمة...ووكلاء وتجّار. ورأيتهم من أبصر النّاس به وأخبَرهم بمراسيه ورياحه، وجزائره فسألتهم عما فيه وعن أسبابه وحدوده، ورأيت معهم في ذلك دفاتر يتدارسونها ويعملون بما فيها".

ولقد اطلع ابن ماجد على أرجوزة ملاحية للشيخ ليث بن كهلان، يعود زمنها إلى عام (580هـ/1184م) واطلع إلى لفظ الراهمانج[1] وهي كلمة فارسية الأصل، ويقول: إنّ "الراهمانج الذي أوّله إنّا فتحنا لك..." لم تكن فيه أرجوزة ولا له قيد إلاّ في كتاب اعتبره ملفقا لا له أمر ولا صحّة يمكن أن يزاد فيه وينقص. وعلّل ذلك أنهم مؤلّفون لا مصنّفون، حيث لا يركبون البحر إلا من سيراف إلى برّ مكران[2]. ويروى أن عمان وسيراف أصبحتا موطنا "لهذا النوع من الكتابات التي عرفت في تلك الفترة بالراهمانات أو الراهنامجات" أي "المرشدات الملاحية". ومن المؤكّد أنّ العرب صنعوا خارطات بحرية للإرشاد الملاحي، واستخدموها في أسفارهم، وقد أبدى فاسكوديجاما هذا الرأي حينما وجد العرب على الساحل الأفريقي يستخدمون البوصلة وآلات ملاحية دقيقة وخارطات بحرية[3]. ويبدو أن العرب عرفوا آلات الملاحة والرصد منذ أن جابوا مياه المحيط الهندي، ومن هذه الآلات، الإسطرلاب وهي آلة تستخدم لقياس ارتفاع الشمس والنجوم. وقد تفوّق العرب في صناعتها بشهادة الأوروبيين، حيث يوُجد في متحف باريس إسطرلاب صنعه أحمد بن خلف الفزاري تعود صناعته إلى منتصف القرن العاشر الميلادي، وكان يفوق ما تمّت صناعته مؤخّرا[4].

أمّا البوصلة البحرية فأوّل ما ظهرت في الصين، و قد أثارت جدلا كبيرا بين الباحثين لتحديد أوّل من ابتكرها. ثم ثبت أنّ العرب المسلمين وربّما العمانيّين تحديدا بحكم ارتباطهم الملاحي والتجاري مع بلاد المحيط الهندي منذ أزمنة قديمة، هم الذين نقلوا عن الصينيين بعض ابتكاراتهم، مثل الإبرة المغناطيسية أو البحرية والتي كان الملاحون يعتمدون عليها أثناء إبحارهم. وكانت البوصلة تشتمل على 32 خنا، وقد سميت باسم 15 أنجما ثابتة مغاييها مع إضافة الشمال والجنوب على محتوياتها، ويشار إليها أنها أخذت أسماء كثيرة

[1] – راهمانج أو راهماني أو رحماني أو روماني، كلمة فارسية معربة تعني كتاب الطريق من رآه– طريق، ونامة كتاب، وتستعمل بمعنى المؤشر الملاحي، أنور عبد العليم، ***ابن ماجد الملاح*** ، المرجع السابق، ص160.

[2] – شهاب الدين أحمد بن ماجد، ***كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد***، تحقيق إبراهيم خوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1971 ص14. حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، المرجع السابق، ص281.

[3] – أنور عبد العليم، ***ابن ماجد الملاح***، المرجع السابق، ص33.

[4] – أنور عبد العليم، ***المرجع نفسه***، ص34.

عن الفارسية كقطب الجاه، ومطلع السلبار والخن، وكان القطب يسمى بنات نعش قبـل أن يسمّى قطب الجاه، ويحدّد الملاحون العرض بارتفاع الشمس أو الـنجم القطبـي، و ذلـك بطريقة بدائية جدا وعن طريق الأصابع. و يصعب استعمال الإسـطرلابات فـي البحـر فاهتزاز السفينة يجعل من العسير تحديد الخط العمودي تحديداً صحيحاً. وكانت عملية تحديد المراسي يتم تسجيلها في دفاتر الإرشادات البحرية، التي يطلق عليها تـسمية الرهـانج أو الراهمانج سالفة الذكر[1].

[1] – حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، المرجع السابق، ص277-278.

الفصل الثاني

دور عمان التجاري والملاحي في الأقاليم الإسلامية

احتلّت عمان مكانة مرموقة بين حواضر العالم الإسلامي، بفضل موقعها البحـــري. ولقد ترتّب عن هذه الخاصية قيامها بمدّ علاقاتها التجارية إلى مختلف جهات العالم الـــذي كان يتعاطى التجارة مع المنطقة العربية ودول المحيط الهندي. ففي ناحية الخليج العربـــي توطّدت العلاقات بالبصرة والأبله وسيراف، وفي الأقطار العربية الأخرى امتدت علاقاتها التجارية إلى مدن إسلامية مثل اليمن ومصر وبلاد المغرب العربي. ولهـــذا ســـنحاول أن نستعرض في هذا الفصل امتداد العلاقات العمانية إلى هذه الأقاليم.

I- دور عمان التّجاري والملاحي في الخليج العربي

ارتبط ازدهار عمان في العصور الإسلامية الوسطى بدورها فـــي تجـــارة المحـــيط الهندي وحجم مبادلاتها التجاريّة مع موانئ الأقاليم الإسلاميّة، كما اتّخذت تجـــارة المحـــيط الواردة إلى منطقة الخليج العربي من الموانئ العمانيّة معبراً لها، وكان للملاحين العمانيّين دور كبير في نقل السلع التجارية إلى موانئ الخليج العربي منذ فترة تسبق الإسلام، فما هي تلك الموانئ المنضوية داخل هذه المنظومة الإقتصادية والتي رجّحت كفة التجارة العمانية ؟

1- الأبلة

لقد ارتبط ازدهار الأبلة بحجم التجارة التي كانت تنقل عبر الخليج العربي منذ عصور موغلة في القدم، ويعود تأسيسها إلى عهد الملك الفارسي أزدشير بهمن الذي يكنّى بأزدشير طويل الباع (225-241م)[1]. و قد أسّس هذا الملك عدّة مواني بحرية ونهرية فـــي الخلـــيج العربـــي[2]، وكانت الأبلة من أهمّ تلك المواني، وكانت تسمّى بميناء بهمن أزدشير[3].

ونظراً لعلاقة الأبلة التجارية بالهند، فقد أطلق عليها العرب فرج أهل السند والهند[4]. وظلّت مركزا هامّا للتجارة البحرية القادمة من الشرق، والتي نبغ العمانيّون والفرس فيهـــا منذ عصور ما قبل الإسلام. ويشير عقبة بن غزوان إلى ذلك حين احتل المسلمون الأبلة في رسالة كتبها إلى عمر بن الخطاب (رضه) يخبره أنه "وجدها فرضة عمان والبحرين والهند

1 - الطبري، ***تاريخ الرسل والملوك***، المصدر السابق، ج193/1.

2 - حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، المرجع السابق، ص91.

3 - يورد الطبري، أن بهمن له ابنة اسمها خماني، وكانت تلقب بشهرزاد، وحين حملت من أبيها بـــدار الأكبـــر سألته أن يعقد التاج له في بطنها ويؤثر بالملك وقـــد نفـــذ لهـــا ولـــدها ذلـــك، الطبـــري، ***تـــاريخ الرســـل والملوك***، ج193/1.

4 - الطبري، ***تاريخ الرسل والملوك***، المصدر نفسه، ج560/2.

والصين[1]. ونستدلّ من ذلك ضمنا أنّ العمانيّين أسّسوا علاقات تجارية قديمة في الموانئ الخليجيّة منذ فترة طويلة تسبق الإسلام. وكان ميناء الأبلة قبل ظهور الإسلام المنفذ الرئيسي على الخليج العربي لتجارة دولة الفرس[2]. ووصفها المقدسي[3] في القرن الرابع الهجري أنها "عامرة كبيرة أرفق من البصرة وأرحب، وهي مجمع لتجارات الشرق والغرب، وكان التجار الروس واليهود الراذانيّة " أو الرهدانية"[4] يأتون إليها من الغرب حاملين إليها أنواعا مختلفة من السّلع[5]. ولقد تحدّث ياقوت[6] نقلا عن الأصمعي، "أنّ جنان الدنيا ثلاث، غوطة دمشق ونهر بلخ ونهر الأبلة، وحشوش[7] الدنيا خمسة، الأبلة، وسيراف، وعمان، وأردبيل وهيت". وقد زارها الرحالة الفارسي ناصر خسرو في رحلته من مصر نحو المشرق في القرن الخامس الهجري ووصف ازدهارها التجاريّ والديمغرافي المتمثّل في قصورها ومساجدها وأسواقها[8]. وظلّت مركزا لتجارة المحيط الهندي، الهند وما دونها[9] حتى حُفر ميناء البصرة الذي ارتبط بمينائها، وأنّه تمّ حفره لتجنّب الدّوارات التي كانت تعيق مرور السفن الكبيرة المتّجهة إلى البصرة في مدخل الميناء. ولقد أدّى ارتباط مينائها بمدينة البصرة إلى أن تضاءل دورها الرئيسي، وأصبحت حينئذ ميناءً ثانويّا بالنسبة إلى

---

1 – البلاذري، ***فتوح البلدان***، المصدر السابق، ص377. ابن الفقيه، ***مختصركتاب البلدان***، المصدر السابق، ص173. يورد ابن خياط أنه حين فتح المسلمون الأبلة وجدوا أهلها يطعمون كلابهم في آنية الذهب والفضة، ابن خياط، ***تاريخ خليفة بن خياط*** ،المصدر السابق، ص61.

2 – Wiet Gaston , *Les marchands,d'épices*, Caro, 1955 p.82

3 – المقدسي، ***أحسن التقاسيم***، المصدر السابق، ص106.

4 – يسمي ابن خرداذبه التجار اليهود بـ (الراذنية)، ***المسالك والممالك*** ، ص132. بينما يطلق عليهم ابن الفقيه تسمية اليهود: الراهدانية، ابن الفقيه، ص248. ويرى كاهن، أن كلمة الراهدانية هي كلمة فارسية تعني (الرحالة) كلود كاهن، ***تاريخ العرب والشعوب الإسلامية***، ترجمة بدر الدين قاسم ط2، بيروت، 1977م ص153 أما متز ولومبارد، فيتفقون مع ما أشار إليه دغوية على أن معنى كلمة (راهدان) بالفارسية أهل نهر الرون أو (عرافة الطريق أو الدليل) . آدم متز، ***الحضارة الإسلامية*** ج20/2.لومبارد، ***الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي***، المرجع السابق، ص276 .

5 – ابن الفقيه، ***مختصركتاب البلدان***، المصدر السابق، ، ص248. ابن خرداذبه، ***المسالك والممالك***، ص132.

6 – ياقوت، ***معجم البلدان***، المصدر السابق، ج72/1.

7 – يورد ابن منظور أن الحشوش هي (مواضع لقضاء الحاجة، ***لسان العرب***، 190/30.

8 – ناصر خسرو، ***سفرنامة***، المصدر السابق، ص167.

9 – الحميري، ***الروض المعطار***، المصدر السابق، ص8–9 .

البصريين في المجالين، التجاري والملاحي، في حين احتل ميناء البصرة المركز الأول[1] للتجارة القادمة من المحيط الهندي، التي ساهم العمانيّون بدور رئيسي فيها منذ القدم[2]. أما مظاهر الثراء الذي كان يتمتع به الميناء قبل الفتح الإسلامي، فقد أشارت إليه بعض المصادر العربية، فيذكر الحميري قائلا[3] :" دخلها المسلمون "أي دخلوا الأبلة" فأصابوا متاعا وسلاحا وسبيا وعينا فاقتسموا العين... وقال سلمة بن فلان: شهدت فتح الأبلة فوقع في سهمي قدر لنحاس فلما نظرت عليها إذا هي ذهب فيها ثمانون ألف مثقال...وقال خالد بن عمير: شهدت فتح الأبلة، مع عتبة بن غزوان فأصبنا سفينة مملوءة جوزا". مما يستدل أن الأبلة كانت أهم الموانى التجارية لتفريغ البضاعة الواردة من المحيط الهندي إلى الخليج العربي في عهد دولة الفرس.

2-البصرة

غالبا ما تحدد الجغرافية السياسية دورأهلها وتطبع تاريخ البلد بطابعها. فعلى مدى قرون موغلة في القدم فرض موقع عمان الإستراتيجي دورا لعبه العمانيون في المجالين التجاري والملاحي، بتزعمهم دور الوسيط التجاري ليبنوا علاقات وامتيازات تجارية مع مختلف المراكز والموانئ التي تتعاطى هذا النشاط في منطقة المحيط الهندي.

لقد دلت الآثار التي عثر عليها، أن العمانيّين ارتبطوا مع ملوك "أور" – الذين عاشوا قبل الميلاد بألف عام– بعلاقات تجارية واسعة، وكان ملوك "أور" يتبادلون التجارة مع عمان ويصدرون إليها الحبوب، كالشعير والقمح بالإضافة إلى الملابس، وكان ذلك يتمّ مقابل النحاس والأحجار الكريمة[4]. ولقد امتدت جسور هذه العلاقات بتلك الأقاليم الحيوية عبر العصور الماضية، إلا إن أواصرها ازدادت مع تحول الثقل التجاري إلى الخليج العربي. ونمت علاقات تجارية كبيرة في مطلع القرن الثاني للهجرة بين عمان و البصرة. وقام التجار العمانيّون حينذاك بدور كبير في نقل تجارة أهل العراق إلى الهند، وجلب سلع الهند إليها. وكانوا يعملون كوكلاء تجاريين لتجّار العراق في الهند والصين طيلة العصور الإسلامية الأولى، لذلك فقد حظي التجار العراقيون بأهمية كبيرة من الجانب العماني،

[1] – القوصى عطية، ***تجارة الخليج بين المد والجزر في القرنين الثاني والثالث الهجريين***، جامعة الكويت 1980، ص10.

[2] – البلاذري، ***فتوح البلدان***، المصدر السابق، ص377.

[3] – الحميري، ***الروض المعطار***، المصدر السابق، ص8.

[4] – المرهوبي، عامر بن عمير، ***عمان قبل وبعد الإسلام***، وزارة التراث، مسقط 1980، ص12.

وحصلوا أثناء رحلة الذهاب والإياب إلى أقاليم المشرق الأقصى على قدر كبير من التسهيلات الجمركية في عمان[1]، على اعتبار أن معظم السلع التجارية التي تصل إلى السواحل العمانية، كانت تنقل إلى البصرة وبغداد بواسطة تجّار أهل عمان، أو أهل البصرة على سفن عمانيّة[2]. وكان من بين أهم السلع التجارية التي تنقل من عمان إلى البصرة، السمك المجفف وآلات الصيادلة والعطور والزعفران والبقم وخشب السّاج وخشب السمسم أو الأبنوس و العاج واللؤلؤ والديباج والجزع واليواقيت والنارجيل والقند[3] والصبر والحديد والرصاص والخيزران والغضار[4] والصندل والبلور والفلفل[5]. وقد وصف الجاحظ[6] البصرة بأنها "عين العراق... وباب بغداد الكبير ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المجلوبة من أطراف الدنيا"، ويضيف أنّها تمتاز بمرسى جيد فهو محطّ رحّالة الشرق والغرب من الصين إلى مغاور الصحراء، ولذلك فقد كثر بها العمران و "المصانع والصنائع وصارت واسطة العرب والعجم وقبة الإسلام".

لقد نقل العمانيّون في القرن الثالث الهجري إلى البصرة أنواعا جديدة من المحاصيل الزراعية المستوردة من الهند، مثل الليمون الذي أدخلت زراعته في عمان[7] والنارنج والأترنج، وقد انتشرت زراعته في البصرة ومنها انتقلت إلى بغداد والشام وأنطاكية وفلسطين، حتى كثر في دور الناس خصوصا في قصور الأمراء والخلفاء العباسيين وبساتينهم في بغداد[8]. كما أهدى صاحب عمان أحمد بن هلال (332هـ/943م) إلى الخليفة العباسي المقتدر بعض القرود وأنواعا من الهدايا التي جلبها العمانيّون من جزر الزابج بالهند[9]، وكان من بين الهدايا، الكافور الذي يقدّر بعشرة أمناً، وقطعة عود طولها أحد عشر

---

[1] – المسري، حسن علي، ***تجارة العراق في العصر العباسي***، كلية الآداب، جامعة الكويت، 1982، ص379.

[2] – بزرك، ***عجائب الهند***، المصدر السابق، ص63.

[3] – القند هو عصارة السكر إذا جمد، وقيل ماء تقطير مياه الثمار، أو السوائل المتخمرة، ***لسان العرب***، ج315/4.

[4] – يورد ابن منظور أن الغضار، هو خزف أخضر يعلق على الإنسان يقي من نظرة العين وقيل طين لازب، لسان، ج80/10

[5] – المقدسي، ***أحسن التقاسيم*** ، المصدر السابق، ص92. اليعقوبي، **مختصر كتاب البلدان** ، ص337.

[6] – الجاحظ، ***التبصر بالتجارة***، المصدر السابق، ص3.

[7] – ***عمان في أمجادها البحرية***، سلسلة تراثنا، وزارة الثقافة، مسقط، ص25، 1994م.

[8] – المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج182/1. آدم متز، ***الحضارة الإسلامية***، ج257/2.

[9] – المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج148/1.

ذراعا ووزنها مائة وستون منّا، ومن الرماح المتوّزة عشرة أرماح، ومن الملمّعة رمحان، وطير ببغاء صيني وآخر أحمر، ونوع من الطيور التي لم يجلب مثلها إلى ناحية بلاد العرب، وبطّ صيني أسود بعرفين يتكلّم بالهندية والفارسية، ومن الظباء اثنان[1]. كما حمل العمانيّون إلى البصرة سلعا كانت تنتجها بلادهم، كاللؤلؤ[2] والنحاس[3]. كما نقلوا إلى البصرة ضروبا من السلع كالعنبر الذي كان يجلب من سقطرى[4] والكندر "اللبان" الذي كان يجلب من سواحل الشّحر[5] والصبر ودم[6] الأخوين[7] الذي يرد من سقطرى.

ونتيجة للعلاقات الوثيقة بين عمان والبصرة، فقد أصدر العلماء العمانيّون تشريعا يمنحون بموجبه التاجر البصريّ امتيازات وتسهيلات شأنه شأن العمانيّ، في الوقت الذي كانوا يفرضون فيه مقداراً من الزكاة على جميع السلع الواردة إلى البلد، حيث كان يؤخذ العشر على من باع تجارته في الأسواق، ولا يؤخذ شيء من التّاجر البصريّ حتّى يكمل السنة. ولم تقتصر علاقات عمان بالبصرة على المبادلات التجارية فحسب، بل وصلت إلى المصاهرة والاندماج الدموي بين البصريين والعمانيّين، ففي طور المصاهرة كان تجّار عمانيّون يذهبون بسفنهم حاملين أثمن سلع الشرق إلى البصرة والعراق، فيمكثون هناك للاتجار والإقامة، فيتزوّجون من بصريات ويعودون إلى عمان حاملين معهم عائلاتهم. وقد أوردت إحدى البصريات التي تزوّجت من أحد العمانيين قصة طريفة لزواجها وهي عائدة من صحار في مركب متجه إلى البصرة أو نحو ذلك، قائلة "كان لوالدي صديق من بنانية المراكب المختلفة من عمان إلى "البصرة" وكان إذا ورد المركب الذي فيه من عمان نزل إلينا وأقام عندنا أياما وأهدى إلينا، وإذا أراد الخروج فعلنا مثل ذلك وأهدينا إليه ما يمكننا، وكان رجلا مستمرا فزوّجني أبي به وما مضت غير ثلاث سنين

---

[1] – المسري، *تجارة العراق في العصر العباسي* ، المرجع السابق، ص380.

[2] – الجاحظ، *التبصر بالتجارة*، المصدر السابق، ص32.

[3] – المسعودي، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، المصدر السابق، ج81/1.

[4] – الحميري، *الروض المعطار*، المصدر السابق، 328.

[5] – الحميري، المصدر نفسه، ص338–339.

[6] – يورد ابن منظور أن دم الأخوين هو المندم، وقيل أن العندم هو الأيدع أو صنع الدار يزنيان ، ويقال أنه شجر يستعمل للصباغة وقال البعض هو دم الغزال بلحاء الأرطي يطبخان جميعا حتى ينعقد فتخضب به الجواري، *لسان العرب*، ج415/4، ج423/9.

[7] – القزويني، *أثار البلاد واخبار العباد*، المصدر السابق، ص82.

فقال لي: قومي حتى أحملك إلى عمان فإن لي بها والدة وأهلا فخرجت معه... غير أنه توفي بعد أربع سنين وكان يختلف فيها بين البصرة وعمان... ولم يطب لي المقام في عمان بعده".

لقد تغلغلت العلاقات العمانيّة البصرية منذ الفتح الإسلامي، فحين فتح المسلمون البصرة كان للعمانيّين- الذين شاركوا في الفتوحات الإسلامية بقيادة عثمان بن العاص- محلة في البصرة، وكان أول من قدم إليها حينئذ ثمانية نفر، كان منهم كعب بن سنور من بني لقيط بن الحارث، الذي كان قد عيّنه عمر بن الخطاب قاضيا عليها، كما قدم أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة الذي كان ضمن المرتدّين من أهل دبا بعد وفاة الرسول (ص) وضمن الأسرى الذين أعتقهم أبو بكر الصديق، فنزل البصرة مع مجموعة من الأزد العمانيّين الذين استطاب العيش لهم فيها[1]. وقد قاد المهلب جيش المسلمين في حربه ضد الخوارج الأزارقة في منطقة الشرق، وكان جلّ جيشه من الأزد العمانيّين الذين اختارهم لهذه المهمّة[2].

ولقد أدّت العلاقات العمانيّة البصرية إلى تمازج في التيارات الفكرية والمذهبية ، ففي الجانب الفكري ، قدم إلى البصرةّ عدد من العلماء العمانيّين من بينهم جابر بن زيد، وهاجر إليها طلاب للعلم، مثل الرّبيع بن حبيب[3] والخليل بن أحمد الفراهيدي[4]. ومن بين الذين استوطنوا البصرة اللّغوي نصر بن علي الجهضمي، و في البصرة مكان يُنسب إلى الجهاضم[5]. وممّن هاجر أيضا المبرد[6]. وممّن تنقلوا بين عمان والبصرة ابن دريد، الذي يعتبر أشعر الناس وأفصحهم، وكان ينتقل بين البصرة وعمان وفارس، غير أن وفاته كانت في بغداد سنة 321هـ/933م[7].

---

[1] – السالمي، ***تحفة الاعيان***، المرجع السابق، ج4/1. تشير المصادر، أن البصرة كانت تسمى ببصرة المهلب على اعتبار أنه قام بحمايتها من الخوارج. ابن خلكان ، ***وفيات الأعيان وأبناء الزمان***، المصدر السابق، ج175/3.

[2] – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج130/2-141.

[3] – البطاشي، ***إتحاف الأعيان***، المرجع السابق، ج75/1. الشماخي، ***كتاب السير***، ج108/1.

[4] – – البطاشي، المرجع نفسه، ج90/1، ابن خلكان، ***وفيات الأعيان وأبناء الزمان***، ج310/2.

[5] – البطاشي، المرجع نفسه، ج91/1.

[6] – العوتبي، ***الانساب***، المصدر السابق، ج229/2، البطاشي، ***أتحاف الاعيان***،المرجع السابق، ج107/1.

[7] – ابن خلكان، ***وفيات الأعيان وأبناء الزمان***، المصدر السابق، ج383/2-385.

أما العلاقات المذهبيّة بين عمان والبصرة، فتعتبر أكبر الهواجس الفكرية التي عرفتها منطقة الخليج العربي في التاريخ الإسلامي. فلقد رسّخ الدعاة الأباضيّون قاعدتهم الأساسية بالبصرة، ومن هناك انتشرت الحركة الأباضية نحو حضرموت والمغرب العربي وعمان[1]. وقد ظل التواصل الفكري قائما بين العمانيّين والبصريين، وامتزجت غزارة العلاقات التجارية بغريزة الانتماء الفكري، واعتبر العمانيّون البصرة مركزاً تجارياً ودينياً واجتماعياً لهم، فليس من أسرة في عمان إلاّ وتشترك بنسب أو جذور مع أهل البصرة والموصل وغيرهما.

3- سيراف

تحتلّ سيراف موقعاً مرموقاً بين موانى الخليج العربي، فهي تقع على الساحل الشرقي للخليج العربي، على دائرة عرض ثلاثين درجة وثلاثين دقيقة وخط طول يبلغ نحو تسع وسبعين درجة[2] جنوب مدينة شيراز[3] وتبعد عن مسقط في البحر نحو مائتي فرسخ[4] وهي قصبة أزدشير[5] خرة، وكان أهلها يفضلونها على البصرة لحسن عمارتها[6]. وقد وصفها الاصطخري[7] "بأنها الفرضة العظيمة لفارس، وهي مدينة جليلة وأبنيتها من خشب السّاج متّصلة إلى جبل يطلّ على البحر وهي قاحلة، ليس بها ماء ولا زرع، غير أنّها من أغنى بلاد "فارس" ولها ميناء جيد يبعد نحو فرسخين يسمّى "نابد"، يقع في خليج ضارب بين جبلين تأمن فيه المراكب جميع أنواع الرياح، وتعتبر سيراف من أكبر مدن أزدشير خرة، فهي تضاهي شيراز في الكبر[8].

---

1 - Ennami, op.cit.p.24.

2 – المغربي أبو الحسن علي ابن موسى بن سعيد، *كتاب الجغرافيا*، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ص 970م، 160، أبو الفداء، *تقويم البلدان*، المصدر السابق، ص26.

3 – حوراني، *العرب والملاحة في المحيط الهندي*، المرجع السابق، ص207.

4 – الهمذاني، *مختصر كتاب البلدان*، المصدر السابق، ص14، يورد حوراني أن سبب نمو سيراف جاء نتيجة المصاعب التي كانت تتعرض لها الملاحة في رأس الخليج الفارسي وكانت سيراف تعيش على ما يرد إليها من تجارات المحيط الهندي. *العرب والملاحة في المحيط الهندي*، المرجع السابق، ص207.

5 – أردشير خرة هي إحدى كور فارس ومن مدنها جور ونابد، والصيمكان بخبر مرو وخوزستان والفوشجان وشيراز وكاوان، وسيراف ولسيراف منبران بنجيرم، ومن مدن أردشير الهندجان ورستاقها حشتبارين، هذا فضلا عن جزائر البحر الفارسي المنسوبة إلى أردشير، مثل خارك وبركاوان. الاصطخري، *مسالك الممالك*، ص239.

6 – ابن حوقل، *صورة الأرض*، المصدر السابق، ص54.

7 – ياقوت، *معجم البلدان*، المصدر السابق، ج103/3. ابن حوقل، *صورة الأرض*، 248.

8 – السيرافي، *رحلة السيرافي*، المصدر السابق، ص24-75.

ونتيجة لموقعها المطلّ على البحر وميناءها الجيد، فقد اعتبرها الجغرافيون المحطة الأولى لرسوّ السفن الكبيرة في الخليج العربي، إذ كان المتاع يحمل إليها من جميع الموانى الخليجية، ويعبّأ في السفن الصينيّة الراسيّة التي كانت تحمل منتجات بلاد العرب وفارس إلى دول المحيط الهندي[1]، ولقد بلغ أهلها من الثراء مبلغا نتيجة الازدهار التجاري الذي عرفته مدينتهم، حتى وصفت بأنها دهليز الصين دون عمان وخزانة فارس وخراسان، وقد وصل أهلها حدّاً كبيراً من التفاخر في البناء، حيث تفوق الدار الواحدة المائة ألف درهم، وكان أهلها أيسر أهل فارس[2]، فقد تجاوزت ثروة بعضهم ستين مليون درهم من مكاسب التجارة البحرية[3]. كما بلغت ثروة أحد تجارها نحو أربعة ملايين دينار. وربما تصل ثروة بعضهم أكثر من ذلك، وقد تجد التاجر منهم لا يهتمّ كثيراً بمظاهر الترف[4] ولا يفاخر بها، وقد ظلت سيراف مركزاً تجارياً حتى آخر أيام حكم البويهيين[5].

وفي القرن الثالث الهجري/التاسع للميلاد، برع السيرافيون في الملاحة وركوب البحر، وصارت لديهم دراية كبيرة بشؤون الملاحة وبالأنواء البحرية ومهاب الرياح وحركة المدّ والجزر. كما بلغوا حداً كبيراً من المعرفة بالوظيفة الملاحية وشؤون البحر، وكان التاجر منهم يقضي أربعين سنة في البحر دون أن يغادر السفينة، وكان إذا قاربت سفينته البرّ أخرج صاحبه لقضاء حوائجه التجارية[6]. كما أفادوا كثيرا من المغامرات البحرية واسترشدوا بخرائط ودفاتر مكّنتهم من المسير إلى أعماق البحار. و قد احتكروا العلوم البحريّة وصار الأبناء يتوارثونها عن الآباء[7]. و ذكر بزرك الذي عاش في القرن الرابع الهجري أن تاجراً سيرافياً مجوسياً، يدعى أبو زهرة البرختي أو اليرختي، كان يعمل أمينا عاما لأهل الهند في أموالهم وأولادهم في سيراف، ويروى أنّ اليرختي اعتنق الإسلام في فترة لاحقة، وكان يتاجر في مركب له مع بلاد الهند والصين، ويحمل

1 – القدسي، *أحسن التقاسيم*، المصدر السابق، ص328.
2 – الاصطخري، *مسالك الممالك*، المصدر السابق، ص154.
3 – الاصطخري، المصدر نفسه، ص139.
4 – القوصي عطية، *تجارة الخليج بين المد والجزر في القرنين الثاني والثالث الهجريين*، المرجع السابق، ص13.
5 – القوصي عطية، المرجع نفسه، ص 15،
6 – الاصطخري، *مسالك الممالك*، المصدر السابق، ص138.
7 – المقدسي، *احسن التقاسيم*، المصدر السابق، ص10.

أجناس مختلفة من أقطار متعدّدة[1]. ومما يذكره أن أحد نواخذة السفن السيرافية كان دليلاً بارعاً في الطرق البحرية واسمه "مافا"، ولقد استأجره أحدهم بمال كثير[2]. ويشير كلود كاهن، أنّ تجار سيراف وبحّارتها هم الذين ابتكروا الوثائق المهمّة التي تحدثت عن تجارة المحيط الهندي[3]، ونتيجة لدورهم الملاحي فقد استغلوا موقع مدينتهم البحري فاشتغلوا في تجارة المحيط الهندي[4]، ونتج عن ذلك تدفق رؤوس الأموال إليها، حيث غدت تنافس البصرة في الثراء، ودون عمان[5]. وكانت ما بين القرنين الثاني والثالث الهجريين /الثامن والتاسع للميلاد، من أهمّ الموانى الخليجية بل أكثرها حركة تجارية بسبب رسوّ السفن الكبيرة في مينائها البحري. وكانت أهمّ منفذ تجاري إلى إيران الجنوبية أكثر منه إلى البصرة وبغداد[6].

أما عمان فقد نمت علاقاتها التجارية والملاحية مع سيراف، خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، حيث كانت السّفن العمانيّة تنقل المتاع من عمان والبصرة إليها[7]، كما نقل العمانيّون تجارتهم عن طريق كرمان إلى نجيرم[8] نرماسير[9]، مرورا بسيراف.

ومع تنامي الأهمية التجارية للموانئ العمانيّة واضطلاعها بدور الوسيط التجاريّ بين أقاليم المحيط الهندي والأقاليم الإسلامية، فقد رجّحت بعض الإشارات الواردة أنّ السفن السيرافية والصينية التي كانت تبحر نحو سيراف كان مرورها بالموانى العمانيّة أوّلا مثل صحار[10]، ولعلّ مرورها كان للتزود بالمؤن وللتبادل التجاريّ مع صحار قبل أن تبحر إلى سيراف.

---

[1] – بزرك، ***عجائب الهند***، المصدر السابق، ، ص34، الاصطخري، ***مسالك الممالك***، ص138.

[2] – الألوسي، ***تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا***، المرجع السابق، ص47-75.

[3] – كلود كاهن، ***تاريخ العرب والشعوب الإسلامية*** المرجع السابق، ص149.

[4] – الألوسي، ***تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا***، المرجع السابق، ص75.

[5] – المقدسي، ***أحسن التقاسيم***، المصدر السابق، ص149.

[6] – كلود كاهن، ***تاريخ العرب والشعوب الإسلامية***، المرجع السابق، ص149.

[7] – المقدسي، ***أحسن التقاسيم***، المصدر السابق، ص14.

[8] – نجيرم هي مدينة من مدن كرمان تقع في الجانب الشرقي من سواحل بحر فارس تنقل إليها تجارات عمان المقدسي، ***أحسن التقاسيم***، المصدر، نفسه، ص327.

[9] – نرماسير هي مدينة من مدن كرمان قصبة عظيمة عامرة يصدر إليها متاع عمان، وهي مجمع لتمور كرمان، المقدسي، ***أحسن التقاسيم***، المصدر نفسه، ص348.

[10] – المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج1/1105.

أما على الصعيد الملاحي والعلاقات المشتركة بين عمان وسيراف في مجال الملاحة البحريّة، فقد أشار الجغرافيون أنّ الملاحة بين عمان وسيراف كانت ممكنة طيلة أيام السنة[1]. وعلى هذا الأساس اشترك العمانيّون والسيرافيّون في نقل تجارة المحيط الهندي على متن سفن كانوا يملكونها[2]. وكانت قوافل السفن العمانيّة السيرافية تخرج في رحلة منتظمة إلى شرق أفريقيا[3]، ويؤكّد الجغرافي العربي المسعودي أنّه ركب من صحار الذي أطلق عليه اسم "سنجار" وهي " قصبة عمان" نحو شرق أفريقية مع جماعة "من النواخذة السيرافيين مثل محمد بن الرويدم السيرافي وجوهر بن أحمد وهم أرباب المراكب". وفي عام 304هـ/916م غادر من جزيرة "قنبلو" على متن مركب يملكه أحمد عبد الصمد أخو عبد الرحيم السيرافي في رحلة شاقة إلى عمان[4]. ويضيف مؤكّدا أنه "وجد نواخذة بحر الصين والهند والسند، والزنج واليمن والقلزم[5]، والحبشة من العمانيّين والسيرافيين، وكانوا من أخبر الناس بركوب البحار"[6]. وقد استمرت العلاقات التجارية والملاحية بين عمان وسيراف طيلة العصور الإسلامية الوسيطة.

II- دور عمان التجاري والملاحي في أقاليم البحر الأحمر

1- العلاقات التجارية مع اليمن.

استمدّت بلاد اليمن مكانتها التجارية بفضل موقعها الجغرافي المهيمن على طرق التجارة العالمية القادمة من منطقة المحيط الهندي وشرق أفريقيا، نحو مصر وموانئ البحر الأحمر، انتهاء بدول المغرب العربي وأوربا فضلا عن هيمنتها على منافذ طرق التجارة البرية النافذة نحو مكة والعراق والشام. ولقد فاقت بلاد اليمن بفضل منتجاتها الزّراعية والصناعية وثرواتها الطبيعية جميع أقاليم شبه الجزيرة العربية من حيث النشاط التجاري[7]

---

1 – المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج1/ص111.

2 – المسعودي، الصدر نفسه، ج1/ص74.

3 – حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، المرجع السابق، ص230.

4 – المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج1/81-82.

5 – وفي الربع الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر للميلاد، نزح السيرافيون من سيراف نحو شواطئ الخليج العربي ويظهر أن معظمهم استقر في صحار وساهم في دفع عجلة التجارة والعمران "ولى الديلم سيراف ونزحوا أهلها إلى سواحل البحر وعمروا قصبة عمان" المقدسي، أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص326.

6 – المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج1/97.

7 – المسري، ***تجارة العراق في العصر العباسي*** ، المرجع السابق، ص382.

فهي تنتج محاصيل زراعية مختلفة ومعادن كثيرة قامت عليها صناعات متعدّدة في أسواق الدولة الإسلامية، وكانت تصدّر منها إلى الخارج خصوصا إلى عمان ومنطقة الخليج العربي.

ومن أهمّ المنتجات الزراعية في اليمن العنب الملاحي، والدوالي والأشهب والدربنج والنواسيّ والزيادي، والرمان الحلو والحامض، والممزوج والمليسى، والسفرجل الحلو، والأجاص، والمشمش، والتفاح الحلو، والتفاح الحامض والممزوج والخوخ الحميري والفارسي، والهندي، والجوز واللوز وغير ذلك[1]. ويذكر ابن الفقيه في كتاب مختصر البلدان، أن "أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن وهي الورس"[2]والكندر[3]والعصب[4]والخطر[5]،ونضيف إلى ذلك الفوّة [6]. ومعظم هذه المنتجات يتمّ تصديرها إلى بلدان مختلفة[7]. وحين زار المقدسي[8] اليمن في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر للميلاد، أعجب بكثرة خيراتها وثرواتها وتجارتها ،فقد وصفها بأنها تنتج أصنافا متعدّدة من السلع التجارية، كان أهمّها معدن العصائب والعقيق والأدم والبقم

---

[1] – الهمداني، ***صفة جزيرة العرب***، المصدر السابق، ص314. ***الجاحظ، التبصربالتجارة***، ص27. يضيف القزويني، أنها تنتج العقيق وهو من أهم، منتجاتها ، ***آثار البلاد وأخبار العباد*** ، ص65،.

[2] – يورد ابن منظور أن "الورس نبت أصغر يكون باليمن تتخذ منه الغمرة للوجه، ***لسان العرب***، ج270/15

[3] – الكندر هو ضرب من العلك وهو "اللبان" و أن كلمة الكندر هي لفظ فارسي أو هندي معناه اللبان المزيج، *سيعد بن مسعود،* ***شذرات من تاريخ ظفار***، *بحث مقدم عن ظفار،* ***حصاد ندوة المنتدى الأولى*** مسقط،1997، ص57.

[4] – العصب، "ضرب من برود اليمن سمى عصباً، لأن له غزل يعصب أي يبرم ثم يصبغ، ثم يحاك وفي الحديث المعتدة لا تلبس المصبغة إلا ثوب عصب والعصب برد يمنية يعصب غزلها أي يجمع ويشد، ثم يصبغ وينسج، ***لسان العرب***، ج232/9.

[5] – الخطر بالكسر، نبات يجعل ورقه في الخضاب الأسود، يختضب به، ***لسان العرب***، ج4/ص138.

[6] – الفوّة ، هي ضرب من الأشجار التي تستخدم لصناعة الألبسة، ويورد ابن منظور تأكيداً على هذا النوع من السلعة، فيشير بأن للفوة عروق نبات يستخرج من الأرض يصبغ بها، وفي التهذيب يصبغ بها الثياب، ويقال لها: بالفارسية"رينن" وقيل اسمها رونينة ولفظها على تقدير حرة وفوة وقيل: هي عروق على رأسها نبات شديد الحمرة وله حب كثير الماء يكتب به لشدة حمرته، وقيل: جرت بها الريح أخيال مظاهر، كما تجر ثياب الفوة العريس، ***لسان العرب***، ج360/10.

[7] – ابن مخرمة، أبي عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد، ***تاريخ ثغر عدن***، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، ص65.

[8] – المقدسي، ***احسن التقاسيم***، المصدر السابق، ص92

والسّاج والسماسم[1] والعاج واللؤلؤ والديباج، والجزع[2] واليواقيت والأبنوس والنارجيل والقند والأسكندروس، والصبر، والحديد، والرصاص والخيزران، والغضائر، والمندل والبلُّور والفلفل وغير ذلك". كما تنتج بلاد اليمن اللبان، والمرّ والشبّ، واشتهرت بزراعة أصناف من النخيل الجيدة، فأقيمت بها المدابس التي لا يعادلها شيء في الجودة[3].

وتحتلّ عدن المركز الأول في تصدير سلع أخرى إلى عمان، مثل العنبر والشرّوب والرقائق والحشيش والخدم وجلود النمور[4] والحرير والكيمخت والمسك والعود والسروج والأمتعة والأهليلجات، والعطريات والطيب والعاج والأبنوس والحلل والثياب المتخذة من الحشيش الذي يعتبر أفخر من الأديم، بالإضافة إلى الديباج[5]. وقد وصف ابن مجاور حركة التجارة في عدن قائلا: "والفرضة كالمحشر به المناقشة والمحاسبة والوزن والعدد"[6] وكانت العشور تؤخذ على البضائع الصادرة والواردة، وكان التجار في عدن يحصلون على أرباح طائلة، وكان التاجر إذا خرج في تجارة من عدن بألف درهم يرجع إليها بألف دينار، ومن التجار من كان يخرج بمائة دينار ويعود إليها بخمسمائة، وآخرون يعودون بكندر أو بكافور[7]. واشتهرت عدن بتجارة القصدير والرصاص واللؤلؤ والحجارة الثمينة والزباد[8]، وكانت محطة رئيسية لتجارة المحيط الهندي وقاعدة بحرية تشحن منها السفن إلى البحر الأحمر والحبشة وزنجبار، وأصبحت في القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر للميلاد، منافسا عنيدا لتجارة جزيرة قيس "كيش" التي كانت تتبوأ مكانة الصدارة في تجارة الخليج بعد سقوط سيراف في خليج فارس[9]، مما حمل حاكمها على تجريد حملة بحرية جريئة لمهاجمة عدن سنة 530هـ/1135م في محاولة لإحكام الحصار عليها، وإرغام تجار الهند على تحويل وجهتهم إلى جزيرته، إلا أن الحملة باءت بالفشل بعد أن تعرّض

---

[1] – السماسم، هو ضرب من الأشجار التي تتخذ منها القسي، ***لسان العرب***، ج254/6.

[2] – الجزع نوع من الأصباغ لونه أصفر، وهو العروق في بعض اللغات، ***لسان العرب***، ج275/2.

[3] – الهمداني، ***صفة جزيرة العرب***، المصدر السابق، ص319.

[4] – المقدسي، ***أحسن التقاسيم***، المصدر السابق، ص92.

[5] – الوردي، ***خريدة العجائب وفريدة الغرائب***، المصدر السابق، ص67. الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، ج54/1.

[6] – ابن مجاور، ***تاريخ المستبصر***، المصدر السابق، ص128.

[7] – المقدسي، ***أحسن التقاسيم***، المصدر السابق، ص92.

[8] – الوردي، ***خريدة العجائب وفريدة الغرائب***، المصدرالسابق، ص67.

[9] – السيد عبد العزيز سالم، ***البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي***، المرجع السابق، ص25.

أسطوله إلى هزيمة ساحقة في مياه عدن[1]، لتحافظ على مكانتها التجارية وكانت تعرف بدهليز الصين [2]، وأصبحت محطّة للسفن التجارية المتّجهة نحو سواحل شرق أفريقيا[3].

وتتميز بلاد اليمن بصناعاتها الجيّدة، وكان أهمها الثياب السعيديّة والحلل العدنية والسيوف اليمنية[4] وكانت سيوف اليمن وبرودها تصدّر إلى الخارج لجودتها[5] و يورد ابن المجاور إشارة إلى بعض صناعات اليمن حيث يقول: "وتخرج من زبيد البرود ثمانية أذرع باليد ويشدّ حملها مائة واثنتين وعشرين بردة شدّ الشجر وشقّ الحرير وأبيض وطول الشقة عشرون ذراعا بالحديد وطول البيرم[6]، ستة أذرع والسباعية سبعة أذرع وهي صنفان؛ أحدهما حرير صرف والثاني خليط حرير، وكتان في عرض أربعة أذرع والملايات والحراب والفوط سوسي[7]. وكانت الجلود الجيدة تدبغ في اليمن، وقد اشتهرت مدينة صعدة بهذه الصناعة بالإضافة إلى مدينة جرش وخيران، ونجران، وكان يخرج من هذه المدن أجود أنواع الجلود المدبوغة[8]. ولقد عمل أهل سيراف في تجارة هذه السلعة، فكانوا يأتون إلى اليمن ويشرعون في بناء المدن المندثرة، ويقيمون فيها المدابغ. ويحدّثنا ابن المجاور عن ذلك فيقول: "وكلّ مدينة بناها الفرس من أهل سيراف بنوا فيها المدابغ وعملوا بها طواحين القرظ ولا شك أن القوم كانوا دباغين...فكانوا يدبغون الأدم ويجلب إليهم من أعلى مكة ونجران إلى عمان ومن بني زهرة إلى كرمان وجزيرة "قيس" و"جنابة" وفارس ومن زيلع وعدن"[9]، ويتمّ تصديره إلى العراق وخراسان وكرمان وخوارزم، وهجر والبحرين[10].

وقد ارتبطت عمان بحكم امتداد سواحلها البحرية، بعلاقات تجارية مميّزة مع اليمن ويؤكّد المقدسي الذي عاش في القرن الرابع الهجري، العاشر للميلاد عمق العلاقات العمانيّة

---

1 – الإدريسي، نزهة المشتاق، ج157/1. أبن مجاور، ***تاريخ المستبصر***، المصدر السابق، ص97.

2 – المقدسي، ***أحسن التقاسيم***، المصدر السابق، ص42.

3 – مجموعة من المؤرخين، ***عمان في التاريخ***، المرجع السابق، ص184.

4 – الجاحظ، ***التبصر بالتجارة***، المصدر السابق، ص42.

5 – القزويني، ***آثار البلاد وأخبار العباد***، المصدر السابق، ص69.

6 – يورد ابن منظور أن لفظ البيرم هي كلمة فارسية معناها عتلة النجار، وقد روى عن ابن عباس أنه قال: قال الرسول (صلعم) من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون ملأ الله سمعه من البيرم. ***لسان العرب*** ، ج392/1.

7 – ابن مجاور، ***تاريخ المستبصر***، المصدر السابق، ص89 .

8 – المسري حسين ، ***تجارة العراق في العصر العباسي*** ، المرجع السابق، ص385.

9 – ابن المجاور، ***تاريخ المستبصر***، المصدر السابق، ص97 .

10 – ابن المجاور، المصدر نفسه ، ص98.

اليمنية في المجالين الملاحي والتجاري في إشارة إلى أن مسقط كانت أوّل محطة تجارية للسفن اليمنية التي كانت تنقل التجارة اليمنية إلى عمان "ومسقط أول ما يستقبل المراكب اليمنية، ورأيته موضعا حسنا كثير الفواكه"[1]. ويورد الإدريسي بدوره في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر للميلاد تأكيدا على عمق الصلات التجارية بين عمان واليمن مؤكدا أن صحار هي المدينة التجارية واسعة الثراء قديما وحديثا وكانت ترد إليها التجارات من جميع أنحاء البلاد خصوصا من اليمن،[2] ويلاحظ هنا أنّ المراكز التجارية والموانئ حينذاك قد شهدت حضورا كبيرا من مختلف الأجناس كاليهود وغيرهم، إذ تؤكّد المصادر أنّ اليهود كانوا من أبرز الجاليات التي كانت تعمل في حقل تجارة في مينائي صحار وعدن. ففي عدن استحدث تاجر يهودي يدعى خلف اليهودي النهاوندي- في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد – نظاماً تؤخذ بموجبه العشور على البضائع الواردة إلى عدن[3] أو الصادرة منها. ويبدو أنّ السّلطة الحاكمة في اليمن لم تعارض القوانين الهادفة إلى تنشيط التجارة التي يفرضها التجار الغرباء ، ولعلّ اليهود- الذين كانوا يعملون في حقل الصّيرفة ويسيطرون على تجارة الجملة وتجارة اللآلئ – كان لهم دور كبير في تنشيط عمليّة التبادل التجاري في عدن[4]. أما صحار فقد أشرنا إليها في مواضع مختلفة من هذه الاطروحة على أنها اشتهرت بحضور بارز للتجار اليهود الذين عملوا على تنشيط الحركة التجاريّة بها.

2- العلاقات التجارية مع مصر

إن تاريخ العلاقات التجاريّة بين عمان ومصر يكاد يكون مجهولا خلال القرون الإسلامية الأولى، فالمصادر الإسلامية لا تذكر شيئا يعتدّ به سوى بعض الملاحظات العارضة عن علاقة عمان التجارية بمصر. لكن عدم وجود أدلة قطعية عن النشاط التجاري القائم بين عمان ومصر آنذاك والعلاقات الملاحية المشتركة بين الأقطار الإسلامية التي كانت تتحكّم في نقل تجارة المحيط الهندي، لا يعني أنّه أمر يستحق الإغفال، فموقع عمان البحري ودورها الملاحي في مياه المحيط الهندي، كانت تحكمه علاقات ملاحية

---

1 – المقدسي، *أحسن التقاسيم*، المصدر السابق، ص88.

2 – الإدريسي، *نزهة المشتاق*، المصدر السابق، ج156/1.

3 – ابن مجاور، *تاريخ المستبصر*، المصدر السابق، ص140. ابن مخرمة، *تاريخ ثغر عدن*، المصدر السابق، ص58.

4 – جاك ريسلر، *الحضارة العربية*، ترجمة خليل احمد خليل، منشورات عويدات بيروت ط1، 1993. ص139.

وتجارية مع جميع الأطراف التجارية التي كانت تقوم بنشاط تجاري مع المراكز التجارية في منطقة الخليج كالبصرة وسيراف وبغداد. إذ يلاحظ هنا من خلال إشارات بعض الجغرافيين والمؤرخين، أنّ هناك صلاتا قديمة بين عمان ومصر، يرجع تاريخها إلى الفتوحات الإسلامية حين شارك أهل عمان والبحرين واليمن في فتح مصر[1]، ولعلّ انتقال مركز التجارة من البحر الأحمر إلى الخليج العربي، وطّد الصلات بين مركز الخلافة والأقاليم الإسلامية. ولما كانت مصر تتمتّع بموقع خصب ثري، فكيف يتجلى دورها في تنشيط الحركة التجاريّة بين الشرق والغرب؟

لقد عزّز موقع مصر المتميّز وأرضها الخصبة – التي تنتج أنواعاً مختلفة من المحاصيل الزراعية– من تدعيم علاقاتها التجاريّة القائمة بينها والأقطار الإسلامية في المشرق العربي ومنها عمان. كما أنّ موقع مصر الجغرافي له أثره الكبير في توطيد علاقاتها التجارية مع مختلف دول المغرب الإسلامي والأندلس انتهاء بأوروبا. فالتجارة البحرية الذاهبة من الخليج العربي نحو دول المغرب الإسلامي والأندلس، يتعين مرورها بالموانئ العمانيّة انتهاء بأراضي مصر، وكذلك الحال بالنسبة إلى التجارة القادمة من دول المغرب الإسلامي والأندلس نحو المشرق الإسلامي. فموقع مصر كان أهمّ نقطة التقاء التجارات[2] القادمة من عمان ومنطقة الخليج العربي ومن أقطار دول المغرب العربي.

ولقد امتدح المقدسي تجارات مصر قائلا: "وهو بلد التجارات يرتفع منه أديم جيد والبطائن[3] الحمر والهملختات[4] والمثلث هذا من مصر ومن الصّعيد الأرز والصوف والتّمور والنحل والزبيب ومن تنيس الأدمياط الثياب الملزمة الفيوم الأرز ومن بوصير فريدس الكتان ومن دمياط القصب ومن الرفيع و الفرما الحيتان ومن مدنها القفاف والحبال من الليف في غاية الجودة ولهم القباطي والأرز والخيش والعباداني والحصر والحبوب والجلبان ودهن الفجل والزنبق"[5]. وتأتي حبوب القمح والشعير على رأس قائمة الصادرات

---

[1] – حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، المرجع السابق، ص149. السهيل عيد نايف، ***الأباضية في الخليج العربي***، مكتبة الاستقامة مسقط، 1998م،ص145.

[2] – المسري، ***تجارة العراق في العصر العباسي***، المرجع السابق، ص351.

[3] – البطانة من الثوب بخلاف ظاهرته، ***لسان العرب***، ج435/1 .

[4] – هملخت، الحذاء الطويل الرقبة، المقدسي، ***احسن التقاسيم***، المصدر السابق، ص173.

[5] – المقدسي، ***أحسن التقاسيم***، المصدر السابق، ص173.

المصرية حيث تنطلق قوافل السّفن[1] الموسوقة بعدول القمح المصري نحو عدن وعمان والبحرين انتهاء بالبصرة[2].

ونتيجة لموقع مصر المتميّز وخيراتها الوفيرة، فقد ظهرت بها مراكز تجارية، كان من أهمها مدينة الفسطاط والأسكندرية. وتعتبر الفسطاط ملتقى التجارات القادمة من الخليج العربي والشام[3] وتجارة المغرب والأندلس[4]. وقد وصف المقدسي ميناء الفسطاط قائلا: "فهو مصر مصر وناسخ بغداد ومتجر الإسلام ومتجر الأنام وأجل مدينة السلام، خزانة المغرب ومطرح المشرق وعامر الموسم"[5]. كما اشتهر ميناء مدينة الإسكندرية لوقوعه على البحر الأبيض المتوسط، بتوزيع التجارات بين تجار المشرق والمغرب[6].

أما البحر الأحمر، فكان يستخدم كمعبر مائيّ لتجارة بلاد العرب الجنوبية منذ أزمنة موغلة في القدم، حيث كانت موانئه تتكدّس فيها السّلع الواردة من الهند والتي ساهم العمانيّون وغيرهم من التجار المسلمين في جلبها[7]. إذ يؤكّد المسعودي في مطلع القرن الرابع الهجري أنه وجد نواخذة بحر القلزم من العمانيّين والسيرافيّين. وكان هؤلاء يتحدثون بمعلومات قيمة عن البحر الحبشي تختلف عن المعلومات التي ذكرها الفلاسفة قبلهم[8]، كما أضاف "بأن العمانيّين كانوا هم أرباب المراكب، وكانوا يشاهدون في البحر الأحمر في الوقت الذي كانت فيه زيادة النيل بمصر"[9]، وأشار إلى أنّ مدينة القلزم كانت مخزنًا كبيراً تتجمع فيها تجارات دول المحيط الهندي والمشرق العربي الواردة عن طريق البحر الأحمر، وكذلك السلع الواردة عن طريق البحر المتوسط. كما يضيف المسعودي، في

---

[1] – يورد ابن ظهيرة "أن مصر فرضة الدنيا يحمل من خيرها إلى سواحلها وإلى سائر البلاد، فمن جهة القلزم ينقل المتاع إلى الحرمين وجدة، وعدن، وعمان، وصنعاء و الشّحر والهند والسند والصين، ابن ظهيرة، ***الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة***، تحقيق مصطفى السقاء وزارة الثقافة، مصر 1969م، ص101.

[2] – لومبارد، ***الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي***، المرجع السابق، ص214.

[3] – ابن خرداذبه، ***المسالك والممالك***، المصدر السابق، ص79–80.

[4] – المقدسي، ***أحسن التقاسيم***، المصدر السابق، ص167.

[5] – المقدسي،المصدر نفسه، ص168، الاصطخري، ***مسالك الممالك***، ص49.

[6] – مجهول، ***كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار***، جامعة الكويت، 1985م ص91–83 المسري حسين، ***تجارة العراق في العصر العباسي***، المرجع السابق، ص295

[7] – السيد، عبد العزيز سالم، ***البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي*** المرجع السابق، ص7.

[8] – المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج1/179.

[9] – المسعودي، المصدر نفسه، ج1/74.

إشارة إلى السلع الهائلة الواردة إلى هذه المدينة، أنّه يحمل إليها المتاع من جميع الممالك وأن جميع البلدان المطلّة على هذين البحرين كانت تحمل أمتعتها وتفرغها في القلزم[1]، مما يؤكّد على أهمية دورها الرئيسي في إعادة تصدير السلع إلى الوجهات التي تتمّ المتاجرة معها. وظلّت "القلزم" منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري محطّة رئيسية للتجارة الشرقية، وقد ساعدها على ذلك ضعف الدولة العباسية وظهور دولة الفاطميين في مصر. وهو ما ترتّب عنه تحوّل التجارة البحرية من الخليج العربي إلى البحر الأحمر وأصبحت مصر في عهد الفاطميّين وما بعده تعتمد في تجارتها على توابل "الكارم"، التي قام بنقلها الكارمية العرب إلى ميناء القلزم، وأنّ تجار عمان والبحرين كانوا في طليعة الذين نقلوا هذه التجارة إلى مصر الإسلامية آنذاك[2].

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الفاطميين في مصر حرصوا على تأمين طرق التّجارة البحرية، حيث عملوا على حراسة السّفن التجارية في البحر الأحمر، وقاموا بدور كبير في تشجيع التجار. ففي عام 387هـ/997م، أعفى الحاكم بأمر الله أهل القلزم مما كان يؤخذ منهم من مكوس المراكب الواردة بسلعها تشجيعا للتجارة الواردة[3]. ويبدو أنّ الفاطميين اتخذوا هذه الخطوة بهدف ضرب تجارة الخليج العربي، عملا على احتكارها، والانفراد بالزّعامة على الدول التجارية المطلّة على ضفاف الخليج العربي. ولم يكتف الفاطميّون ببسط نفوذهم على مصر والشام فحسب، بل أخذوا يتطلّعون إلى مد نفوذهم إلى منطقة الحجاز بهدف السيطرة على الزعامة الروحيّة من جهة، وبسط النفوذ على المراكز التجارية والموانئ المنتشرة على ضفاف البحر الأحمر من جهة ثانية. كما حاول الفاطميون نشر الدّعوة الإسماعيلية في اليمن، وامتدّت هذه المحاولة إلى عمان والبحرين والهند، وكانوا يهدفون من وراء ذلك إلى مزاحمة العباسيين[4]. أما "القلزم" فقد ظلّت بالإضافة إلى وظيفتها التجارية، الميناء الأوّل الذي يبحر الحجاج منه إلى جدّة. كما حافظت على ممارسة نشاطها

[1] – المسعودي، **التنبيه والإشراف**، المصدر السابق، ص19، المسري حسين، ***تجارة العراق في العصر العباسي***، المرجع السابق، ص294.

[2] – سحر السيد سالم، ***عمان وطريق تجارة التوابل عبر المحيط الهندي في العصر الإسلامي***، بحث مقدم إلى مؤتمر طرق الحرير، اليونسكو– نوفمبر 1990م، منشورات وزارة التراث، مسقط، ص58.

[3] – السيد عبد العزيز سالم، ***البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي*** المرجع السابق، ص23.

[4] – سحر السيد، ***عمان وطريق تجارة التوابل عبر المحيط الهندي في العصر الإسلامي***، المرجع السابق ، ص59.

التجاري حتى اندثارها في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد، لتحل محلها عيذاب التي أصبحت ميناءً هامّاً في بداية العهد الفاطمي الثاني[1].

لقد ظهرت عيذاب كأهم ميناء لاستقبال التجارة الشرقية، وكانت فرصة مهمّة للأراضي المقدسة. وقد ارتبطت ارتباطا وثيقا بتطوّر الملاحة في البحر الأحمر منذ سنة 380هـ/990م، وأصبحت الميناء الرئيسي للحطّ والإقلاع سواء بالنسبة للحجاج الذين يأتون من دول المغرب ومصر، أو للتجارة الواردة عبر البحر الأحمر[2]. كما أصبحت فرضة تجار مصر واليمن والسودان[3]، وقد بلغت في نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر للميلاد حدّا كبيرا من الثراء والازدهار[4].

III- دور عمان التجاري في بلاد المغرب

1- تأسيس الإمامة الأباضية في المغرب عامل مساعد.

لقد تنامى الدور التجاري العماني في دول المغرب الإسلامي عن طريق مركز الدعوة الأباضية في البصرة[5]. فلقد اختلفت إليها وفود من عمان وممن اعتنق الدعوة الاباضية من الأقطار الإسلامية الأخرى، وقد دعّم هؤلاء موقف قادة الحركة الأباضيّة وعلماؤها في البصرة، فاتخذوا من النشاط التجاري مسلكا لنشر دعوتهم في الاقاليم الاسلامية عامة، ودول المغرب العربي بشكل خاص. وكانت البصرة قد شهدت نشاطا ملحوظا للحركة منذ النصف الثاني من القرن الاول الهجري/ الثامن للميلاد، حيث اتخذ قادتها مبدأ الشورى والمساواة سمة أساسية لنشر دعوتهم، الأمر الذي تمخّض عنه دخول أناس عديدين فيها، خصوصاً ممن تولّد لديهم شعور بالارهاصات من جراء سياسات بني أميّة والعباسيين، وهو ما جعل زعامات الحركة ينتخبون ناشطين من تلاميذهم وتلقينهم مبادئ مذهبية سيسولوجية،

---

1 – السيد عبد العزيز سالم، *البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي*، المرجع السابق، ص23.

2 – المسري حسين، *تجارة العراق في العصر العباسي* ، المرجع السابق، ص293-294.

3 – شيخ الربوة، *كتاب نخبة الدهر* ، المصدر السابق، ص269.

4 – آدم متز ، *الحضارة الإسلامية* ، المرجع السابق، ج368/2. أبو الفداء، *تقويم البلدان*، ص121. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، ج134/1.

5 – القلهاتي، محمد سعيد، *الكشف والبيان*، تحقيق محمد بن عبد الجليل، سلسلة الدراسات الإسلامية، تونس 1984م، ص73.

ومن ثم إرسالهم دعاة للحركة في أقطار نائيّة عن عيون الخلافتين الأموية والعباسيّة. وكان نشر الدّعوة يتم تحت أجنحة التجارة والهجرة بغية التمويه والإفلات من بطش خصومهم.

كان الدعاة يتوجهون[1] لنشر الدعوة الأباضية[2] إلى الأمصار بعد تلقيهم أصولها ومبادئها على أيدي علماء الحركة في البصرة. ولقد بعث أبو عبيدة بن مسلم بن أبي كريمة في مطلع القرن الثاني الهجري/الثامن للميلاد، داعيته سلمة بن سعيد لنشر الدعوة الأباضية بين المغاربة في المغرب العربي. واستطاع "سلمة" أن يكسب ود أنصار من إقليم طرابلس وجبل نفوسة، وبعد وفاته حلّ محله أبوعبد الله محمد بن عبد الحميد بن كغيطر، الذي كان قد تتلمذ هو الآخر على يدي أبي عبيدة، وقد انتشر المذهب الأباضي بين بربر نفوسة، كما انتشر بين مختلف القبائل الأخرى، مثل هوارة ولماية وزناته وسدراته، وزواغة. أمّا مطماطة فلم تعتنق المذهب إلا في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم. وبانتشار المذهب في أرجاء مختلفة من المغربين الأدنى والأوسط، كانت الحاجة إلى التّشبّع بالمزيد من تعاليمه الفقهية، وعندئذ تمّ اختيار ممثّلين من الجهات التي انتشر فيها المذهب للتّوجه إلى البصرة. فكان من بين الذين تمّ اختيارهم عاصم السدراتي من غرب أوراس، وأبو داود القبلي النفزاوي من نفزاوة بجنوب أفريقية وإسماعيل بن درار من غدامس جنوبي طرابلس، وانضمّ إليهم عبد الرحمان بن رستم[3] من القيروان، ومن المشرق أبو الخطّاب عبد الأعلى

---

[1] – محمود إسماعيل عبد الرازق، *الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري*، مكتبة الحرية الحديثة، عين شمس، 1986، ص54.

[2] – بدأت الدعوة الأباضية بشكل سري في البصرة، وقد قاومها والي البصرة عبيد الله ابن زياد وأودع بعض دعاتها السجن، إلا أن اضطراب الأحوال السياسية في الدولة الأموية بعد وفاة الخليفة الأموي يزيد بن معاوية، أدى إلى خروجهم من السجن، الأمر الذي أتاح لهم المجال أن ينشروا دعوتهم بين أهل البصرة فكسبوا ود كثير من مؤيديهم في البصرة، و يظهر أن الحجاج بن يوسف الثقفي كشف أمرهم فضيّق الخناق عليهم بالقتل والسجن ونفى جابر بن زيد الى عمان، ومن هناك بدأ الأخير في نشر الدعوة الأباضية، غير أنه عاد إلى البصرة لمتابعة التنظيم السري للدعوة حتى وفاته (95هـ /713م)، Ennami.op.Cit.p.71 . **خلفيات عوض، نشأة الحركة الأباضية، الجامعة الأردنية** 1978م، ص94-102. محمود إسماعيل ، *الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري*، المرجع السابق، ص144-170. السيد عبد العزيز سالم، *تاريخ المغرب في العصر الإسلامي*، شباب الجامعة للطباعة، 1982، ص449.

[3] – هو عبد الرحمان بن رستم بن بهرام بن كسرى الملك الفارسي. كان والده منجمّا، وقد خرج من العراق يريد مكة لأداء فريضة الحج، وحين وصل أرض مكة أدركته المنية فالتقى عبد الرحمان وأمه بالحجاج المغاربة. وقد تزوج رجل من القيروان بأم عبد الرحمان، ونشأ عبد الرحمان تحت كنف أمه بالقيروان حتى أكمل سن الرشد. ثم عاد إلى العراق وتتلمذ على يد أبو عبيدة بن مسلم مع جملة من طلبة العلم المغاربة. الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاى،بدون تاريخ. ج20/1.

بن السمح المعافري اليمني[1] الذي اختاره أبو عبيدة لإمامة الدولة الأباضية التي نوى البربر إقامتها في المغرب العربي، لما يتمتّع به من فقه ودراية بأصول المذهب. وعاد حملة العلم إلى المغرب وبصحبتهم أبو الخطاب، وقد واصلوا جهودهم في تثبيت دعائم المذهب عازمين على نشره في مختلف أرجاء المغربين الأدنى والأوسط، وإحياء دولة الإمامة.

وفي محرم سنة 140هـ/757م، أعلن قيام الإمامة الأباضية في موضع يقـال لـه صـيّاد غرب طرابلس، وقد تمكّن أنصارها من الاستيلاء على كافة إقليم طرابلس[2] واتخذوها مقرا لهـم، بعد أن طردوا واليها. وانضمّت إليهم قبائل زناتة، وهوارة. وقد عظم شأن أبي الخطـاب وامتـدّ نفوذه شرقا إلى برقة وغربا إلى القيروان، وفي الجنوب إلى فزان. وفي تلك الظرفية، كانت قبيلـة ورفجومة الصفرية بقيادة عاصم بن جميل- وهي قبيلة من غلاة الصفرية- قد دخلـت القيـروان واستحلّت فيها المحارم وأساءت إلى الإسلام. ولمّا علم أبو الخطاب بكى رحمة بأهلها وأعدّ نحـو ستة آلاف من أتباعه، وتمكّن بعد السيطرة على قابس، من دخول القيروان وطرد الصفرية منهـا وقتل عبد الملك بن أبي الجعد قائد عاصم بن جميل، ودخل المدينة عام 141هـ / 758م[3]، وولّى عليها عبد الرحمان بن رستم نائبًا له. ولما توجّه أبو الخطاب لمواجهة ابن الأشعث، نـصّب ابـن رستم خليفة له على إفريقية. غير أن المواجهة انتهت بمقتل أبي الخطاب. لينتهي عهـد إمامتـه. وقد أدى ذلك إلى دخول الدولة الأباضية في مرحلة ثانية، وهي تأسيس دولة الرستميين الأباضـية في تاهرت[4].

2-العلاقات مع دولة بني رستم في تاهرت 160-297هـ أنموذجا.

بعد أن حلّت الهزيمة بأبي الخطاب وجيوشه على أيدي ابن الأشعث وجيوش الخلافة العباسية، هرب عبد الرحمان بن رستم مع جمع غفير من أتباعه نحو المغرب الأوسـط.

---

[1] - يورد معمر إشارة إلى أن أبا الخطاب هو أحد طلبة العلم العمانيّين الذي جـاء إلـى البـصرة لتلقـي العلـم والأصول الفقهية للمذهب الأباضي، وبعد التخرج انظم إلى رفاقه المغاربة. وكانت ليبيا محطته الأولى. ولـم يلبث سوى فترة قصيرة حتى تقلد أول إمامة أباضيّة في المغرب العربي، وكانت قد اتخذت من طرابلس مقرا لها. أما بعض الكتاب فينسبه إلى اليمن. معمر، ***الأباضية في موكب التاريخ***، مكتبة وهبـه 1979م، ص130 السيد عبد العزيز سالم، ***تاريخ المغرب في العصر الإسلامي***، المرجع السابق، ص449.

[2] - معمر علي يحي، **الأباضية في موكب التاريخ**، مكتبة وهبة 1979م، ص130 خليفات، عوض، ***نشأة الحركة الاباضية***، ص137. السيد سالم، ***تاريخ المغرب***، المرجع السابق، ص449-450.

[3] - محمود إسماعيل، ***الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري***، المرجع السابق، ص 146-147. السيد عبد العزيز سالم، ، ***تاريخ المغرب في العصر الإسلامي***، المرجع السابق، ص455.

[4] - البكري، أبي عبيد ، ***المسالك والممالك في ذكر افريقية والمغرب***، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة بدون تاريخ، ص68.

وفي هذه الأثناء أجمع الأباضية على مبايعته لرئاستهم[1]. وبعد أن تقلّد الإمامة، شرع ابن رستم في تأسيس كيان الدولة الرّستميّة الأباضيّة التي دامت نحو مائة وسبع وثلاثين سنة (160-297هـ/776-909م)، وقد تحمّس لها أباضيّة المشرق وقدّموا لها الدّعم المادي والمعنوي، ويطرح هنا موضوع تأسيسها إشكاليّة طبيعة هذا الدعم، فما هي المساعدات التي قدّمها أباضيّة المشرق للدّولة الرّستميّة؟

ما إن تمّ تأسيس الدّولة الأباضيّة في المغرب على أيدي بني رستم، سارع أباضيّة المشرق، في عمان والبصرة، إلى تقديم دعمهم الماديّ والمعنويّ لهذه الدّولة الفتيّة. فلقد جهّز الإمام الربيع بن حبيب معونة تجاريّة تقدّر قيمتها باثني عشر ألف دينار لحساب عبد الرحمان بن رستم، وهي على شكل سلع قيّمة اشتراها له من البصرة، وبعث بها أحد أخوته، فسلّمت إلى تجّار تاهرت[2]. كما عقد حاجب الطّائي[3] صفقة تجاريّة مع تاهرت بلغت كلفتها نحو ثمانين ألف دينار مقايضة[4]. وساهم أباضيّة البصرة بدعم سخيّ بلغ نحو ثلاثة أحمال من المال[5] وستّ غرائر[6]. و لمّا وصل المال إلى بني رستم اشترت الدولة منه السّلاح والكراع. أمّا ما تبقى منه فقد تمّ توزيعه على الضّعفاء والفقراء وشيّدت منه عمارة البلاد، وأحييت منه الأرض الموات.[7]

وقد ذكر الإدريسي تاهرت في معرض حديثه عن المغرب العربي أنّها كانت لها في قديم الزمان "تجارات وبضائع وأسواق عامرة، وبأرضها مزارع، وضياع جمّة وبها نتاج البرادين ومن الخيل كلّ حسن، وأمّا البقر والغنم بها فكثير جدّا، وكذلك العسل والسمن وسائر غلاتها

---

[1] - محمود إسماعيل، ***الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري***، المرجع السابق، ص149.

[2] - ابن سلام الأباضي، ***الإسلام وتاريخه من وجهة نظر الأباضية***، تحقيق زف شفارتز وسالم يعقوب دار اقرأ بيروت 1985م، ص131.

[3] - ذكر ابن مداد أن حاجب الطائي أصله من عمان ومولده البصرة ويكنى بأبي "مودود" بن مداد سيرة ابن مداد منشورات وزارة التراث مسقط، عمان 1984م، ص119 .الشماخي، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، ***السير والجوابات***، القاهرة الطبعة الحجرية، بدون تاريخ، ص3.

[4] - ابن سلام الأباضي، ***الإسلام وتاريخه من وجهة نظر الاباضية***، مصدر سابق، ص135.

[5] - يذكر، جورج مارسية أنّ أباضيّة البصرة أوفدوا بعثة إلى تاهرت محملة بثلاث حمولات هدايا ثمينة فقبلها عبد الرحمان بن رستم، غير أنه رفض بعد ذلك هدايا أثمن، مما جعل الأباضية المشرقيين يميلون إليه لنزاهته "فأقروا بإمامته وواصلوا بكتبهم ووصاياهم"، مارسية جورج، ***بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى***، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، المعارف الإسكندرية، بدون تاريخ ص120 .

[6] - عبدالحكيم غنتاب، ***دور البصرة التجاري***، المرجع السابق، ص300

[7] - كاشف اسماعيل، ***أباضيّة عمان ونشر الإسلام في بلاد المغرب***، حصاد ندرة الدراسات العمانيّة، 1980م، ص223.

مباركة، وبها مياه متدفقة وعيون جارية تدخل أكثر ديارهم ويتصرّفون بها ولهم على هذه المياه بساتين وأشجار تحمل ضروبا من الفواكه الحسنة وبالجملة إنها بقعة حسنة"[1].

وقد نقلت السّلع الشّرقية إلى تاهرت بواسطة التجار الأباضيّين[2]. وكان الوسطاء من العمانيّين المقيمين في البصرة، ينقلون السّلع التجاريّة الواردة من الشرق الأقصى إلى بلاد المغرب. وأهمّ هذه السلع، الخزّ والبزّ والحلل البحرانيّة والمناديل الحريرية الكوفيّة والجواهر والياقوت الأزرق والأحمر والماس المستورد والمكاييل. فضلا عن بضائع المشرق الإسلامي التي حملوها إلى المغرب كالثياب مختلفة الألوان والديباج والخزف العراقيّ متقن الصّنع وماء الورد واللّبان العماني[3]. وقد أصبحت تاهرت محطّة تجارية مهمة وقبلة التّجار بفضل ثرائها وانفتاحها أمام التجارة الوافدة إليها، فجاؤوها من المشرق وابتنوا مساكن لهم وأقاموا متاجرهم. وكانوا "يجتمعون مع أهل وطنهم حتى إنك لا ترى دارا، إلا قيل هذه لفلان الكوفي وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي وهذا مسجد القرويين ورحبتهم وهذا مسجد البصريين وهذا مسجد الكوفيين حتى سميت بعراق المغرب"[4]. ويروي أحد علماء أباضيّة المغرب أنّه كان قد حفظ القرآن عن طريق احتكاكه بالتّجار الوافدين إلى المغرب من المشارقة العمانيّين.[5]

وقد انتظم الدّعم المادي والمعنوي من أباضيّة عمان إلى أباضيّة الدولة الرستمية. إذ أنّ الربيع بن حبيب كان قد بعث أخاه إلى تاهرت بمعونة ثانية حمل فيها أصنافا مختلفة من السلع والبضائع المشرقيّة[6]. وقد ظلّ تقديم المساعدات المختلفة قائما، إذ أنّه حين احتدم الشقاق داخل بيت الدولة الرّستميّة على الخلافة في تاهرت، واصل أباضيّة المشرق مساعداتهم الروحيّة والأدبيّة، فكانوا يتدخّلون في حلّ كل المشاكل العالقة بين المتخاصمين على شغل منصب الإمامة في الدولة. إضافة إلى تدخّلهم في حلّ المسائل المذهبيّة كانشقاقات النّكار، والخَلَفيّة. حيث احتكموا إلى أباضيّة المشرق ومنهم العمانيّون[7]. وأنّ الربيع بن حبيب، بعث رسالة إلى عبد الوهاب بن

---

[1] - الإدريسي، *نزهة المشتاق*، المصدر السابق، ج356/1، ياقوت، *معجم البلدان*، ج426/1-427.

[2] - بوتشيش،ابراهيم القادري، *التواصل الحضاري بين عمان والمغرب*، جامعة السلطان قابوس،2000م. ص59.

[3] - بوتشيش، المرجع نفسه، ص60.

[4] - مارسية جورج، *بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى*، المرجع السابق، ص129.

[5] - بوتشيش، المرجع السابق، ص59. محمود إسماعيل، *الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري* ، ص202.

[6] - الشماخي، *السير*، المصدر السابق، ص161.

[7] - الشماخي، *السير*، المصدر نفسه، ص146.

عبد الرحمان بن رستم يرشده فيها إلى أصول بعض الحدود التشريعية "لو صحّ في الإمامة شرط لما أقيم لله حقّ ولا حدّ ولعطلت الحدود، وبطلت الأحكام وضاع الحـق، علـى أنّ الإمام إذا قدم إليه السّارق فلا يصيب أن يقيم حدّا فيقطع يده حتى تحضر الجماعة... وأمّا في تولية رجل من المسلمين إذا كان فيهم من هو أعلم فذلك جائز فالإمامـة صـحيحة"[1]. ونتيجة للتّواصل التجاريّ وللنّموّ الاقتصاديّ الذي عايشته تـاهرت، فقـد شـهدت نمـوّا ديمغرافيّا، بسبب إقبال التّجار من مختلف الجنسيّات للاستيطان بها. ولقـد توالـت وفـود العمانيّين بعائلاتهم على تاهرت بأعداد كبيرة، وامتدّ انتشارهم إلى مدن أخرى كـسلجماسة وورجلان وغيرهما[2].

كما تبادل علماء المغرب الزيارات مع نظرائهم المشارقة لطلب العلم وللتجارة، ومن أشهر علماء المغرب والأندلس الذين زاروا عمان، المحدث أبو الحسن علي بن أحمد بـن عبدالعزيز الأنصاري الميرفوجي الذي رحل إلى البصرة وطاب له المقام بها عامين. ثـم ارتحل إلى عمان، وما لبث أن عاد إلى مكّة سنة 473هـ/1080م ، ثمّ عاد إلى البـصرة، حيث توفي بها في العام التّالي. وممن زار عمان أيضاً أبو عبـد الله محمـد بـن عيـسى الأندلسي، حيث كانت زيارته في النصف الأول من القرن الرابـع الهجـري. وقـد درس الحديث وأمور الفقه بها[3]. كما بعث العالم العماني محمد بن محبوب الرّحيل رسـائل إلـى أباضيّة المغرب، للرّد على أسئلتهم في أمور فقهيّة مختلفة، كالزكـاة والحكـم والقـضاء، وحول مسألة قبول الإمام أو القاضي للهدايا. وقد بيّن فيها المحرّمات كالرشـوة والـسّرقة وبيّن فيها أحكام العامل الفقير الذي قد تظهر بحوزته أموال كان قد أخذها من غير ميراث. ثمّ بيّن إقامة الحدّ والارتداد، وأحكام الغزو والجهاد[4]. وهذه الأمور الفقهيّة التي بعث بهـا أباضيّة عمان إلى أباضيّة المغرب تجوّز لنا القول إنّ التّواصـل التجـاريّ بـين عمـان والمغرب كان مقرونا بالتّواصل الثقافي وبالعلوم الفقهيّة المتبادلة. وكان ذلك يجري تحـت مظلّة التجارة بعيدا عن الشكوك المحتملة من خصومهم السياسيّين. ويـذكر الـشماخي أن

---

[1] – محمود إسماعيل، ***الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري***، المرجع السابق، ص314.

[2] – بوتشيش، ***التواصل الحضاري بين عمان والمغرب***، المرجع السابق، ص70.

[3] – سحر السيد سالم، ***عمان وطريق تجارة التوابل عبر المحيط الهندي في العصر الإسلامي*** ، المرجع السابق، ص59.

[4] – كاشف إسماعيل، ***أباضيّة عمان ونشر الإسلام في بلاد المغرب***، المرجع السابق، ص304-305.

أباضيّة المشرق نسخوا آلاف الكتب لتزويد مكتبة المعصومة بتاهرت[1]. وكان ديوان نفوسة يحتوي على نحو ثلاثمائة وثلاثين ألف مجلد من مؤلفات المشارقة[2]، فضلا عن مؤلفات أباضيّة المغرب أنفسهم.

لقد عُرف أباضيو المشرق بنشاطهم التجاري وعلاقاتهم المتميّزة في المجالين العلمي والثقافيّ. فبالرغم من الخلافات المذهبيّة مع خصومهم، والكبوات المتتابعة، إلاّ أنّ كلاّ من الثقافة والتجارة بين المشرق والمغرب ظلّتا مترابطتين ترابطا وثيقا. وقامت الدولتان الرّستميّة والمدراريّة[3] في ميدان التّجارة بدور نشط عبر الصحراء شرقا وغربا وجنوبا وشمالا، وكذلك في مجال الوساطة. وكانوا يقومون بتجارات واسعة مع السودان بحثا عن الذّهب والرّقيق. وكانوا يسكّون النّقود من الذّهب المجلوب من بلاد السودان ويتجلّى ذلك في آثار العملة التي خلفها بنو مدرار[4]. ولقد ذكر الدرجيني أنّ ابن "الجمعي" أحد العلماء العمانيّين، قدم تاجرا إلى سجلماسة في بلاد المغرب، وعنه تلقى بعض أقطاب أباضيّة المغرب العلم كأبي الربيع وابن كيداد، وكان أبو الجمعي يجمع بين التجارة والدعوة، وهو من المطّلعين على علوم الحيل والنظر[5].

ويذكر بوتشتش فيما نقله عن الباروني في الأزهار الرياضيّة عن الربط بين التجارة والدعوة في المغرب مضمّنا رحلة أبي الربيع سليمان بن زرقون النّفوسي إلى سلجماسة التي تلقى بها العلم من أستاذه، فيقول: "رحل إليها مع العالم ابن الجمعي من علماء أباضيّة المشرق وتجّارها العظام... فالمغرب كانت عامرة بالأباضيّة"[6].

أمّا ابن كيداد، فهو من أهل توزر، وكان يشتغل بالتجارة بين بلاد السودان وأفريقية. ومن المعروف إن مدينة ورجلان كانت محطة تجارية مهمة لمرور قوافل التجارة، وكان سكانها أكثرهم من الأباضية وغالبيتهم من تاهرت التي ارتحلوا منها بعد سقوطها في أيدي

---

[1] – أسسها عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم سنة 150هـ/767م، حيث وضع فيها كتب قيمة تزيد على الثلاثمائة ألف مجلد من شتى العلوم والفنون. وقد أحرقها أبو عبد الله الشيعي بأمر من عبيد الله الفاطمي بعد أن انتقى منها ما يحتاجه من كتب الفلك والرياضيات و الطبيعة. السيد عبد العزيز سالم، ***تاريخ المغرب*** ص490.

[2] – الشماخي، ***السير***، المصدر السابق، ص162.

[3] – الدولة المدرارية، هي دولة الخوارج الصفرية التي قامت في بلاد المغرب جنبا إلى جنب مع دولة بني رستم الأباضية.

[4] – محمود اسماعيل، ***الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري***، المرجع السابق، ص276.

[5] – الدرجيني، طبقات المشايخ، المصدر السابق، ج109/1.

[6] – بوتشيش، ***التواصل الحضاري بين عمان والمغرب***، المرجع السابق، ص72.

الفاطميّين واستقرّوا في ورجلان[1]. أما سجلماسة التي كانت حاضرة الدولة المدراريّة، فقد اكتسبت شهرة تجاريّة من بلاد المغرب الأقصى. ولعلّ شهرتها التجاريّة أتت من وفرة معادنها الثمينة مثل الذّهب والفضّة، والتي كان يجلب بعضها من بلاد السودان. كما اشتهرت بخيراتها الوفيرة كالتّمور، والأعناب والزبيب والفواكه، والحبوب وغيرها " فهي من المدن الكبيرة كثيرة العامر مقصد للوارد والصادر"، وهي "تعجّ بالغرباء الوافدين إليها من شتّى بقاع العالم[2].

وقد اجتهد التّجار المشارقة في نقل التجارة إلى بلاد المغرب، ويشير الرّحالة الموصلي ابن حوقل إلى ذلك قائلا: "وكانت القوافل تجتاز بالمغرب إلى سجلماسة وسكنها أهل العراق وتجار البصرة والكوفة والبغداديون الذين كانوا يقطعون ذلك الطريق هم وأولادهم وتجاراتهم دائرة، ومفرداتهم دائمة، وقوافلهم غير منقطعة إلى أرباح عظيمة وفوائد جمّة"[3].

بيد أنّ لهذا التعاون الاقتصادي والفكريّ بين عمان والمغرب العربي أثرا كبيرا في تنشيط التبادل التجاري خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة/الثامن والتاسع للميلاد. وكانت أولى المراكز التجاريّة التي يمرّون بها في طريقهم نحو المغرب العربي، مدينة برقة التي يختلف إليها التّجار بتجاراتهم من جميع الآفاق[4]. وكان من بينهم التجار العمانيّون والبصريّون وعموم المشارقة "فهي أوّل منبر ينزله القادم من مصر على القيروان، وبها من التجار وكثرة الغرباء في كل وقت مالا ينقطع طلابا لما فيها من التجارة وعابرينها مغرّبين ومشرّقين وذلك لأنها تتفرد بالتجارة وبالقطران الذي ليس في كثير من النواحي"[5]. وكانت أسواقها حادّة حارّة من بيوع الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيت وضروب المتاجر الصادرة من المشرق والواردة من المغرب[6]. ويذكر اليعقوبي أنّ أقواما من العرب المشارقة استطاب لهم العيش في برقة، فلقد استقرّ بهم المقام في جبل من جبال برقة يقال

---

1 – السيد عبد العزيز بن سالم، ***تاريخ المغرب في العصر الإسلامي***، ص536. ابن حوقل، ***صورة الأرض***، ص94.

2 – المقدسي، ***أحسن التقاسيم***، المصدر السابق، ص191. الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، ج225/1، نقولا زيادة، ***الجغرافية والرحلات عند العرب***، دار الكتاب اللبناني، 1987م. ص125-126.

3 – ابن حوقل، ***صورة الأرض***، *المصدر السابق*، ص65 .

4 – ابن حوقل، ***صورة الارض***، *المصدر السابق*، ص66-67.

5 – اليعقوبي، **مختصر كتاب البلدان** ، المصدر السابق، ص343.

6 – ابن حوقل، ***صورة الأرض***، *المصدر السابق*، ص69.

له الشرقي، وكان من سكّانه عرب من الأزد، وكذا عرب من لخم وجذام وغيرهم. أمّا الجبل الغربي فكانت تسكن فيه قبائل من غسان، وجذام وأقوام من الأزد وبطون أخرى من العرب المشارقة[1]، ولعلّ بعض هؤلاء العرب كان يعمل في حقل الوكالات التجارية التي تتبادلها القوافل التّجارية الهابطة من المشرق إلى المغرب أو العكس أيضا. وكانت القوافل التجارية تمرّ بطرابلس، وهي مدينة من عمل أفريقية قديما، وكانت تعشّر بها القوافل التجارية المتجهة نحو القيروان[2]. ومن المدن الجادة بها على الطريق نحو المغرب، مدينة قابس، وتبلغ المسافة بينها والقيروان ست مراحل، وبها ضروب من الزروع والضياع ولها "أسواق في ربضها من الصبوف، وكان يعمل بها الحرير الغزير وبها جلود تتم دباغتها بالقرط وتعمّ أكثر المغرب[3].

ومن المدن التجاريّة الشّهيرة في المغرب العربي، مدينة القيروان، وكانت فرضة المغربيين ومتجر البحريين[4]. أما صفاقس فهي مدينة على البحر مسورة لها أسواق كثيرة. كان يقصدها التجار من أفاق مختلفة وخصوصا من دول المشرق كالإسكندرية والشام. وقد اشتهرت بخيراتها الوفيرة، فهي تصدر الزيت الذي تنتجه غابات الزيتون، ويمتار من زيتها أهل مصر، وأهل المغرب وصقلية والروم. فضلا عن كونها محطة للسفن الواردة[5]. وكانت صفاقس والمهدية وسوسة من أهم الموانئ لتصدير زيت الزيتون الذي كانت تنتجه غابات منطقة الساحل التونسي. واشتهرت تونس بتصدير منتجاتها إلى دول المشرق، وكان من بين السلع المصدرة، القمح، والزيت ومرجان المرسى والخزر، فضلا عن منتجات ظهيرها البري، كالصوف والجلود والخيول والشمع. وظلت أفريقية مركزاً مهما لتزويد مصر بالخيول حتى عصر لويس التاسع[6]. كما اشتهرت تونس بثروتها السمكية منذ القدم، بالإضافة إلى منتجاتها من الفواكه مثل الرمان، والأترنج والسفرجل والتين واللوز[7].

---

1 – اليعقوبي، مختصر كتاب البلدان، المصدر السابق، ص343.

2 – ابن حوقل، ***صورة الارض، المصدر السابق***، ص71.

3 – ابن حوقل، المصدر نفسه، ص72.

4 – المقدسي، ***احسن التقاسيم***، المصدر السابق، ص186 مجهول، ***الاستبصار***، المصدر السابق، ص115.

5 – البكري، ***المسالك والممالك في ذكر افريقية والمغرب***، المصدر السابق، ص19–20، ابن حوقل، ***صورة الارض***، المصدر السابق، ص73.

6 – لومبارد، ***الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي***، المرجع السابق، ص95. مجهول، الاستبصار، ص120.

7 – الاستبصار، المصدر السابق، ص121. الإدريسي، نزهة المشتاق، المصدر السابق، ج288/1.

واشتهرت بعمل الثياب الكتانية التي كانت تضاهي ثياب الحرير من حيث الجودة. وتحتل مدينة سوسة مركزا مميّزا في صناعة الملابس فتنتج الثياب الرقاق ذات البياض الناصع، ومنها كانت تجلب الثياب الرفيعة مثل "العمائم المعمورة " التي تساوي منها العمامة مائة دينار، وكان يحمل منها إلى جميع البلاد شرقا وغربا[1]. ويورد ابن حوقل أنواعا مختلفة من السلع التي احتلت مكانة في أسواق المشرق العربي، وكان من بينها المولّدات الحسان الروقة والغلمان الروقة، والعنبر، والحرير، والأكسية الصوفية الرفيعة والرديئة إلى جباب "الصوف" وما يعمل منه الأنطاع والحديد، والرصاص والزئبق، والخدم المجلوبين من بلاد السودان والخدم الصقالبة[2].

وكان يجلب من السودان والأندلس إلى دول المشرق، اللبود المغربية والبغال[3] والسرج والمرجان، والعنبر والذهب، والعسل و الزيت والحرير والسّمور، والخدم السود[4]. أمّا تونس فكان يتردّد عليها التجارالمشارقة وغيرهم لنقل ما يحتاجونه من سلع إلى بلادهم، وكان من أهمّ ما يحمل منها الحرير بمختلف أنواعه وأشكاله وسلع أخرى، مثل الشّمع والزعفران وقشر اللوز وسمك التونة المملح، والقمح وجلود الحيوانات "النطع" وعقود المرجان المنظومة والمنتجات الأندلسية والصقلية، والسقرطسية. وكان معظم هذه البضائع يرد على تونس ثم يعاد تصديره إلى مراكز التجارة في الخليج العربي كالعراق والهند[5].

أما المنتجات البحرية التي كانت تضفي أبّهة أمراء العالم الإسلامي، فأهمّها المرجان الأحمر المميّز للبحر الأبيض المتوسط الذي كان يصاد من مرسى الخزر شرقي عنّابة، وكان يصدر بمقادير كبيرة نحو الخليج العربي، الذي لا ينتج هذا النوع من المرجان أو العقيق[6].

ننتهي إلى القول بأن التجارة بين دول المشرق وبلاد المغرب نشطت أيّما نشاط، وكان الابنوس وناب الفيل ومعدن الذهب الذي يستخرج من السودان من أهمّ السّلع المتبادلة [7].

---

[1] -المصدر نفسه، ص119، الحميري، *الروض المعطار*، ص331، ياقوت، **معجم البلدان**،ج93/3.

[2] – ابن حوقل، ***صورة الأرض***، المصدر السابق، ص95، ابن خرداذبه، ***المسالك والممالك***، *المصدر السابق*، ص89.

[3] – يؤكد الجاحظ أنه كان يرد من بلاد المغرب، البغال البربرية والجواري الأندلسية والنمور الزنجية. الجاحظ، ***التبصر بالتجارة***، ص39، البكري، ***المسالك والممالك في ذكر افريقية والمغرب***، ص159.

[4] – الاصطخري، ***مسالك الممالك***، المصدر السابق، ص45.

[5] – عبدالحكيم غنتاب، ***دور البصرة التجاري***، المرجع السابق، ص310.

[6] – لومبارد، ***الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي***، المرجع السابق، ص249. ابن خرداذبه، ***المسالك والممالك***، ص89.

[7] – ابن حوقل، ***صورة الأرض***، المصدر السابق، ص99، الاصطخري، ***مسالك الممالك***، ص45.

وكان التّجار الرّستميون والمدراريون ببلاد المغرب يقومون بجلب هذه السلع الثمينة من مناطق انتاجها، فكانت قوافلهم تخرج نحو السودان محمّلة بالملح والنّحاس والودع لتعود محمّلة بالذّهب والأبنوس وناب الفيل. فيبيعونه إلى التّجار المشارقة، وهؤلاء يقومون بنقله إلى بلدانهم .[1] **(انظر الخارطة رقم 14).**

---

[1] – ابن الفقيه، ***مختصركتاب البلدان***، المصدر السابق، ص86، ابن حوقل، ***صورة الأرض***، ص99. محمود إسماعيل، ***الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري***، المرجع السابق، ص202.

الفصل الثالث

دور عمان التجاري في إقليم السند والهند والصين

I- الدور التجاري في السند

يعود الدور التجاريّ العماني مع الهند[1]، إلى ما قبل الإسلام بقرون عديدة. وقد درج العمانيّون على الإبحار بسفنهم التجارية نحو جزر الهند وموانئها ذات السّلع الوفيرة الثمينة ويروى أنّهم كانوا يمتلكون أسطولا مرموقا آنذاك، و يضطلع بنشاط تجاريّ واسع بين منطقة الهند والخليج العربي[2]. وكانوا يتنقلون بين الهند والعراق حاملين سلع المحيط الهندي التي كانت تدرّ عليهم أرباحا كثيرة خصوصا وأنّ هذه التجارة لم تكن معروفة قبل ظهور حضارة بابل، ولقد استغلّ العمانيّون تضاريس بلادهم البحريّة ، ونجحوا في احتكار تجارة المحيط الهندي. فبالإضافة إلى دورهم في الملاحة البحريّة عملوا كوسطاء وتجّار، فنقلوا سلع بلاد الشّرق إلى المنطقة العربية. وبفضل تجارتهم تلك أصبحت عمان أغنى دول العالم القديم. وقد ساعدها على ذلك شهرة موانئها وارتباطها بموانئ المحيط الهندي وصلاحيتها لرسو السّفن العملاقة. فكانت هذه السفن تعمد إلى تفريغ شحنها في الموانئ العمانيّة حتى يتسنّى للقوافل التجارية نقلها إلى وجهتها في شبه جزيرة العرب[3]. إلاّ أن هذه التجارة لم تكن ظاهرة بسبب الهيمنة الفارسية الرومانية على المنطقة العربية بأسرها. حيث أسندت تلك التجارة إلى الفرس باعتبارهم المهيمن الوحيد على دول الشرق وسواحلها. إضافة إلى شحّ المصادر، إذ لم تكن هناك مصادر تاريخيّة واضحة تساعد على دراسة الآثار المتاحة، ولقد بدأت معالمها تتّضح بشكل جليّ اعتبارا من منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن للميلاد. فقد كان تحوّل المسار التجاري من البحر الأحمر إل الخليج العربي مع قيام الدولة العباسية ونهضة بغداد أكبر حدث في تاريخ العلاقات التجاريّة بين المسلمين والهند، ولقد أدّى ذلك إلى ازدهار موانئ الخليج العربي مثل ميناء الأبلة، وميناء البصرة أو ميناء سيراف، وانتعشت الموانئ العمانيّة كصحار ومسقط ودبا لتصبح مراكزا لاستقبال التجار القادمين من المحيط الهندي. ووصفت صحار مثلا بأنّها قصبة عمان،

---

[1] - يشار إلى أن العرب كانت تربطهم علاقات تجارية بالهند منذ زمن قديم، حتى أن الأعراب اتخذوها إسما لنسائهم. المسري *تجارة العراق في العصر العباسي*، المرجع السابق، ص262.

[2] - مايلز، *الخليج بلدانه*، المرجع السابق، ص30.

[3] - مايلز، المرجع نفسه، ص28 .

ودهليز الصين ومغوثة اليمن[1]. ولقد أصبحت بفضل علاقاتها التجاريّة المتميزة مركزاً رئيسياً لتصدير السّلع و استيرادها، فنشطت تجارتها، وارتبطت بعلاقات وثيقة مع دول العالم. ووطدّت صلاتها بين الأقاليم، ففي ناحية الجنوب الشرقي مع المدارية والاستوائية منها، وفي الشمال الغربي مع المعتدلة الرّطبة.[2]

وكانت الأقاليم الهنديّة ذات المحاصيل الوفيرة والموانئ البحرية المتعدّدة قد لعبت دوراً مميّزاً في جذب التجار من مختلف بقاع العالم، فهي تقع في الوسط بين بلاد الصين وجنوب شرق آسيا وبين دول غرب المحيط الهندي"الدول العربية" والقارة الأفريقية. ولعلّ هذا الموقع جعل منتجاتها من السلع الثمينة تنساب في حركة ضخمة نحو بلاد العرب، ومختلف بقاع العالم آنذاك. و قبل الإسلام كان العمانيّون يقومون بنشاط تجاريّ متداخل مع الفرس، فوجدوا أنفسهم في العصور الإسلامية على رأس قائمة التجار العرب، بل إنّهم أصبحوا بفضل موروثهم الملاحي أسياد البحار الصاخبة في منطقة المحيط الهندي[3]، فنبغ منهم الأدلاء والربابنة[4] وخاضوا البحور بأشرعة الصواري التي استحدثوها، وتوارثوا عن أجدادهم مهنة الملاحة وعلومها عبر الحقب الماضية. فلقد ظهر في منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر للميلاد، الملاّح العماني شهاب الدين أحمد بن ماجد السّعدي الذي ألف عدة كتب في الملاحة البحريّة كان أشهرها كتاب "الفوائد في أصول علم البحر والقواعد"، و "ثلاثة أزهار في علم البحار". وقد أشار ابن ماجد إلى العديد من النواخذة والتّجار العمانيّين الذين كان لهم دور بارز في الملاحة البحرية، على أنّ هذه الإشارة لا تدخل عمليّا ضمن إطار الفترة التي تناولتها هذه الدّراسة، لكن ثمّة لمحة تكشف لنا أبعاد الملاحة العمانيّة في مياه المحيط الهندي، وبعض روّادها.

لقد أجمع الجغرافيّون وبعض الكتاب أنّ إقليم عمان شهد نشاطاً تجارياً، وملاحياً قام به العمانيّون نحو بلاد الهند في العصور الإسلامية، فكانت السّفن العمانيّة تبحر من صحار

---

[1] – المقدسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ص87، الحميري ص354، ابن حوقل ص45، ياقوت، ***معجم البلدان***، 198/3.

[2] – المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج287/1، السيرافي، ***رحلة السيرافي***، ص66.

[3] – ***عمان وأمجادها البحرية***، مطبوعات وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، العدد الثامن ط2، 1994، ص18–19، بزرك، ***عجائب الهند***، 60. السيرافي، ***رحلة السيرافي***، ص9724 *Chau ju kua*.op.cit. p. .

[4] – السيرافي، ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص56، المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج74/1–97، المسعودي، ***التنبه والإشراف***، ص64.

ومسقط متّخذة السواحل الموازية لعمان حتى رأس الحد، ومن هناك تنطلق إلى الساحل الغربي من شبه جزيرة كمباية من إقليم كجزرات. كما يوجد هناك طريق بحري آخر مواز لسواحل الخليج العربي الشرقية، ويمكن للسفن المبحرة من مضيق هرمز أن تتخذه إذا كانت متّجهة من إلى مراسي السّند مثل مكران والد يبل[1]. ولقد وطّد العمانيّون علاقاتهم التجارية مع الأقاليم الهنديّة الغربيّة التي تقع على ضفاف السواحل الشرقية الموازية لجزيرة العرب، وكان من أبرز تلك المحطّات ميناء الديبل ، الذي يعتبر أوّل محطّة تجاريّة في إقليم السند قبل الوصول إلى سندان وصيمور وكولملي، وحينئذ يتمّ التبادل التجاريّ بين التّجار العرب وتجّار من الهند والصين[2]. ثم تعود السّفن العمانيّة والعربية على حدّ سواء إلى الخليج العربي، بينما يواصل التّجار الذاهبون إلى منطقة المحيط الهندي رحلاتهم. وتبيّن المصادر العربية أنّ ميناءها قد شهد حركة تجاريّة كبيرة، فهو مكتظ بالناس لأنه الفرضة الرئيسية للتجارة الدولية في إقليم السند. وكان العمانيّون يحملون إليه الخيول العربية واللبان واللؤلؤ الجيّد الذي عرفت به مغاصات الخليج العربي بالإضافة إلى سلع أخرى[3].

أمّا السّلع التي كانت ترد منها فكان أهمّها الأفاويّة والعطريّة، وكان يتمّ فيها البيع عن طريق المجازفة، و سبب ذلك كثرة أموال أهلها[4]. وقد أقام العرب التجار فيها وكالات تجارية لهم، عملت على تنشيط التجارة بين مختلف الأقاليم السنديّة والبلاد العربية. ونتيجة لاحتكاك العرب بهذه الأقاليم تعلّم أهلها اللّغة العربية، وكانوا يتكلمونها في معاملاتهم التجارية[5]. أمّا من حيث أهميّة الميناء، فقد وصفها ابن سعيد "أنّها أكبر موانئ السند وأشهرها، وكان يجلب منها المتاع الديبلي[6]. وأضاف الاصطخري أنّها مدينة عامرة تطلّ على البحر، وتقع إلى الغرب من نهر مهران، وهي متجر كبير، وبها مجمع التجّار، وكانوا يتعاملون بالدنانير ولهم عملة تسمّى القاهريات، وهي عبارة عن دراهم كل درهم يساوي

---

[1] – حسن شهاب، ***تاريخ بحرية عمان***، المرجع السابق، ص10-11، الاصطخري، ***مسالك الممالك***، ص173.

[2] – ابن حوقل، صورة الأرض، المصدر السابق، ص50.

[3] – هايد.ف، ***تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى***، ترجمة أحمد رضا محمد الهيئة المصرية العامة للكتاب 1991م، ظ376/2، عمان وأمجادها البحرية، ص27.

[4] – البادي، حميد، دور العمانيين في الملاحة،المرجع السابق، ص110.

[5] – المقدسي،احسن التقاسيم، المصدر السابق، ص301

[6] – ابن سعيد، ***كتاب الجغرافيا***، المصدر السابق، ص119

نحو خمسة دراهم، ولهم درهم آخر يسمّى "الطاهري" وزنته درهم وثلثا الدّرهم[1]. وتحتـلّ المركز الثاني للتجارة العربية في إقليم السند مدينة المنصورة، حيث وصفت بأنّهـا مدينـة مزدحمة بالسّكان[2]. وكان سكانها مسلمون ويحكمها رجل عربيّ من قريش يقال إنه من ولد هبار بن الأسود "تغلّب عليها هو وأجداده"[3].

1 – الامتداد العماني إلى إقليم السند.

تشير المصادر أنّ مدينة الملتان[4]، هي من أهمّ المدن في إقليم السند. كان قد افتتحهـا محمد بن القاسم بن المنبّه بن بكر السامي العماني في نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسـع للميلاد. وتؤكّد المصادر أن محمد بن قاسم هو أحد زعامات حلف النزارية الذي تمكّن من الاستيلاء على زمام السلطة في عمان سنة 280هـ/893م و قام بمدّ نفوذه إلى إقليم السند واستولى على مدينة الملتان. ولا يعرف السبب الذي حمله على ذلك. غير أنّه يعتقد جزمـا أنّ صراعا على السلطة نشب بين النزاريّين أنفسهم سنة 305هـ/916م، وأدى إلي فـرار بعض زعاماتهم إلى أقاليم بعيدة. ويبدو أنّ ابن القاسم قام بمدّ نفوذه إلى الأقـاليم الـشرقية وتمكّن من الاستيلاء على "الملتان" الغنيّة بمواردها من الجواهر والعود والذهب الذي كان يقدّم لصنم بها أثناء زيارته من قبل الحجاج الهنود[5]. ولقد أدّى امتداد العمانيين إلـى هـذه الأقاليم وبسط سلطتهم عليها إلى نشر تعاليم الإسلام في تلك الناحية[6]. وكان لـه الأثـر فـي توافد جاليات عمانيّة انتشرت في معظم المدن والمراكز التجارية في الإقليم، وأسّس التّجار منهم

---

[1] – الأصطخري، *مسالك الممالك*، المصدر السابق، ص172-173، يؤكد المقدسي أن الدرهم الواحد يساوي خمسة دراهم أما الدرهم الطاهري يساوي درهمان إلا ثلثاه. المقدسي، ص364

[2] – اسمهابالسندية (برهمانيار) .الأصطخري، *مسالك الممالك*، المصدر السابق، ص172.

[3] – الأصطخري، المصدر نفسه، ص173، المباركيون، القاضي أبو المعالي أظهر، رجال السند والهند دار الأنصار مصر، دون تاريخ، ص224، الحميري، الروض المعطار 547، ابن رستة، ابي علي أحمد بن عمر، *كتاب الأعلاق النفيسة*، ط ليدن ابريل، 1893، ص135.

[4] – تقع الملتان في باكستان جنوب شرق قندهار وشمال غرب لاهور الحالية بنحو (800 كم) .حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص 221. الأطلس المدرسي لسلطنة عمان والعالم، ص 154.

[5] – المسعودي، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، المصدر السابق، ج126/1، الأصطخري، *مسالك الممالك*، ص175.

[6] – أن الثغور التي كانت تتبع لمدينة الملتان بعد استيلاء ابن القاسم عليها، بلغت نحو مائة وعشرون ألفا بين ضيعة وقرية، وكانت كلها تدين بالإسلام، أما الصنم فكانت تحج إليه ألوف من الناس، وكان أكثر أموال صاحب الملتان مما يرد إلى هذا الصنم، ومن بينها العود القماري الخالص الذي يبلغ ثمن الأوقية منه نحو مائة دينار. المسعودي، *مروج الـذهب ومعادن الجوهر*، المصدر السابق، ج126/1، شيخ الربوة، *كتاب نخبة الدهر*، المـصدر الـسابق، ص174-175، الأصطخري، *مسالك الممالك*، ص173.

وكالات تجارية لهم لتجميع السلع وتخزينها حتى يتسنّى نقلها إلى السفن التجارية التي تقلّها إلى صحار وسيراف والمراكز التجارية الأخرى في منطقة الخليج. وكانت تلك الجاليات تمتلك مزارع في المناطق البرّية الواقعة بين قامل ومهران. وكانوا ينتجعون فيها عند مصيفهم ومشتاهم. وقد ابتنوا لهم مساجد وجوامع في "كنباية" وكانت "ظاهرة بأحكام المسلمين"[1]. وقد أكّد المسعودي الذي زار "صيمور" سنة 304هـ/915م أنّه شاهد بها نحو عشرة آلاف مسلم كان من بينهم التّجار العمانيّون والسيرافيّون وآخرون من أهل البصرة وبغداد، وكذلك جموع من البياسرة[2] وأعداد كثيرة من سائر الأقطار الأخرى. "وكان منهم بعض التجار البارزين مثل موسى بن إسحاق الصندابوري، وكان يتولّى رئاستهم رجل من المسلمين يظهر أنّه من رؤسائهم "لا تكون أحكامه مصروفة إليه"[3].

كما أكّد بعض الكتّاب نقلا عن البيروني في كتابه الهند، أن محمد بن القاسم[4] حين افتتح "الملتان"، وجدها أعمر منطقة في إقليم السند. وكان سبب ازدهارها العمراني يتأتى من الأموال التي كانت ترد إليها من الحجاج الهنود الذين يأتون لتقديس الصنم الذي كان يسمى "بيت مرج الذهب". ويشار إلى أنّ محمدا هذا ترك "الصنم" دونما تغيير للحفاظ على الأموال المتدفقة إلى المدينة، وكان ينفق منها على سدنة الصنم، وحافظ على الطقوس الدينية القائمة بها. أما فيما يتعلّق بالشعائر الإسلامية فقد انتشرت بين ربوع مناطقها، بعد ابتناء المساجد الجامعة بها، وأقام فيها صلاة الجمعة والأحكام الشرعية[5]. ولقد تواصل حكم العمانيّين في منطقة إقليم السند حتى عام 360هـ / 970م، حين اجتاح الإسماعيلية هذا

---

1 – ابن حوقل، صورة الأرض، المصدر السابق، ص280، شيخ الربوة، *كتاب نخبة الدهر*، المصدر السابق، ص173.

2 – لقد نشأت بين العرب وأهل الهند مصاهرات نتج عنها بمرور الزمن جيل عرف بالبياسرة، ويعتقد أنهم كثروا نتيجة للتداخل المتواصل والتنقل لخدمة التجار، حيث انتشروا مع مرور الوقت في الأقاليم الشرقية لجزيرة العرب وشكلوا فيها طبقة من السكان الأصليين. المسري حسين، *تجارة العراق في العصر العباسي*، ص265.

3 – المسعودي، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، المصدر السابق، ج157/1.

4 – كان لبني سامة بن لؤي نفوذ في الهند يعود زمنه إلى صدر الإسلام، إذ سيطر كل من محمد ومعاوية ابني الحارث العيلاميين من بني سامة بن لؤي في زمن دولة بنو أمية على منطقة مكران، وفي زمن المأمون سيطر الفضل بن ماهان مولى سامة بن لؤي على سندان. المباركيوري، رجال السد والهند، المصدر السابق، ص223.

5 – الأصطخري، *مسالك الممالك*، المصدر السابق، ص173-177. المباركيوري، ص223.

الإقليم، وتمكنوا من القضاء على دولة بني سامة العمانيّين في "الملتان"، لينهوا حكمـاً دام نحو أكثر من سبعين سنة[1].

والى جانب الملتان ظهرت بعض المدن الشهيرة التي حمل العمانيّون إليها تجـارتهم، مثل مدينة "نرماسير" التي كانت تجري فيها عمليات التّبادل التجاريّ بين التجار العمـانيّين والهنود، ولكثرة ما كان يأتي إليها من التجارة. فقد خصّها المقدسي بالقول " قصورها حسنة أنيقة بها تجّار كبار، كثيرة المتاع والجمال، منها يصدّر إلي خراسان، وإليها يحمل متـاع عمان، وبها تجتمع تمور كرمان"[2].

ننتهي إلى القول بأنّ "الملتان" ظلّت في أيدي العمانيّين إلى أن تمكّن الفاطميون مـن إنهاء حكمهم بها مع نهاية القرن الرّابع الهجري/ العاشر للميلاد. وقد خضعت حينذاك إلى حكم أبي الفرج داوود بن ناصر. وفي سنة 392هـ / 1011م، غزا محمود الغزنوي بلاد الهند وطرد أبا الفتح من "الملتان" فهرب بجواهره إلى سيلان" سرنديب". وتمكن الغزنـوي من قتل العديد من معتنقي المذهب الإسماعيلي فيها. غير أنّ أبا الفتح سرعان ما عاد بعيد وفاة الغزنوي إلى "الملتان" ثانية، فانتعشت بها الدعوة الفاطميّة من جديد، وبقيت حتى عهد السلطان معز الدين الغزنوي سنة 634هـ / 1236م[3].

2_ التبادل التجاري(أنواع السلع المتبادلة)

أما السّلع التي كانت تجلب من إقليم السند، فكان أهمّها الذهب و يجلب من الملتان. وتـذكر المصادر أنّ محمد بن يوسف الثقفي أخذ من بيت بها نحو أربعين ألـف بهـار[4] مـن الـذهب[5]. وبالإضافة إلى الذهب كان يجلب من إقليم السند الألماس والخيزران، والتوتيا وهو حجر له عـدّة ألوان منه الأصفر والفستقي، وكان يستخدمه القدماء في علاج القروح والعيون، وكان يرد مـن

[1] – المباركيوري، *رجال السند والهند*، المرجع السابق، ص224.

[2] – المقدسي، *احسن التقاسيم*، المصدر السابق، ص348.

[3] - الهمداني، حسين فيض الله، *الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن*، دار المختار للطباعة دمـشق، بـدون تاريخ، ص.224.

[4] – البهار لفظ عربي وقيل قبطي، وهو أحد أنواع الأوزان التي كان يستخدمها العرب في تصنيف أوزانهم وتعني كلمة البهار الحمل، وهو ثلاثمائة رطل، والرطل هو لفظ قبطي، ويقال أن البهار يساوي أربعمائة رطل، وقيل أن البهار بالضم هو وحدة وزن تساوي ثلاثمائة رطل، *لسان العرب*، ج517/1.

[5] – ابن خرداذبه، *المسالك والممالك، المصدر السابق*، ص56. البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق ، ص617.

كرمان[1]. كما كانت تجلب من السّند أنواع مختلفة من العطور، كان أهمّها العنبر[2]. ومن العقاقير الطبّية التي كانت ترد من السند الخولجان[3] وهو من الموادّ التي استخدمها القدماء في علاجاتهم[4]، زد على ذلك ما يجلب من تمور وعمائم ومناديل وطيالسة، وثياب رقيقة، والنيل والكمّون[5]، ويجلب من سندان الأرز والثياب، والبسط، ويجلب من كرمان النارجيل. كما يجلب من فارس الزعفران الذي كان يدخل في أبّهة الأمراء والخلفاء ويستخدم أيضا في الأدوية[6]. أما المنصورة فكان يجلب منها أنياب الفيلة، والعقاقير الجيّدة وغير ذلك[7]. ومن السّلع التي كانت تأتي من فارس، التّبس فائق الجودة، والصابون، والتين والزبيب والثياب الكندكية والبربهار والتمّور والقِرَبُ. ومن سيراف كان يجلب اللؤلؤ، والفوط والأزر والكتّان.

كما جلب من باقي المدن الفارسيّة الحصر والبسط، والزنبق والطيب، والمراوح الكبيرة، والأكسية، وثياب القزّ، والفرش الرقيقة، والجوز والزيت، والأترنج، وقصب السّكر، وماء الورد والأديم، وغير ذلك[8]. وإلى جانب ذلك كله، جُلب من إقليم السند الفلفل الأسود، الذي يعتبر من أجود أنواع البهارات الهنديّة على الإطلاق، حيث كان يستخدم بعد تحميصه في حفظ الطّعام وعلاج بعض الأمراض[9]. أما العمانيّون فكانوا يصدّرون إلى إقليم السند القنأ والياقوت والتّمور وغير ذلك[10].

---

[1] – القزويني، ***آثار البلاد وأخبار العباد***، المصدر السابق، ص247.

[2] – ابن الفقيه، ***مختصركتاب البلدان***، المصدر السابق، ص16-17.

[3] – الخولجان لفظة فارسية، وهو بنات طبي من الفصيلة الزانجيلية، ابن الفقيه، ***مختصركتاب البلدان***، ص16.

[4] – ابن الفقيه، المصدر نفسه، ص16.

[5] – المقدسي، ***أحسن التقاسيم***، المصدر السابق، ص354.

[6] – نعيم زكي، ***طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب***، دار الثقافة دار الثقافة المكتبة العربية، 1973، ص215.

[7] – المقدسي، ***احسن التقاسيم***، المصدر السابق، ص363.

[8] – المقدسي، المصدر نفسه، ص336-337.

[9] – ابن الفقيه، ***مختصركتاب البلدان***، المصدر السابق، ص16-17.

[10] – ابن الفقيه، المصدر نفسه، ص16.

II – الدور التجاري في الهند والصين

1– التعامل التجاري مع الهند.

لقد رجح الثقل التجاريّ بدءاً من القرن الثاني الهجري/ الثامن إلى العاشر الميلادي لصالح أقاليم الهند المتنوعة الإنتاج لكثرة ما كان يرد منها من سلع ثمينة إلى منطقة الخليج العربي. ولقد أثر ذلك بشكل مباشر على ميزان العملة الإسلامية كالذهب والفضّة بسبب "التكنيز الهندي" أوصكّ العملة "الروبية السنسكريتية" ومعناها الفضة[1]. وممّا ساعد على نموّه مع بلاد الهند أيضا اتّساع نطاق التجارة الإسلامية، والبحث عن الذهب من الأقاليم الجنوبية الشرقية، وضخامة الموارد، وخفض الأسعار، وإعادة التصدير. وازدهرت عمان ومنطقة الخليج العربي بسبب انفراد أبنائها بالنقل التجاري وامتلاكهم الأساطيل الضخمة[2]. ولم تثن الأمواج البحرية العاتية الملاّحين والتّجار العمانيّين ، ولا صعوبة الإبحار في المحيط الهندي، ولا المسافة الشاسعة بين الجزر الهندية والبلاد العربيّة، على نقل تجارة الخليج العربي. ويرجّح أن العامل الرئيسي في انفراد العرب المسلمين عامة، والعمانيّين بشكل خاص في زعامة نقل التّجارة، هو أنّ الهند كانت تقوم بدور المنتج للسلع الثمينة التي تزايد طلبها في الأسواق الإسلامية أو العالمية. وربما لم تكن للهند حينئذ مساهمة ملاحيّة تتناسب وأهميّتها في حقل التجارة الدوليّة، ولعلّ العمانيّين والفرس[3] كان لهم قصب السبّق في نقل التجارة البحرية منذ أزمنة سحيقة. وحافظ العمانيّون على الموروث الذي أتاحته طبيعة بلادهم ، وربما شجّع ذلك أهل مناطق الإنتاج في الهند على التعويل على أصحاب الأساطيل التجارية من العمانيّين والسيرافيّين وعرب الخليج في نقل التجارة إلى السواحل العربية بسبب هيمنتهم الملاحية على مياه المحيط الهندي[4].

لقد برزت مسقط كأهمّ الموانئ العمانيّة شهرة لأصحاب السّفن المبحرة نحو المحيط الهندي، فموقعها الذي يطلّ على مدخل خليج عمان، والصّخور المحيطة بها، وجبالها

---

[1] – لومبارد، *الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي*، المرجع السابق، ص289.

[2] – بزرك، *عجائب الهند*، المصدر السابق، ص77–78–80، المسعودي، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، المصدر السابق، ج1/287، ابن الوردي، *خريدة العجائب وفريدة الغرائب*، المصدر السابق، ص62.

[3] – يروى أن أسطول الساسانيّين زمن كسرى أنو شروان، كان مهيمناً على الملاحة البحرية في الخليج العربي والمحيط الهندي قبل الإسلام، حتى أن أهل الصين أطلقوا تسمية فوس po-sse على كل القادمين من منطقة الخليج العربي وجنوب جزيرة العرب، Huzzayen, *Arabia and the far East*, ciro, 1942.p.153.

[4] – لومبارد، *الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي*، المرجع السابق، ص290.

الشاهقة، كلّها عوامل جعلت منها مكانا تأمن فيه السّفن من أخطـار الرّيـاح العواصـف واضطرابات البحر، قبل توجّهها إلى المحيط الهندي. وقد أكسبها ذلك شهرة، وكانت مسقط من أكثر الموانئ العمانيّة بروزاً إل جانب صحار، لإنجذاب العمانيّين لركوب البحر، مما جعلهم يحضون بدور بارز في التعامل مع حقل التجارة العربية في المحيط الهندي[1]. وكانت السفن حين تبحر من مسقط تسير مباشرة إلى كولم ملي "كويلون الحالية"، وتستغرق الرّحلة منها إلى كولم ملي، نحو شهر مع اعتدال الريح[2] .

وتعد كولم ملي من أهمّ الموانئ الهنديّة في ساحل المليبار، ومن أحسن موانئ مليبار قاطبة. وأسواقها حسنة وتجّارها يعرفون بالصولتيين، ولهم أموال طائلة "يـشتري أحـدهم المركب بما فيه من بضاعة ويوسقه من داره بالسلع"[3]. وكانت لهم مخازن كبيرة يمكن أن تشحن منها سفينة أو أكثر، وبسبب ضخامة الحركة التجارية بالمدينة، كان سكانها خليطـا من جنسيات متعدّدة من البلاد الإسلامية. وكان كبيرهم من العراق وقاضيهم من قـزوين، وكبير المسلمين فيها اسمه شاه بندر[4]. ومدينة كولم ملي ملتقى الطرق الملاحيّة القادمة من الخليج العربي، وبحر القلزم، ولهذا كان لها قصب السّبق في تجميع تجار المحيط الهنـدي القادمين من الدول العربية وغيرها.

وتروي المصادر الإسلامية، أنّ طائفة من التجّار دخلوا مليبار ومنهـا انتقلـوا إلـى سرنديب لزيارة أثر قدم سيدنا آدم[5]، وفيها لقيهم "السامري" ملك مليبـار فـأكرم وفـادتهم وأنزلهم منزلة كبيرة في بلاطه. ثمّ عرف منهم أن نبيّا بعث في العرب دعا النـاس إلـى الإسلام، وكانت له معجزات كشقّ القمر، فتشوّق إلى الإسلام ولرؤية النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فآمن به وأخفى أمره. وقد استعدّ للسفر رفقة التجّار العرب، غيـر أن المنيّـة وافته عند وصوله الشّحر "ظفار"[6]. وبذلك دخل الإسلام الهند على أيدي التجار المـسلمين قبل الفتوحات الإسلامية.

---

[1] – العاني عبد الرحمن ، *تاريخ عمان في العصور الإسلامية الأولى*، المرجع السابق، ص 82.

[2] – Chau ju kua.op.cit. p 15 . السيرافي، *الرحلة*، المصدر السابق، ص 26، ابن خرداذبه، *المسالك والممالك*، ص 63.

[3] – ابن بطوطة، *الرحلة*، المصدر السابق، ص 379.

[4] – ابن بطوطة، المصدر نفسه، ص 379.

[5] – ياقوت، *معجم البلدان*، المصدر السابق، ج42/3، السيرافي، *رحلة السيراف*، ص 19-38.

[6] – الندوى، *تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية*، المرجع السابق، ص 37-38.

لقد اشتهر ميناء جال Galle في جنوب الهند كأهمّ مرسى تتوقف فيه السفن الكبيرة في رحلتها نحو الصّين[1]. و هذه الموانئ تعتبر محطّات مهمّة للمتاجرة، ترسوا بها السّفن أثناء أسفارها لتتزوّد منها بالمؤن والماء، ويتمّ فيها التبادل السلعي بين التجّار المسلمين وأهلها. ولقد ذكر ابن بطوطة أثناء رحلته إلى الهند أنّه وجد أناسا من العمانيّين في المدن الهندية التي زارها، وكانت لهم محلات استوطنوا بها وشيّدوا فيها المساجد الجامعة، ولهم حوانيت متعدّدة ويظهر أنّهم كانوا وكلاء بين التجار العرب والهنود، يقول: "ثم سافرنا فندرينا وهي مدينة كبيرة حسنة ذات بساتين وأسواق، وبها للمسلمين ثلاث محلات في كل محلة مسجد والجامع على الساحل، وهو عجيب له مناظر وخطيبها رجل من أهل عمان، وله أخ فاضل وبها تشتو مراكب الصين"[2]

كما أنّ قبائل عمانيّة كانت تسكن البصرة في زمن الحجاج بن يوسف الثقفي (75-95هـ/694-713م) وكان قد أجلاها إلى عمان إثر صراعه مع الأباضية، فنزحت هذه القبائل إلى الهند هرباً من البطش واستوطنتها . وكان لها دور كبير في نشر الإسلام بتلك الناحية، ومن أهمّ هذه القبائل "بني هاشم" الذين لجئوا إلى ساحل غرب الهند واستوطنوا بعضهم في ساحل بمباي في منطقة تسمّى "كوكن" وسميت "توايت"، والبعض الآخر نزح إلى الناحية الشرقية في منطقة تسمى "لبيّ"Labbai". ثم تواصل انتشارهم عن طريق المصاهرة، والتوالد في مدينة "مني ويل"، واكتشفت لهم آثار تاريخية يرجع زمنها إلى القرن السابع الهجري /الثالث عشر للميلاد[3].

أمّا الموانئ التجارية الواقعة على الطريق المؤدّي إلى بحر هركند، فكان أهمها جزيرة سرنديب[4] "سيلان الحالية". و بها سلع نادرة، أعجب التجار العرب بها، حيث شكّلت سلعها أهمية في الأسواق الإسلامية، و من أهمّها معدن الجوهر واليواقيت بأشكالها ومختلف

[1] - ابن خرداذبه، *المسالك والممالك*، المصدر السابق، ص 65.

[2] - ابن بطوطة، *الرحلة*، المصدر السابق، ص 376.

[3] - الندوي، *تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية*، المرجع السابق، ص 44.

[4] - يقول عنها ياقوت: سرنديب بفتح أوله وثانيه وسكون النون وذال مهملة مكسورة ويا مثناه من تحت وباء موحدة "ديب بلغة الهنود" "جزيرة" وهي جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند طولها ثمانون فرسخًا في مثلها، وهي مدينة يتشرع إليها هركند وبحر الأعجاب، وبها الجبل الذي نزل عليه سيدنا ادم يقال: له جبل الرهون، واثرسيدنا ادم مغموسة في الحجر طولها نحو 70 ذراعًا. ياقوت، *معجم البلدان*، ج42/3.

ألوانها، بالإضافة إلى الألماس والذهب، واللؤلؤ الذي كان يستخرج من بحرها[1]. وكانت السّفن ترسو في بعض سواحلها أثناء رحلتها، فيشتري التجّار من منتجاتها، وبها ظباء المسك[2] التي يستخرج منها المسك فائق الجودة.

ويذكر أبو زيد السيرافي أنّ الفساد منتشر في أرجاء هذه الجزيرة بين الرجال والنساء. حتى أنّ مشايخ أهل سيراف منعوا الجهاز منها[3]. وكانت تضمّ جماعات من الهنود يختطفون وجوها من التجّار العرب، وذلك في وضح النهار وعلى مرأى من الناس فلا يستطيع أحد أن يمنعهم أو يكلّمهم، حتى لا تتعرض حياة التّاجر للخطر. وكان التاجر المخطوف يتوسّل النّاس حتى لا يتفاوضوا مع الخاطفين، وبمجرّد خروج الرهينة من المدينة تطالب العصابة بفدية[4]. وللحفاظ على المخطوف، لابدّ أن يكون برفقته رجل آخر من جماعته ليدفع المبلغ المطلوب. وقد استمرّت هذه العادة زمناً طويلاً، حتّى تمكّن أحد ملوكهم من إبطالها[5]. زيادة على تعرّض التجار للأكل من قبل جماعة متوحّشة من الهنود[6].

إلاّ أنّ هذه المخاطر لم تقف عائقا يحدّ من نشاط التجار من العمانيّين خصوصا والعرب عموما في الهند. فلقد توثقت بينهم عرى التّواصل والعلاقات التّجارية، وكان الملاّحون يبحرون بسفائنهم إلى مختلف الجزرالهندية دون أن يحفلوا بالمخاطر التي قد تنجم عن مغامراتهم البحريّة في بعض الأحيان، تغريهم أقاليم الهند الغنية بالأخشاب بمختلف أنواعها. ونظرا لحاجة العالم الإسلامي المتنامية من هذه المادة، كان العمانيّون يقصدون جزر الهند ذات الغابات حاملين معهم آلات النّجارة وغيرها، فيقطعون من خشب النارجيل ما أرادوه"[7]، وقد سبق الحديث عن هذا في معرض حديثنا عن صناعة السّفن.

---

[1] – السيرافي، *رحلة السيرافي*، المصدر السابق، ص 83.

[2] – الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 312.

[3] – السيرافي، *رحلة السيرافي*، المصدر السابق، ص 83.

[4] – السيرافي، المصدر نفسه، ص 121-87.

[5] –السيرافي، المصدر نفسه، ص 80-81.

[6] – المسعودي، أخبار *الزمان ومن اباده الحدثان وعجائب البلدان*، دار الاندلس،لبنا، بدون تاريخ، ص101 - 115.

[7] – السيرافي، *رحلة السيرافي*، المصدر السابق، ص 68.

ويواصل التّجار رحلاتهم نحو كله، يخوضون بسفنهم أعماق بحر هركند، فيتعرّضون في طريقهم إلى جزر متعدّدة، كان قد عرفها العمانيّون، و أهمّها جزيرة النكباليوس "النجبالوس" وبينها وبين سرنديب مسيرة 10 إلى 15 يومًا[1].

وتذكر المصادر أنّ جزيرة النكباليوس من الجزر الهندية ذات الكثافة السكانية وقاطنوها بيض البشرة، والرجال والنساء يمشون فيها عراة "فربما استترت النساء بورق الشجر" والبعض الآخر منهنّ تركن أسوتهن مكشوفة. وكان التّجار يدخلونها بمراكبهم فيشترون العنبر والنارجيل من التجار مقايضة بالحديد، وكان قاطنوها يعتمدون في غذائهم على الموز والسّمك والنارجيل[2].

ويواصل التجار رحلتهم نحو جزر الرامني "سومطرة الحاليّة" أو كله بارالتي كانت محطة رئيسيّة تتوسط الطريق الذي يربط بلاد العرب بأرض الصين في رحلة تستغرق نحو ستّة أيام[3]، وهذا الطريق يبدأ من "جال" جنوب "سرنديب" ويسير شرقا إلى ميناء جزيرة كله بار"Kollah Bar" من بلاد الملايا[4]. ولقد ذكر المسعودي أنّ التجار العمانيّين كانوا في زمانه يترددون على جزيرة كله بار فيحملون السلع منها إلى البلاد العربية[5]، ثم تجدّدت أهميتها بعد الاضطرابات التي اجتاحت جنوب الصين (261-276هـ/874-889) حيث أصبحت آخر ميناء تصله السفن العربية. ويؤكد المسعودي قائلا: "وإليها تنتهي مراكب أهل الإسلام من العمانيّين والسيرافيّين في هذا الوقت، فيجتمعون مع أهل المراكب الواردين من أرض الصين في كله بار، ويتبادلون التجارات فيما بينهم، "وكان قبل هذا الزمان بخلاف ذلك، وذلك إن مراكب الصين كانت تأتي إلى عمان"[6]، وكان يرد منها العود

---

[1] – ابن خرداذبه، ***المسالك والممالك***، *المصدر السابق*، ص 65.

[2] – الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ج77/1، يورد المسعودي، أنهم يخرجون بقواربهم ومعهم العنبر والنارجيل فيتقايضون بالحرير والثياب ولا يبيعون بالدراهم ولا الدنانير، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، ج115/1.

[3] – الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر نفسه، ج78/1، يؤكد المسعودي أن كله بار تقع في النصف من أرض الصين والعرب المسعودي، ***مروج الذهب***، ج1 142.السيرافي، ***رحلة السيرافي***، ص 60، *المسعودي*، ***أخبار الزمان***، المصدر السابق، ص 61.

[4] – Huzzayon.op.cit. p. 144

[5] – المسعودي، ***مروج الذهب***، المصدر السابق، ج1/ 105.

[6] – المسعودي، المصدر السابق، ج117/1.

والكافور والصندل والعاج والرصاص القلعي والأبنوس والبقم وغير ذلك[1] ". ولقد عادت أوضاع الصين المتردّية إلى نصابها في عهد أسرة سانج "Sange" الصينية (349هـ/960م) ليستأنف التجار نشاطهم المعتاد بأمان. وقد امتدّ نشاط العمانيّين التجاري إلى جزر الزابج، وجلب التّجار منها أنواعًا متعدّدة من السلع، كان من بينها قرود مشهورة، وقد "حمل منها والي عمان، أحمد بن الهلال إلى الخليفة العباسي المقتدر مع هدايا مختلفة"، وهذه القرود أمرها مشهور عند البحريين من أهل عمان وسيراف ممن يختلف إلى بلاد كله بار والزابج"[2].

وهناك مرسى آخر يقع بين الصين وسرنديب يقال له "بالم" أي شرقي سومطرة، ذكره الجغرافيون العرب باسم "جزيرة الرامني" وتتجلى من وصفهم لهذه الجزيرة مدى أهميتها التجارية، إذ أنها كانت مركز الأمم ومخزن تجارات العالم[3]. ورغم المصاعب التي قد تؤدي بحياة التجار في الوصول إليها أحيانا، إلا أنهم اعتادوا مرورها باعتبارها مركزًا تجاريًا مهمًا[4]. و من حاصلاتها الصدف، والكافور، والعود والقرنفل، والصندل، والقاقلي، وجميع أنواع الأعواد الطيبة، كما تنتج اللؤلؤ وماء الورد، والكندر "اللبان" والمر والصبر، والخشب، والعاج والمرجان، وعيون الهرة، والعنبر، والمنسوجات القطنية. وكان التّجار يستبدلون هذه الأمتعة بالذهب والفضة والفخار وثياب الكمخات، والغضائر والسندس والإستبرق[5]. ويعتبر المسعودي جزيرتي الرامني والزابج من جزر بحر الصنف[6]، كما يشاطره الرأي ابن الفقيه معتبرًا إيّاها بعد سرنديب، على اعتبار أنها تقع بين بحري هركند وشلاهط، كما اعتبر ابن الفقيه مملكة الزابج من ممالك بحر جزيرة كله أو "كله بار"[7]. ومن الجزر التي تمّر بها السفن أثناء رحلتها، جزيرة سريرة، وهي تتبع مملكة المهراج في بحر الصنف، الذي ينتهي ببحر الصين. وقد وصفته المصادر بكثرة أمواجه وشدّة هيجانه. ويؤكّد المسعودي أن الذين يركبون هذه البحار هم أصحاب المراكب والتجار "من أهل البصرة وعمان وسيراف وغيرهم"[8].

---

[1] – المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج1/105.

[2] – المسعودي، المصدر نفسه، ج1/149. المسعودي، ***أخبار الزمان***، المصدر السابق، ص 63.

[3] – *Chau ju kua*.op.cit.p. 193. ..

[4] – *chua ju kua* op cit.p. 62

[5] – الصيني، بدر الدين، ***العلاقات بين العرب والصين***، المرجع السابق، ص 118.

[6] – المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج1/ص115.

[7] – ابن الفقيه، ***مختصركتاب البلدان***، المصدر السابق، ص 14.

[8] – المسعودي ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج1/117.

ونتيجة للاحتكاك المباشر بين عمان والهند والنسيج المتواصل في الميزان التجاري، فقد وُجِد الهنود في الأسواق العمانيّة. وكان التاجر فتحي الهندي ممّن عرف في سوق نزوى[1]. كما عرف بعض الهنود بمشاركتهم في الحياة العامة للمجتمع العماني، حيث يروى أنّ أحدهم ويدعى المطار الهندي، كان قد اشترك في معركة نشبت في توام "البريمي" بين الجلندى ووالي صحار زمن الإمام المهنا بن جيفر سنة 237هـ/851م، وكان الهنود يقاتلون إلى جانب قوات الإمام المهنا[2].

وهنا لابد من الإشارة إلى أنّ الوجود الفارسي في منطقة الخليج العربي وسواحل مكران قبل الإسلام، ترتب عليه نزوح أجناس هندية مختلفة من إقليم السند إلى أقاليم الخليج العربي. ويعزى ذلك إلى الفرس الذين لعبوا دور الوسيط التجاري قبيل الإسلام[3]. فنتج امتزاج بشريّ حدث بين بعض العناصر العربية في الخليج العربي عن طريق الهجرات المتتالية، فلقد انتقلت في القرن الخامس الميلادي بعض العناصر الهندية إلى سواحل الخليج العربي زمن الملك الفارسي بهرام جور، وانتشرت في البصرة ومناطق أخرى من العراق. وقد شارك بعضهم في الأحداث السياسية التي شهدها العهد العباسي في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر للميلاد. وسكن عدد كبير منهم جزيرة العرب وقد زاولوا التجارة وتوطّدت علاقاتهم بهم، وقد عرفت هذه الأجناس بتسميات مختلفة كالزط[4]، والأساورة[5] والسيايجة[6] والبياسرة[7].

---

[1] – الكندي، ***المصنف***، المصدر السابق، ج62/16.

[2] – السالمي، ***تحفة الاعيان***، المرجع السابق، ج104/1.

[3] – Huzzayen.op. cit.p.136.

[4] – الزط: جالية هندية من المحاربين سود البشرة، وكان موطنهم الأصلي بلوجستان، والبنجاب، وقد نزحوا إلى جزيرة العرب وشواطئ الخليج العربي لخدمة الفرس. انظر الألوسي، ***تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا***، المرجع السابق، ص 133. ***لسان العرب***، ج42/6.

[5] – الأساورة: طائفة عسكرية تقلدوا أعلى المراتب في جيش الفرس، وكان موطنهم الأصلي، سواحل السند وسرنديب. الألوسي، ***تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا***، المرجع السابق، ص 134.

[6] – السيايجة: هم أقوام من سومطرة هاجروا إلى إقليم الهند وسواحل السند واستوطنوا بها ومنها نزحوا إلى سواحل الخليج العربي وعمان، وقد استخدمهم الفرس قبل الإسلام لحماية السفن التجارية من غزوات القراصنة، أما بعضهم جنّد في الجيش الفارسي وانظم إلى الأساورة. الألوسي، ***تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا***، المرجع السابق، ص 134.

[7] – البياسرة: جمع "بيسر" ويراد بهم من ولد من المسلمين في أرض الهند. المسعودي، ***مروج الذهب***، ج157/1.

أ – السلع الواردة

تحتلّ صنوف السلع التجارية الواردة من بلاد الهند مكانة كبيرة بين طبقات شعوب الأقاليم الغربيّة، ويرجع ذلك إلى وفرة المادّة بعد الفتوحات الإسلامية والتنافس القائم بين طبقة الأثرياء من التجار، والفئات المترفة من طبقة الأمراء لحاجتها الملحّة لمختلف صنوف السلع الشرقية. وقد جاء على رأس قائمة تلك السلع الذهب[1]، حيث يعتبر أكثر المعادن النفيسة شهرة، فلقد عرفه الإنسان منذ أزمنة سحيقة واحتفظ به في خزائنه. وقد نال الذهب مكانة مرموقة، واستخدم على نطاق واسع، بدءا بالأمم الماضية التي اتخذته كوسيلة للتبادل التجاري، ومنهم الرومان الذين استخدموه كعملة أساسية لهم بحوض البحر المتوسط، وكذا استخدمه الفرس أيضا. وكانت ترد دنانير هرقل على أهل مكة زمن تجارة الإيلاف[2]. وفي العصور الإسلاميّة كان يستخدمه المسلمون في تجارتهم كوسيلة للتبادل التجاري، بالإضافة إلى استخدامه في صناعة الحلي، وأدوات الزّينة وزخرفة الملابس، وأحيانا طلاء جدران العمارة[3]. ومع أن معظم مناجم الذّهب تتركز في إفريقيا، إلا أنّ المصادر الجغرافية وكتب الرحلات تروي أنّه كان يستخرج من مناطق مختلفة في بلاد الهند، أهمّها جزر الرامني[4]، التي تحتوي على مناجم كثيرة له[5]. إذ يروى القزويني نقلا عن أحد التجار العمانيّين، عن وجود ذهب في جزيرة تسمى جزيرة النشاء، وكان لكثرته فيها مثل التراب. وهناك في مواضع أخرى من الجزيرة يوجد الذهب فيها كقضبان الخيزران[6] ويؤكد البيروني أن الذهب موجود بجزائر الزابج، وقد سميت هذه الجزائر بأرض الذهب[7]. وتروي بعض المصادر شيئا يدعو للدهشة على أنّ ملك الزابج يمتلك الشيء الكثير من

---

[1] – في الجماهر البيروني، الذهب بالرومية، هو خر وصون، وبالسريانية ذهبا، والهندية سورن وبالتركية ألطف والفارسية زر وبالعربية النضار والعقيان، أما التبر فإنه يعني الذهب والفضة ويدخل بعضهم في النحاس ومنهم يطلقه على جميع الجواهر الذائبة. البيروني محمد بن أحمد (ت 433هـ) **كتاب الجماهر في معرفة الجواهر** ، مكتبة المثنى، القاهرة بدون تاريخ. ص 232.

[2] – البلاذري، ***فتوح البلدان*** ، المصدر السابق، ص 652.

[3] – البادي، ***دور العمانيين في الملاحة والتجارة***، المرجع السابق، ص151.

[4] – إبن الفقيه، ***مختصركتاب البلدان***، المصدر السابق، ص14.

[5] – المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدرالسابق، ج115/1.

[6] – القزويني، ***آثار البلاد وأخبار العباد***، المصدر السابق، ص33. المسعودي ، ***مروج الذهب***، ج115/1.

[7] – ينقل البيروني، عن أحد العمانيين يدعى أبوالعباس، أن معدن الذهب في شكلات قامرون في جبل ترابي. البيروني، ***كتاب الجماهر في معرفة الجواهر*** ، المصدر السابق، ص98.

معدن الذهب[1]، حيث يبلغ ما يستخرج منه في كل يوم نحو (300 منا)، حتى أنه لكثرته كان يتخذ منه لِبَنًا ويطرحه في البحر وهو خزانته. وهذا ما أكّده البيروني قائلا: "راج المها"رأى ملك الملوك" – ملك الزابج كان يسك لدخله لبنات من الذهب ويلقيها في البحر في جزيـــرة يدخلها الماء بالمد، فتكثر فيها التماسيح فإذا أراد شيئا منها نفي التماســيح بكثــرة صــياح الناس، فخلت البحيرة منها"[2]. ويعزو السيرافي سبب كثرة الذهب في الزابج، إلى ما كـــان يؤخذ من الضرائب والعشور والغرامات التي يخضع لها النّاس والتجّــار والتـــي كانــت تستخلص ذهبا. وهو ما يعكس مدى أهميّتها للتجارة الصادرة والوافدة[3]. وتطلق المـــصادر الصينيّة على هذا النوع من الذهب "الذهب التجاري"[4]. كما تذكر المـــصادر أن العمـــانيّين كانوا يذهبون إلى جزر بلاد الهند في رحلات منتظمة بحثا عن الذهب وفي قصّة لا تخلـــو من الغرابة ذكرها بزرك في معرض حديثه عن عجائب الهند، منها ما يلي:"حـــدثني أحـــد البحريين من عمان أن مركبا كان يمضي فأصيب وسلم من أهله نحو عشرة في القـــارب فحملتهم الرّيح إلى جزيرة مجهولة فرموا بأنفسهم على ساحلها... فحفـــرت فـــي موضـــع فوجدت عروق الذهب مشتبكة فلم أزل أقلع إلى أن دميت أصابعي وجمعت ما قلعته مـــن عروق الذهب مشتبكة... وحضرنا عند القارب، ودفن الذّهب ولم نزل نقلعه ونحمله مـــدّة سنة إلى أن حصل لنا شيء عظيم لا يعرف مقداره ونحن على حالنا، إلى أن مرّ بنا مركب ماض إلى عمان ..."[5].

كما شكلت بعض جزر الهند مصدراً رئيسيا لإنتاج الذهب ومـــن أهمهـــا ســـرنديب[6] وجزر الواق واق. وبسبب انخفاض أثمانه، كان أهلها يتّخذون منه سلاسل كلابهم وأطواق

---

[1] – يروي ابن الوردي، أن ملك الزابج يقطع في كل يوم ما يزيد على مائة ألف مثقال ذهب فيتخـــذ منـــه لبنـــات ويطرحهما في البحر وهو خزانته. ***خريدة العجائب وفريدة الغرائب***، المصدر السابق، ص 100.

[2] – البيروني، ***كتاب الجماهر في معرفة الجواهر*** ، المصدر السابق، ص 239. ***رحلة السيرافي***، ص 68.

[3] – السيرافي، ***رحلة السيرافي***، ص 67–68. *Chau ju kua*.op. cit.p.62 .

[4] – *Chau ju kua*.op.cit.p.157 .

[5] – بزرك، ***عجائب الهند***، المصدر السابق، ص 80.

[6] – في الجماهر، تسمى أرض الذهب، وبالهندية سورنديب أي جزائر الذهب) وسورن بهرام أي أرض الـــذهب، البيروني، ***الجماهر في معرفة الجواهر***،المصدر السابق، ص28. القزويني، ***آثـــار الـــبلاد وأخبـــار العبـــاد***، المصدر السابق، ص43.

قرودهم "ويأتون بالقمص المنسوجة بالذهب للبيع"[1]، وأكابرهم يصنعون منه لِبَنا للبناء[2]. وضمن التّجارة الإسلامية الواردة معدن الفضة[3]، وهو يأتي بعد الذهب مكانة. وكانت الفضة تستخدم في حليّ النسوة والعملة المتداولة[4]، ولهذا شاع استخدامها فصكّت منها الدراهم الفضية في دولة الفرس. في حين أن بلاد العرب التي تحت حكم الرومان كانت عملتهم الدنانير الذهبية. ولقد ساد استخدام العملة الفضية في العصور الإسلامية الأولى، حتى أن عطايا الخليفة العباسي في أوائل القرن الثالث الهجري/ التاسع للميلاد كانت تحسب بالدراهم الفضية[5]

أما في عمان فقد ظهرت أول عملة فضية زمن الأمويّين، كان ذلك سنة 90هـ/729م وهي عبارة عن درهم أمويّ[6]. ويبدو أنّها بقيت متداولة فيها طيلة العهود الإسلامية، إذ تؤكد الدلائل الأثرية أنّ درهم فضّة محفوظ في المتحف القطري، وهو الوحيد من نوعه، كان قد ضرب في عمان سنة299 هـ/911م[7]. وترد الفضة من سرنديب[8] وجزر الطافق[9].

كما جلب العمانيّون الرصاص القلعي، وكان يرد من جزيرة كله بار[10] وكانت من أعظم المراكز التجاريّة لتوزيع المعادن[11]، وكان يرد أيضاً من مملكة الزابج "جاوة"[12]. ومن السلع الواردة حجر التوتيا، وله عدّة ألوان، منها الأخضر والأصفر والأبيض، وأجود

---

[1] – إبن خرداذبه، ***المسالك والممالك***، المصدر السابق، ص 68. المسعودي، ***أخبار الزمان***، ص 59، القزويني، ***آثار البلاد وأخبار العباد***، المصدر السابق، ص 330 .

[2] – ابن الوردي، ***خريدة العجائب وفريدة الغرائب***، المصدر السابق، ص 104.

[3] – اسم الفضة بالرومية أرجوسا، وبالسريانية سيماء، وبالفارسية سيم، وبالتركية كش وبالسنسكريتية روب، البيروني، ***الجماهر***، المصدر السابق، ص 242.

[4] – الاصطخري، ***مسالك الممالك***، المصدر السابق، ص.156. متز. أدم. ***الحضارة الإسلامية***، ج 316/2.

[5] – متز ادم، ***الحضارة الإسلامية***، المرجع السابق، ج 316/2-317.

[6] – الأصطخري، ***مسالك الممالك***، المصدر السابق، ص 142، 156.

[7] – العش، أبو الفرج، ***النقود العمانية من خلال التاريخ الإسلامي***، وزارة التراث مسقط 4ووا ص16.

[8] – العش، أبو الفرج، المرجع نفسه ص 7

[9] – القزويني، ***آثار البلاد***، المصدر السابق، ص 43. هايد، ***تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى***، ص 395.

[10] – السيرافي، ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص36،35.

[11] – الحميري، ***الروض المعطار***، المصدر السابق، ص 495.

[12] – Huzzayyen,. op.cit. p.201.،.

أنواعه الأبيض ثمّ الأصفر ويليه الفستقي. وكان يجلب من أقاليم الهند[1] . ومن الأحجار الكريمة والمعادن النفسية التي كانت تجلب أيضا الياقوت بأنواعه[2] والدّر، واللؤلؤ، والمرجان الصغير، والسبناذج[3] والألماس، ومعظم هذه المواد كان يؤتي بها من موطنها في جزر الهند والشرق الأقصى[4]. و للياقوت أصناف أربعة: الأحمر وهو أغلاها ثمناً، وأكثرها بريقا ورقة[5]، وله سبع مراتب أعلاه الرمّاني، ثم البهرماني، ثم الأرجواني، ثم اللّحمي، ثم الجلفاري، ثم الوردي[6] والياقوت، وهو حجر صلب، فمنه الأحمر والأبيض والأصفر و الأخضر، ولكن أفضله الأحمر الذي لا تعمل فيه النار لقلة دهنيته، ولا يثقب لصلابته[7]. ويحكى أنّ سرنديب وجبال سواحل الزابج استأثرت به[8]. وأنّ هذه الجبال ترى بالنهار سوداء، وفي اللّيل حمراء، وتظهر على مسيرة أيام ولها صواعق.[9]

وكان التجّار العرب يحملون معهم إلى شرق جبل البرق، التّمر والجوز واللوز والفوط والملح ويبادلونها بمثاقيل من الياقوت الأحمر[10]. ولاستخراج الياقوت فإنهم يعمدون إلى برك السيل المنحدرة من جبل الرّاهون في سرنديب، فإذا ما امتلأت البرك عند المدّ، رفعوا بها من ترسبات وطين وعرّضوها للشمس. فإذا ما جفت، أخرجوا منها الياقوت

[1] – إن خرداذبه، *المسالك والممالك*، *المصدر السابق*، ص66

[2] – في الجماهر، ص 33 ، الياقوت اسمه بالفارسية ياكند، ويلقب بسبج سمور، وبالهندية يدم أرلك.

[3] – في نخبة الدهر، ص 71 هو حجر حديدي خشن وله سلطان على قطع الأحجار والمعادن كلها إلا الياقوت والجوهر فإن مبرة الألماس'ويعتبر الألماس مبرد لكل الأحجار، أما لون السنياذج اسود بصفرة وتنتجه جزيرة سبره في بحر هركند، وله معادن في الصين.

[4] – Huzzayyen.op cit.p.201.

[5] –البيروني، *الجماهر في معرفة الجواهر*، المصدر السابق، ص 63.

[6] – البيروني، *الجماهر*، المصدر نفسه، ص 33.

[7] – الألوسي، *تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا*، المرجع السابق، ص231.

[8] – البيروني، *الجماهر في معرفة الجواهر*، المصدر السابق، ص 44. إبن الفقيه، *مختصركتاب البلدان*، ص 19.

[9] –البيروني، نفس المصدر والصفحة، ص44.

[10] – يروي البيروني، أن أثمانه كانت بالمثقال زمن الخليفة العباسي المأمون، وهي على النحو التالي: الرماني: 100 دينار، البهرماني 800 دينار.الجلناري 200 دينار، اللحمي والبنفسجي لكل منهما 100 دينار، والوردي دون ذلك. كما يذكر= أيضا أنّ الرشيد كان مولعا بالياقوت الأحمر فبعث رسولا عنه إلى صاحب سرنديب ليشتري نفس الياقوت منه، واشترى فص من الياقوت الأحمر البهرماني المعصفر زنته ثلاثة مثاقيل، بمبلغ مائة ألف دينار، البيروني، *الجماهر*، ص 51،49، 62 .

والأحجار الأخرى[1]. وتذكر المصادر أنّ يوسف بن وجيه صاحب عمان في مطلع القـرن الرابع الهجري العاشر الميلاد، أوفد وفادة إلى وكيله في سرنديب ليفحص فصوص ياقوت كان قد اشتراها من تاجر عراقي بمبلغ خمسين ألف درهم[2]. وذلك دليل على أنّ التجارة في هذه الأحجار كانت قائمة بين عمان وسرنديب في تلك الحقبة. ومن الأحجار الكريمة الدرّ، إذ يعتبر من أهمّ الجواهر وأغلاها ثمناً، وقد ساهمت في إنتاجه بلاد كله بـار[3] وتيومـة[4] وسرنديب[5]. أمّا الفيروز فكان يرد من كرمان، وخراسان، ونيسابور. وهناك حجر الأزور ويرد من بلوخستان والهند الصينية[6]. ومن الأحجار الكريمة الزبرجد والألماس، وكانا يردا من سرنديب[7] وجزر الهند[8].

ومن المواد التجاريّة الأخرى التي اكتسبت أهمية منذ أزمنة غـابرة، مـادّة التوابـل والأفاوية. وهي من أهم السلع التجارية الغنية التي ترد من بلاد الهند. وقد جاءت هذه السلع محملة على متن سفن عمانيّة أو سيرافيّة أوبصرية، التي اشتهرت حينذاك في نقل تجـارة المحيط الهندي إلى عمان وبلاد الخليج العربي[9]. وقد احتلّت التوابل الأفاويـة رأس قائمـة السّلع الواردة ، حيث كانت تستخدم لحفظ الطّعام وزيادة شهيته، فضلا عن بعض النباتـات العطرية الهامة لإنتاج الروائح العطرية، التي اعتبرها مجتمع العصور الوسطى من أهـمّ أنواع الترف. كما شكّل الفلفل أهمية بالغة فاحتلّ مكانة أكثر المواد الواردة، واسمه باللغـة السنسكريتية " بيلي"[10] وقد استعمله العرب منذ أقدم الأزمنة، وذكروه في أشعارهم[11]. وكان

---

[1] – شيخ الربوة، ***نخبة الدهر***، المصدر السابق، ص 65.

[2] – التنوخي، القاضي أبي علي الحسن بن علي بن محمد، ***نشوار المحاضرة وأخبار الذاكرة***، تحقيـق مـصطفى حسين عبد الهادي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص 350.

[3] – الحميري، ***الروض المعطار***، المصدر السابق، ص 405.

[4] – الحميري، المصدر نفسه، ص 139.

[5] – السيرافي، ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص 81.

[6] – نعيم زكي، ***طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب*** ، المرجع السابق، ص 230.

[7] – أبن خرداذبه، ***المسالك والممالك***، المصدر السابق، ص 313. ابن الوردي، ***خريدة العجائب وفريـدة الغرائـب*** ،ص 108. ابن الفقيه، ***مختصركتاب البلدان***، ص19.

[8] – ابن الفقيه، ***مختصركتاب البلدان***، المصدر السابق، ص 239.

[9] – الصيني بدر الدين، ***العلاقات بين العرب والصين***، ص 13.

[10] – الندوي، ***تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية***، المرجع السابق، ص33.

[11] – الألوسي، ***تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا***، المرجع السابق، ص 205.

قبل الإسلام يجلب من تايلاند والملايو والبنغال[1]، أما في العصور الإسلامية فكان يرد من سرنديب[2] وكولم ملي[3] ومليبار[4] وجزر الهند[5]، و يصدّر من سومطرة إلى الصين سنويّا نحو"60" ألف قنطار[6]. كما ساهمت جزيرة جاوة بنصيب أوفر في إنتاجه[7] حتى قيل بأن سعره زهيد، فحين يعتدل موسم الإنتاج فإن كلّ 10إلى20 صندوقا تباع بـ25 تيلا من النقود [8]. بينما يباع في أوقات القحط نصف الكمية بنفس النقود السالفة[9]، وأحسن أنواع الفلفل، هو الأسود الذي يؤتي به من جاوة الشرقية[10]، ويتمّ تخزينه في مخازن كبيرة في جاوة الوسطى، ومنها يتمّ بيعه للتّجار الأجانب بالنقود النحاسية، ولعلّ هذه العملة هي العملة المعتمدة لدى الجاويّين في مبادلاتهم التجارية، ولهذا السبب، فإن أولئك التجار يحرصون على تهريبها للحصول على ما يبتغون شراءه من الفلفل باهض الثّمن في الأسواق الخارجيّة[11].

ومن المحاصيل التجارية التي كان يستوردها التجار العمانيّون"القرنفل"، وتنتج جاوة منه كميات تجارية كبيرة[12]. كما اشتهرت بإنتاجه سيلان[13] وكان قبل الإسلام يرد من أندونيسيا "جزر الهند"[14]. والقرنفل نبات له روائح

---

1 - Miler James, *The spice trade of the Roman Empire*, Oxford, 1969.p.71.

2 - القزويني، ***آثار البلاد وأخبار العباد***، المصدر السابق، ص42. الحميري، *الروض المعطار*، ص 313.

3 - بن خرداذبه، ***المسالك والممالك***، *المصدر السابق*، ص63.

4 - القزويني، ***آثار البلاد وأخبار العباد***، المصدر السابق، ص123.

5 - القزويني، المصدر نفسه، ص 29.

6 - Huzzayyen. Op. cit.p. 205. هايد. ***تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى***، ص 396.

7 - ابن بطوطة، ***الرحلة***، المصدر السابق، ص411.

8 - *Chau ju kua*,op.cit. p-78.

9 - op.cit.p. 83.

10 - op.cit.p.p. 222-224.

11 - op. cit.p. 78.

12 - op.cit. p.209. يذكر القزويني إن التجار كانوا يذهبون إلى جزيرة بركابيل" فيضعون أمتعتهم على الساحل ويعودون إلى مراكبهم ويلبثون فيها، فإذا أصبحوا ذهبوا إلى أمتعتهم فيجدون بجانبها شيئا من القرنفل كله جنس واحد، وأجود أنواعه الزهر القوي اليابس ذو الطعم والرائحة الزكية، وشجرته تشبه شجرة السدر، ***آثار البلاد وأخبار العباد***، المصدر السابق، ص81.

13 - القزويني، المصدر نفسه، ص83.

14 - Miller; op. cit.p. 47-51،

مادة بحرية ذات لون رماديّ شبيه بالشمع لها رائحة زكيّة إذا ما احترقت[1]. ورغم تـوافره في السواحل الجنوبية للجزيرة العربية"الشّحر"[2]، إلاّ أنّ كمّيات تجارية كبيرة تستورد مـن الزابج[3] ومن جزر بحر هركند. ويذكر المسعودي" أنّه أخبره بعـض التجـار العمـانيّين والسيرافيّين الذين يترددون على جزائر بحر هركند أنّ العنبر، ينبت في قاع البحر ويتكوّن كتكوّن أنواع الفطر الأبيض والأسود والكمأه والمغاريد وبنات أوبر ونحوها، فإذا ما هـاج البحر قذف من قاعه الصخور وقطع العنبر"[4]. ويؤكد السيرافي ذلك في إشارة بـأن ثمـة جزائر كثيرة بين بحر لارى، وهركند قد تصل نحو ألف ومائة جزيرة، وبها عنبر"عظـيم القدر"[5]. كما يرد أيضا من جزر النجبالوس وبحر شلاهط، وأضاف أنّ أهل هذه الجزائـر كانوا يتقايضون مع التّجار الحرير والحديد بالعنبر ولا"يبيعون ذلك بالـدراهم والـدنانير"[6]. ومن بين السلع الواردة المسك، ويعتبر المسك من أهم أنواع الـروائح الزّكيـة واسـمه بالسنسكريتية "متكا"[7]، ويرد من التبت[8] وجزيرة سرنديب[9] وسواحل الهند الشرقية[10].

ومن المواد العطرية التي احتلت مكانة في قائمة المواد الواردة مـن أقـاليم الهنـد، الأخشاب بأنواعها التي كانت ترد من غابات شرق آسيا، وهذه الغابات تغطـي مـساحات شاسعة من سومطرة وبورونيو، و من أفضل أنواعها خشب السّاج والنارجيـل، وخـشب الصندل والبقم والخيزران أو البامبو والصبر. ويعتبر خشب الصندل من أفضل الأخـشاب العطرية واسمه بالسنسكريتية "جندنchandon"، وهو خشب ملون يحتـوي علـى مـادّة عطرية طبيعية[11]. وتذكر المصادر أنّ له ثلاثة أنواع: الخشب الأحمر والأبيض والليموني،

---

1 - الألوسي، ***تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا***، المرجع السابق، ص216.

2 - المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج1/113.

3 - بزرك، ***عجائب الهند***، المصدر السابق، ص143.

4 - المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج1/114.

5 - السيرافي، ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص17.

6 - المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج1/115. السيرافي، ***رحلة السيرافي***، ص21.

7 - السيرافي، ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص 75.

8 - الحميري، ***الروض المعطار***، المصدر السابق، ص313.

9 - السيرافي، ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص89.

10 - الندوي، ***تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية***، المرجع السابق، ص 32.

11 - نعيم زكي، ***طرق التجارة الدولية بين الشرق والغرب***، المرجع السابق، ص321، هايد .ف. ***تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى***، المرجع السابق، ص 395.

والنوع الأخير هو المعطر. ولقد شاع استعماله في البلاد التي تحرق جثث موتاها، وكانت تحرق الجثث بالخشب المعطر منه في احتفال دينيّ، وتعطّر به الأجسام، لذا ارتفـع ثمنـه وصار ضمن المواد الواردة من دول الشرق الأقصى، وقد زخرت بـه أسـواق الخلـيج العربي[1]. وكان يستخدم في المعابد وبيوت الأغنياء[2]. وكان يرد إلى أسواقهم مـن جـاوة وسومطرة[3]. ومن الأخشاب المستوردة خشب البقم[4] ويرد من جزر الرامني[5] وجاوة وملقا، والهند الصينية[6]. ويستخدم البقم في الصباغة، ويوجد له ثلاثـة أنـواع، الأحمـر القـاتم، والأحمر الفاقع، والأحمر المشوب باللون الأصفر[7].

أمّا العود فقد احتل مكانة كبيرة بين المواد العطرية الواردة، وهو يحتوي على أنواع تختلف صفاتها حسب مواضع إنتاجها، ومن أنواعه عود عرف بـ" ند جاوة" الـشائع فـي جزر الهند باسم "كوكاkoukah "حاليا جوجو". وقد نقله التجار العرب إلى بلادهم[8]. كمـا يوجد هناك نوع يسمى العود الصنفي، وهو أفضل من العود القماري لأنه يغرق في المـاء لجودته[9] ويرد العود من سرنديب[10] وجزيرة الصنف[11] وكولم ملي[12] وكله بار[13] وتيومه[14] وكومار[15].

---

1 – Miller، op. cit. P. 61

2 – هايد . ف. ***تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى***، المرجع السابق، ص395.

3 – البقم صبغ معروف وهو المندم وهو شجر دخيل معرب، ***لسان العرب***، ج1/ ص466.

4 – السيرافي، ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص66، هايد، ف، ***تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى***، ص395. الدمشقي أبو الفضل جعفر بن علي، ***الإشارة إلى محاسن التجارة***، دار صـادر، بـدون تاريخ، ص34 .

5 – نعيم زكي، ***طرق التجارة الدولية بين الشرق والغرب***، المرجع السابق، ص231.

6 – نعيم زكي، المرجع نفسه، ص139.

7 – هايد .ف. ***تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى***، المرجع السابق، ص387.

8 – الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ج1/83.

9 – الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ج1/72–73.

10 – الإدريسي المصدر نفسه ج1/83.

11 – إبن الفقيه، ***مختصركتاب البلدان***، المصدر السابق، ص230.

12 – القزويني ***أثار البلاد***، المصدر السابق، ص42. الحميري، ***الروض المعطار***، ص313.

13 – السيرافي، ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص107.

14 – ابن خردانبه، ***المسالك والممالك، المصدر السابق***، ص67.

15 – القز ويني، ***أثار البلاد***، المصدر السابق، ص83. نعيم زكي، المرجع السابق، ص203.

ومن المواد التي كانت تستخدم بكثرة في الأغراض الصناعية على اختلاف مراحلها وأنواعها، العقاقير الطبية. وهي تعرف بلفظ يفيد الأدوية بمفهومها العام، ومن أهمّها القرفة، ومنابتها في جزائر الهند وشجرتها تشبه الصفصاف، حيث تستخرج القرفة من"لحائها"، ومن أهم مناطق إنتاجها قاليقوط وسيلان[1]، وهي تستعمل في صناعة العقاقير الطبية[2]. ومن بين المواد الواردة الخولنجان، وكلمة الخولجان لفظ فارسي وتطلق على نبات طبي من الفصيلة الزنجيلية، وكان يرد من الهند والسند[3]. ومن المواد التي كثر استخدامها جوزة الطيب وترد من جاوة، وسومطرة، وجزر الهند الشرقية[4]. أما الزنجبيل فيرد من الصنف وكولم ملي[5] والتبت والهملايا، وأجود أنواعه الصيني، وكان يجلب من بلاد التتار[6]. كما احتل الزعفران مكانة بين المواد التجارية المستجلبة، وقد عرفه العرب منذ أزمنة سحيقة واستخدموه في أغراض متعدّدة كان من ضمنها التداوي أو التطبّب، ويرد الزعفران ضمن التجارة القادمة من أقاليم الهند، وقد اشتهرت بإنتاجه سرنديب[7]، فضلا عما كان يرد من بلاد فارس منذ أزمنة موغلة في القدم[8]. ومن المواد التي دخلت في التجارة البحرية واحتلت مكانة في صناعة الصباغة، شجرة النيلة وكانت تسخدم في صباغة ملابس النسوة في المجتمعات العربية، وترد النيلة من بلاد الهند[9] خصوصا من كولم ملي، وكجزرات، وكامباي وكوكا، ذات الأسواق الواسعة[10].

وقد شملت قائمة السلع التجارية الهندية، منتجات باختلاف أنواعها، ومنها الملابس القطنية التي ساهم التجار العمانيّون في جلبها من الهند[11]. كما ترد الملابس القطنية من

---

1 – Miller.op. cit. p.43 ،

2 – ابن الفقيه، ***مختصركتاب البلدان***، المصدر السابق، ص230.

3 – نعيم زكي، ***طرق التجارة الدولية بين الشرق والغرب***، المرجع السابق، ص218.

4 – نعيم زكي، ***طرق التجارة الدولية بين الشرق والغرب***، المرجع السابق، ص206.

5 – القزويني، ***أثار البلاد*** واخبار العباد، المصدر السابق، ص 107.

6– نعيم زكي، ***طرق التجارة الدولية بين الشرق والغرب***، المرجع السابق، ص215

7 – السير أفي، *الرحلة*، المصدر السابق، ص 46، ***الجاحظ التبصر***، المصدر السابق، ص26.

8 – الجاحظ. ***التبصر بالتجارة***، المصدر السابق، ص31.

9 – القوصي، ***تجارة الخليج بين المد والجزر في القرنين الثاني والثالث الهجر بين*** ، المرجع السابق، ص21.

10 – هايد. ف. ***تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى***، المرجع السابق، ص387.

11 – الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ص66، الحميري، ***الروض المعطار***، ص250.

كوكا، وكجزارات ومدينة ساليت التي تقع قبالة القارة الهندية القريبة من مدينة بومباي الحالية، وقد اشتهرت هذه المدن بنشاط أسواقها ومخازنها المتعددة[1].

ب- السلع الصادرة.

كان العمانيّون يصدّرون إلى أقاليم الهند مختلف أنواع السلع، وقد ذكر ذلك كل من السيرافي والمسعودي: "الجهاز من عمان في هذا الوقت إليها ومنها واقع"[2]، حيث كان يصدّر إليها القنا، واللبان[3]. كما اشتهرت عمان بتصدير الخيول إلى الأقاليم الشرقية، وكانوا يصدّرون منها كميات كبيرة قد تصل إلى عشرة آلاف حصان[4]. ويؤكّد ماركوبولو أنّ ظفار كانت مركزاً رئيسياً لتجارة الخيول "وتحشد هنا أعداد من الخيول العربية التي ترد من داخلية البلاد والتي يشتريها التّجار ويحملونها إلى بلاد الهند وأقاليم السند، وكان ثمنها يصل إلى ألف مثقال من الذهب"[5]. ويؤكّد ابن بطوطة أن ثمن الخيل العماني، قد يصل إلى أربعة آلاف دينار، وكان أهل الهند يشترونها من عمان، وعدن وفارس لشهرتها بالقوة التي لا توجد في غيرها، فتخصّص عادة للجري والسّباق[6]. ومن السّلع التي كان العمانيّون يتاجرون فيها الملابس، وقد اشتهرت بها ظفار[7] ونزوى[8] وصحار. وتتحدّث المصادر العربية عن الثياب الصّحارية، ففي الحديث، "كُفّن الرسول صلى الله عليه وسلم، بثوبين صحاريّين[9] . كما أن عمان قد اشتهرت بتصدير التمورالعمانيّة إلى ناحية المحيط الهندي[10]. أما البضائع التي كانت تستورد من الأقطار الأخرى ونقلها التجار العمانيّون إلى

---

[1] – هايد .ف. ***تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى***، المرجع السابق، ص387.

[2] – السيرافي، ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص 66، المسعودي، ، ***أخبار الزمان***، ص 63، المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج105/1.

[3] – ابن الفقيه، ***مختصركتاب البلدان***، المصدر السابق، ص 19.

[4] – هايد .ف ، ***تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى***، المرجع السابق، ص277.

[5] – ماركبولو، ***الرحلة*** المصدر السابق، ج95/3، نقولا زيادة، ***الجغرافية والرحلات عند العرب***، ص237.

[6] – ابن بطوطة، ***الرحلة***، المصدر السابق، ص218–219، جاك ريسلر، ***الحضارة العربية***، ص314.

[7] – ابن مخرمة، ***تاريخ ثغر عدن*** ، المصدر السابق، ص60.

[8] – نزوى يعمل فيها صنف من الثياب منمقة بالحرير جيدة فائقة لا يعمل شيء في بلاد العرب مثلها، ومازاد عن ذلك الصنف يبالغ في أثمانه" ياقوت، ***معجم البلدان***، ج384/4.

[9] – ***لسان العرب***، المصدر السابق، ج290/7. العلي صالح التنظيمات الاجتماعية في البصرة، ص250.

[10] – السيرافي، ***رحلة السيراف***، المصدر السابق، ص86. الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص114. الإدريسي، ج61/1.

دول الشرق الأقصى، فأهمّها العاج[1] والعقيق والشبّ والأديم[2]. كما نقل التجار العمانيّون إلى دول الهند الحديد والحبوب، وكانوا يقايضونها في جزر المحيط الهندي مقابل منتجات هذه الأقطار[3]. ولقد حظي الحديد حينئذ بأهمية بالغة، حيث كانت تصنع منه الأسلحة كالسيوف والخناجر والرماح، وكان يستورد بكميات كبيرة من سواحل شرق إفريقيا[4].

2- التعامل التجاري مع الصين

يرجع زمن العلاقات التجاريّة بين العرب والصين إلى ما قبل الإسلام بقرون عديدة. ورغم أننا لم نجد ذكرا لهذه العلاقات في مصادرنا العربية أوغيرها من المصادر الأجنبية، إلا أنه يقودنا الاعتقاد في ذلك جزما، أنّ أمّة العرب بشكل عام في ذلك العهد لم تكن متّحدة تحت ظل دولة مركزية قويّة معترف بها، بل كانت منضوية تحت سيطرة الفرس والروم. وبالتالي، فمن الجائز أن نقول إنّ التجارة قد أخفيت تحت أجنحة الرومان أو الفرس. ويرجّح المؤرّخون أن المعاملات التجارية التي قامت في أسواق الشام والصين وأرمينيا كانت عمليا بين الصين والرومان، أما الحركة التجارية التي قامت في موانئ اليمن وعمان والبحرين والعراق، فقد أسندت إلى الدولة الفارسية. غير إن الصينيين يرفضون هذا الاعتقاد، مؤكّدين على أنّ البضائع التي كانت ترد إليهم هي من بلاد العرب، وكانت تندرج تحت اسم بضائع"بوسي" "posse"، باعتبار أنّ مملكة العرب هي التي كان تصدّر منها أغلب البضائع إلى الصّين على أيدي التجّار العرب أنفسهم[5]. وتذكر المصادر أنّ العمانيّين وأهل البحرين اشتهروا بالملاحة البحرية منذ قديم الأزمنة، فلقد أهلهم موقع بلادهم بحكم

---

[1] – المسعودي، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، المصدر السابق، ج287/1.

[2] – الجاحظ، *التبصر بالتجارة*، المصدر السابق، ص27، القزويني، *أثار البلاد*، المصدر السابق، ص66. مجهول، *حدود العالم من المشرق إلى المغرب*، ترجمه من الفارسية وحققه، يوسف الهادي، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 2002م. ص170-171، الإدريسي، *نزهة المشتاق*، المصدر السابق، ج53/1.

[3] – لومبارد، *الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي*، المرجع السابق، ص291،.

[4] – والإدريسي، *نزهة المشتاق*، المصدر السابق، ج59/1، السيرافي، *رحلة السيرافي*، ص66. آبن خرداذبه، *المسالك والممالك*، ص69.

[5] – Huzzayyen, op.cit.p.153، الصيني، *العلاقات بين العرب والصين*، المرجع السابق، ص19.

التضاريس الجغرافية بأن يصبحوا أمة بحرية، ودفعتهم ظروف الحياة لخـوض غـوارب المياه الصاخبة[1].

ولقد أكّد الجغرافي العربي المسعودي قدم العلاقة التجارية بين العرب والصين. فهو يذكر أنّ سفن الهند والصين، كانت ترد إلى ملوك الحيرة، حيث كانت مياه الخليج تصل إلى مملكة الحيرة في الزمن القديم. ولقد عزّز المسعودي روايته بما نقله القائد العربي خالد بن الوليد أثناء الفتوحات الإسلامية الأولى من جهة الشرق، زمن أبي بكر الصدّيق (رضـه) حين سأل عبد السّميح بن عمر ابن نفيلة الغساني قائلا: ما تذكر؟ قال: أذكر سفن الـصين وراء هذه الحصون"[2]. ويشار إلى أنّ المسلمين حين فتحوا الأبلة في عهد عمر بن الخطاب، وجدوا أنّها فرضة البحرين وعمان والهند والصين[3]، إذ يبدو واضحا أنّ أواصر العلاقـات التجارية بين عمان والصين كانت قائمة عبر القرون الماضية التي سبقت مجيء الإسـلام، غير أنّ أهميّتها توثّقت في بداية القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، أي بعد تحوّل النقـل التجاري من البحر الأحمر إلى الخليج العربي.[4]

لقد أصبح الخليج العربي مسرحاً لحركة تجاريّـة نـشطة. وقـد زادت الفتوحـات الإسلاميّة واتّساع رقعة الخلافة من ثقة التجار المسلمين والملاحـين، وبـدأت الـسفارات الإسلامية تتّجه نحو الشرق بشكل متسارع. حيث سجّل التاريخ العماني أوّل سفارة عمانيّة يمكن أن نصفها بأنّها تعتبر أحد بواكير السفارات الإسلامية إلي الصين، قام بهـا التـاجر العماني أبو عبيده عبد الله بن القاسم سنة 133هـ/750م[5]، الذي عرف بأنه "حاز قـصب الرّهان علما وعملا وغاص في بحور الزهد والتقوى شابّا وكهلا. وكان قـد خـرج إلـى

---

[1] – قدري قلعي، ***الخليج العربي بحر الأساطير***، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر بيروت، 1992م، ص42.

[2] – المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج177/1، الجاحظ أبو عثمان عمر وبن بحـر، ***البيان والتبين***، دار الفكر العربي بيروت، بدون تاريخ، ص246.

[3] – البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص477، الطبري، ***تاريخ الرسل والملوك***، المصدر السابق، ج654/2.

[4] – حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، المرجع السابق، ص195.

[5] – هوالعالم العماني أبو عبيدة عبد الله بن القاسم البسيوي من قرية بسيا التابعة لولاية بهلا من عمان، وقد لقـب بأبي عبيدة الصغير حيث كان أحد الذين تتلمذوا على أيدي الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمـة المعـروف بأبي عبيدة الكبير بالبصرة وقد سافر تاجرا إلى الصين 133هـ/750م ولعل رحلته تعتبـر أولـى بـواكير الرحلات الإسلامية إلى دول المشرق الأقصى "الدرجيني، طبقات المـشايخ، ج239/2. الـشماخي، الـسير، ج87/1.

الصين تاجرا[1]. وهناك تاجر أباضيّ آخر اسمه النظر بن ميمون من أهل عمان، كان يعتاش في البصرة من التجارة، وكان قد قام برحلة مماثلة إلى الصين في القرن الثامن أو بداية القرن التاسع للميلاد، غير أنّ المصادر لم تذكر تفاصيل دقيقة عن هذه الرحلة[2]. أمّا أبو عبيدة فقد غرس أول جذور للإتصالات الودية في الفترة الإسلامية بين عمان والصين[3]. وتشير المصادر الصينية أن هناك سفارات عربية كانت قد بدأت منذ عام 33هـ/651م، تسبق رحلة أبي عبيدة أي في السنة الثانية التي حكم فيها" يونجوي yunjua "من أسرة" تانغ قاوزون" Tung Cawzone "، وأنّ الصينيّين حينئذ كانوا يسمّون العرب"تاشي"، وفي تلك الأثناء كانت العلاقات التجارية والسياسية بين العرب والصين قد دخلت منعطفاً جديداً، فلقد وصلت السفارات المتبادلة سبعاً وثلاثين رحلة خلال مائة وثمان وأربعين سنة، كانت قد بدأت منذ سنة 651 /798م وهي السنة الثانية لحكم "يون جوي yon-jua إلى السنة الرابعة لحكم" تشن بوا pua chune". وقد تواترت بعد هذا التاريخ الرحلات العربية نحو بلاد الصين[4]. وتذكر الحوليات الصينية نبذة تستدعي الاهتمام كتبها كياتان "kiatan" في منتصف القرن الثاني الهجري أي مع نهاية القرن الثامن للميلاد، واصفا فيها الطريق من كانتون إلى بغداد، غيرأنّه لم يشر إلى السفن التي كانت تسلك هذه الطريق[5]. كما تذكر المصادر العربية، أنّ هناك ربّانا مشهورا اسمه "عبهرة "أصله من "كرمان"، كان أوّل من قام برحلات منتظمة إلى الصين بلغت نحو سبع رحلات[6]. وقد جاءت بعد ذلك رحلة سليمان التاجر السيرافي في منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع للميلاد، وتبعه ابن خرداذبه والمسعودي، و لهؤلاء مؤلفات قيّمة عن دول المحيط الهندي والطرق البحرية والحالة الاجتماعية والاقتصاديّة والأوضاع التجاريّة في تلك الناحية من بلاد الشرق. وقد ذكر سليمان التاجر قصّة تاجر بصريّ اسمه وهب من ولد هبار بن الأسود من قريش، كان

[1] – الشماخي، *السير*، المصدر السابق، ج1/87.

[2] – كراتشكوفسكي أغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي، ترجمة صلاح الدين عثمان، جامعة الدول العربية 1963م، ص38.تشانغ زون يان، ***الاتصالات الودية المتبادلة بين الصين وعمان عبر التريخ***، منشورات وزارة التراث مسقط، العدد21ط2 بدون تاريخ، ص16.

[3] – تشانغ زون، المرجع السابق، ص 16.

[4] – تشانغ زون ، ***الاتصالات الودية المتبادلة بين الصين وعمان عبر التريخ*** ، المرجع السابق، ص17.

[5] – حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، المرجع السابق، ص200.

[6] – بزرك، ***عجائب الهند***، المصدر السابق، ص86، حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، ص201.

قد زار الصين في منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع للميلاد، وكان من أهل الجاه والثراء في البصرة، وقد اضطرّ إلى السّفر بعد أحداث ثورة الزنج. فسافر على متن أحد المراكب السيرافية إلى الصين، وقد تمكّن من مقابلة ملكها الذي كان – حسب الإشارة- يكنّ احتراما كبيراً للأنبياء وملوك العرب وغيرهم[1]. وتذكر المصادر أنّ قوافل سفن الخليج العربي المبحرة إلى بلاد الصين كانت تتكوّن من خمس وثلاثين سفينة[2]، فتعرج بعد أن تمرّ بمضيق"ملقا" على جزيرة "تيومانTuman" ثم تمرّ بميناءي الصنف وصندرفولات، وتسير مباشرة على طول ساحل خليج كنج، حتى تصل لوقين، ثم إلى "تيمم"، وهي نهاية المطاف إلى كانتون "خانفو" التي تعتبر أكبر المراكز التجارية، وكانت تعيش فيها جالية من المسلمين التجّار وغيرهم[3]. وتؤكّد المصادر الجغرافية العربية، أنّ سفن المسلمين التجار الوافدين من بلاد عمان والبصرة وسيراف ومدن الهند، كانت تدخل النّهر المؤدّيَ إلى مدينة خانقو في شكل قوافل متواصلة محمّلة بالأمتعة والجهاز[4].

ولقد حرصت حكومة الصين في سياستها التي اعتمدتها على تنظيم التجارات التي ترد إليها. على أنّه حين تصل المراكب التجاريّة إلى ميناء" خانفو" تفرغ الأمتعة في مخازن أعدّت لهذا الغرض"، وضمنوا الدرك إلى ستة أشهر حتى يدخل البحريّون، ثم يأخذ من كل عشرة ثلاثة، ويسلم الباقي إلى التجار، وما احتاج إليه السلطان أخذه بأغلى الثمن وعجّله ولم يظلم فيه"[5]. ومن السلع التي كان يختارها السلطان، الكافور. وكانوا يشترون من أقلّ البضائع قيمة" فإن لم يأخذه الملك كان يساوي نصف الثّمن خارجا"[6].

وتعلّل المصادر سبب احتجاز السّلع وتجميعها في المخازن الصينية حتى نهاية موسم الملاحة الوافدة، أنّ الهدف منها إتاحة الفرصة لجميع التّجار. وهو تنظيم اقتصاديّ تهدف الحكومة الصينية من ورائه إلى تخفيض الأسعار حين تغرق الأسواق بالسلع الوافدة،

---

[1] – السيرافي، *رحلة السيرافي*، المصدر السابق، ص61-62.

[2] – Huzzyyen; op. cit.p. 152.

[3] – حوراني، *العرب والملاحة في المحيط الهندي*، المرجع السابق، ص 213-216، المسعودي، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، ج102/1.

[4] – المسعودي، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، المصدر السابق، ج104/1.

[5] – السيرافي، *رحلة السيرافي*، المصدر السابق، ص 29، حوارني، ص 217.

[6] – المن يساوي رطلين، والرطل عندهم أثنتا عشرة أوقية، أما المن فهو معيار قديم، كان يكال به أو يوزن وكان قدره إذاك رطلان بغداديان. *المعجم الوسيط*، المرجع الساتق، ج924/2.

وكذلك الحد من زمن البيع حتى تتسنّى المغادرة للتجار، الذين ينتظِـرون موعـد الريـاح الموسميّة حين تغير اتجاهها، لتعود بهم نحو الإبحار غربا[1]. ولعل الهدف منها أيضا القضاء على عملية الاحتكار والمغالاة في الأسعار. وكانت الحكومة تفرض تعريفة جمركيّة تقـدّر بعشرة في المائة قبل أن تسلّم البضائع للتّجّار وتسمح لهم بالبيع والشراء.[2] أمّـا المراكـب الصينية التي تسافر خارج البلد، فكان يقيد كل ما فيها من بضائع ورجال ويحاسب أصحابها عند العودة إن وجد شيء مفقود[3]. وثمّة قيود أخرى كانت قد فرضتها إدارة تنظيم التجـارة قبل المغادرة، وهي تعيين "مفتّش للتجارة البحريّة صيني، كان على التجار تسجيل أسمائهم في مكتبه"[4].

وقد أوجدت هذه الإدارة في كثير من المدن الصينية مثل، كانتون، وجوانشو، وهـانغ جو، وكان على التجار تقديم كشف للمفتش يحتوي السلع المشحونة بالمركب والمـسافرين، وأسماء بلدانهم، وكان يحرّم على التجار تصدير بعض السلع النادرة الغالية[5]. وكانت السفن تشحن بالمنتجات الفاخرة وضرب من الأصناف النادرة، ثم تغادر موانى الـصين نحـو الغرب عائدة إلى بلادها، وكانت رحلة العودة تتبع طريق المجيء نفسه حتى"كـولم ملـى" ومنها يقصد ربابنة السّفن ريسوت، ثم ينعطفون نحو مدخل خليج عمان وترسوا سفنهم في ميناء مسقط، أو صحار. ثم تغادر نحو الموانى الخليجية الأخرى كسيراف أو الأبلة. ويبيع التّجار ما لديهم من بضائع، ويصلح الربابنة سفنهم استعدادا للرحلة القادمة التي تبدأ عنـد هبوب الرياح الموسميّة القادمة. وفي هذه الأثناء يقـوم الربابنـة بالاسـترخاء والراحـة، ويقصّون قصصاً من نسج الخيال[6]. ويبدو أنه و بمرور الزمن واتّساع حجم التّجارة بـين العرب والأقاليم الشرقية، فكّرت حكومة الصّين بإيجاد مكانة خاصـة للجاليـات العربيـة المسلمة، فلقد ذكر السيرافي أنّ مدينة "خانفو" كانت أعظم مدينة تجاريّة في بلاد الـصين، وتؤكّد بعض الدّراسات الصينيّة أنّ العرب كانت لهم في هذه الفترة مستوطنات فـي مـدن

[1] – حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، المرجع السابق، ص 217.

[2] – الصيني، ***العلاقات بين العرب والصين***، المرجع السابق، ص135.

[3] – الصيني، المرجع نفسه، ص136.

[4] – الصيني، المرجع نفسه، ص131، حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***،المرجع السابق، ص 217.

[5] – *Chau ju kua*, op. Cit. p.9.

[6] – حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، المرجع السابق، ص 218.

صينية أخرى[1]. كما أكّد الجغرافيّ العربي المسعودي، أن أعدادا كبيرة من تجارعمان والبصرة وسيراف يتردّدون بالأمتعة إلى مدينة "خانفو" وهي إحدى المدن الكبيرة، وكانت تصل إليها السّفن عن طريق نهر كبير حتى تصل إلى"خانفو" نفسها[2]. وقد أسّس العرب في مدينة خانفو وكالات تجارية[3] مما يعزز من التّواجد الإسلامي في الصين ويدعم حركة نشر الإسلام. وكانت بها مخازن مبنية من الخشب ومن القنا[4] المشققة التي كانت دائما عرضة للحرائق[5]، وقبل بداية القرن الثالث الهجري/التّاسع للميلاد انتقل ثقل التجارة البحريّة إلى مدينة "جوان شو" إحدى مدن"فوكين" حيث تقع "جوان شو" بالقرب من آموي الحاضرة، هذه المدينة كانت على علاقة تجارية وطيدة مع اليابان، وكوريا وجاوة وغيرها من جزائر الملايا، ولم يصلها العرب إلاّ في أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع للميلاد، فوجدوا بها بضائع عديدة نادرة، يصعب الحصول عليها في" خانفو". وفي غضون قليلة احتلّت "جوان شو" المرتبة الأولى بين المدن الصينيّة. فكثرت ريادة العرب والإيرانيّين لها، ونالت شهرة كبيرة في العالم الإسلامي[6]. وكانت المعاملات التجارية تجيز التعامل بالدّيْن، ولا يحقّ لأحد أن ينكر ما عليه ، وإذا ما حصل ذلك فقد تتخذ الحكومة الصينية ضدّه أشدّ العقوبة، سواء أكانت جسدية أو مالية. ويذكر سليمان التاجر ذلك قائل:" فإذا كان للرجل دين كتب عليه كتاباً وكتب الذي عليه أيضاً كتاباً وعلمه بعلامة بين إصبعيه الوسطى والسبابة ثم جمع الكتابات فطويتا جميعا ثم كتب على فصلهما ثم فرق فأعطى الذي عليه الدين كتابه بخطه وعلامته وذهب كتاب صاحب الحق، وقيل للجاحد الذي عليه الحق بأن العقاب ليس عليك، فمتى ما بيّن عليك صاحب الحق الذي جحدته فعليك عشرون خشبة على الظهر وعشرون ألف"فكوج" فلوساً"[7]. ومن البديهي أن يكون العقاب الذي نصّ عليه النظام التّشريعي الصيني، عقاباً صارماً للذين قد تسوّل لهم أنفسهم إنكار دينهم[8].

---

1 – *Chau ju kua*. Op. cit. p . 14-15.

2 – المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج103/1.

3 – تشانغ زون يان، ***الاتصالات الودية المتبادلة بين الصين وعمان عبر التريخ*** ، المرجع السابق، ص10.

4 – جريد النخيل المشقق الذي يستخدم للزينة في عملية البناء بالسعف.

5 – السيرافي، ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص 24.

6 – الصيني بدر الدين، ***العلاقات بين العرب والصين***، المرجع السابق، ص 132.

7 – السيرافي، ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص 44

8 – يؤكد سليمان التاجر حينذاك، أنه لم يرى أحدا ضاع حقه، ولم يكن التعامل ضروريا بحضور شاهد ولا يمين، السيرافي، ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص44.

لقد شهد القرنان الثاني والثالث للهجرة/ الثامن والتاسع للميلاد، منعطفاً تجارياً كبيراً بين العرب والصين، فتشير المصادر أنّ السّفن التجاريّة شكّلت حركة ضخمة نحـو بـلاد الصين، محملة بأثمن السلع المتاجر بها حينذاك.[1] غير أن هذه التجارة لم يكتب لها البقـاء، فقد شلّت الاضطرابات السياسيّة التي ظهرت في الصين حـوالي سـنة 264هـ/878م حركتها المتواترة، حين حاصر الثائر بابشو أو هوانج شو"pap chao" مـدينة كـانتون وأعمل فيها يد السلب والنهب[2] والتخريب والقتل. ولقي يومئذ نحو مائتي ألف تاجر[3] مـن المسلميـن واليهود والنصارى مصرعهم في مدينة "خانفو" وحدها[4] فضلا عن كثيـر مـن الصينيين. وقد وصف أبو زيد السيرافي هذا العمل الوحشي قائلا: "وامتدت أيـديهم"أيـدي الثوار" مع ذلك إلى ظلم من قصدهم من التجار، ولما حدث هذا فيهم التام إليه ظهور الظلم والتعدي في نواخذة العرب وأرباب المراكب، فألزموا التجار مالا يجب عليهم، وغلبـوهم على أموالهم واستجازوا ما لم يجز الرسم به قديما وحديثا في شيء من أفعالهم فنـزع الله جلّ ذكره البركات منهم جميعا، ومنع البحر جانبه ووقع الفناء بالمقدار الجاري تبارك اسمه في الربابنة والأدلاء بسيراف وعمان"[5]. كما ذكر أبو زيد أن باشو عمد إلى قطـع أشـجار التوت في مدينة خانفو وغيرها وأدّى ذلك إلى انقطاع الحرير عن بلاد العرب[6].

وتذكر المصادر أن بابشو استطاع أن يؤلب الكثير من أنصاره حوله وأخذ يفتح البلد والمدينة تلو المدينة، حتى وصل مدينة "أنموا" التي يقيم بها الملك فخرج إليه الملك في نحو مائة ألف، وقد قاتله "بابشو" وهزمه. فانحاز الملك في مدينة بأطراف أرضه، وتمكن بابشو من الاستيلاء على الخزائن وشن الغارات على جميع المدن الصينية وأمعن في خرابهـا[7].

---

[1] - *Chau ju kua,* op.cit.p.14 -15

[2] – السيرافي ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص 53.

[3] – يورد السيرافي، ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص 54، إشارة أن عدد القتلى من المسلمين واليهود والنّصارى كان عشرين ألف شخصا فقط، بينما في رواية المسعودي كان عدد القتلى نحو مائتي ألف قتيل، المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، ج1/292.

[4] – المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج1/104، السيرافي، ***رحلة السيرافي***، ص 54، حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، المرجع السابق، ص 225، المسري، حسين ، ***تجارة العراق في العصر العباسي***، المرجع السابق، ص255.

[5] – السيرافي، ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص 50.

[6] – السيرافي، ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص 54.

[7] – المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج1/ 104.

غير أن الملك الشرعي تمكّن أخيرًا من إعادة تجميع قواته والاستعانة بخاقان الترك الذي أمدّه بنحو أربعمائة ألف مقاتل كان على رأسهم ابن خاقان نفسه، فقاتل بابشو في معركة شرسة استطاع إثرها في عام 332هـ/943م إلحاق الهزيمة به وقتله[1]. وقد عطلت هذه الأحداث حركة التّجارة بين العرب والصين حينًا من الدّهر، وأدّى ذلك إلى خروج الأجانب الذين كانوا يقيمون في خانفو وجوان شو، بأموالهم وأنفسهم إلى سواحل جزائر الملايا ليلتقوا بالمراكب العمانيّة والسيرافيّة التي انتظمت قوافلها إلى موانئ كله بار[2]. وقد أكّد المسعودي أنّ بلاد كله بار أصبحت أهمّ المراكز التجاريّة بعد أحداث الصين، فكانت تلتقي بها مراكب عمان وسيراف بمراكب الصين وتجارها، فيتبادلون التّجارة[3] التي كانت تضمّ أصنافاً مختلفة من السلع التجارية التي كان من أهمها العاج ،[4] والكندر الظفاري ويجلبون من الصين الكافور والنحاس وقرون الكركدن، والذهب والفضة والمسكوكات والرصاص القلعي والمنسوجات على اختلاف ألوانها وأشكالها، والعقيق والبلور والمرجان والعنبر وقلائد اللؤلؤ والأبنوس[5].

حافظت التّجارة العربية بشكل عام والعمانيّة على وجه الخصوص مع بلاد المحيط الهندي "الهند، والصين" على أوج ازدهارها خلال فترة شهدت أوضاعاً سياسيّة متقلبة مثل النكبة السياسية التي حلت بالإمبراطورية الصينية أو استقلال السند سنة 258هـ/871م[6]، وزلزال سيراف الذي نتج عنه تدمير المدينة وشلّ حركتها[7].

لقد أكدت المصادر الجغرافية وكتب الرحالة أن العلاقة بين عمان والصين ظلت قائمة حينذاك، فلقد تحدّث بزرك عن تاجر يهودي يدعى إسحاق بن اليهودي كان يمارس التجارة في صحار، وكان رجلاً متصرّفًا في أمور التجارة فوقعت ذات يوم بينه وبين أحد اليهود خصومة، وعلى إثرها ترك عمان، وهرب نحو بلاد الصين، وكان معه مائتا دينار لم يملك

---

[1] – المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج1/105.

[2] – الصيني، ***العلاقات بين العرب والصين***، المرجع السابق، ص 133.

[3] – المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج1/105.

[4] – المسعودي، المصدر نفسه، ج1/287.

[5] – الصيني، ***العلاقات بين العرب والصين***، المرجع السابق، ص 134، حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، ص 200-201.

[6] – حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، المرجع السابق ، ص 220.

[7] – المقدسي، ***أحسن التقاسيم***، المصدر السابق، ص 326.

سواها، وقد غاب عن البلد نحو ثلاثين سنة لم يعرف له خبر. وفي سنة 300هـ/912م عاد إلى عمان قادمًا من الصين في مركب يملكه محمّلا بالبضائع، وحين أراد أحمد بن هلال صاحب عمان أن يعشر ما في المركب اتّفق مع إسحاق على أن يدفع له" ألف ألف درهم". [1]

كما أورد بزرك قصة يهوديّ آخر قائلا: يروى أنّ أحد التّجار اليهود في عمان كان قد أحضر سلعاً تجاريّة من الصين كانت قيمتها نحو ألف دينار وثياب حرير صينيّ وجواهر وأحجار طريفة بمثلها"، وقد شاع خبره ووصل الخليفة العباسي المقتدر[2]. ويظهر أنّ الخليفة كان مولعاً بنوادر السلع الثمينة، فقد أوعز إلى أحد خدامه الذي يدعى"فلفل" أن يذهب إلى عمان لإحضار التاجر اليهودي إلى العراق، غير أن مظاهر الغضب التي سادت أوساط التجار الوافدين والعمانيّين على حد السواء حالت دون ذلك. فلقد أغلقت الأسواق وكتبت المحاضر "أي العهود" ونادى أصحاب الملأ قائلين إنّه متى حمل هذا اليهودي إلى العراق ستنقطع المراكب الوافدة إلى عمان، وحينئذ عاد موفد الخلافة العباسيّة إلى العراق واستحال على الوفد تحقيق المهمّة[3]. وكان التّجار القادمون من الصين يخصّصون هبات وعطايا قيّمة إلى أمراء البلاد، فلقد أهدى أحد تجار الصين إلى أحمد بن هلال برنية[4] صينية مرصّعة بالذهب، وحين فتح رأسها وجد بداخلها سمكاً من ذهب وله عيون من ياقوت، وكان قد عيّن فيها صنفاً من المسك الفائق الجودة، حيث تقدّر قيمتها الإجمالية بنحو خمسين ألف دينار[5]. ويلاحظ أنّ نزوح بعض أصحاب رؤوس الأموال من التّجار والمستثمرين إلى عمان واستقرارهم في صحار، جعل منها مخزنا رئيسيّا لسلع الهند والصين. وقد وصفتها المصادر الجغرافية الأوضاع الاقتصادية والثراء الطائل في صحار في القرن الرابع الهجري/العاشر للميلاد، "صحار قصبة عمان ليس على بحر الصين اليوم بلد أجمل منه دهليز[6] الصين وخزانة الشرق[7] والعراق و مغوثة اليمن"[8].

---

[1] – بزرك، ***عجائب الهند***، المصدر السابق، ص 107-108.

[2] – بزرك، المصدر نفسه، ص108.

[3] – بزرك، المصدر نفسه ، ص109.

[4] – البرنية : فخارة خضراء، وربما من القوارير الثخان الواسعة الأفواه، وقيل هي إناء من خزف. ***لسان العرب***، ج392/1.

[5] – بزرك، ***عجائب الهند***، المصدر السابق، ص110.

[6] – الدهليز كلمة فارسية معربة والدهليز بالكسر ما بين الباب والدار. ***لسان العرب***، ج429/4م.

[7] – خزانة الشرق، الخزانة واحدة الخزائن وفي التنزيل" ولأقول لكم عندي خزائن الله" ويقال الغيوب خزائن لغموضها على الناس واستتارها. ***لسان العرب*** ج87/4.

[8] – المغيث هو ما بلل الكلأ من المطر أي سقاه وأحياه، ***لسان العرب***، ج15/1.

ويضيف الحميري[1] إنّ صحار كانت في الأزمنة السابقة محطة رئيسيّة للسفن المبحرة إلى الصين، وهي قصبة عمان، ومنها يتجهّز إلى كل بلدة وإلى الهند والصين[2]. وكان ربابنة السفن لهم خبرة واسعة في أمور الملاحة البحريّة، وفراسة بارعة في معرفة المواضع التجاريّة.

وتذكر المصادرأن العشور التي كانت تؤخذ من المراكب العمانيّة القادمة من الصين كانت تثير الدهشة. فقد ورد إسماعيلويه بن إبراهيم بن مرادس– وهو أحد التجار العمانيّين البارزين– قادماً من الصين(317هـ/929م)، وبلغ إجمالي العشور المحصلة من السلع الواردة في مركبه بنحو ستمائة ألف دينار[3]. وهو أمر يمكن أن يقاس به حجم التجارة وضخامتها وارتفاع أسعار السلع الثمينة فيها. وتعود هذه الحيوية التجارة التي شهدها إقليم عمان إلى عودة الحياة إلى طبيعتها في بلاد الصين[4]، حيث كانت الصين ترسل وفودها إلى الخارج، فيحملون معهم خطابات مختومة بختم الإمبراطورالصيني، وكميات كثيرة من الذهب والفضة لأجل الدعاية وترغيب التجّار الأجانب في المجيء إليها موعودين برخص أسعار السلع الصينية[5].

ويذكر بعض الكتاب أنّ أحد ملوك الصين شحن سفنه بلطائف من منتجات الصين النادرة، وأوكل بها وفودا وأمر أن تطوف ببلدان مختلفة ومتعددة، وقد حظيت هذه المواد باستحسان البلاد التي مرّت بها[6]. كما عملت حكومة الصين على تطوير إدارة التجارة الخارجية القائمة بينها وبين العرب منذ القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد. واتّسع نطاق هذه الإدارة ما بين 365-373هـ/ 976 - 983م، وأطلق عليها اسم إدارة الجمارك التي شكّلت مصدراً مهماً لموارد الدولة من التجارة الخارجية، وقد أعلنت الحكومة الصينية رسمياً عن احتكارها للتجارة الخارجية. وفرضت قانوناً تعاقب بموجبه كل من يتعامل مع

---

1 – المقدسي،أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص87، في الحميري، الروض المعطار، ص354، "صحار تجلب إليها البضائع من جميع الأنحاء ويتجهز منها، بجميع التجارات، وأحوال أهلها واسعة. ياقوت، ***معجم البلدان***، ج3/ص179.

2 – الحميري، ***الروض المعطار***، المصدر السابق، ص355.

3 – بزرك، ***عجائب الهند***، المصدر السابق، ص128.

4 – الصيني، ***العلاقات بين العرب والصين***، المرجع السابق، ص133.

5 – الصيني، المرجع نفسه، ص134.

6 – المسري، ***تجارة العراق في العصر العباسي***، المرجع السابق، ص257.

التجّار الأجانب بالنّفي إلى جزائر مجهولة[1]. ويصف بدر الدين الصيني نقلاً عن أحد المؤرّخين الصينيين "جويوكوا"، أنّ النّظام التجاري الجديد اتسع نطاقه ليشمل مرفأ آخر. وبعد عشر سنوات أنشئت جمارك عامة بعاصمة "كيانغ سو"، وأصدرت أوامرها إلى جميع المرافئ بأن تصادر جميع البضائع المرتفعة القيّمة النّادرة، وتودع في مخازن للحكومة .

لقد أدّى هذا التنظيم إلى اتّساع حركة التجارة الوافدة، وكثر توافد السفن التجارية القادمة من مختلف البلاد الأخرى، إلى حد أصبحت الحكومة معه عاجزة عن مراقبة التجارة الخارجية التي تقدمت سريعاً، ممّا دفعها إلى إنشاء مرافئ أخرى[2].

أ- السلع الواردة

لقد أدّت العلاقات التجاريّة المتميزة خلال العصور الإسلامية الأولى بين عمان والصين إلى استيراد صنوف مختلفة من السّلع النادرة كان قد جلبها العمانيّون إلى عمان ومنطقة الخليج العربي. و منها المسك فائق الجودة والحريرالصيني والجواهر والأحجار الكريمة بأنواعها[3] . كما ترد من الصين ثياب الحرير والديباج والسّروج واللبود والغضائر الفاخرة والكاغد "الورق" الجيد والدارصيني وأعداد من الطواغيس[4]. ويعدّ المسك من أثمن البضائع الصينية الواردة، وكان يباع على التجار في مدينة خانفو "كانتون الحالية" التي تعتبر من أهم المراكز الصينية لتصديره[5]، أما النوع الفائق الجودة منه فكان الصينيون يأتون به من منطقة التبت، حيث يستخرج من ظباء المسك هناك، وهو أفضل أنواع المسك قاطبة[6] . كما يرد من الصين الذهب والقماقم والختو"أي قرون الكركدن"[7]، وخشب الخدنك، وخشب الخانج ومقابض السكاكين المصنوعة من الختو[8] والرصاص القلعي[9]

[1] – الصيني، *العلاقات بين العرب والصين*، المرجع السابق، ص 134.

[2] – الصيني، *العلاقات بين العرب والصين*، المرجع السابق، ص 135

[3] – بزرك، **عجائب الهند**، المصدر السابق، ، ص 107، 08

[4] – الجاحظ، *التبصر بالتجارة*، المصدر السابق، ص 26، السيرافي، *رحلة السيرافي*، ص 30، الإدريسي، ج84/1.

[5] – المقدسي، *احسن التقاسيم*، المصدر السابق، ص 93.

[6] – السيرافي، *رحلة السيرافي*، المصدر السابق، ص75. اليعقوبي، **مختصر كتاب البلدان**، ص365.

[7] – مجهول، *حدود العالم من المشرق إلى المغرب*، المصدر السابق، ص 9. ابن خرداذبه، *المسالك والممالك*، ص68.

[8] – مجهول، *حدود العالم*، المصدر نفسه، ص97.

[9] – المسعودي، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، المصدر السابق، ج302/1.

والبلور[1] والأرز وقصب السكر[2] والأبنوس والخولنجان والدارصينيّ "القرفة" والسمور[3] والفخار الصيني[4] والصليبنج وهو دواء مخدّر[5]. ومن الأطباب المجلوبة إلى عمان من الصين، العود الصنفي نسبة إلى مدينة الصنف، وهي من نواحي الصين، وأفضل أنواعه يسمّى القشور وهو رطب أزرق له رائحة أعذب من القطعي ودونه في القيمة[6].

ب – السلع الصادرة

أمّا البضائع التي كانت تنتجها بلاد العرب والأقطار الأخرى ونقلها تجّار الخليج ومنهم تجارعمان في مبادلاتهم التجاريّة، فقد صنّفت إلى صنفين؛ أولهما البضائع التي اشتهرت عمان بإنتاجها وشكّلت أهميّة بالغة بين الأمة التجاريّة، و أهمّها اللؤلؤ واللبان والعنبر الظفاري، والنّحاس، وكان أشهر أنواع اللؤلؤ، الدرّة اليتيمة التي تتكاثر في خليج عمان، وهي من أفضل أنواع اللآلئ ثمناً. ويتمّ استخراج اللؤلؤ بالخليج العربي من جزيرة خارك، والبحرين[7]، غير أنّ لؤلؤ عمان كان يباع في منطقة الشرق الأقصى بأثمان باهضة. وكان التجار الذين يقصدون تلك النّاحية يخبئونه في أكمام ملابسهم هرباً من المكوس الغالية[8]. وكانت الحبة التي يصل وزنها إلى نصف مثقال تباع بنحو ألف مثقال ذهب حسب نقائها، في حين ما بلغ منها مثقالين لا يصل ثمنها ذلك، أما ماصغر منها فيسمّى مرجانة[9]. ولأهمية اللؤلؤ والمرجان في العالم القديم، كان يستخدم كعملة في المبادلات التجارية[10] حسب رواية ماركوبولو، على أن بعض جهات المحيط الهندي، كانت تستخدم المرجان الأحمر المستخرج من الهند نفسها، والخليج العربي بدل النقود[11]. واشتهر التجار العرب

---

1 – الإدريسي، *نزهة المشتاق*، المصدر السابق، ج84/1.

2 – ابن الوردي، *خريدة العجائب وفريدة الغرائب*، المصدر السابق، ص54.

3 – السمور هي دابة يسوى جلودها فراء غالية الأثمان، *لسان العرب*، ج361/6.

4 – ابن الوردي، *خريدة العجائب وفريدة الغرائب*، المصدر السابق، ص55.

5 – ابن الوردي، المصدر نفسه، ص68.

6 – اليعقوبي، *مختصر كتاب البلدان*، المصدر السابق، ص368. *حدود العالم من المشرق إلى المغرب* ، ص80.

7 – المقدسي، *أحسن التقاسيم*، المصدر السابق، ص96. الحميري، *الروض المعطار*،المصدر السابق، ص212.

8 – آدم متز، *الحضارة الإسلامية*، المرجع السابق، ج278/2. ماركوبولو، *رحلات ماركوبولو*، ج93/3-95.

9 – شيخ الربوة، *كتاب نخبة الدهر* ، المصدر السابق، ص77.

10 – Huzzayyen; op.cit .p.210.

11 – ماركوبولو، *رحلات ماركوبولو*، المصدر السابق،ج52/3.

بتجارة اللبان منذ أزمنة متناهية، وكانت له شهرة بين السلع الصادرة إلى بلاد الصين[1]. وكانت ظفار تنتج الجزع المعروف بالجزع الظفاري[2]، وهو من المواد النادرة فقلّما تنتجه جهة من الأقاليم العربية[3].

وتذكر المصادر الصينيّة أن تجّار الخليج العربي نقلوا إلى الصين أنواعاً من المطرزات الذهبية الناعمة وملابس الوبر والصوف[4]. فالصوف عندهم نادر لأن معظم أغنام الهند جرداء ليس بها صوف[5]. كما تنقل من العراق الملابس المطرزة وأنواع من الثياب البيضاء والسوداء[6]. وكانت تجلب من سومطرة وتباع هناك بأثمان مربحة[7]، وهناك يتمّ تخزينه في مخازن أعدت لهذه البضائع[8]. وكان يصدّر أيضاً الصبر، وقد اشتهرت بإنتاجه سقطرى والشّحر وحضرموت واليمن، والصبر السقطري يباع في المراكز التجارية في عمان، ويعاد تصديره إلى دول المشرق وغيرها[9]. كما حمل التجار العرب على متن سفنهم إلى دول المحيط الهندي بعض حاصلات الأقطار العربية وبضائعها المصنعة، كالشّعير والحنطة والزجاج والزيتون والعطور والمرايا والزعفران والخزر وسنانير صيد الحوت[10].

3-أثر التجارة على حياة المجتمع العماني وأهل منطقة الخليج العربي.

لقد ترك النّشاط التجاريّ أثراً كبيراً في حياة التجّار، فمن ورائه تكونت طبقة ميسورة في المجتمع، وقد أصبح بعضهم على درجة فائقة من الثراء. وكان الأكابر منهم

---

1 – نقولا زيادة، ***الجغرافية والرحلات عند العرب***، مرجع السابق، ص244.

2 – ياقوت، ***معجم البلدان***، المصدر السابق، ج280/3. الزمخشري جار الله محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، ***الجبال والأمكنة والمياه تحقيق***، أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، 1999م، ص317.

3 – المسعودي، ***مروج الذهب***، المصدر السابق،ج84/1.

4 - *Chau ju kua*. op.cit.p. 116-10.-

5 – المسري، ***تجارة العراق في العصر العباسي*** ، المرجع السابق، ص368.

6 - *Chau ju kua*, op.cit.p..117 -

7 - , *Chau ju kua*,.op. cit.p.116. -

8 - .op. cit .p. 193. -

9 – الحميري، ***الروض المعطار***، المصدر السابق، ص 328، اليعقوبي، ***مختصر كتاب البلدان***، ص237، الإدريسي، ج51/1.

10 – عبد الباقي أحمد، ***معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري***، المرجع السابق، ص135.

يتعاملون بأمتعة الترف كاللآلي والذهب واليواقيت والجواهر والمسك[1]، وبلغت ثرواتهم مئات الآلاف من الدنانير[2]. وخسر أحد تجّار الرّقيق العمانيّين في حريق وقع بعمان سنة 324هـ/935م فأحرق فيه من العبيد السود سوى البيض، نحو أثنى عشر ألفاً، واحترق له من البضائع والعطور مالا يعدّ إلا الكافور، فقد احترق له أربعمائة بركة، والبركة تساوي خمسين جرّة[3].

ونتيجة للعلاقات التجاريّة بين العمانيّين والصين ظهرت فئات عمانيّة موسرة وصلت حداً كبيراً من الثّراء. فلقد أشار التنوخي إلى ثراء الأمراء العمانيّين والأوضاع الاجتماعية التي ميزت المجتمع العماني حينذاك "جاء رسول يوسف بن وجيه[4] بعد الظهر فركب ونحن معه حتى أوصلنا إلى حضرية فأجلسنا في فارة بهنسي[5] لم أرى قبل مثلها حسنا، في صدرها سدة أبنوس مخضبة بالذهب، ومساميرها ذهب وعليها دست [6] ديباج فاخر جدّا ... وخرج يوسف وجلس وجلسنا وأحضر مائدة فضّة بزداقين تسع وعشرين نفسا فنقل علينا من الطعام ما لم أر مثله ...فإذا خلف كل واحد منّا غلام صغير قائم بشرابي ذهب وكوز وجاء غلمان بأباريق فضة فغسلنا...وجاء بعدهم بمداخن فتبخرنا فدخلنا الى فارة ألطف، وبها ديباج وسدة صندل محلاة بفضة فيها دست ديباج وحصر طبرية...وفيها نحو ثلاثين طاولة مسبكة ذهب وعليها تماثيل العنبر كالاتراج والبطيخ فدهشنا وتحيرنا فأمر يوسف بإخراج الأنبذة في مدفآت بلور تسمى بالفارسية "جاشكير" فأخرجت عدة أنبذة من العنب مما يعمل في جبل بعمان لم أظنّ أنّه يكون في تلك النواحي. ويضيف التنوخي أنّ ابن وجيه أخرج ذات يوم مفتاحاً من ذهب عمد به إلى ربعة ففتحها وكان بها قضيب عليه نحو خمسمائة خاتم يواقيت وفيروزج، وعقيق لم ير مثله، ولم يكن ذلك إلاّ الشيء اليسير، ثم عمد مرة ثانية وأخرج عقداً فيه ثلاث وتسعون حبة جوهر، كل حبة منها على قدر بيضة

---

[1] – التنوخي، *نشوار المحاضرة وأخبار الذاكرة* ، المصدر السابق، ج2/407. بزرك، *عجائب الهند*، ص107.

[2] – بزرك، *عجائب الهند*، المصدر السابق، 108.

[3] – الاصطخري، *مسالك الممالك*، المصدر السابق، ص139. العاني، *تاريخ عمان في العصور الإسلامية الأولى*، المرجع السابق ، ص198. *سيرة ابن مراد*، ص58. السالمي، *تحفة الاعيان*، ج1/82.

[4] – حكم يوسف بن وجيه عمان خلال الفترة من 320-332 هـ/932-944 م أو نحو ذلك، السالمي، *تحفة الاعيان*، ج1/200، ابن الأثير ، *الكامل في التاريخ*، المصدر السابق، ج8/ 565.

[5] – بهنسي هو موضع للتبخر وهي البهنسة. *لسان العرب*، ج1/ 527.

[6] – لم نجد له معنى في قاموس اللغة.

الحيّة أو العصفور. وكان ذلك العقد من خزائن أحمد بن هلال صاحب عمان "وخزانتي من بعده كذا وكذا سنة والجوهر إلينا يصل أولا ثم يتفرّق من عندنا إلى سائر البلاد ونحن مجتهدون في أن نجد حبّات تشابه هذا فيحصل فما بقى مائة حبّة فما نقدر على ذلك"[1]. وبلغت ثروة تاجر بصريّ نحو ثلاثة ملايين دينار[2]، كما اشترى تاجر عماني بضائع ثمينة في صفقة واحدة بمبلغ قدره خمسمائة ألف دينار[3]، وبلغ ثمن سلع لتاجر عماني ورد بها من الصين نحو ثلاثة ملايين دينار[4]، ووصلت قيمة كنوز أبي الحسن بن بوية شقيق يوسف بن بويّة صاحب عمان، سبعين ألف درهم، وكان عدد غلمانه ألف غلام، وكان يملك أربعة آلاف بغل[5].

III- الحركة التجاريّة ودورها في نقل الثقافة الإسلامية إلى الهند والصين(الأسلمة)

لقد نتج عن الاحتكاك بين العرب وبلاد الهند والصين وتوثيق عرى العلاقة التجارية والتواصل بينهما، جملة من المؤثرات أهمّها انتشار الإسلام في أقاليم الهند وبلاد الصين. ولقد اختلف المؤرّخون حول تحديد زمنٍ معين لتدفق التيّار الإسلامي إلى أقاليم بلاد الهند والصين. ويعزى انتشارالإسلام في تلك الأقاليم إلى التّجارة، ثم تدرج ببطء شديد. ومردّ ذلك يعود بصفة جزئية إلى عامل اللغة، واعتناق الدين قبل تعلّم أركانه وتفصيلاته[6]. ويشار هنا أنّ التجار الذين أدخلوا الإسلام إلى جزر الهند هم من أهل سواحل عمان أو من حضرموت[7]. وثمّة إشارة أوردها أحد الدراسيين المحدثتين أن الإسلام دخل إلى الهند منذ القرن الأول الهجري/ السابع للميلاد عن طريق أناس من أهل جنوب جزيرة العرب، هاجروا إليها إثر ظروف مناخيّة ومعيشيّة وسياسيّة، كانت قد تعرضت لها المناطق الجنوبية من شبه جزيرتهم. فاستقرّوا في جزر الهند، وكونوا مستوطنات تبلور فيها الدّين الإسلامي الذي وجد إقبالا لا مثيل له بين الهنود، وتحوّلت المستعمرات إلى مراكز للدعوة

---

[1] – التنوخي، ***نشوار المحاضرة وأخبار الذاكرة***، المصدر السابق، ج2/406-407.

[2] – التنوخي، المصدر نفسه، ج1/21.

[3] – التنوخي، المصدر نفسه، ج1/124.

[4] – بزرك، ***عجائب الهند***، المصدر السابق، ص108

[5] – التنوخي، ***نشوار المحاضرة وأخبار الذاكرة***، المصدر السابق، ج2/466.

[6] – الألوسي، ***تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا***، المرجع السابق، ص143.

[7] – الصيني، ***العلاقات بين العرب والصين***، المرجع السابق، ص 165.

الإسلامية[1]. ولقد أشرنا فيما مضى أنّ سواحل" مليبار" في جنوب الهند كانت تحكمها علاقات وطيدة مع بلاد العرب منذ زمن سحيق، بسبب وفرة موانيها التي توافد عليها التجار العرب، وتبادلوا معها بضائعهم التجارية. وقد برز ميناء كله بار، وهو أحد موانئ مليبار الرئيسيّة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري التاسع للميلاد، وكان أهمّ محطة لتوزيع التجارة التي كان معظمها يرد من الصين[2]. وأصبحت بها جاليات عربية كثيرة. وكان أهل عمان والبحرين[3] يشكّلون أكبرعدد من هذه الجاليات خاصة في مدينة قندرينا[4]. و هذه الجاليات تعمل في حقل التجارة، ولهم شهرة تجارية واسعة، وكانوا يعرفون بالصوليّين[5]. ومن الملاحظ أنّ التجّار المسلمين بصفة عامة كان لهم الفضل في نشر الإسلام في البقاع التي وصلت إليها سفاراتهم التجاريّة، فما هي الأساليب التي اتبعوها في نشر الدّين الحنيف؟.

تذكر المصادر جملة من العوامل التي أدّت إلى نشر الإسلام في الأقاليم التي وصلها التجار في رحلاتهم التجارية، من أهمّها الصداقة والمصاهرة والمعاملة الحسنة والمعاشرة الحياتيّة الطويلة التي قد تؤدّي أحيانا إلى الاستيطان[6]. ولقد شيّد المقيمون مساجد في المدن التي حلّوا بها "ومدينة هيلي معظمة عند المسلمين والكفار بسبب مسجدها الجامع فقد كان عظيم البركة مشرق النور، وركاب البحر ينذرون له بالنذر الكثيرة، وله خزانة مال عظيمة تحت نظر الخطيب حسين الوزّان كبير المسلمين، وبهذا المسجد جماعة من الطلبة يتدارسون العلوم ولهم مرتبات من مال المسجد، ومطبخ يصنع به الطّعام، لإطعام أبناء الفقراء من المسلمين بها"[7]. وتؤكد بعض الدراسات أن الهنود الذين تعلّموا الدين الإسلامي من التجار المسلمين، ظلّوا يتجولّون في مختلف جزر الهند تجّار ودعاة للدين الإسلامي"[8].

---

1 – الألوسي، ***تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا***، المرجع السابق، ص145.

2 – الندوي، ***تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية***، المرجع السابق، ص45.

3 – يذكر ابن بطوطة، أن أمير التجار في مدينة قندرينا، اسمه إبراهيم شاهبندو، من أهل البحرين"وهو صاحب مكارم يجتمع إليه التجار ويأكلون في سماطة".***الرحلة***، ص372

4 – الندوي، ***تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية***، المرجع السابق، ص376.

5 – الندوي، المرجع نفسه، 379.

6 – Vlekke Bernard. H.;M. *Mustantanna htistory of Indonesia*, Bandurg1959 p.83

7 – ابن بطوطة، ***الرحلة***، المصدر السابق، ص374. .

8 – Vlekke. op.cit.p.18.

لقد انعكس التمازج بين الهنود الذين اعتنقوا الإسلام والتجار المسلمين الذين استوطنوا بلاد الهند، على المجتمعات الهندية الفقيرة، فالسكان الهنود وخصوصاً الفقراء وجدوا في الإسلام عدلاً حرموا منه في الدّيانات الهنديّة الأخرى.[1] أما الزعماء الهنود أصحاب التجارة فوجدوا في الإسلام سماحة تطمئن مصالحهم التجاريّة، وتؤمن تحرّرهم من السّلطة الهندوكية[2]. وقد نتج عن ذلك قيام الجاليات الإسلامية بتشييد المساجد، فليس هناك محلّة للمسلمين إلا ولها مسجدها، وخطباؤها ودعاتها "ولقيت به الفقيه إسماعيل معلّم كتاب الله تعالى... والقاضي بها نور الدين... ونساء هذه المدينة "أي هنوز" لهنّ جمال وعفاف، ومن خصائصهن أنهن جميعا يحفظن القرآن، ورأيت بالمدينة ثلاثة عشر مكتبا لتعليم البنات"[3].

لقد غطّى التيار الإسلامي معظم جزر الهند، فوصل جزيرة جاوة على حدود الصين، وتذكر المصادر الصينيّة أنّ العرب تركوا آثاراً شاهدة على حضارتهم في هذه البلدة، فلقد علموا أهلها سك النقود التي تصنع من سبائك الذّهب والنّحاس والتناكر. ويستدل من ذلك، أنّ المسلمين الأوائل سيطروا على زمام هذه البلاد، فعلّموا أهلها استعمال الذهب نقدا، حيث تبيّن أن تلك النقود وجدت عليها نقوش عربية وأسماء لسلاطين عرب، وهو ما أجاز الاعتقاد لدى علماء الآثار أنّ المسلمين سيطروا على البلد ردحاً من الزّمن[4]. ويؤكّد ابن بطوطة ذلك عندما وجد عليها الملك الظاهر شافعي المذهب، وله معاملة مميزة في التجارة، حيث كان يتعامل بقطع قصدير وبالذهب الصينيّ والتّبر غير المسبوك. أمّا مظاهر الإسلام التي يتمتّع بها البلد، فكانت لا تختلف عن مظاهر الإسلام السائدة في البلاد العربية، حيث تقام بها صلاة الجمعة، ولها مساجد متعددة تقام بها الفروض[5] إلاّ أنّنا لم نعثر على دليل يقودنا لمعرفة أصول قاطنيها. ولنا أن نعتقد جزماً من خلال وفرة منتجاتها- مثل اللبان والكافور والعود والفلفل والأترنج والقرنفل والقاقلة، وأنياب الفيلة التي كان التّجار يشترون الحمل منه بثوب من القطن مقايضة[6] – أنّ التجار المسلمين الذين كانوا يبحرون إلى تلك

---

[1] – Smith Jr.Datur c :*the Land People of Indonesia* Nero York 1961.p.30

[2] – الندوي، ***تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية***، المرجع السابق، ص44-45.

[3] – إبن بطوطة، ***الرحلة***، المصدر السابق، ص371.

[4] – الصيني بدر الدين، ***العلاقات بين العرب والصين***، المرجع السابق، ص119-120.

[5] – ابن بطوطة، ***الرحلة***، المصدر السابق، ص109.

[6] – أبن بطوطة، المصدر نفسه، ص109.

الناحية، هم عرب الخليج من أهل عمان وسيراف والعراق. ويمكن أن نستدلّ من إشارة المسعودي حين وصف كله بار" وإليها تنتهي مراكب الإسلام من السيرافيّين والعمانيّين في هذا الوقت، فيجتمعون مع من يرد من أرض الصين في مراكبهم"[1]. ولنا أن نعتقد هنا أيضاً أنّه حين انقطع السفر إلى الصين في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع للميلاد، مال هؤلاء التجار إلى جزيرة جاوة، واستطاب لهم العيش بها بسبب وفرة ثرواتها، واتخذوا-تحت مظلة الأخوة الإسلامية- من أهلها عشيرة، وارتقت علاقاتهم إلى التزاوج والانصهار بين شعوبها.

أما بلاد الصين، فقد أشرنا آنفاً إلى العلاقات التجارية بينها وبين عمان، والتواصل التجاري الذي قام به العمانيّون منذ وقت مبكر، وما نتج عنه من إقامة مستوطنات أو مراكز تجاريّة لهم[2]. وتورد المصادر الصينيّة أنّ تاجراً عمانيّاً من صحار اسمه الشيخ عبدالله الذي دونته المصادر الصينية تحت عنوان"موجز تسجيل الأمور الهامة المختلفة في عهد أسرة "سون"، على أنّه كان مبعوثاً لدولة"وشيون- صحار التابعة لتاشي- العرب"، وكان رئيساً لمنطقة سكنى العرب والأجانب في مدينة" قوانشو". وقد لقبه الإمبراطور الصيني"سون شين زون" بلقب "جنرال الأخلاقية"[3]. ويضيف تشانغ أنّ الشيخ عبد الله أقام في بلاد الصين في "مدينة قوانتشو" عشرات السنين، وله ممتلكات تبلغ قيمتها عدّة ملايين، في حين أنّ الدخل التجاريّ لحكومة الصين لا يبلغ المليونين "مين"، ممّا يعني أنّ دخل الشيخ عبد الله فاق دخل الحكومة الصينية[4]. ويؤكّد بدر الدين الصيني أنّ عبد الله هذا كان من أكابر المسلمين في كانتون، وكان موظّفاً وهو معروف باسم "هونغ بونغ"، وكان قد قدّم هدايا إلى الإمبراطور الصيني، ثم غادر بعد الانتهاء مع جملة من زملائه، وأقام في مدينة "كانتون" وشيّد مسجداً بها. وبعد أيّام قلائل أصبح عبد الله زعيماً للمسلمين المقيمين بالمدينة[5]. وقد ذكره بعض الكتّاب على أنّه عربي دون أن يحدّدوا موطنه الأصلي، إلاّ أنّ السيرافي، يؤكّد في إشارة توحي بأنّ الرجل لم يكن من أصحاب مذاهب السنة الأربعة

---

1 – المسعودي، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، المصدر السابق، ج1/105.

2 - Oman /https//w7.sis.cl . لقد سلّمت الحكومة الصينية بتاريخ 22 يونيو 2006م، الى سفارة سلطنة عمان في الصين، وثائق تبين وجود جاليات عمانية في الصين كانت قد استوطنتها منذ عهود قديمة.

3 – تشانغ زون يان، ***الاتصالات الودية المتبادلة بين الصين وعمان عبر التريخ***، المرجع السابق، ص15.

4 – تشانغ زون يان، المرجع السابق، ص16.

5 – بدر الين الصيني، ***العلاقات بين العرب والصين***، المرجع السابق، ص162.

"الشافعي، الحنفي، الحنبلي، المالكي" "إنّ بخانفو، وهو مجتمع التجار... رجل مسلم يوليه صاحب الصّين الحكم بين المسلمين الذين يقصدون تلك الناحية... وإذا كان العيد صلى بالمسلمين وخطب ودعا لسلطان المسلمين، وأنّ التجار العراقيّين لا ينكرون ولايته ولا شيئا من أحكامه وعمله بالحق، وبما في كتاب الله... وأحكام الإسلام"[1]. وهو ما يدلّ على أنّ الرّجل أباضيّ المذهب.

أمّا دخول الإسلام إلى بلاد الصّين، فقد أكّدت بعض المصادر أنّه قد دخل لأول مرة سنة 651م. وقد وردت هذه الإشارة في كتاب العهد القديم لعهد تانغ الملكي في جزءه الرابع، يؤكّد أنّ دولة "تاشي" قد أرسلت سفيراً لتقديم الهدايا للإمبراطور قاو زنغ، وهذا التاريخ يقابل سنة 30 هجرية أي في عهد الخليفة عثمان بن عفان، وهذا أوّل تسجيل للاتصالات الإسلامية الصينيّة على مستوى السفراء[2]. وهناك رواية عن أنّ أحد التّجار العمانيّين يدعى "السنغاتور"وأصله من صحار، كان قد أقام بمدينة كانتون عشرات السّنين، وقد بلغت ثروته عدّة ملايين من العملة الصينية القديمة[3]. غير أنّنا لا نعرف هل هو التاجر عبد الله الذي سبقت إشارتنا إليه أم هو رجل آخر؟ **(انظر الشكل رقم 15).**

---

[1] - السيرافي، ***رحلة السيرافي***، المصدر السابق، ص24.

[2] - لي تشين تشونغ ، بحث مقدم لـ ***مجلة التسامح***، *العدد7* وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان 2004م مؤسسة عمان للصحافة والنشر،.ص 255

[3] - لي تشين تشونغ، ***مجلة التسامح*** ، المرجع السابق، ص256.

خـــــــــــــــاتمة

نستدلّ من خلال دراستنا لطبيعة علاقات عمان التجاريّة، على أنها كانت ترتبط بعلاقات تجارية وملاحية بحكم موقعها البحري وسيطرتها على الطرق البحريّة مع مختلف البلدان. ففي منطقة المحيط الهندي ارتبطت مع مختلف الأقاليم بعلاقات تجارية وملاحيّة، وقد جاء هذا الارتباط نتيجة تناغم الإنسان العمانيّ مع البحر بعزيمة وإصرار، ورغم العوائق الطبيعيّة التي تحول دون الإبحار في المحيط الهندي. إلاّ أنّ هذه العوامل تحوّلت بعزيمة الإنسان إلى عوامل مساعدة، بعدما تعامل مع مواعيد الرّياح واستثمرها خير استثمار لتسيير السّفن خصوصاً في المسافات البعيدة التي تبعد عن السّاحل. وبفضل إرادته استطاع أن يخترق قلب المحيط الهنديّ فوصل إلى أقاليمه الشرقيّة النائية، كما استفاد من التيّارات البحرية المساعدة للرياح.

وتمثّل صناعة السّفن أفضل ما وصلت إليه عظمة الإنسان العمانيّ وعزيمته، فكان لها الأثر في التواصل والتلاحم بين أقاليم المحيط والمنطقة العربيّة. وقد اهتم الإنسان العمانيّ بصناعة السّفن فوحّد أسلوب صناعة سفنه مع صناعة سفن جميع مناطق المحيط الهندي، كما وحّد المواد التي تصنع منها السّفن العمانيّة مع موادّ سفن أقاليم المحيط، التي تجلب إلى المنطقة العربيّة وعمان على وجه الخصوص، وهي الأخشاب السائدة لصناعة السّفن. وقد تميّزت صناعة هذه السفن باستعمال خيوط ليف النارجيل بدلاً من المسامير في عملية وصل ألواح السفينة، وكانت هذه الميزة المثلى تستخدم في جميع سفن المحيط الهندي. وقد استثمرها الإنسان من طبيعة المحيط نفسه لمواجهة صخوره المرجانيّة. فالخيوط بطبيعتها تعطي مرونة أكثر للسّفينة في مواجهة التيّارات البحريّة العاتية، ثم تقلل من عمق الغاطس لتجعل عمق السفينة أكثر ارتفاعاً، مما يسهّل التعامل مع الصّخور المرجانيّة. كما تعامل الإنسان العماني مع الشراع المثلّث، وهو أوّل اختراع توصّل إليه البحّارة العرب، حيث يتميّز بخاصيّة دوران السفينة أكثر من الشراع المربّع الذي تستخدمه سفن الإمبراطورية الرومانية في البحر الأحمر وحوض البحر المتوسط. وبهذه الخاصيّة لعبت عمان دوراً بارزا في مجال التّجارة مع جميع أقاليم المحيط الهندي، مكنت الإنسان العمانيّ من جلب صنوف متعدّدة من الأمتعة والبضائع التي تزايد الطلب عليها.

كما ارتبطت عمان بعلاقات وثيقة بالمراكز التجاريّة في منطقة الخليج العربي، ولعبت دوراً مهمّاً في نقل التجارة إلى تلك المراكز لتبلغ أوج ازدهارها.

كما مدّت علاقاتها التجاريّة إلى أقاليم البحر الأحمر ودول المغرب العربي. فحرص العمانيّون على مد جسور التواصل مع الدولة الرستمية في تاهرت، ونقلوا إليهـا ضـروبا مختلفة من بضائع الشرق. كما حرص العلماء العمانيّون على التواصل بينهم وبين دولة ابن رستم الأباضية ونقلوا إليها العلوم الفقهيّة، وقد أثّر هذا التلاحم والتواصل في تنشيط التبادل التجاري والثقافي.

الباب الثالث:

الوضع السّياسي والتجاري من القرن الرّابع

إلى السّادس الهجري والامتداد العماني إلى شرق أفريقيا

مقدمـــــــــــة

الفصل الأول: الوضع السياسي في عمان ومنطقة الخليج العربي وأثره على الوضع التجاري.

الفصل الثاني: الامتداد العماني إلى شرق أفريقيا وأثره في العلاقات العمانية بشرق أفريقيا.

الفصل الثالث: الهجرة العمانيّة إلى شرق أفريقيا

خاتمـــــــــــة

مقدمة

إنّ النموذجيّة المثالية للدولة الإسلامية التي أرست دعائمها الإمامة الأباضيّة (177-273هـ /793-886م) والمتمثلة في تطبيق مبدأ الشورى والإجماع والتعاقد والفكر الذي عمل به الخلفاء الرّاشدون(11-40هـ/632- 661م)، قد تبدّدت إثر خروج المجتمع العماني عن تقاليده ومبادئه الديمقراطية إلى مبادئ الفوضى والتشرذم. فعلى إثر عزل الصّلت بن مالك الخروصي ، تشتّت المجتمع العماني القبَلي إلى أحزاب شتّى تزعّمت كل قبيلة حزبا نادى أصحابه بأخذ الثّأر من القبائل المعادية، فجرت عملية تنصيب الإمام وعزله على أساس تعصّب قبلي، وبذلك أصبح زمام السّلطة في أيدي زعامات القبائل العمانيّة التي أخذت تشنّ على بعضها الهجوم تلو الآخر. وقد نتج عن هذه الصيرورة ضعف السّلطة الحاكمة وعجزها كليّا عن السّيطرة على الأوضاع السياسيّة.

لقد أدّى هذا الوضع إلى انقسام العمانيّين إلى حزبين رئيسين يمنيّ ونزاريّ، شنّ كل منهما على الآخر سلسلة من الحروب الطائفيّة. ونتيجة لذلك فقد دخلت عمان في صراع امتدت جذوره إلى الخلافة العباسية في العراق. ومن هنا بدأ العباسيون في التدخّل بشكل مباشر لينهوا نظام الإمامة الأباضيّة الثّانية إثر سيطرتهم على إقليم عمان سنة 280هـ/886م. وقد دخل الإقليم دائرة صراع امتدّت نحو أكثر من ثلاثة قرون، فتعاقبت عليها حركات كانت قد طعنت ظهر الخلافة نفسها، مثل القرامطة، والبويهيّون والسّلاجقة الذين سيطروا على عمان نحو أكثر من مائة وثلاثين سنة. وكانت هذه الحركات تهدف من وراء مدّ هيمنتها على إقليم عمان، إلى التحكّم في زمام التجارة وطرقها في شرق جزيرة العرب.

وبالرغم من الصّراعات الداخلية في الشأن العماني ودخول الأطراف الخارجية التي عملت على زعزعة كيان المجتمع العماني وقمعه طيلة الفترة المشار إليها آنفا، فإنّ الوضع التجاريّ في إقليم عمان شهد خلال تلك الفترة ذروة ازدهاره. إلاّ أنّ تجارة إقليم عمان ما لبث أن تعرضت في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد إلى الاضمحلال إثر ظهور مراكز تجاريّة أخرى جديدة كجزيرة قيس، وهرمز، وظفار. وبصفة تدريجيّة تحولت التجارة الدوليّة المهاجرة من الخليج العربي لتدخل موانئ البحر الأحمر نحو مصر الفاطميّة.

أمّا فيما يتعلّق بالامتداد العماني إلى شرق إفريقيا، فقد شكّل أحد أهم المحاور الرئيسيّة في هذا البحث، باعتبار أنّ الدور العمانيّ في منطقة المحيط الهندي وشرق إفريقيا هو محور الدّراسة.

لقد هاجرت بعض الأسر والقبائل من عمان إلى شرق إفريقيا مثل أسرة بني الجلندى وقبائل الحرث والنباهنة، إثر صراعات سياسيّة كان قد عرفها الإقليم. و بدأت بواكير هذه الهجرات منذ فترة مبكرة(75-93هـ / 694- 711م)، وقد استقرّت هذه القبائل في أرخبيل لامو، ثمّ ما لبثت أن انتشرت على طول السّاحل الشرقي لإفريقيا. وقد تمكّن الوافدون الجدد من تأسيس كيانات سياسية لهم تفاوتت أهمية كل منها بحسب السبق الزمني لكل قبيلة. ومع مرور الزمن عمد المهاجرون إلى تأسيس مراكز تجارية، تحولت إلى مدن كبيرة ومدّت أنشطتها على طول ساحل شرق إفريقيا. فأسّس المهاجرون حضارة إسلامية راقية، ونقلوا معهم ثقافتهم الإسلامية وموروثاتهم الحضارية. وتعاقبت الهجرات العمانيّة على طول الحقب التاريخيّة، حتى أصبح شرق إفريقيا في فترة لاحقة امتدادا لمجال عماني فسيح أطلق عليه المؤرّخون تسمية الإمبراطورية العربية الأفريقية.

الفصل الأوّل

الوضع السياسي في عمان ومنطقة الخليج العربي وأثره على الوضع التجاري.

لقد شهدت عمان صراعات سياسيّة بين قبائلها، وتدخلات خارجيّة عملت معطياتها على تعتيم الأوضاع التجاريّة فيها طيلة الفترة الممتدّة من نهاية القرن الثالث الهجري إلى القرن السّادس منه/ القرن التاسع ميلادي إلى القرن الثّاني عشر منه.

يستعرض هذا الفصل الوضعين السيّاسيّ والتجاريّ اللذين شهدهما إقليم عمان خلال تلك الفترة. فما هي العوامل السياسيّة التي فرضت نفسها على الإقليم ؟ وما تأثير ذلك على العمانيّين ؟ ثمّ ما هي الصيّرورة التي مرّ بها الوضع التّجاري والملاحي آنذاك؟

I – الأوضاع السياسيّة من القرن الرابع إلى القرن السادس الهجري

1 – الصراع العماني الداخلي(الحرب الأهلية والقضاء على الإمامة الاباضية الثانية)

خلال القرون الثلاثة التي تلت سقوط الإمامة الأباضية الثانية (280 هـ/893م)، خرج المجتمع العماني من الإطار الذي رسمته قيمه وثقافته وشرائعه إلى إطار الفوضى والتمزّق. وعرف هذا المجتمع خلال تلك الفترة حالة من الإنقسام و التشرذم. وبما أنّ ازدهار الأوضاع الاقتصادية التي سعى الإنسان إلى تحقيقها في كلّ زمان ومكان مقرونة بالأوضاع السياسية، فيجدر بنا أن نحيط بالوضع السياسي المتدهور الذي شهده إقليم عمان إبان تلك الحقبة من الزمن.

أ – أسباب الصّراع

يعتبر عزل الصلت بن مالك الخروصي(273هـ/ 886م)محور الصّراع الذي دار بين القبائل العمانيّة وأدّى في النّهاية إلى زوال الإمامة الأباضية الثانيّة .

وكان أهمّ الأسباب التي أدّت إلى الانشقاقات السياسيّة والحروب الأهلية بين العمانيّين، هو وقوف علماء الحركة الأباضيّة وبعض زعامات القبائل العمانيّة مواقف مختلفة أدّت إلى اختلاف وجهات النّظر بين الأطراف. فكان بعضهم مؤيّدا لعزل الصلت بينما عارض البعض الأخر عزله عن الإمامة[1]. وقد ترتّب عن هذا الاختلاف انقسام القوى السياسيّة في مؤسّسة الإمامة إلى مجموعتين، فلقد تزعم المجموعة الأولى موسى بن موسى بن أبي جابر الأزكوي ومؤيّدوه مطالبين بعزل "الصلت"، وكانت حجّتهم في ذلك أنّه طعن في السّنّ

[1] – لقد ألّف أبو المؤثر الصلت بن خميس– الذي كان معاصراً لهذه الأحداث– كتابه الأحداث والصفات، وهذا الكتاب جدير باهتمام الباحثين، وقد ألّف من بعده أبو الحسن البسيوي كتاباً للرد على خصوم الصلت بن مالك.

فلا يستطيع معها القيام بواجباته كإمام حسب أنظمة الحكم في الفكـــر الأباضـــي[1]، بـــسبب ضعفه عن إدارة الدولة. وأن "مسألة مطالبتهم باعتزاله كان الهدف منها الحفاظ على الدولة من زوالها[2]. ويذكر الرقيشي أن "موسى" سار إلى نزوى وتكلم مع أعوانه في أمر العزل ، وقد تابعه في ذلك عبد الله بن سعيد الفجحى والحواري بـــن عبـــد الله الحـــدّاني، لبلـــورة مخطّطهم هذا فاجتمعوا مع موسى بقرية فرق.[3]

أمّا فيما يتعلق بموقف الإمام الصلت بن مالك ، فقد ورد في كتاب كان قد أرسله إلى أحد أتباعه المقرّبين[4]، يلقي فيه اللائمة على الشباب الأباضي الذي خرج عليه، ويعزي هذا الخروج إلى أهل الدّعوة. وممّا كتب إليه قوله: "اعلم يا أخي أنّ هذه الدّولة قد كـــان لهـــا رجال لهم حلوم راجحة عالمة وقلوب سليمة كانوا على أمر واحد يطأ الآخر الأوّل.. فلـــم يزالوا على ذلك حتى مضوا فانقرضوا رحمة الله عليهم، ثم خلفنا نحن وأنتم مـــن بعـــدهم وبُليت بهذا الأمر من غير محبّة من فيه ولا طلب له إلى أن طلب ذلك من طلب إليّ مـــن أفاضل المسلمين وأهل الفقه في الدين، ورغبت في طلب ذلك الأمر بالمعروف.. والنهـــي عن المنكر وإمامة الحقّ ورجوت نصرة المسلمين حتى عرفت أشياخ المسلمين وحتى أقمت بهذا الأمر ما شاء الله والمسلمون لي أعوان إلى أن ذهب أهل الفضل، ونشأ اليوم شـــباب وناس ظهرت رغبتهم في الدنيا وطلبوا الرياسة فيها"[5].

يبدو من خلال هذا الاستعراض الموجز للنص، أنّ وجهات النّظر المختلفة تبيّن حقيقة مهمة، وهي وجود تصدّع عميق في جدار قاعدة الإمامة بوجود تغيّرات فكرية جديدة لدى علماء الاباضية وقادتها الجدد، وبروزأطماع شخصية لدى أصحاب الدعوة دون النظر إلى مصلحة الدولة، وقد أدّى ذلك إلى تمزّق الوحدة الدّاخلية لعمان.

[1] – أبو المؤثر، *الأحداث والصفات*، المصدر السابق، ص15 تورد المصادر أن الصلت بن مالك مكث في الإمامة أكثر من(35) عاماً، وهو ما أدّى بمعارضيه التفكير بإزاحته عن السلطة، مجهول، *تاريخ أهل عمان*، ص 67.

[2] – أبو المؤثر، *الأحداث والصفات*، المصدر نفسه، ص 15.

[3] – مجهول، *السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان*، مقتطفات من كتاب الأحداث والصفات لأبي المؤثر، تحقيق، سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث والثقافة سلطنة عمان ط2، 1989 . ص 121.

[4] – هو الجهور بن سنجة كان يخبره عن قضاء الله وقدره الذي كان قد نال من موســـى بـــن موســـى وأتباعـــه، السالمي، *تحفة الاعيان*، المرجع السابق، ج129/1

[5] – *السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان*، المصدر السابق، ص 121.

أمّا المجموعة الثانية المؤيّدة للصلت، فقد احتجت احتجاجا صارخاٍ، على عزله معللة بأنّ نظام البيعة في الشرع الإسلامي – حسب علماء المذهب الأباضي– قد وضع معايير ومفاهيم يتعيّن على علماء المذهب إتّباعها في عزل الإمام أو تنصيبه مفادها أن "ليس للإمام الشاري أن يعزل إلاّ إذا تعرض لخلل في عقله أو نقص في سمعه أو بصره، وحينئذ يمكن لعلماء المذهب أن يتّفقوا على عزله "وللمسلمين الأباضية أن يعزلوه"[1].

إنّ هذه الشروط تعتبر من الوجهة النّظرية للإمامة الأباضيّة ومفهومها الفكري، من الشروط الهامّة التي يجب على رجال الدين" المرجعية الدينية" تطبيقها في عملية تنصيب الإمام أو عزله، تجنّباً لحدوث تصدّع في الأمّة، أوخروج عن الإمامة من وجهة نظر البعض، ولم يكن ذلك وفقاً للديمقراطية الأباضية وتعاليم علماء المذهب. وهنا كان محور الخلاف بين الأطراف المتنازعة من رجال الدعوة وعلمائها. ولقد وجد "موسى" نفسه في موضع حرج ولم يمكّنه موقفه من تطبيق مثل هذه القواعد. ومن هنا بدا مضطراً لإيجاد وسيلة أخرى لتأليب الموقف وعزل الإمام الطاعن في السن. يقول أبو المؤثر واصفاً موسى " فادّعى أنّه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وليس ذلك بحدث منه، ولا بذنب مكفّر بل حجّة يقيمها على الإمام يعلمها العامة، كأن يطلب بعض الولاة، أو عزل بعض الوزراء، أو عزل بعض المعتدلين، أو تولية بعض النّاس"[2].

لقد شنّ موسى بن موسى هجوماً على الإمام باعتباره المرجع الديني والمؤثر الرّوحي وذي المركز القياديّ في سياسة الدعوة الأباضية. وعند وصوله قرية "فرق"[3] التي تبعد نحو فرسخ من قوات الإمام في نزوى، أرسل رسوله إلى الصلت يدعوه إلى الاعتزال. وحين وصلت رسله، سألهم الإمام ماذا يطلبون؟ فقالوا:" قد صرت إلى حدّ الضعف ويخافون ذهاب الدّولة ويسألونك أن تعتزل حتّى يقوم رجل يحيي به الله هذا الدّين. قال: أنظر في ذلك. فبقوا أيّاماً ينتظرون رأيه، ثم عزم على الاعتزال"[4].

ونتبيّن أنّه لم تحدث مواجهات مسلّحة بين الثوار بقيادة موسى وقوات الإمام الصلت. فلقد قرّر الإمام الاعتزال بمحض إرادته تجنّباً لحدوث إراقة دماء قد توصل الدولة إلى وضع لا تحمد عقباه. فما هي الإجراءات التي اتّخذها موسى بعد اعتزال الصلت ؟

---

[1] – الرقيشي، *مصباح الظلام*، المصدر السابق ، ص61. *السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان*، ، ص 124.

[2] – أبو المؤثر، *الأحداث والصفات*، المصدر السابق، ص16، الكندي ، *المصنف*، المصدر السابق، ج10/220–222

[3] – العوتبي، *الأنساب*، المصدر السابق، ج2/313–314.

[4] – السالمي، *تحفة الاعيان*، المرجع السابق، ج1/133، الرقيشي، *مصباح الظلام*، مخ، المصدر السابق، ص61.

وما إن علم موسى بن موسى ومؤيدوه من أمثال عبيد الله بن سعيد بن مالك الفجحي، والحواري بن عبد الله الحدّاني السلوتي، وفهم بن وراث الكلبي، والوليد بن مخلد الكندي بذلك، حتى عقدوا الإمامة لراشد بن النّظر. فنتج عن ذلك تشتّت الوحدة الأباضيّة وخروجها عن إطارها "اختلفوا فيما بينهم في الرأي ووقعت الفتنة وكره قومٌ إمامة راشد بن النظر فلم يبايعوه. ومنهم عمر بن محمد الضبي القاضي وموسى بن محمد بن علي ، وعزان بن الهزبر، وأزهو بن محمد سليمان، وعزان بن تميم، وشاذان بن الصلت، ومحمد بن عمر بن الأخنس، وغدانة بن محمد، وأبو المؤثر، وغيرهم ممّن لا زالوا متمسّكين بإمامة الصلت بن مالك إلى أن مات ."[1]

كانت هذه التطورات بمثابة دخول عمان في دوامة حرب بين القبائل العمانيّة دامت نحو خمس سنوات، وأدّت إلى نهاية الإمامة الأباضية الثانية وأضحى الخلاف بين العمانيّين موضع جدل استمرّ لقرون لاحقة . فلقد شاركت في الحرب فئات وصفها أبو المؤثر المعاصر للحدث في كتابه "الأحداث والصفات "بأوصاف مختلفة كقوله: "**أهل فتنة يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وأهل أهنة** "[2] وهناك فئة المتسرّعين من محدودي العلم، فهم "أهل تنسّل لا علم لهم يحبّون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يعرفون المعروف ما هو والمنكر ما هو "[3].

كان هذا الموقف ينذر بعواقب وخيمة في الدّولة الأباضية التي امتدّ كيانها السياسيّ وبلغ أكثر من قرن من الزّمان. فما هي الأطر التي مرّت بها إمامة راشد بن النظر خلال المرحلة التي امتدّت نحو خمسة أعوام(273 ـ 277 هـ / 890م) ، وكيف كانت أحوال المجتمع العمانيّ خلال الخمس سنوات التي قضاها راشد في السّلطة؟

بعد أن تمّ عزل الصلت بن مالك عن الإمامة، عقد موسى بن موسى الإمامة لراشد بن النّظر يوم الخميس السابع والعشرين من ذي الحجة سنة 273 هـ / 886 م.[4] وجدير بالإشارة أنّ راشد بن النّظر كان من أهم المؤازرين لموسى بن موسى في مساعيه الرّامية

---

[1] – *السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان*، المصدر السابق، ص 123.

[2] – أهنة واهن جف العرجون يعني ما فوق الشماريخ ويجمع أهناً، غير أنه ربما يقصد بها هنا أهل الحقد أو الكارهون للشيء. *لسان العرب*، ج256/1.

[3] – أبو المؤثر، *الأحداث والصفات*، المصدر السابق، ص8.

[4] – الأزكوي، *تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمه*، المصدر السابق، ص 55. مجهول، *تاريخ أهل عمان*، ص 67.

لإزاحة الصلت بن مالك عن السّلطة، ومعنى ذلك أنّ موسى بن موسى كان قد أعدّ مكافــأة لراشد بن النّظر بتقليده منصب الإمامة، وقد ساعده في مخططه عــدد مــن الشّخـصيات القويّة، مثل عبد الله بن سعيد وفهم بن وارث الكلبي[1]. غير أنّه بمجرّد عقد الإمامة لراشـد بدأت أرضيّة الإمامة تميد. ولعلّ سبب ذلك يعود بالدّرجة الأولى لراشد نفسه، الذي لم يجر أيّ تغيير في الجانب التنظيمي للدولة، ولا في المستوى الإداري الذي بقي على حاله مثلما كان زمن سلفه، حيث أبقى جميع الولاة السابقين، وهو أمر كان يؤخذ عليه مــن الناحيــة الإدارية والسياسية تجلى فيه ضعف شخصيته كرجل دولة. كما كافأ بعــض الشخــصيات المتعاونة مع الثوار بمناصب إدارية، و من بينهم الحسن بن سعيد والي الرستاق، الذي كان حلقة وصل بين الثوار والصلت، بتعيينه واليا على "جلفار" ذات الموقع البحــري المتميّــز تجارياً وعسكريًا. ثم عيّن أحد قواد الصلت المسمى الحواري بن بركة مسئولاً عن الماشية كمكافأة له لتمرّده على أوامر الصّلت. أما موسى بن موسى فقد عينه قاضياً له[2].

لقد استغلّت القبائل العمانيّة هذه الظرفية المتردية من النّاحيتين النظريــة والعمليــة، فافتعلت المشاكل على الإمامة الجديدة. ففي ناحية الجنوب من عمان، تمرّدت قبائل مهــرة مستغلّة بذلك اضطراب حبل الأمن في عمان الوسطى. وقد وصف أبو المؤثر هذه الظروف قائلاً: "وقد تكون الأحداث من قبل مهرة في طرف عمان، فربما يضربون الرجل ويسرقون للناس بعض الإبل، ولا آخذ راشد منهم رجلاً على ذلك، ولا بعث إليهم سريّة وإنما كــان بأسه وشدته على الرستاق وما حولها"[3].

وفي داخليّة عمان، احتدم الصراع بين القبائل العمانيّة متّهمــة بعــضها بــالانحراف والخروج عن مبادئ الإمامة، فلقد جرت وقائع مشهورة بينهم انعكست سلباً على المجتمــع الأباضي، وتمكّنت من زعزعة كيانه السياسي.

ولعل من أشهرها **وقعة الروضة**. فلقد شعر العمانيّون المؤيدون للصلت بــن مالــك، بالغبن من جراء عزله وإحلال راشد بن النظر مكانه[4]. وحفز ذلك رؤساء بعــض القبائــل العمانيّة، فتخلى الفهم بن الوارث عن تأييده لراشد بن النظر وأنحاز إلى حلف بنــي كلــب

---

[1] – السالمي، *تحفة الاعيان*، المرجع السابق، ج143/1.

[2] - *السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان*، المصدر السابق، ص 124.

[3] – أبو المؤثر، *أحداث و الصفات*، المصدر السابق، ص 35-36.

[4] – مهدي طالب هاشم، *الحركة الأباضية في المشرق*، المرجع السابق، ص240.

اليحمد المعارض لراشد بن النظر، ولقد وسّع بنو كلب اليحمد تحالفهم ضدّ فجح اليحمد محاولين الاستيلاء على السلطة من راشد بن النظر، وضمّ هذا التحالف بعض زعامات اليحمد مثل؛ فهم بن الوارث، ومصعب وأبي خالد أبناء سليمان الكلبي، وخالد بن شعوة الخروصي، وسليمان بن اليمّان، وشاذان بن الصّلت الخروصي ابن الإمام المعزول، ومحمد بن مرجعة، وغيرهم من وجوه اليحمد. فاجتمعوا " بالرستاق" وكاتبوا العوتبيّين مسلم وأحمد بن عيسى بن سلمة، وطلبوا منهما أخذ البيعة لهما من قبائل العتيك من بنى عمران وأحلافهم من بطون مالك بن فهم. وحينئذ نجح مسلم وأحمد العوتبيان في استمالة نصر بن المنهال العتكي الهجاري من ولد عمران، و"استجاشا" سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمي من بنى سليمة بن مالك بن فهم، وسألاه أن يبايع لهما في الباطنة. ولما كان سليمان شيخاً مطاعاً في قومه في الباطنة، وكذلك نصر بن المنهال الذي كان يتولى رئاسة العتيك، فقد استجابت قبائلهما لدعوتهما وبايعتهما على نصرة شاذان بن الصلت اليحمدي على أن يتم"انتخاب شاذان" في محاولة للإطاحة براشد بن النظر. كما لبّى دعوتهم سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمي، فبايع من في الباطنة من قومه من سليمة وفراهيد وبني مالك بن فهم. ويجدر بنا أن نشير إلى أن هذا التحالف يعتبر من أكبر التحالفات القبلية في عمان بحجة الدفاع عن الإمامة، وبذلك ينتقل الثقل السياسي إلى رؤساء القبائل دون سواها، حيث تجمّعت هذه القبائل في منطقة الرستاق واتّخذت الطريق الجبلي نحو نزوى.[1]

علم الأمام راشد بن النظر- يدعمه قاضيه موسى- بتحرك الثوار، فعمد إلى تجهيز جيش تدعمه مجموعة من الفرسان لملاقاتهم، وفاجأهم بهجوم ليليّ في الرّوضة "بتنوف" التي تقع بمنطقة الجوف القريبة من نزوى[2]. وكان على رأس قيادة جيش الإمام راشد بن النظر "**عبد الله بن سعيد بن مالك الفجحى اليحمدي ويعاونه الحواري بن عبدالله الحداني وأهل سلوت والحواري بن محمد الداهني**"[3]، فوقعت معركة كثر القتل فيها[4]، وكان من الذين لقوا مصرعهم نصر بن المنهال العتكي وولداه المنهال وغسان، وأخوه صالح بن

[1] - العوتبي، *الأنساب*، المصدر السابق، ج313/2. العبيدلي، *أيام وأحوال*، المرجع السابق، ص146، فاروق عمر، *تاريخ الخليج*، المرجع السابق، ص200.

[2] - *السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان*، المصدر السابق، ص 128. تنوف قرية تبعد عن نزوى نحو فرسخين في جهة الشمال.

[3] - العوتبي، *الأنساب*، المصدر السابق، ج 314/2.

[4] - السالمي، *تحفة الاعيان*، المرجع السابق، ج/149.

المنهال العتكي، كما قتل من أبناء مالك بن فهم، حاضر بن عبد الملك بن بلال السليمي وابن أخيه المختار بن سليمان بن عبد الملك السليمي وغيرهم، أما الأسرى الذين أسرتهم قوات الإمام راشد، فكان جلهم من بنى اليحمد. وكان منهم الفهم بن وراث الكلبي، وخالد بن شعوة الخروصي. وقد اقتيد هؤلاء وأودعوا سجون نزوى، ومكثوا فيها عاماً كاملاً[1].

ونتيجة لهذه المعركة فقد انقسم المجتمع العماني إلى حلفين رئيسين، أحدهما تزعمته الفرقة اليمانية، أما الثاني فقد تزعمته الفرقة النزاريّة. غير أن هذا الانقسام لم تتبلور مفاهيمه إلا في إمامة عزان بن تميم الخروصي، الذي تقلد الإمامة بعد الإطاحة بالإمام راشد بن النظر. وكان من أهم نتائجه وقعة الروضة، أمّا بعض زعامات بني غافر، فقد أودعوا سجون نزوى وكبّلتْ أياديهم بالقيود. ولقي بعض هؤلاء في سجونهم مختلف أنواع التنكيل، كما كبّل راشد بعضهم بالأصفاد في منزله شأنهم شأن العبيد[2]. وكان من أهم نتائج هذه المعاملة، أنّ بعض زعامات بني كليب اليحمد كتبوا إلى شاذان يسألونه الخروج على راشد. فكتب إليهم شاذان قائلاً: " **أنا رجل من المسلمين لا أنفرد بالأمر دونهم ولا أريد أن أكون في هذا الأمر رأساً فإن قام المسلمون فأنا معهم**" فأجتمع بهم شاذان بن الصلت، فلما بلغ راشداً اجتماعهم، بعث إليهم بعض قواده وكان على رأسهم عبيد الله بن سعيد، فظفر بهم في موضع يقال له" الطباقة" من أسفل وادي عمق[3]. ونشب قتال بينهم فقتل من أصحاب شاذان خلق كثير، في حين تمكن شاذان من الهرب في جمع من أصحابه نحو رؤوس الجبال، في حين سيق الذين ظلوا أحياء من أصحابه وأودعوا سجن نزوى[4].

لقد حسمت قوات عبيد الله التي تشكلت من أخلاط الناس المعركة، وتدريجياً بدأ موسى بن موسى ينأى عن حميمه الإمام راشد بن النظر، وبرئ منه وأخذ ينادي بعزله. ونتيجة لإحتدام المعارك، ضعفت الدعوة الأباضية، حيث تفجرت العصبيات القبليّة وازدادت حدّتها، وهو ما أدى إلى انقسام المجتمع العماني إلى يمانيّة أومضرية ونزاريّة[5]. وقد انضمّ موسى بن موسى إلى حزب اليمانية، وأخذ يؤلب حزبه للإطاحة بالإمام راشد. ولتنفيذ

---

[1] – العوتبي، *الأنساب*، المصدر السابق ، ج 314/2.

[2] – *السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان*، المصدر السابق ، ص 52.

[3] – أبو المؤثر، *الأحداث والصفات*، المصدر السابق ، ص40.

[4] – العوتبي، *الأنساب*، المصدر السابق، ج319/2.

[5] – العوتبي، *الأنساب*، المصدر السابق، ج314/2.

المخطط تزعّم شاذان الثوار خارج نزوى في محلة تسمى" ابنة المجد"، بينما تمكن موسى وأصحابه من إلقاء القبض على راشد، في نزوى[1].

ونتيجة لذلك، فقد تقلّد عزان بن تميم الخروصي اليحمدي إماماً لعمان سنة 277-280هـ/890-893م[2]. وبويع بالإمامة في شهر صفر سنة 277هـ/890م. وقد شهد البيعة مجموعة من الزعامات العمانيّة من حلف اليمانية، مثل عمر بن محمد القاضي، ومحمد بن موسى بن علي ، وعزان بن الهزبر وأزهر بن محمد بن سليمان. وكانت أولى الإجراءات التي اتّخذها عزان، هي عزله لولاة الإمام السابق، وتبديلهم بآخرين موالين لحزب اليمانية[3]. فلقد عين عزان بن الأزهر والياً على أسطوله البحري المكون من الشذى، وأزهر بن محمد بن سليمان والياً على المركز التجاري في"صحار"، وموسى بن موسى والياً للقضاء بنزوى[4]. وقد استمر عمله في مهنة القضاء سنة كاملة، غير أن الإمام عزان، قام بعزله لارتيابه منه[5]. وحينئذ غادر موسى نزوى- المقر الرئيسي للإمامة- إلى ازكي، وحاول أن يجمع فيها أنصاره للقيام بعمل مسلح ضد عزان، بيد أن التجارب الماضية يبدو أنها كشفت لعزان دهاء موسى بن موسى. فعاجله خوفاً أن يفعل به مثل ما فعل بمن كان قبله[6]، وأعد له جيشا من أخلاط الناس، كان من بينهم اللصوص الذين أطلقهم من السجون، وأجرى لهم نفقات تشجيعاً لهم[7]. و توجه على رأس جيشه حتى دخل ناحية من ازكي وتمكن من إنزال هزيمة منكرة "بموسى"، وقتله في محلة الحبور عند مسجد الحجر "**وفعلوا في أهل إزكى ما** لم يفعله أحد فيما سمعناه"[8]. ويصف لنا صاحب كتاب كشف الغمة هذه الوقعة قائلاً: "فعاجله أي "عزان" بجيش أطلق فيه كافة المسجونين فساروا إلى إزكى فدخلوا

---

1 - *السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان*، المصدر السابق ، ص 129.

2 - مجهول، *تاريخ أهل عمان*، المصدر السابق، ص68. السالمي، *تحفة الاعيان*، المرجع السابق، ج/167،

3 - السالمي، *تحفة الاعيان*، المرجع السابق، ج168/1.

4 - مجهول، *تاريخ أهل عمان*، المصدر السابق، ص68.

5 - فاروق عمر، *تاريخ الخليج*، المرجع السابق ، ص202.

6 - *السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان*، المصدر السابق ، ص 131.

7 - عاقب عزان الذين تخلفوا من أهل نزوى عن التحاقهم بالحملة.

8 - مجهول، *تاريخ أهل عمان*، المصدر السابق، ص 69.

حجرة النزاز"[1] "ودخلوا على أهل إزكى يقتلون ويأسرون ويسبون وأضرموا فيها النار فحرقوا أناساً وهم أحياء"[2].

ب - نتائج الصراع

كان من أهم نتائج الصراع الذي نشب بين العمانيّين انقسام المجتمع العماني إلى حلفين رئيسين أحدهما نزاري والآخر يماني أو مضري، كنا أشرنا اليهما سابقاً. وقد توسع الشقاق بين الحلفين بعد وقعة محلة الحبور بإزكي. فلقد خرج الفضل بن الحواري القرشي النزاري ثائراً لمساندة أهل أزكي ضد قوات الأمام عزان. و تحالفت القبائل المضرية وقبائل الحدان وبنو الحارث من أهل الباطنة[3]. وبرزت بعض الزعامات القبلية، كأمثال زياد بن مروان السامي الذي خرج من منقطة السر وخرج معه أبو هدنة والحواري بن عبد الله السامي والحواري بن عبد الله الحداني السلوتي بجبال الحدان، لتحريض القبائل على مساندتهم ضد حزب عزان. وقد استجابت لهم قبائل بني سامة بن لؤئ وبني عوف، واجتمعوا في "توام" ثم تحركت هذه القبائل إلى جبال الحدان في بلدة ينقل، حيث تسكن قبيلة الحدان الأزديّة[4]. وقد عقد المضرية واليمانية في هذه الأثناء البيعة للحواري بن عبد الله السلوتي إماماً لعمان، ليضفوا على خروجهم شرعية تكسبهم ود وتأييد القبائل العمانيّة[5].

لقد توجهت القبائل المتحالفة والتي تكونت من المضرية والحدان وبنو الحارث من أهل الباطنة وقبائل بنو عوف وبني "سامة" برئاسة الحواري بن عبد الله الحداني السلوتي الذي انتخبوه إماماً لهم، إلى صحار. ودخلوها في الثالث والعشرين من شوال سنة 278هـ/891م وتمكنوا من الاستيلاء عليها. وأقاموا الدعوة إلى الإمام المنتخب الحواري بن عبد الله، على منبر مسجدها في صلاة الجمعة[6]. ولما بلغ ذلك عزان بن تميم، أرسل إليهم قوات كبيرة كان جلها من اليمانية الذين وقفوا بجانبه في معركة الروضة[7]. وكانت هذه القبائل تتألف من اليحمد والعتيك وبنى مالك بن فهم في الباطنة. وقد ترأس اليمانية

---

[1] - يقصد هنا بمحلة كانت تقطنها قبائل بنى نزار.

[2] - الإزكوى، *تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة*، المصدر السابق، ص 56.

[3] - الإزكوري، *تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة*، المصدر السابق، ص57.

[4] - العوتبي، *الأنساب*، المصدر السابق، ج120/2.

[5] - فاروق، *تاريخ الخليج*، المرجع السابق، ص203.

[6] - *السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان*، المصدر السابق، ص 132. الأزكوي، *تاريخ عمان المقتبس*، ص57.

[7] - فاروق، *تاريخ الخليج*، المرجع السابق، ص203. مجهول، *تاريخ أهل عمان*، المصدر السابق، ص 52.

الأهيف بن حمحام الهنائي يعاونه سليمان بن عبد الملك السليمي على بني سليمة، وشاذان بن الصلت على اليحمد، والصلت بن منهال العتكي الهجاري على العتيك. والتقى الطرفان يوم الاثنين السادس والعشرين من شوال سنة ثمان وسبعين ومائتين بالخيام من ظهر عوتب بموضع يسمى **القاع**[1].

لقد جرت معركة ضارية في "**القاع**" 278هـ/891م هزم فيها النزاريّة وحلفاؤهم من اليمانية والمضريّة. فقتل الحواري بن عبد الله الحداني، والفضل بن الحواري اللذين تزعما حلفي المضريّة والنزاريّة[2]. وقد حسمت المعركة باندحار النزاريّة، لتدخل البلاد طوراً جديداً من الصراع بين العمانيّين والعباسين تعرضت خلاله عمان لغزوات متعاقبة امتدت إلى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد.

كان العهد الذي بسطت فيه الإمامة الأباضية الثانية 177-280هـ/793-893م سيطرتها على إقليم عمان، من أزهى عهود التاريخ العماني في الحقبة الإسلامية. فلقد نعمت البلاد خلاله بحالة من الاستقرار والهدوء النسبي نحو أكثر من قرن من الزمان. وتمكّن الأئمة الأباضيّون من إضفاء الأمن في سواحل شرق جزيرة العرب. وشهدت عمان حالة من الازدهار والرخاء، كما استطاع هؤلاء الأئمة من رد هجمات "القراصنة". وأفشلوا كذلك محاولات الخلافة العباسية التي كانت تهدف من خلالها إلى إعادة سيطرتها على الإقليم. وكانت أهمّ نتائج هذه الحروب، ازدياد التدخل الخارجي في الشأن العماني الذي أدى إلى دخول البلاد في سلسلة من الصراعات بين العمانيّين وخصومهم العباسيين، الذين عاودوا محاولاتهم للسيطرة على إقليم عمان، ثم تدخّل القرامطة والبويهيّين وأخيرا السلاجقة، وظلت هذه القوى بين مد وجزر مع الجانب العماني نحو أكثر من ثلاثة قرون 280 - 600هـ/893 - 1209م.

2- الصراع العماني الخارجي وأهم أطراف الصراع.

أ- الصراع العماني العباسي

إن الهزيمة التي تعرض لها النزاريّة إثر حروبهم مع اليمانية سنه 278هـ/891م في معركة "**القاع**" وراح ضحيتها من النزاريّة نحو"600 قتيل" ومن اليمانية نحو"680 قتيل"،

[1] - العوتبي، ، *الأنساب*، المصدر السابق، ج 319/2.

[2] - العوتبي، المصدر نفسه، ج 120/2.

كان من نتائجها حدوث حالة من الغموض والارتباك بين صفوف المجتمع العماني، فلقد أدت العصبيات القبلية مثلما رأينا سابقا، إلى انقسام المجتمع العماني بين يمانية ونزاريّة. وتمكن زعماء النزاريّة أمثال محمد بن القاسم والبشير بن المنذر أن يمضيا قدماً إلى محمد بن نور والي البحرين للخلافة العباسية " ويشكوا له ما أصابهما من الفرقة اليمانية في عمان[1]، إلا إن ابن نور رغم تحيزه إلى جانب النزاريّة لم يتخذ قراراً سريعاً في هذا الشأن. ويعتقد أن هؤلاء شرحوا له سوء الأوضاع التي تعرض لها حلفهم في عمان، وأطمعاه بمؤازرته في حربه على حلف اليمانية ولعله اقتنع بهذه الفكرة، رغم تخوفه منها، غير أن ابن نور طلب من الزعيمين النزاريّين الاتصال أولا بالخليفة العباسي المعتضد (279-289هـ/892-902م)، للحصول على موافقته على إرسال حملة عسكريّة إلى عمان، وفعلا وافق الخليفة على تجهيز حملة، وأوعز قيادتها إلى محمد بن نور والي البحرين. وأخذ ابن نور يستنفر القبائل المضرية من أقاليم مختلفة حتى إن بعض قبائل طي في شام وصلت إلى البحرين للمشاركة في الحملة، حتى قدرت عدتها بنحو خمسة وعشرون ألف مقاتل وثلاثة آلاف من الفرسان. وقد أبحرت الحملة من البحرين فنزلت " بجلفار" التي تقع في الشطر الشمالي من عمان، وخاضت الحملة - تدعمها القبائل النزاريّة - قتالا ضارياً ضد حلف اليمانية الذين تجمعوا في منطقة "جلفار"، انتصر إثرها العباسيون وحلفاؤهم من النزاريّة، ثم استولى العباسيون وحلفاؤهم على توام يوم الأربعاء في السادس من شهر محرم في معركة جرت بينهم وبين العمانيّين في منطقة الرّحابين. ثم تجمعت الحملة في منطقة "توام" قبل تحركها إلى نزوى. ويذكر العوتبي في الأنساب ردود الفعل في عمان تجاه الحملة العباسية قائلا: "ووصل الخبر بأهل عمان فاضطربت عمان في كل جانب ووقع الخلاف والعصبية بين أهلها، فكانت النّزاريّة ومن كان في رأيهم في حزب، واليمانية في حزب. وتخاذل الناس عن الإمام عزان بن تميم وتعقدت الأمور، فخاف أهل صحار وما حولها من الباطنة، فخرجوا بأموالهم وذراريهم وعيالاتهم إلى سيراف والبصرة وهرمز وغير ذلك من البلدان"[2].

لقد توجّه العباسيون بعد أن أعادوا تجميع قواتهم في" توام" إلى نزوى مقر الإمامة الأباضية فأستولي محمد بن نور على منطقة " السر" التي انسحب منها الإمام عزان، وتابع

---

[1] - العوتبي، *الأنساب*، المصدر السابق، ج 323/2.

[2] - العوتبي ، *الأنساب*، المصدر نفسه، ج 323/2.

العباسيّون مسيرهم إلى " سمد الشأن" فاصطدموا مع قوات الإمامة. ونشب قتال ضار بينهم في معركة فاصلة قتل فيها الإمام عزان بن تميم في شهر صفر سنة 280هـ/893م، وأرسل رأسه إلى الخليفة العباسي المقتدر في بغداد[1].

بعد أن حسم العباسيون معركة سمد "الشأن" حاول العمانيّون تجميع صفوفهم من جديد. فجرت مكاتبات بينهم في هذا الشأن في محاولة يائسة بهدف طرد القوات العباسية المنتصرة. وقد برز الأهيف بن حمحام الهنائي كزعيم لقيادة القوات العمانيّة الجديدة، واستطاع أن يحشد قوة ضخمة مقدارها نحو خمسين جرار من اليمانية الموالين للإمام عزان، و تعقبت هذه القوات حملة محمد بن نور التي ولت هاربة نحو سيف البحر، ودار قتال بين العمانيّين والعباسيين في معركة بدت فاصلة كاد أن ينتصر فيها العمانيّون لولا مدد من المضرية[2] ساند القوات العباسية. وعلى اثر ذلك تغير مجرى المعركة لصالح العباسيين، بعد مصرع قائد الجيش العماني الأهيف بن حمحام الهنائي وعدد كثير من أتباعه[3].

وتبعا لانتصار العباسين في المعركة، سيطر محمد بن نور على نزوى واستباحها وبسط نفوذه على كامل إقليم عمان، ونكّل بأهلها أشد التنكيل. فلقد سمل أعين الوجهاء، وقطع أرجل كثير من العمانيّين وآذنهم في منطقة الجوف، كما دفن الأنهار الجارية "الأفلاج"، وصادر الكتب الأباضية وأحرقها. وحين أراد مغادرة عمان عين والياً عليها أحمد بن هلال[4]، الذي اتخذ من بهلا مقراً لإقامته بدلا من نزوى التي عرف أهلها بنزعة البأس والشدة، التي تجلت من خلال تعاملهم مع قائد الحامية العباسية على نزوى الذي يدعى "بيحرة"، فلقد قاموا بقتله وجعلوا من قبره موضعا لإلقاء الجذوع والأسمدة. أما أحمد بن هلال فيبدو أنه نقل مقر السلطة إلى صحار،على أن ابن نور وبعد أن أتم مهامه في عمان غادرها متجهاً إلى البحرين[5].

---

1 – السالمي، ***تحفة الاعيان***، المرجع السابق، ج180/1. ***السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان***، ص 133.

2 – يقول الأزكوي واصفاً المضرية الذين أنقذوا محمد بن نور" إذ طلع عليهم ركب من أهل قدمة وغيرهم من المضرية على كل جمل رجلان من قبل أبي عبيدة بن محمد السامي مدركاً لمحمد بن نور" ، الأزكوي *تاريخ* ***عمان المقتبس من كشف الغمة***، المصدر السابق ، ص 74.

3 – مجهول، ***تاريخ أهل عمان***، المصدر السابق، ص74.

4 – المسعودي، ***مروج الذهب***، المصدر السابق، ج148/1. السالمي، ***تحفة الاعيان***،ج162/1.

5 –الأزكوي، ***تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة***، المصدر السابق، ص61. مجهول، ***تاريخ أهل عمان***، ص74.

ونتيجة لهذه الأحداث فقد انصاعت عمان إلى سلطة الخلافة العباسية، ويبدو أن العباسيين قد بسطوا سيطرتهم على المنطقة الساحلية الغنية بمواردها، بينما كانت سلطتهم على عمان الدّاخل سلطة شكليّة بهدف تحصيل الضرائب. و بالتوازي حافظت الإمامة الاباضيّة في هذه الفترة على إبقاء شكلها بتعيين أئمة دون أن يتمتعوا بسلطة ذاتية[1]

أمّا النّزاريّة، فقد عيّن أحمد بن هلال منهم مناصب إداريّة، وقد وصفتهم المصادر العمانيّة بالسلاطين الجبابرة[2]. بينما ظلّت القبائل العمانيّة من حزب اليمانية الذين حاربوا القوات العباسية متمسّكة بموقفها الرّافض للوجود العباسي في عمان. وقد تعاقب على الدّاخل سلسلة من الأئمة الأباضيّين[3]. فكان الفقيه الاباضي يسند الإمام ويبايعه وتصبح الإمامة مشروعة[4]، غير أن هذه العمليّة لم تعد تتبع المبدأ الديني التقليدي الذي أقرته المرجعية الدينيّة الأباضية، إذ لم تكن عملية انتخاب الإمام عمليّة "ديمقراطية"حرة، ويغلب عليها الانتماء القبلي. وأصبحت عمليّة تقليد الإمام أقوى من الانتماءات الدينية. ويفهم من ذلك أيضاً أن الحركة الأباضية في تلك الحقبة كانت تجمع النّقيضين، الحماس الدّيني الذي مثلته المرجعيّة الدّينية، والحماس القبلي الذي مرده للتّعصب القبلي!!!؟

أمّا فيما يتعلق بالحامية العسكريّة العباسيّة التي أنيط لها عمل الحفاظ على مقاليد السلطة العباسيّة في الإقليم المحتل بعد مغادرة محمد بن نور وجيوشه، فقد ظلت تحت أمرة أحمد بن هلال إلى أن جاء الغزو القرمطي إلى عمان سنة 305هـ/917م.

ب. الصراع العماني القرمطي:

لقد نجح العباسيّون وأحلافهم النزاريّون في السيطرة على إقليم عمان المضطرب، فتقلّد النزاريّون مناصب مختلفة في هرم السّلطة، وأقاموا الخطبة في المساجد للخلفاء العباسيّين. وتعاملوا مع القبائل المناوئة تعاملاً صارماً[5]، فاتّخذت هذه القبائل موقفا مناوئا جرّاء الأسلوب العدائي مع القبائل اليمنيّة. غير انّه سرعان ما نشب صراع على السلطة

---

[1] - مجهول، *تاريخ أهل عمان*، المصدر السابق، ص77.

[2] - السالمي، *تحفة الاعيان*، المرجع السابق، ج181/1.

[3] - يورد صاحب الكتاب تاريخ أهل عمان إشارة، أن عملية انتخاب الإمام تتم على أساس تعصب قبلي ولا تخرج صلاحيته خارج نطاق المحلة أو المنطقة التي تسيطر عليها القبيلة، مجهول، *تاريخ أهل عمان*، ص80.

[4] - مجهول، *تاريخ أهل عمان*، المصدر نفسه، ص79.

[5] - مجهول ، *تاريخ أهل عمان*، المصدر السابق، ص77، الأزكوي، *تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة*، ص 61-62.

سنة 305هـ/917م بين النزاريّين أنفسهم أدّى إلى التحاق بعض زعاماتهم بالقرامطة في الإحساء[1]. وقد نتج عن ذلك دخول البلاد في طور جديد من الصراع والعنف. فكيف كان حال عمان بعد انسحاب العباسيّين منها؟

ما كادت عمان تستقرّ بها الأوضاع السياسية والاقتصادية، حتى ابتليت بنكبة أخرى جاءتها هذه المرّة من حركة القرامطة[2]. وهي إحدى الحركات السّياسيّة من غلاة الباطنيّة، ولقد عمدوا إلى إيجاد عقيدة جديدة توفّق-حسب تصوّرهم- بين الإسلام والعقائد القديمة، إلا أنّها لا تعترف به دينا رغم تمسّكها به ظاهرياً. وقد أدخلت في عقيدتها، الحلول والتناسخ وقدسية الأئمة[3]. ولقد ظهر القرامطة في ميدان السياسة شأنهم في هذا الميدان شأن الذين سبقوهم كأمثال صاحب الزنج، وحركة الزّط والحركة المزديّة وحركة المقنّع والحركة الخرّمية[4]. وقد بدأت حركة القرامطة نشاطها السياسي في العصر العباسي الثاني الذي عانت فيه السلطة المركزية في بغداد من ضعف وفساد أصابها بعد توسيع صلاحيات الأجانب الذين سيطروا على مقاليد الأمور داخل البيت العباسي[5].

إنّ الظّروف التي نشأت فيها حركة القرامطة مكّنتهم من اتّخاذ الكوفة في سواد العراق مركزا لنشر دعوتهم، وقد تزعّم الحركة حمدان بن قرمط، ثم ما لبثت أن انتشرت في

[1] - ينسب القرامطة إلى أحد زعمائها وهو حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط، وقد ظهرت دعوتهم بالكوفة وجنوب العراق بعد منتصف القرن الثالث الهجري العاشر للميلاد وامتدت إلى اليمن والشام، واستوطنت بالبحرين ومنطقة الإحساء. وفي سنة 311هـ غزا القرامطة البصرة وقطعوا الطريق على الحجاج. ثم عاودوا الكرة في سنة 317هـ وغزوا مكة ونهبوها واقتلعوا الحجر الأسود ونقلوه معهم إلى الأحساء، وقد تمكن القرامطة من مد سلطتهم داخل جسم الدولة الإسلامية وأحدثوا بها هزة كبيرة حتى حلت بهم الهزيمة عام 469هـ/1076 على يد عبد الله بن علي العيوني. العقيلي، محمد أرشيد، ***الخليج العربي في العصور الإسلامية***، دار الفكر العربي، بيروت، 1993م.ص165. زكار سهيل، ***أخبار القرمطة***، دار الكوثر، الرياض 1989 ص 508،305،120.شلبي احمد، ***موسوعة التاريخ الاسلامي، والحضارة الاسلامية***، مكتبة النهضة المصرية،بدون تاريخ. ج7/589. ابن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، ج207/1، فاروق عمر، ***تاريخ الخليج***، ص212.العصامي، عبدالله بن حسين بن عبدالله المكي، ***تاريخ العصامي***، مخطوطة تحت رقم: (1957)قسم المخطوطات والوثائق، وزارة التراث سلطنة عمان، 1049هـ. ص 367. ومابعدها.

[2] - السالمي، ***تحفة الاعيان***، المرجع السابق، ج182/1.

[3] - فاروق عمر، ***تاريخ الخليج***، المرجع السابق، ص191.

[4] - لومبارد، ***الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي***، المرجع السابق، ص202-206.

[5] - فاروق، ***تاريخ الخليج***، المرجع السابق، ص193.

البحرين بعد أن تمكن حمدان من نشر دعاته إلى أقاليم بعيدة. ونجح الداعية أبوسعيد الجنابي[1] في البحرين ونال تأييداً من قبائلها، وقد أنيط ضرب قرامطة البحرين إلى عامل البصرة عباس الغنوي بألفي مقاتل كان قد جمعهم من العبيد المتطوعين، غير أنّ أبا سعيد الجنابي، باغت جنود الغنوي بهجوم قرب البصرة، وحسم المعركة لصالح القرامطة. وقد مكنت هذه المعركة القرامطة من الاستيلاء على هجر وإعلان دولتهم[2]. وبعد أن تمكّن أبو سعيد من بسط نفوذه على "هجر" ومنطقة الأحساء، سارع بتوجيه حملة إلى عمان. ورغم توفّر المصادر التي تحدثت عن هذه الحملة، إلا أنّه لا يوجد تحديد زمنيّ للسنة التي تمّ فيها الغزو. ويمكن أن نعتقد جازمين أن الحملة كانت قبل 300هـ/912م على اعتبار أنّها توجّهت إلى عمان زمن أبي سعيد الجنابي، وكان عددها نحو ستمائة مقاتل أبيدت على أيدي العمانيّين من بني نزار، ولم يبق منهم سوى ستة نفر، ركبوا عائدين إلى أبي سعيد الجنابي وأخبروه بنتيجة المعركة "واعتذروا له"، غير أنه لم يقبل العذر منهم فقتلهم جميعاً. وكانت هذه المواجهة أول محاولة يخوضها القرامطة مع الجانب العماني للاستيلاء على البلاد[3]. وتشير بعض المصادر إلى أن هذه الحملة ربما حدثت ما بين سنة 293- 295هـ/905 - 907م[4] بدليل أنّ أبا سعيد قد توفي سنة 301هـ/913م إثر تعرضه لحادث اغتيال قام به أحد عبيده[5]، وورث ابنه سعيد ابن سعيد الجنابي مقاليد السلطة. وفي سنة 305هـ / 917م، قام سعيد الذي خلف والده على السلطة في الإحساء بمحاولة جديدة للهجوم على عمان. و هنا أرسل أحمد بن هلال الوالي العباسي على الإقليم مبعوثا بهدايا قيّمة للخليفة

---

[1] – هو أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي أحد القرامطة في جنوب فارس، وقد حاصر هجر عاصمة البحرين بعد انتصاره على عباس الغنوي في معركة البصرة واستولى عليها، وهنا بدأت مرحلة جديدة في توسع القرامطة. ابن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، ج7/499. الاصطخري، ***المسالك والممالك***، ص149. فاروق، *تاريخ الخليج*، ص183.

[2] – إبن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، المصدر السابق، ج7/499. الطائي، محمد بن خليفة بن محمد بن موسى النبهاني، ***التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرى العربية***، المكتبة الوطنية، بيروت ط1 ،2004.ص271.

[3] – زكار سهيل ، ***أخبار القرامطة***، المرجع السابق، ص463.

[4] – مايلز، ***الخليج بلدانه وقبائله***، المرجع السابق، ص151.

[5] – يورد زكار سهيل أن أبي سعيد استولى على معظم البحرين، وخاض حروباً مع جيش العباس بن عمر، وتمكن من الاستيلاء على عسكر العباس، وقد اختص له– من الذين تمكن من أسرهم من جيش العباس – خادماً صقلبيا فأستخدمه وجعله مسؤولا عن طعامه وشرابه، غير أن الخادم لم يرى قط، أن أبي سعيد يوماً صام أوصليّ فضمر له مكيدة لقتله، حيث أخذ خنجراً وباغت أبي سعيد وهو في الحمام فذبحه سنة 301هـ/913م– وخلف أبي سعيد على العرش ابنه سعيد الذي تقلّد رئاسة الحركة. ***أخبار القرامطة***، ص467.

العباسي المقتدر، وأرفقها بطلب لإرسال قوة عسكرية عباسية لمساعدته في صد هجوم القرامطة على عمان. وكان من بين الهدايا دمية تتكلم لغة هندية وفارسية. ويظهر أن الخليفة العباسي قد لبّى الطلب، فبعث بقوة إلى عمان تزامن خروجها مع خروج القرامطة. وعلى إثر ذلك فشلت حملة القرامطة التّي كان يقودها أبو طاهر سليمان الشقيق الأصغر لسعيد. وبفشل هذه الحملة صرف القرامطة نظرهم- لبضع الوقت- عن الاستيلاء على عمان[1].

لقد شهدت هذه المرحلة ضغوطاً سياسيّة حرجة تعرّضت لها الخلافة العباسية ونتج عنها تغيير في موقفها إزاء إقليم عمان، إذ أن إقليم عمان كان يشكل عبئاً كبيراً على جيوشها ويكلف خزانة الخلافة مبالغ باهظة. ولأجل ذلك قرر الخليفة المقتدر سحب واليه والحامية العباسيّة من عمان، شريطة أن تظلّ عمان مدينة بالولاء للخلافة العبّاسية وتدفع الزكاة السنوية المفروضة لها[2].

كان قرار انسحاب القوات العباسية من عمان ينذر بحدوث تطور جديد في تاريخ الصراع الدائر بين العمانيين والقرامطة، إلا أن المجتمع العماني بتقسيماته القبلية والحزبية وجد- بشكل مؤقت- بعض الانسجام في شأنه الداخلي. ولعلّ التصدّع الذي أصاب الأسرة النّزاريّة - إثر الصراع الذي نشب بينهم على السلطة وأدي إلى التحاق بعض زعاماتهم بالقرامطة 300هـ/912م،- أحدث توازناً في أوساط المجتمع العماني. وأياً كان فقد تنفس العمانيّون الصعداء، وبدأت تتلاشي المشاحنات السياسية بين العمانيين لبضع الوقت[3]، وتعاقب على السلطة عدد من الأئمة الذين تقلدوا مناصب ظرفية قد تصل أحيانا لشهرين أو نحو ذلك. وكان أوّل من عقدت له الإمامة محمد بن الحسن الخروصي، ثم عقدت من بعده للصلّت بن القاسم الخروصي، في حين تقلد الإمامة بعدهم، عزان بن الهزبر المالكي من كلب اليحمد، ثم تقلد الإمامة من بعد هؤلاء عبدالله بن محمد الحداني المعروف بأبي سعيد القرمطي، ولعلّ هذا اللقب مرده إلى أنّ عبد الله كان قد خرج عن مبادئ الدين الإسلامي وأعتنق العقيدة القرمطيّة، ومهما يكن فإنه قد عُزل عن الإمامة وتقلدها الصلت بن القاسم الذي كان قد عُزل منها في فترة سابقة، إلا أن ابن القاسم توفي بعد فترة قليلة فعقدت

---

[1] - مايلز، *الخليج بلدانه*،المرجع السابق، 151.

[2] - مايلز، المرجع نفسه، ص102.

[3] - مجهول، *تاريخ أهل عمان*، المصدر السابق، ص76.

الإمامة من بعده للحسن بن سعيد السّحتي، وقد مكث فيها مدة شهرين، ثم لقي مصرعه. وقد عقدت من بعده للحواري بن مطرف الحداني وظلّ ابن مطرف مهادناً للخلافة العباسية. فكان يعتزل الإمامة حين يأتي موفدو العباسيين لأخذ الزكاة، ويعود إليها بعد مغادرتهم[1].

لقد انتهز القرامطة فرصة سحب العباسين لقواتهم من عمان، فعاودوا شنّ هجومهم على عمان سنة317 هـ/931م. ويبدو أن هجمتهم هذه المرة كانت ناجحة، ذلك أن العمانيّين لم يقوموا بأي محاولة تذكر لصد تلك الحملة. وفي هذه الأثناء اعتزل إبن مطرف دار الإمامة في نزوى ليحلّ مكانه القرامطة. ولم تذكر المصادر العمانيّة السنة التي تم فيها عزل إبن مطرف[2] . واثراعتزال إبن مطرف في أعقاب غزو القرامطة لعمان، مضت سنين لم يتم انتخاب أي إمام خلالها. ويبدو أن القرامطة كانوا هم المسيطرون على الأوضاع السياسية والاقتصادية في عمان خلال تلك الفترة، لأجل تحصيل الضريبة السنوية وتحويلها إلى الإحساء بدلا من تحويلها إلى خزينة الخلافة العباسية في بغداد. غير أنه حدث تغير مفاجئ في موفق القرامطة في عمان، فلقد تركوا متنفساً للعمانيّين شريطة أن يوافق العمانيّون على تحويل الضريبة السّنوية للقرامطة بدلاً من العباسيّين. وبموافقة العمانيين على ذلك، بدأت تلوح في الأفق بوادر انفراج في الموقف، تمتّع العمانيّون من خلاله بدرجة من الاستقلال الذّاتي، فانتخبوا محمد بن يزيد الكندي، إماماً جديداً عليهم، غير أنّ البلاد في عهده تعرّضت لحروب أهليّة قاسية عانى منها المجتمع العمانيّ كثيراً[3]. وفي هذه الأثناء اغتيل الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة 320هـ/932م خارج أسوار بغداد، وكان ذلك نتيجة خلاف بينه وبين أحد قواده الذي يدعى مؤنس بن المظفر الذي كان قد

---

[1] – مجهول، *تاريخ أهل عمان*، المصدر السابق، ص77.

[2] – بعد أن قام أبو طاهر الجنابي بهجومه على البصرة 315هـ/927م سيطر سيطرة تامة على طرق القوافل البرية وقوافل الحج، ورغم الحملتين اللتين أرسلاها العباسيون بقيادة عبد الله بن حمدان، والثانية بقيادة يوسف بن السّاج اللتين صمد القرامطة أمامهما، إلا أن خطر القرامطة امتدّ إلى أطراف عديدة من جزيرة العرب، فلقد أغاروا في عام317هـ/931 على مكة واقتلعوا الحجر الأسود، وحملوه معهم إلى الإحساء حتى سنة 339هـ/950م فضلاً عن قتلهم للحجاج وتدنيسهم لزمزم وتمزيق القرآن. ثم أنهم شنوا هجمات جديدة على العراق والأهواز والبصرة وعمان. زكار سهيل، *اخبار القرامطة*، المرجع السابق، ص503. فاروق عمر، *تاريخ الخليج*، ص189.

[3] – مايلز، *الخليج بلدانه*، المرجع السابق، ص105.

استدعاه من الموصل[1]. فخلفه القاهر بالله. ونتيجة لانعزال عمان عن الخلافة العباسية ورزوحها تحت وطأة القرامطة وحرمان الخلافة العباسيّة من الضرائب السخية التي كانت تتحول من عمان إلى الخزينة العباسية، فقد جهّز الخليفة القاهر بالله حملة عسكرية على القرامطة في عمان، ولعل ذلك كان بإيعاز من العمانيّين أنفسهم. ويلاحظ هنا أن الحملة حين وصلت إلى عمان قامت بإقصاء محمد بن يزيد الكندي عن الإمامة، الذي تمكن من الإفلات والفرار خارج عمان . في حين صمد القرامطة أمام العباسين، ثم ما لبثوا أن أعادوا سيطرتهم على عمان ثانية[2]. وبعد عزل محمد بن يزيد الكندي، عقدت الإمامة للحكم بن الملا البحري، الذي وصفته المصادر العمانيّة أنه على قدر كبير من الضعف[3]. ويبدو أن "الحكم" قد اعتزل الإمامة لتسقط البلاد في قبضة القرامطة.

ما إن اعتزل" الحكم بن الملا" الإمامة، حتى بسط القرامطة بقيادة أبي طاهر نفوذهم على عمان، وأقاموا الخطبة لعبيد الله المهدي. وترجّح المصادر العمانيّة إن سلطة القرامطة على عمان هذه المَرّة كانت سلطة اسميّة، بينما كانت السلطة الفعليّة في أيدي العمانيين " **تردد عليها ولاة القرامطة والروافض وبقيت في أيديهم ورياستها للأزد**"[4]. ولكن اتضح أنّ صراعا نشب بين العمانيّين والقرامطة لأمرين، أولهما: أن القرامطة فرضوا على العمانيين ضرائب باهظة أثقلت كاهلهم. أما الأمر الثاني: فقد عمد القرامطة إلى نشر عقيدتهم في عمان، واعتنقها كثير من العمانيين. والدليل على ذلك، أن أبا المؤثر الذي كان معاصرًا للحدث، أمر بحرق بيوت العمانيين الذين اعتنقوا العقيدة القرمطيّة، كما أمر بحرق بيوت القرامطة أنفسهم " أمر.. بحرق منازل القوم الذين دخلوا في دعوة القرامطة ألا يرجعوا إليها فقلنا له: لم تحرق منازلهم فقال: لأنهم أحرقوا منازل الناس، فقالوا له: وإن كانوا مشركين فأموالهم غنيمة، فلِم تحرق صوافي المسلمين؟ فرجع مغضباً فكان يأمر بحرق منازلهم حتى لا يرجعوا يسكنونها"[5]. وفي هذه الأثناء تقلّد الإمامة سعيد بن عبد الله بن

---

[1] – إبن الأثير، *الكامل في ا لتاريخ*، المصدر السابق، ج 8/241-242.

[2] – فاروق عمر، *مقدمة في دراسة المصادر العمانيّة*، كلية الآداب جامعة بغداد 1979م، ص47.

[3] – الأزكوي، *تاريخ عمان ا لمقتبس من كشف الغمه*، المصدر السابق، ص63.

[4] – السالمي، *تحفة الاعيان*، المرجع السابق، ج 1/182.

[5] – مجهول، *سير العلماء الأباضية مخطوطة*، المصدر السابق، ص15-17.

محمد بن محبوب الرحيل[1]، الذي وصفه المؤرّخون بأنّه مثال للتقوى والورع، وأحد بحور العلم والمعرفة. وقد ازدهرت في عهده الحياة الروحيّة للأمة، واستطاع أن يخمد نيران الفتن المشتعلة. وكرّس جهوده في تطوير الصناعات والحرف. وكان عهده من أزهى العهود، نالت فيه عمان قسطاً من الرقيّ الحضاريّ والاستقرار التجاريّ. إلا أنّه قتل سنة 328هـ/939م أثناء محاولة لفضّ صراع حدث في الرستاق بمحلّة الغشِبّ[2].

وبعد الانسجام بين القبائل العمانيّة وما عرفته من ازدهار تجاريّ ورقيّ تحقق إبّان إمامة" سعيد الرحيلي" التي دامت نحو خمس سنوات، عاد الإقليم للاضطرابات ثانية. فلقد نُصّب راشد بن الوليد خلفا لابن الرحيل، ورغم توفّر الخصال الحميدة التي يتمتّع بها الإمام راشد، من عدل وحسن تّصرف، فقد عارضه النزاريّون ، ودخلت البلاد في دوّامة عنف بين القبائل .[3]

لقد تلقى العمانيّون في هذه الأثناء، نبأ قدوم حملة عسكرية عباسية لغزو عمان، كانت بقيادة يوسف بن وجيه. فأخذ راشد بن الوليد يدعو القبائل العمانيّة لالتفاف حوله لمجابهة الحملة[4]، غير أن ابن وجيه تمكن من السيطرة على نزوى بعد معارك عنيفة خاضها مع راشد وأعوانه في منطقة "الفيح" شرق منح. وقد حسمت المعركة لصالح القوات العباسيّة ونتج عن ذلك إبادة عدد كبير من القوات العمانيّة[5]. ورغم أن القرامطة حاولوا احتلال عمان مرة ثانية، إلا أن اعتراف يوسف بن وجيه بسلطة واسعة لزعماء القبائل العمانيّة، لم تترك مجالاً لتدخّل القرامطة في الشأن العماني.

وهكذا فقد تمكّن يوسف بن وجيه من بسط نفوذه على كامل عمان. وفي سنة 331 هـ/942م قام بمهاجمة البصرة ولم تذكر المصادر الأسباب التي حملته على ذلك، غير أنّه من المرجّح أن أوضاع البصرة المضطربة بسبب الضرائب والقيود الجديدة التي أدخلها

---

1 – مايلز، *الخليج بلدانه*، المرجع السابق، ص106. هو الشيخ سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة، السالمي، *تحفة الاعيان*، المرجع السابق، ج1/190، الأزكوي، *تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة*، المصدر السابق، ص63، مجهول، *تاريخ أهل عمان*، المصدر السابق، ص80.

2 – مايلز، *الخليج بلدانه*، المرجع السابق، ص107، مجهول، *تاريخ أهل عمان*، ص81-182.

3 – الأزكوي، *تاريخ عمان المقتبس*، المصدر السابق، ص67-71. مجهول، *تاريخ أهل عمان*، ص83-84. مايلز، *الخليج بلدانه*، ص109.

4 – السالمي، *تحفة الاعيان*، المرجع السابق، ج1/200.

5 – ما يلز، *الخليج بلدانه*، المرجع السابق، ص111.

البريديون على الواردات البحرية من التجارة، قد أضرّت بتجارة عمان المرتبطة مع البصرة، خاصة وأنها فرضت قيوداً جديدة على دخول السّفن التجارية العمانيّة إليها[1]. مما دفع يوسف بن وجيه بتجريد حملة عسكرية بحرية هاجمت الأبلة، وقد تمكّن الأسطول العماني من إحراق الأسطول البريدي والاستيلاء على مينائها. وحينئذ زحف العمانيّون إلى البصرة وألقوا حصاراً عليها أشرفت به على الاستسلام، لولا أنّ أحد ملاّحيها ويدعى"الرنّادي"، ابتدع حيلة تمكّن على إثرها من إحراق السفن العمانيّة الراسية في النهر. فقد أخذ زورقين وملأهما بسعف يابس وانحدر بهما وأشعل النار، ثمّ وجّههما نحو سفن ابن وجيه الرّاسية في عرض النهر. فاشتعلت السفن بمن فيها من الناس، وانقلب الوضع لصالح البريديّين، فغادر يوسف بن وجيه البصرة[2] متوجّهاً إلى عمان. وقُتل حين وصلها على يد أحد عبيده الذي يدعى"نافع"، والذي استولى على السّلطة من بعده دون منازع سنة 332هـ/943م حسب المصادر[3]، إلا أن الاكتشافات الأثرية الحديثة تبيّن أمراً مغايراً ، ففي سنة 333هـ/944م كان قد ضُرب دينار باسم المتّقي بالله ومحمد بن يوسف بن وجيه. كما ضرب دينار في عمان سنة 334هـ/945م، وكتب عليه المطيع بالله ومحمد بن يوسف.

[1] – ذكر إبن الأثير في حوادث سنة 329هـ/940م، أن الغلاء اشتدّ بالعراق وكثر الوباء لقلة الأمطار ورخص العقار وكثر الموت في الناس، وفي سنة 330هـ/941م استولى البريدي على بغداد، وقد شرع أصحابه في السلب والنهب وهدمت الدور، وساد الغلاء كثيراً، فبيع كر الحنطة بـ(316) ديناراً– الكر، هو مكيال أهل العراق ويساوي ستين قفيزاً أو أربعين أربداً – ووقعت الفتن بين النّاس، وقد صرف الخلفاء العباسيّون في هذه السنة أموالا طائلة للبريديين والديالمة، وقد أثر ذلك على الوضع في منطقة العراق بصفة عامة، فازداد الغلاء وأكل الفقراء الميتة، وكثرت عمليات اللصوصية، واستمر الغلاء في ازدياد تصاعدي حتى يروى أنه كثر الموت بين الأهالي بسبب الجوع، وقد نتج عنه فرار كثير من التجار إلى المراكز التجارية الأكثر أمنا، ولعل إقليم عمان كان أهم إقليم نزح إليه تجار العراق والبصرة الذي يروى بأن التجارة استقرت به بعد اضمحلالها أو زوالها من أقاليم الخليج العربي، ونستنتج من ذلك بأن حرص البويهيين والسلاجقة في السيطرة على إقليم عمان طوال تلك الحقب كان الهدف منه تحكمهم في الأوضاع التجارية في إقليم عمان لتعويض ما فقدته منطقة الخليج من أوضاع تجارية واقتصادية. إبن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، المصدر السابق، ج8/372/488م. مجموعة من المؤرخين، ***الدولة العربية الإسلامية***، قسم التاريخ كلية الأوآب جامعة البصرة مركز الإسكندرية للكتاب.ص288–289. ***لسان العرب***، ج2/65.

[2] – إبن الاثير، ***الكامل في التاريخ***، المصدر السابق، ج2/407، السالمي، ***تحفة الاعيان***، ج1/201.

[3] – إبن الأثير، المصدر السابق، ج8/407. الطائي، ***التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرى العربية*** ، ص276.

وضرب سنة 345هـ/964م دينار باسم المطيع بالله وعمر بن يوسف بن وجيه[1]، ممّا يعني أنّ "نافعا" هذا لم يتقلّد السّلطة قبل سنة 345هـ/965م، في حين انّه عمل بعد هذه الفترة على جباية الزكاة وإرسالها إلى بغداد[2]، غير أنّ العمانيّين ثاروا عليه وأخرجوه من السّلطة وأدخلوا القرامطة الهَجَريّين بدلاً منه. وقد كتب القرامطة إلى أصحابهم في هَجَر يعرّفونهم بالأمر[3].

ج- الصراع العماني البويهي.

احتل أحمد بن بويه بغداد سنة 334هـ/945م، وقد لقبه الخليفة المستكفى بلقب معز الدولة، ولقب أخاه عليا بلقب عماد الدولة، كما لقب أخاه الحسن بلقب ركن الدولة، وأمر بأن تضرب ألقابهم وكنيتهم على الدنانير والدّراهم[4]. ولمّا كان معز الدولة يهدف إلى بسط نفوذه على الأقاليم الإسلامية الحيوية بعد سيطرته على زمام السلطة في بغداد، فقد وجّه أنظاره إلى إقليم عمان بهدف السيطرة على مسارات التجارة البحرية. فما هي الإجراءات التي تمّ اتخاذها نحو إقليم عمان؟

ما إن تمكّن القرامطة من إعادة سيطرتهم على إقليم عمان، حتّى عزّزوا سلطتهم بإرسال حملة قرمطية أخرى خرجت من البحرين. وحين وصلت الحملة إلى عمان دخلت من منطقة الجوف بالظاهرة، ودارت معركة شرسة بينهم والقبائل النزاريّة الذين يؤيدون الوجود البويهي، غير أن القرامطة الذين يقدر عدد جيشهم بنحو عشرين ألف مقاتل، تمكنوا من السيطرة على الموقف. ونتيجة لذلك فرض القائد القرمطي ضرائب باهظة على العمانيّين.

و هو ما حفز العمانيّين على الثّورة ضد القرامطة ليعود قائدهم على إثرها إلى البحرين[5]، بعد أن عين بدلاً عنه علي بن أحمد[6] لتولي مقاليد السلطة في البلاد وجباية

---

[1] – هذا الدينار موجود في متحف اسطنبول وكان قدره(245ملم) أمّا وزنه فيبلغ نحو (201غرم). العش، أبو الفرج، *النقود العمانيّة من خلال التاريخ الإسلامي*، وزارة التراث مسقط 1994م- ص23.

[2] – العش، *النقود العمانيّة*، المرجع نفسه، ص29. يذكر الطائي، في، *التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية*، ص278، أن يوسف بن وجيه جهّز حملة بحريّة سنة 341هـ/952م كانت قد خرجت من عمان الى البصرة، غير أنّ الوزير المهلب والي البصرة ، تمكن من تطويقها قبل وصول حملة يوسف بن وجيه إليها، وقد خاضت جيوش ابن وجيه معارك ضارية مع عساكر المهلب ولكنّ المعركة انتهت بهزيمة ابن وجيه.

[3] – إبن الأثير، *الكامل في التاريخ*، المصدر السابق، ج 565/8.

[4] – ابن الأثير، المصدر نفسه، ج450/5. *التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرى العربية*، ص277.

[5] – مايلز، *الخليج بلدانه*، المرجع السابق، ص118- 119.

[6] – البادي حميد، *دور العمانيّين في الملاحة والتجارة في المحيط الهندي*، المرجع السابق، ص198.

الزكاة. غير أن علياً هذا يبدو أنه لم يكن على دراية بتسيير مقاليد السلطة، فعيّن بدلاً عنه شخص يعرف بابن طغان. ولما كان ابن طغان من صغار القواد وأقلهم مرتبة، فقد عمد إلى قتل من كان أعلى منه مرتبة . حيث قبض على ثمانين قائداً وقتلهم جميعاً، و تمكّن من السيطرة على زمام الموقف، إلا أن طغان هذا قتل علي يد أحد أقارب القادة الذين تخلص منهم. فتقلد منصب الإمارة شخص يدعى عبد الوهاب بن أحمد بن مروان. ويبدو أن صراعًا نشب بين الجند القرامطة من جراء عدم المساواة في الأرزاق، خصوصاً وأن جيش القرامطة كان يضم عناصر من العبيد يقدر عددهم بنحو ستة آلاف "جندي"، و من ثم ثار هؤلاء على عبد الوهاب وأخرجوه من عمان. وتقلد مكانه- بعد أن قدّم لهم وعدا بالمساواة في الأجور- علي بن أحمد الذي كان قد عين في المرحلة السابقة كاتباً لتحصيل الزكاة، وقد تمكّن الأخير من السّيطرة على زمام السّلطة[1].

لقد حفّز الوجود القرمطي في عمان والي البصرة معز الدولة، فجهّز حملة بحريّة بقيادة أبوالفرج محمد بن العباس بن فسانجس، كانت قد خرجت من واسط إلى الأبلة. وقد حمل الجند على مائة سفينة فأبحرت السّفن من الأبلة إلى سيراف، وانضمّ إليهم من سيراف الجيش الذي كان قد جهّزه عضد الدولة من فارس لنجدة عمّه معزّ الدولة. ودخلت الحملة عمان في التاسع من ذي الحجة سنة 355هـ/965م، وخطب في المساجد لمعزّ الدولة. وتمكّن الجيش البويهي من السيطرة على البلاد بعد أن أحرق مراكب العمانيّين الرّاسية في عرض البحر، وكان عددها تسعة وثمانين مركباً. وقد قتل من العمانيّين أعدادا كثيرة[2]، فضلاً عن التّدمير وهتك الأعراض والوحشيّة المفرطة[3].

وفي سنة 356 هـ/966م غادر أبو الفرج عمان إثر تلقيه نبأ وفاة والي البصرة معز الدّولة. وكانت وجهته إلى البصرة بهدف الاستيلاء عليها، وحينئذ أسند ولاية عمان إلى أحد نواب عضد الدولة ويدعى عمر بن نبهان الطائي. فحكمها نحو ستّ سنوات تحت الاسم البويهي، ونائباً عن أبي الفرج[4].

---

[1] - إبن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، المصدر السابق، ج567/8، مايلز، ***الخليج بلدانه***، ص118-119.

[2] - إبن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، المصدر السابق، ج 568/8.

[3] - مايلز، ***الخليج بلدانه وقبائله***، المرجع السابق، ص20.

[4] - ابن الاثير، ***الكامل في التاريخ***، المصدر السابق، ج577/8.

وفي سنة 364هـ/973م، استولى عضد الدولة على العراق وتمكّن من القبض على بختيار ابن معزالدولة. وفي هذه الاثناء تمرّد الجنود السود في الجيش الدّيلمي الذي كان على عمان تحت إمرة عمر بن نبهان الطائي. وقد انضمّ إليهم بعض البيض من الجيش، فنصّبوا عليهم شخصا منهم يدعى ابن حلاّج وقتلوا عمر بن نبهان الطائي. وبذلك تسنت لهم السيطرة على مقاليد السلطة في عمان. وقد وصلت أنباء تلك الأحداث إلى العراق، فجهّز عضد الدّولة حملة كان قد أوعز قيادتها إلى أبي حرب بن طغّان. وأبحرت الحملة من كرمان، وحين وصلت صحار خرج إليها الجيش المتمرّد. فواجهوه في معركة كبيرة حسمت لصالح البويهيّين. فاستولى أبو حرب على صحار واستباحها. أمّا الزّنج، فقد فرّ من بقي منهم إلى منطقة "بريم أو البريمي". فتعقّبهم القائد البويهي وقتل منهم أعدادا كثيرة وأسر الناجين منهم[1].

لقد أثار غزو البويهيّين لصحار حفيظة العمانيّين في المناطق الجبلية، وساءهم وضعها بعد استباحتها. فاجتمعوا في نزوى وانتخبوا وارث بن كعب إماماً لهم يعاونه حفص بن راشد نائباً له. وما إن علم عضد الدولة المطهّر بن عبد الله بثورة العمانيّين على الجيش البويهي، حتى جهّز حملة بحرية سنة 364هـ/974م أبحرت من البصرة إلى منطقة جرفان "خور فكّان"، التي تقع في الشّطر الشّمالي من السواحل العمانيّة، حيث تجمّعوا في هذه المنطقة. وقد التقي الجيش البويهي بالعمانيّين، فنشبت بينهم معركة ضارية وحسمت نهايتها بقتل أعداد كثيرة من العمانيّين وهرب كل من الأخوين" ورد و حفص" إلى نزوى. فتعقبهم الجيش البويهي وقضى على عدد كبير منهم وقتل وردا. أمّا حفص فقد هرب إلى اليمن وصار معلّماً. وقد انتهت هذه المعركة بإعادة عمان إلى حضيرة النفوذ البويهي في بغداد[2]. وفي سنه372 هـ/982م، توفي عضد الدولة وقسمت الأقاليم التّابعة للبويهيّين على أبنائه. ولقد اغتنم العمانيّون ظرفية وفاة عضد الدولة وضعف السلطة البويهية، فأشعلوا فتيل الثورة ضد الوجود البويهي. غير أنّ صمّام الدولة النجل الأكبر من أبناء عضد الدولة، نجح سنه374 هـ/984م في تدبير مؤامرة للاستيلاء على عمان وقمع الثوار. فلقد تمكّن من كسب ودّ حاكم هرمز والجند الذين تخلوا عن شرف الدولة، ووجّه حملة إلى عمان. فأعادها إلى سلطة أمير فارس شرف الدولة.

[1] – ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، المصدر السابق، ج 646/8.

[2] – إبن الأثير، المصدر نفسه، ج647/8.

أمّا أمير هرمز، فقد ألقي القبض عليه وحرم من أملاكه وأودع السّجن[1]، وبقى النفوذ البويهي في عمان بين مدّ وجزء، غير أنّه لم يكن نفوذاً محكماً أو شاملاً لكلّ البلاد[2]، بل ظلت تحكمها بالدّاخل إمامات عبر فترات متعاقبة تدير شؤونها. وفي سنة390 هـ/999م، عيّن بهاء الدولة أبا محمد بن مكرم والياً على عمان. واتّسم حكمه بالعدل[3]، إلا أنـه لـم يعـط للعمانيّين سلطة واسعة. وفي هذه الأثنـاء عقـدت الإمامـة للخليـل بـن شـاذان سـنة 407هـ/1016م، وقد غلب على سلطته الطّابع الدينيّ. فوفدت إليه وفود من رجالات العلم من مختلف مناطق عمان ومن حضرموت واليمن. وفي ظلّ إمامته استطاع العمـانيّون أن يتنفسوا الصعداء[4].

وفي سنة 401هـ/1010م، عيّن القاضي أبو بكر البكالي، الذي كان يشغل خطة كبير القضاء في البصرة على عمان وشرق افريقيا نظير خدماته التي قدمها الى الخليفة القـادر بالله أثناء إمارته على البصرة. وفي سنة 403هـ/1012م، توفي أمير البصرة بهاء الدولة الذي كان قد خلف القاضي أبوبكر البكالي. وانتقلت السلطة إلى أكبر أنجاله الـذي يـدعى سلطان الدولة أبو شرجة. وقد انتقلت امارة عمان في عهده من أبو محمد بن مكـرم إلـى نجله أبي القاسم، إلا أن سلطان الدولة توفى سنة 415هـ/1024م، وكـان عمـاد الـدين الكاليجار مرزبان يقيم في الأهواز، ولم يكن على استعداد لإستلام الـسلطة فـي عمـان، فتسلّمها بدلاً منه عمه قوام الدولة أبوالفوارس حاكم كرمان. وزحف إلى شيراز واحتلهـا، وقد حاول أبومحمد بن مكرم الهرب الى عمان خوفاً من بطش أبي الفوارس، غير أنه اعتقل واعدم بأمر من قوام الدولة. وعندما علم أبوالقاسم بوفاة والده، أعلن موقفه ضد قوام الدولة. فلجأ إلى أبي الكاليجار الذي نجح في تجميع انصار ومؤيدين له واستطاع أن يشكل جيـشاً منهم لمحاربة عمه أبو الفوارس. وبالفعل فقد نجح في مهمته وتمكّن من الاسـتيلاء علـى

---

[1] – إبن الأثير *الكامل في التاريخ*، المصدر السابق، ج9/39 أن صاحب هرمز كان قد جمع ثروة طائلـة أثنـاء وجوده في عمان، وكان قد جمعها بالحرام، ولقد تمكنت الحلمة البويهية تجريده من الأموال التي اكتسبها وزج به سجيناً في إحدى القلاع بهرمز، مايلز، *الخليج بلدانه وقبائله*، ص25.

[2] – Kaber, the *Buwayhid dynasty of Baghdad*, 1964.p.46

[3] – إبن الأثير، *الكامل في التاريخ*، المصدر السابق، ج9/162.

[4] – السالمي، *تحفة الاعيان*، المرجع السابق، ج1/203.

مقاليد السلطة[1]. وفي سنة 428 هـ/1036م، توفي أبوالقاسم بن الحسين بن مكرم الذي كان والياً على عمان من قبل بهاء الدولة. وكان جواداً محبوباً في سيرته بين أوساط المجتمع فامتدحه المؤرّخون كثيراً[2]. وخلفه على السلطة سنة 431هـ/1039م، أكبر أولاده الذي يدعى أبو الجيش. وولّى منصب قيادة الجيش شخصاً يدعى علي بن هطّال المنوجاني، ومنحه صلاحيات واسعة. فدبّر مكيدة بين الأخوين- أبي الجيش والمهذب ابني أبي محمد - قتل على إثرها المهذّب. وبعد أيام قلائل توفي أبوالجيش، وتمكّن ابن هطّال من السيطرة على مقاليد السلطة في عمان. فصادر أموال التّجار والأعيان وسار سيرة سيئة في سائر نواحي البلاد. وقد بلغ ذلك الملك أبا الكاليجار[3] الذي كان يتّخذ الأهواز مقراً لإقامته، فأوعز أمره إلى العادل بن منصور بن فتّة، فكاتب العادل شخصاً يدعى المرتضى، كان يشغل نائباً لأبي القاسم بن مكرم، يخبره أنّه أسند إليه ولاية عمان. وقد اعدّ العادل حملة بحرية لتعزيز ولاية المرتضى، أبحرت من البصرة باتجاه السواحل العمانيّة. وحين علم المرتضى بقدومها أخذ يؤلّب العمانيّين ضد ابن هطّال حتّى قتلوه. وفي السنة نفسها شن أبو الكاليجار هجوماً علي البصرة لانتزاعها من الظهير ابن القاسم، الذي كان قد وليّ عليها بعد القبض على بختيار بن معز الدولة. وقد ساندته حملة بحريّة خرجت من عمان، وتمكّن أبي الكاليجار من الاستيلاء عليها بعد ان القى القبض على الظهير. وصادر املاكه وفرض عليه غرامة مالية قدرها مائة وعشرين الف دينار. أما البصرة، فقد أسند ولايتها إلى نجله الذي يدعى "عزالملوك بن أبي الكاليجار". وعاد أبي الكاليجار بعد أن أكمل مهمته إلى الأهواز صحبة الوزير أبا الفرج بن فسانجس. وظلت البصرة وعمان في عهد أبوالكاليجار تنقل المكوس إلى الاهواز.[4]

---

[1] - مايلز، ***الخليج بلدانه***، المرجع السابق، ص127. ابن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، المصدر السابق، ج9/138- 339.

[2] - إبن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، المصدر السابق، ج9/455، مايلز، ***الخليج بلدانه***، ص128.

[3] - لقد تعرّض أبي الكاليجار لأموال وأملاك أبو القاسم بن مكرم في عمان وتم تحويل نحو ثلاثون ألف ديناراً في ضمان البصرة كل سنه وكان أبو الكاليجار قد جهز حملة خرجت من الأهواز إلى البصرة. إبن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، ج9/469.

[4] - إبن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، المصدر السابق، ج9/168.

ونتيجة لهذه التطورات، فقد استولى البويهيّون على عمان ردحا من الزمن، غير أنّ دورهم بدأ في الاضمحلال[1] . أما عمان فقد تمتّعت في حينها بنوع من الاستقرار النسبيّ، حيث انتقلتَ السلطة سنة 431هـ/1039م، إلى أبو محمد بن أبي القاسم بن مكرم الذي كان قد تولى أباه الحكم على عمان في فترة سابقة. إلا أنّ حكم أبو محمد لم يرضى الأطراف العمانيّة بسبب ضعفه وعدم خبرته في إدارة شؤون الحكم. لذلك فقد أسند مهامه إلى نوابه وعناصر كانت " **ظالمه ومبتزين ولصوص**"[2].

ونتيجة لهذه التداعيات السياسية، قام العمانيّون بثورة عارمة في محاولة لإزالة البويهيّين من السلطة. ومن البديهي فإنّ ثورة العمانيّين على الوجود البويهي، تنذر بتطوّرات جديدة من الوجهة النّظرية في صيرورة الوضع السياسي الذي يديره الحكّام البويهيّون. ولهذا فقد قام الملك أبو الكاليجار في فارس بإرسال حملة عسكريّة بحريّة إلى صحار. وتمكّن بعد صراع مع العمانييّن من الاستيلاء عليها[3]، غير أن الاحتلال البويهي لعمان بدأ في الاضمحلال. وظهرت على مسرح الأحداث أسرة حاكمة جديدة هي أسرة السّلاجقة.

د- الصراع العماني السلجوقي:

في عام 440هـ/1048م، توفي عماد الدين أبوالكاليجار، وخلفه في السلطة أبونصر خسرا فيروز رحيم سليل العائلة الأخير. وفي هذه الأثناء كان الأمير أبوالمظفر نجل أبي الكاليجار هو الحاكم على عمان. غير أنّ علماء الأباضيّة أخذوا يؤلبون القبائل العمانيّة ضدّه. وقد نجحوا بعد أن شنّوا هجوماً بقيادة راشد بن سعيد، الذي تقلّد الإمامة سنة 445هـ/1053م، وتمكّنوا على إثره من بسط نفوذهم على كامل إقليم عمان. وقد القي القبض على الامير أبي المظفر وأودع السجن في جبال عمان صحبة أعوانه من الديلم. وفي خطوات انتقامية ضد العناصر الخارجية التي جابهها العمانيّون طيلة صراعهم، أمر راشد بهدم قصر الديالمة والبويهيّين بعمان. وكانت حجّته في ذلك أنّ القصر كان يستخدم لتدمير

[1] - إبن الأثير، *الكامل في التاريخ*، المصدر السابق، ج 469/9.الطائي، *التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرى العربية*، ص 278.

[2] - مايلز، *الخليج بلدانه*، المرجع السابق، ص133.

[3] - إبن الأثير، *الكامل في التاريخ*، المصدر السابق، ج502/9.

المجتمع العماني، واتّخذ لنفسه لقب الرّاشد بالله[1]. غير أن راشداً هذا يبدو أنه لم يقضي على كامل الوجود الديلمي، إذ يشار إلى أن أمير شهريار الديلمي الملقب "بتازيك" كان على رأس الحامية الديلمية على عمان، وهوما أثار حفيظة قادر بيك السلجوقي الذي كان يخيّل إليه أن عمان بلد غنيّ حافل بالكنوز المتنوعة. فوجه اهتمامه بها، وأصدر أوامره سنة 456هـ/1063م، إلى أمير هرمز، فجهّز حملة بحريّة كان على رأسها "قادر" نفسه. وما أن وصلت الحملة إلى السّواحل العمانيّة حتى تمكّنت من الانتشار بسرعة دون أن تلقى أي مقاومة تذكر. وارتكبت مذابح بشعة وهتكت الأعراض، واعتدت على الأطفال وقامت بإشعال الحرائق وتدمير القرى والأحياء السكنيّة والسلب والنهب[2].

أما "شهريار" الذي كان قائداً للحامية الديلميّة، فقد القيَ عليه القبض وعيّن بعد توبيخه وتعنيفه من قبل قادر بيك حاكماً على عمان، بعد ضمان سلامة أطفاله الذين أختطفتهم الحملة كرهائن، شريطة أن يعيّن معه مسئولاً سلجوقيّا. ويبدو أن "قادر بيك" جمع العديد من الكنوز والأموال والغنائم على ضفاف إحدى الموانئ العمانية، تمهيداً لشحنها إلى فارس. ثم غادر هو وأتباعه الى مدينة "ترماسير" التي تقع في الجانب الفارسي[3].

وهكذا فقد تمكّن السلاجقة من الاستيلاء على إقليم عمان عن طريق ولاة يتمّ إرسالهم من بغداد أو كرمان. وتشير المصادر أنّهم هيمنوا على الإقليم نحو أكثر من مائة وثلاثين عاماً 448-583هـ/1056-1187م. وتعتبر هذه الفترة من أكثر الفترات غموضاً في التاريخ العماني، إذ أطلق عليها المؤرّخون جوازاً "بالفترة المظلمة"[4].

وبما أنّ المصادر العمانيّة أو غيرها لم تتطرق إليها، فيمكننا أن نستفيد هنا من إشارة كان قد أوردها ابن مجاور في تاريخه المستبصر، أنه علم من أبي بكر البصراوي، أن عمان كانت تتبع إداريّا لملوك كرمان من أسرة السلاجقة، ثم حكمها " الغـز"، مضيفا أن صحار أخليت من سكّانها في فترة زمنية لاحقة، بعد أن قام العرب بتدميرها"[5]. ولم يضبط تحديدا زمنيا لتلك الفترة. وهذه الإشارة هي الوحيدة التي انفرد بها ابن مجاور عن احتلال "

[1] – مايلز، *الخليج بلدانه*، المرجع السابق، ص133.

[2] – مايلز، المرجع نفسه، ص 135.

[3] – مايلز، المرجع نفسه، ص 136.

[4] – مايلز، المرجع نفسه، ص134.

[5] – ابن مجاور، تاريخ المستبصر، المرجع السابق، ص 285.

الغز" لعمان. بينما يذكر ابن الاثير في تاريخه أن موجة من الغز الأتراك دخلت منطقة العراق سنة 420هـ/1029م، بعد أن أوقع بهم يمين الدولة. وسيطروا على مواطن كثيرة منها وأوقعوا حروبا فيها. كما سيطروا على همذان وامتدت حروبهم الى اذربيجان وديار بكر. وتمكنوا من الاستيلاء على الموصل وعاثوا فساداً فيها، غير أن قراقش صاحب الموصل تمكّن من طردهم منها بعد أن قتل أعداداً كبيرة منهم. وبذلك فقد إنتهى كيانهم سنة 421هـ/1030م[1].

ننتهي إلى القول أنّه منذ إمامة الخليل بن شاذان الخروصي الذي انتُخب إماماً سنة 408هـ/1017م، تجلّى نوع من الانسجام والوحدة بين القبائل العمانيّة، غير أنه توفي تاركا مهمّات جسيمة لمن خلفوه في السلطة.

ومن الملاحظ أنّ القبائل العمانيّة قد استعادت إلى حدّ ما بعضا من استقلالها على فترات متعاقبة. وانتخب عدد من الأئمّة، أشهرهم الإمام محمد بن خنبش الذي حكم نحو سبع وأربعين سنة 510-557هـ/1116-1161م. إلاّ أنّ هؤلاء الأئمة لم يستطيعوا أن يعيدوا لعمان عصرها الذّهبي الذي عرفته زمن الإمامة الثانية177-280هـ/793-893م، بسبب الانقسامات الدّاخليّة بين صفوف القبائل العمانيّة، وظهور طائفتين متضادّتين ظهرتا مؤخّراً على مسرح الأحداث، عرفت الأولى: بالطائفة الرستاقية التي تنتمي إلى الرستاق، وقد تمتع علماؤها بنفوذ كبير وبخاصة في عهد الإمامة الثانية، فأصدروا سنة 443هـ/1052م منشورا أعلنوا فيه خطأ عملية عزل الصلت بن مالك. أما الفرقة الثانية، فهي الفرقة النزوانية التي تنتمي إلى نزوى ، حيث تعتبر أكثر اعتدالا من الرستاقية. لقد أضعف هذا الموقف المتشدد، الإمامة الاباضية في الداخل، وأفرزت نتائجه إنشقاق أباضية حضرموت عن أباضية عمان. كما أنكر فقهاء الجوف حصر الإمامة في قبيلة اليحمد التي بدت وكأنها وراثية. وبادروا بانتخاب إمام لهم، غير أن قبيلة اليحمد نفسها عانت من انقسامات قبلية أدّت إلى إضعافها، مما مهّد السبيل لظهور نفوذ القبائل النبهانيّة الذين اقتسموا السلطة في عمان مع الامامة الاباضية، بيد أن الأمامة لم تعترف بهم ونعتتهم بالملوك الجبابرة. وقد بلغ التذمّر في عهدهم ذروته في سائر عمان بسبب سوء سيرة

---

[1] - إبن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، المصدر السابق، ج9/381 - 390 .

حكمهم[1]. وباعتبار أنّ التاريخ الاقتصادي لعمان يشغل محور الدراسة، فيجدر بنا أن نشير أن علاقاتها التجارية والملاحية ظلت وطيدة بالاقاليم التجارية في المحيط الهندي ومنطقة الخليج، التي شهدت هي الأخرى صراعات وأوضاع متقلبة. ومن هنا يمكننا أن نتساءل بعد هذا العرض الطويل للأحداث السياسيّة، عن الوضع التجاري في عمان خلال تلك الفترة من التاريخ.

II. الأوضاع التجارية وظهور مراكز تجارية جديدة

1- الأوضاع التجارية

يبدو أنّ التّجارة البحريّة العمانيّة لم تتأثر بتقلّب الأحداث، فلقد حافظت على استقرارها ووصلت إلى أوج قوتها وازدهارها خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين. ويعود ذلك بصفة عامة إلى الانقسامات الشديدة التي ظهرت في كيان الخلافة العباسية. ففي سنة 322 هـ/933م، تقلّد الخلافة أبو العباس أحمد بن المقتدر، وقد ظهرت في عهده انقسامات سياسيّة عملت على زعزعة كيان الخلافة الإسلامية، حيث استولى الحمدانيون على الموصل وديار بكر وربيعة ومضر، وكانت البحرين واليمامة في أيدي القرامطة، وكان البويهيون يحكمون فارس وأصفهان والجبل، وكان البريديون يحكمون الأهواز وواسط والبصرة، وكان الديالمة يحكمون جرجان وطبرستان، وقد أصبحت مصر والشام تحت سيادة محمد بن طفج الإخشيدي، أما المغرب وأفريقية فكانتا في أيدي الفاطميين، وكانت الأندلس في يد عبد الرحمن الناصر[2]. ونتيجة لهذا الانقسام فقد تأزّم الوضع السياسي ، وكثرت الخلافات بين الخلفاء وقادة الجيوش. وقد أثّر ذلك في الوضع الاقتصادي. فحين شغل بعض الوزراء مناصبهم سعوا إلى مصادرة أموال أسلافهم وموظفيهم. وقد ولّدت البيروقراطية والتبذير لأموال الدّولة، مشاكل ماليّة مزمنة، وأدّى ذلك إلى نقص حاد في الموارد المتأتّية من الأقاليم بسبب الانقسامات. وقد لجأت الخلافة إلى اتّخاذ بعض التدابير غير الآمنة، فقد منحت إقطاعات إلى قادة الجيوش والأمراء. وبمرور الزمن انفرد هؤلاء

---

[1] – فاروق عمر، تاريخ الخليج في العصور الإسلامية الوسطى، المرجع السابق، ص 218.

[2] – آدم متز. *الحضارة الإسلامية*، المرجع السابق، ج1/ 1- 2.

بإقطاعاتهم وأخذوا يوسعونها على حساب الدولة[1]. وقد وصل الأمر إلى نتـــائج لا تحمـــد عقباها، فلجأت الدولة إلى مصادرة أموال كبار التّجار والأغنياء[2].

وقد ساعدت هذه الظروف الدّولة الفاطمية في مصر، فبدأت نشاطاً متزايداً خلال هذه الفترة، حيث نجحت في توسيع نفوذها في مصر ومدّت سيطرتها على بـــلاد الـــشام عـــن طريق الإمارة الصليحيّة 402 – 481 هـ/ 1011 – 1088م[3]. فلقد تمكّن الملك علي بن محمد الصليحي من دخول مكة، وخطب فيها للخليفة الفاطمي المستنصر بالله، وقام بإصلاح ما أفسده بنو الطيب الحسينيّون في الحجاز، وعمل على تخفيض أسعار السلع ونشر الأمن في البلاد المقدسة. وما لبث أن غادرها إلى اليمن لمواصلة نشر الدعوة فيها، بعد أن ترك البلاد للأشراف. وقد لاقت تصرفاته استحساناً لدى مناصريه في منطقة الخليج العربـــي[4]. وحصل على ثقة الخلفاء الفاطميين، وكلّفوه بالإشراف على نشر الدعوة الفاطمية في منطقة الخليج وصولا إلى أقاليم الهند. وقد بذل الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، ومن بعده ابنـــه المستعلي جهوداً مكثفة لنشر الدّعوة الإسماعيلية بدءاً من اليمن، وامتدّت لتصل إلى هدنـــة. ثم ما لبثت أن انتقلت إلى دول الخليج سنة455 هـــ/ 106م. وكان هدف الفاطميين من مدّ هيمنتهم فكرياً وعقائدياً، الاستفادة من هذه المنطقة الإستراتيجية باعتبارها تربط بين الأقاليم التّجارية في منطقة المحيط الهندي ودول المغرب، إضافة إلى أهميتها الاقتصاديّة. فبعـــث الفاطميّون تجّاراً وأثرياء لنشر دعوتهم، وتمكّن هؤلاء من مدّ جسور العلاقات وتثبيت عرى التواصل مع أهل الخليج[5]،على اعتبار أنّ الخليج العربي يشكّل نقطة عبور للتجارة الدولية بين الشرق والغرب، كما تمكّن الفاطميّون من كسب ودّ أمرائه.

ويبدو أنّ الدّعوة الفاطميّة لم تتوقف طيلة تلك الفترة، فلقد بدأت نشاطاً ملحوظاً منـــذ سنة 455هـــ/1063 م، حيث استغلّ الملك أحمد المكرم ضعف الحكام المـــوالين للخلافـــة العباسيّة على عمان نتيجة الثورات التي شنّها العمانيّون ضدّهم. وبالرغم مـــن أنّ عمـــان كانت خارجة عن نطاق حكمه، إلا أنّه تمكّن من مدّ رئاسته الدينيّة عليها، ثم على البحرين

---

[1] – عبدالحكيم غنتاب، ***دور البصرة التجاري***، المرجع السابق، ص363.

[2] – آدم متز، ***الحضارة الإسلامية***، المرجع السابق ج1/ 166.

[3] – تأسست الإمارة الصيلحية في اليمن سنة 402 هـ / 1011م ومكثت في السلطة حتى عام 481 هـــ/ 1088م.

[4] – الهمداني، حسين فيض الله، ***الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن***،دار المختار للطباعة دمشق، بدون تاريخ. ص221

[5] – فاروق عمر ، ***تاريخ الخليج***، المرجع السابق، ص218

والإحساء من بعدها[1]، بهدف ضمّهما إلى دائرة النفوذ الفاطمي[2]، ومزاحمة العباسيين فكريّا. كما سعوا لنشر دعوتهم في اليمن وأقاليمها[3]، وكان الهدف منه انتشار المذهب الإسماعيلي في منطقة المحيط الهندي"الهند وإقليم السند". وبالفعل تغلغل المذهب الإسماعيلي في أرجاءٍ عديدة من أقاليم الهند[4]. وكان أبوالقاسم باليمن قد دأب على ارسال ابن أخيه داعية إلى بلاد السند، فاستجاب له الكثير من أهلها. وقد أخذت الدّعوة تنتشر تدريجياً حتى انظمّ إليها أهل الملتان وكجرات والبنجاب[5]. الإ أن سقوط البحرين وبعض أقاليم الخليج العربي بيد السلاجقة منذ سنة 447هـ/1055م، أضعف الجهود الفاطميّة، خاصة وأن السلاجقة أحكموا سيطرتهم على منطقة الخليج نحو أكثر من قرن من الزمان. فضلاً عن سيطرة "الجبور" على البحرين وجهودهم في نشر المذهب المالكي "السني" فيها، وهو ما أضعف المذهب الاسماعيلي في منطقة الخليج عامة.[6]

أما المشكل الثاني، الذي ساعد على تفاقم الوضع التّجاري في منطقة الخليج العربي، هو منافسة القرامطة للخلاقة العباسية في السّيطرة على عصب التّجارة في منطقة الخليج بصفة عامة، والبحرين بصفة خاصة. فلقد تمكّن القرامطة من بسط نفوذهم على التّجارة في الخليج العربي، فأنشئوا لهم مرصداً في جزيرة وال لجباية المراكب المجتازة بهم[7]. فضلاً عن الضرائب والأموال التي كانت تأتي إليهم من البصرة والشام. وحينئذ أعلنوا مناوئتهم للعباسين بقطع علاقاتهم التجاريّة المتّجهة للعراق[8]. فما هي الانعكاسات التي ترتّبت على منظومة تجارة الخليج إثر الأوضاع التي استعرضناها؟

---

1 – الهمداني، ***الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن***، المرجع السابق، ص 223.

2 – فاروق عمر، ***تاريخ الخليج***، المرجع السابق، ص217

3 – إبن مجاور، ***تاريخ المستبصر***، ص72، 75

4 – لقد دخلت الدعوة الإسماعيلية إلى إقليم السند مع نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع للميلاد، أي قبيل قيام الدولة الفاطمية في دول المغرب، وقد بدأ انتشارها اثر الحملات التبشيرية الإسماعيلية التي امتد نشاطها المذهبي إلى عديد الأقاليم الإسلامية ومن بينها أقاليم الهند والسند. الهمداني، ***الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن***، المرجع السابق، ص223.

5 – الهمداني، ***الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن***، المرجع السابق، ص 222.

6 – فاروق عمر، ***تاريخ الخليج في العصور الاسلامية الوسطى***، المرجع السابق، ص218.

7 – إبن حوقل، ***صورة الأرض***، المصدر السابق ، ص33

8 – عبدالحكيم غنتاب ، ***دور البصرة التجاري*** ، المرجع السابق ، ص301

لم تلبث حركة التجارة في منطقة الخليج، أن تأثرت بمجمل تلك الأحداث التي رأيناها، فبدأت في التحوّل التّدريجي نحو الموانئ الأكثر أمنًا واستقرارا، وعلى إثر ذلك ازدهـرت التجارة في إقليم عمان، رغم تعرّضه للأحداث التي أشرنا إليها آنفا، وفرار بعض الفئـات الأرستقراطية العمانيّة وأصحاب رؤوس الأموال من أهل صحار وأهل الباطنة وما حولها بأموالهم إلى هرمز ومراكز تجاريةّ مجاورة أخرى كالبصرة وسيراف[1] وسـواحل شـرق أفريقيا والهند وإقليم السّند. بيد أنّ الحياة التجارية سرعان مـا عـادت إلـى طبيعتهـا[2]، وأصبحت عمان مركزاً تجارياً لجميع السلع التجارية القادمة من مختلف بقاع العالم. وكانت تعمل في إعادة التصدير إلى موانئ الخليج العربي أو أسواق العراق واليمن. وهو ما أثبته صاحب "حدود العالم" الذي كتب كتابه سنة 372 هـ/982 م في قوله: "إنّ عمـان كانـت مدينة عظيمة، بها تجار كثيرون، وهي فرضة جميع العالم، وكانت تقـع إليهـا تجـارات المشرق والمغرب والجنوب والشمال وتحمل منها إلى جميـع الآفـاق"[3]. وتؤكّـد بعـض المصادر أنّ عمان وصلت سنة 420 هـ/1029م، حداً كبيراً من الثراء. فبلغ خراجها نحو ثمانين ألف دينار. وخلال تلك الفترة أهدى صاحب عمان إلى الكعبة محاريب زنة الواحـد منها يفوق قنطارا من الفضة، وقناديل غاية في الـصنع والإحكـام[4]. ويبـدو أنّ النّـشاط التجاريّ والأرباح الطائلة منه بلغت في القرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين حدّاً كبيراً. وأصبحت عمان محورا رئيسيًا للتجارة الدولية في تلك الفترة. وكانت السلع التي تمرّ بها تدرّ عليها أرباحا كبيرة، حتى وصل تجّارها أعلى درجـة مـن الثّراء. وقد أكّد ذلك الجغرافي العربي الإدريسي قائلا:"صحار أقدم مدن عمـان وأكثرهـا أموالا قديما وحديثا ويقصدها كل سنة من تجار البلاد ما لا يحصى عددهم ، وإليها يجلـب جميع بضائع اليمن ويتجهّز منها بأنواع التجارات"[5]. ولقد تناغم الإنسان العمـاني المـلاح والتاجر الرحّالة مع أصحاب أقاليم العالم ذات العلاقة التجارية والمادة الوفيرة الثمينة. إلى أن ظهرت جزيرة قيس في وسط بحـر فارس قبالة مسقط، كأهمّ مركز تجاريّ في سواحل

---

[1] – العوتبي، *الأنساب*، المصدر السابق، ج2/ 323

[2] – المقدسي، *أحسن التقاسيم*، المصدر السابق، ص87.

[3] – مجهول، *حدود العالم من المشرق إلى المغرب*، المصدر السابق، ص173

[4] – الحميري، *الروض المعطار*، المصدر السابق ، ص413.

[5] – الإدريسي، *نزهة المشتاق*، المصدر السابق، ج1/ 156.

شرق جزيرة العرب، ويضيف الإدريسي قائلا: في هذا الصدد **"فوليها عامل من اليمن فحصّنها وأحسن إلى أهلها وعمّرها وأنشأ أسطولا ... وانقطع السفر من عمان"**[1].

ننتهي إلى القول بأنّ تجارة الخليج العربي في هذه الفترة، حولّت وجهتها صوب سواحل شرق جزيرة العرب، مستفيدة من أوضاع سياسيّة واقتصاديّة متدهورة . فاحتلّت عمان مركز الثقل التجاري قبل أن يستقر في عدن، التي غدت آنذاك مركزاً تجارياً يربط بين مصر وبلاد المغرب وبين الهند والصين وسواحل شرق أفريقيا. وقد أدّى تحكّم الخلافة الفاطمية في طرق التّجارة في البحر الأحمر إلى تفوّق عدن. ونشأت إثر ذلك مراكز حاولت النهوض بالتجارة في الخليج العربي ، مثل جزيرة قيس " كيش" وهرمز وظفار.

2- أهمّ المراكز التجارية

أ- جزيرة قيس (كيش)

حلّ ميناء قيس محلّ ميناء سيراف، كمستودع رئيسي للتّجارة في أقاليم الخليج العربي إثر سقوط الدولة البويهيّة على أيدي السلاجقة سنة 447 هـ/1055 م[2]. وتعتبر قيس إحدى أهمّ جزر الخليج القريبة من مدخله . ويبلغ طولها نحو ثمان وسبعون درجة[3]. وذكر ياقوت أنّها لصاحب عمان، وكان يمتلك ثلث دخل البحرين. ويبدو أنّ ياقوت زارها مرات عديدة، وذكر أنّ شرب أهلها من الآبار، بينما شيدت لشرب خواص الناس صهاريج متعددة يتمّ تجميع مياه المطر فيها. كما يضيف ياقوت قائلا: "أنّ بها أسواقا وخيرات وكان يتمتّع ملكها بهيبة وقدر كبير لدي أهل الهند لكثرة مراكبه ودوانيجه وله خيول كثيرة. وقد تمكّنت جزيرة قيس من ضمّ جزر كثيرة إلى سيادتها، وقد نبغ أهلها – في الفترة التي كان يتردّد ياقوت عليها – في مجال الأدب والفقه، وفي مجال التأليف[4]. وقد لعبت جزيرة قيس دوراً كبيراً كمركز رئيسيّ لتوزيع السّلع التي كانت تمرّ عبر الخليج العربي منذ سنة 494 هـ/ 1100م.

---

[1] – الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ج157/1.

[2] – حسن شهاب، ***عدن فرضة اليمن***، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط1. 1990م. ص115.

[3] – إبن سعيد المغربي، ***كتاب الجغرافيا***، المصدر السابق، ص132. يذكر ياقوت أن قيس في بحر عمان، ودورها أربعة فراسخ، ***معجم البلدان***، ج108/4.

[4] – ياقوت، ***معجم البلدان***، المصدر السابق، ج4/ 108.

ويتّفق المؤرّخون أنّ جزيرة قيس كانت تحكمها أسرة عربيّة من عبد القيس، وفدت إليها من السّواحل الشماليّة لعمان، والتي تسمّى الآن "بدولة الإمارات العربية المتّحدة"[1]. وقد احتلّ أسطولها البحريّ مكانة كبيرة في مجال النّشاط السياسي والتجاري. فأرغم التّجار إلى استعمال مينائها بدلا من ميناء سيراف. وقد تمكّن حكّامها من بسط نفوذهم بفضل أسطولهم البحريّ على كامل أقاليم الخليج العربي، لا سيما الجانبين الإيراني والعربي . وحافظت قيس على كيانها السياسيّ ، فتمكّن حكّامها من حمايتها والدّفاع عنها[2]. كما تمكّن صاحب جزيرة قيس من غزو جزيرة الزّابج ووصل إلى بلاد جزيرة الكامرون" أهل الهند يخافونه ويهابون شرّه ويواسونه بالمراكب المسمّاة " المشعيات ". وتبوّأت جزيرة قيس في فترة ازدهارها مركز الصدارة في منطقة الخليج العربي، حيث أضرّت بتجارة عمان فانقطع السّفر منها[3]. وأنّ صاحب جزيرة قيس جهّز حملة بحرية إلى بلاد الهند، فاحتلّ مدينة كنباية التي كانت تشكل مركزاً تجاريًّا مهمًا حينذاك[4].

وتؤكّد بعض المصادر أنّ حكّام جزيرة قيس "كيش" كانوا يمتلكون مستوطنات تجاريّة في سومنات وكمباية وكولم ملي وبنادر أخرى في الهند. وكانت سلالة "يندهيا" تعيّن منهم مشرفين "ووزراء وأمراء أحيانًا"على شؤون التجارة والجاليات القادمة للاتّجار بها. ويروي "يوديلا"(560 – 571 هـ/ 1164 – 1175م) وهو رحّالة زار جزيرة قيس أثناء رحلته إلى الهند أو سيلان، وكتب عن تجارتها تقديراً رائعاً "جزيرة قيس " كيش " إنّ سوقها هائلة يحمل إليها التّجار الهنود وتجّار الجزر سلعهم. ويستورد منها تجّار العراق واليمن وفارس أنواعاً من الحديد والثّياب الأرجوانيّة والكتان والقطن والهدب والجريش والقمح، والشعير والجاودار وجميع أصناف الأغذية الأخرى، والذّرة والغضار القطّاني، كما تستورد من الهند مقادير كثيرة من التوابل. ويعيش أهلها ممّا يربحونه من الوساطة التجاريّة بين الفريقين البائع والشاري[5]. وقد اشتهرت جزيرة قيس" كيش" بصيد اللؤلؤ الذي كان يصاد بكميّات كبيرة. و فرض حاكمها على صيّادي اللؤلؤ ضريبة، كان يتمّ تحصيلها في ديوان

---

1 – *عمان في أمجادها البحرية*، المرجع السابق، ص30

2 – روبرت جبران لاندن، *عمان مصيرا ومسيرا*، ترجمة محمد أمين عبد الله وزارة التراث، مسقط، 82،1969.

3 – الإدريسي، *نزهة المشتاق*، المصدر السابق، ج1/ 157.

4 – الإدريسي، المصدر نفسه، ج1/ 181.

5 – إبراهيم خوري، وأحمد جدال الترمذي، *سلطنة هرمز العربية*، دولة الإمارات العربية المتحدة، 1999.ج1/ 285.

البيع، وهو عبارة عن مكتب لتحصيل الضّرائب أو المكوس الواردة من التّجـارة[1]. ومـع نهاية القرن السادس الهجري /الثاني عشر للميلاد برزت عـدن كمنافس قـويّ لجزيـرة "قيس". فلقد تمكّنت بحكم موقعها على طريق التجارة البحريّة بين الهند ومصر أن تحتـلّ مكانة هامّة. فأضرّت بتجارة قيس، مما دفع صاحب الجزيرة إلى تجريد حملة بحريّة عليها، إلاّ أنّ الحملة قد فشلت في تحقيق مطلبها[2]. ورغم أهميّة ميناء قيس التجاريّة، وقوّة أسطولها البحريّ، لم تحلْ دون قيام قوة منافسة. فلقد تمكّنت هرمز الجديدة، التي قامت على أنقاض هرمز القديمة، وغدت أهمّ منطقة لتجميع السّلع التجاريّة في الخليج العربي، أن تقضي على ميناء قيس وتحلّ محلّها. وقد نشبت بينهما حروب تجاريّة طويلة تخللتها مصادمات مسلّحة لم تنته إلا في سنة 700هـ/ 1300م[3]. وقد أصبحت هرمز أكبر منافس لمينـاء جزيـرة قيس. ورغم المنافسة الكبيرة بين الميناءين، إلاّ أنّ قيس ظلّت تساهم بنـصيب كبيـر فـي تجارة الهند. ولم تلبث أنْ أصابها المصير نفسه الذي أصاب الكثير مـن مـوانئ الخلـيج العربي على الضفتين الشرقية والغربية، حيث غزاها سنة 623 هـ/ 1226م، أبو بكر بن مسعد، وهو أحد أمراء السّلاجقة المرتبطين بالخانات المغول في فارس بوشـائج تبعيّـة، وربّما تكون اسميّة. وحكم إقليم فارس كغيره من أسلافه وتلقب بلقب أتابك. وبعـد وفاتـه ووفاة أبنائه، عاد إقليم فارس وجزر السّاحل الشمالي من الخليج العربـي، إلـى خانـات المغول[4]. وبدأ ميناء جزيرة قيس إثر غزو السلاجقة في الاضمحلال التدريجيّ. فحلّت محلّه هرمز الجديدة التي تمّ إنشاؤها في القرن السّابع الهجري.

ب .هرمــز :

لقد اضطلعت هرمز القديمة بدورها التجاريّ منذ القرن الرّابـع الهجـري/ العاشـر للميلاد. وقد ساعدها موقعها الإستراتيجي على ذلك، فهي تقع على المضيق الـذي يـربط خليج عمان بالخليج العربي، ويبلغ عرض هذا المضيق نحو تسعة أميال بحريـة. وتتميّـز هرمز بوفرة المياه التي غالباً ما تكثر في المنطقة المحيطة بها. ولهذا فهي تنتج محاصـيل

---

1 – الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ج1/ 390.

2 – أبن محاور، ***تاريخ المستبصر***، المصدر السابق، ص287 – 288. حسن شهاب، ***عدن فرضة اليمن***، ص115.

3 – روبرت جران لاندن، ***عمان مسيرا ومصيرا***، المرجع السابق، ص 29.

4 – هايد ، ***تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى***، المرجع السابق، ج2/277.

زراعية بكميات تجارية وفيرة[1]. وتتجلى هرمز في المصادر العربية في أنّها فرضة[2] كرمان، "وهي من المدن القويّة، وبها نخيل كثيرة"[3]. وقد تحدّث الادريسي عنها قائلا: "إنّها فرضة مدن كرمان، وهي مدينة ساحليّة تقع على بحر فارس كثيرة العمارة حارّة جداً، وكانت مستودعاً لمنتجات كرمان، حيث تنتج السّكر ونوعا ممتازاً من النيلة والكمّون "ويتجهـّز منها إلى جميع الآفاق"[4]. وتعتبر هرمز ممرّاً حيويّا للسّلع الصادرة والواردة من مقاطعتي كرمان وسجستان الإيرانيّتين. وقد ظلّت تدين للأسر التي كانت تحكم إقليم كرمان. ولقد عقد حكّامها العرب علاقة مصاهرة مع حكّام جزيرة قيس[5]، بغية الانسجام بين الميناءين ولتحسين علاقاتهما. ومع مطلع القرن السابع الهجري استغلّ حكّام هرمز الاضطرابات التي اقترنت بغزو المغول لإيران، فنهجوا سياسة تهدف للاستقلال. وحين حاول حكّام إيران في الدّاخل فرض ضريبة على سكّان هرمز، غادر هؤلاء إلى قلهات الواقعة على السّاحل العماني. ومن ثمّة أخذوا يغيرون على السّفن التجارية المبحرة إلى إيران. وحينئذ انصاع حكّام إيران إلى مطالب الهرمزيّين، فعقدوا اتّفاقا معهم ، يحصل بموجبه حكام هرمز على الأرباح التي كانوا يحصلون عليها سابقاً. وبموجب هذه الاتفاقية، فقد نقل حكّام هرمز نشاطهم التجاريّ من قلهات إلى جزيرة صغيرة قاحلة تبعد عن هرمز القديمة نحو خمسة عشر ميلاً عربيّاً. فأنشئوا لهم مركزاً تجاريّاً جديداً. وهي هرمز الجديدة التي تمّ إنشاؤها في القرن السّابع الهجري، الثالث عشر للميلاد.[6]

ج. ظفار

بعد أن تحولّت التّجارة البحرية من الخليج العربي وعمان إلى عدن، أخذت ظفار المطلّة على بحر العرب مكانتها التجاريّة، باعتبارها أولى المحطات التي تمرّ بها التجارة القادمة من دول المحيط الهندي والخليج العربي. وتحتلّ منطقة ظفار "عمان الجنوبية" موقعاً جغرافياً إستراتيجياً ساعدها على الاستفادة من الطريق البحري المتّجه إلى البحر الأحمر.

---

1 – روبرت جبران لندن، ***عمان مسيرا ومصيرا*** ، المرجع السابق، ص28.

2 – الفرضة، هي ميناء تجاري بحري لاستقبال السفن التجاريّة.

3 – الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ج1/ 436.

4 – ياقوت، ***معجم البلدان***، المصدر السابق، ج476/4.

5 – روبرت جبران لاندن، ***عمان مسيرا ومصيرا***، المرجع السابق، ص28.

6 – روبرت جبران لاندن، ***عمان مسيرا ومصيرا***، المرجع نفسه، ص29.

فازدادت أهميّتها بازدياد حجم التبادل التجاري بين دول المحيط الهندي وموانئ البحر الأحمر وشرق إفريقيا[1]. ولقد ذكرها ياقوت "إنها في الإقليم الأوّل وطولها نحو ثمان وسبعين درجة، وعرضها خمس عشرة درجة". كما أضاف بأنّ ظفار ليس بها مرسى إنّما ترسو السفن في مرباط. وقد ورد ذكر مرباط منذ القرن الرّابع الهجري/ العاشر للميلاد، عندما ظهر أحد زعامات أسرة المنجويّين الذي تمكّن من الاستيلاء عليها لبضع من الوقت. ثم ما لبث أن قام بتدميرها ونقل العاصمة إلى ضفة أحد الخلجان الواقع على نحو عشرين ميلا ناحية الجنوب[2] .

لقد استفادت ظفار من تحوّل التجارة إلى عدن. فأخذت السفن التجاريّة القادمة من الهند والشرق الأقصى تفرغ تجارتها في عهد الحبوضيّين بميناء ظفار[3]. وحين ضعفت الخلافة العباسيّة، وتحوّلت عدن كمركز رئيسيّ للتجارة، سطع نجم ظفار[4]. وحوّلت السفن التجارية وجهتها إليها، وكانت من قبل ترسو في موانئ الخليج العربي، كسيراف والبصرة[5]، إلاّ أنها تعرّضت إلى تدمير قام به أحمد بن عبد الله بن مزروع الحبوضي، سنة 618 هـ /1221م خوفاً من الملك المسعود أبي المظفر يوسف بن محمد بن أبي بكر. وقد بنى المنصورة بدلا منها وسمّاها القاهرة[6]. وقد اشتهرت ظفار في مطلع القرن السابع الهجري بتجارة الخيول والمواد العطرية. حيث كان يرد إليها تجّار العراق عن طريق البرّ، غير أنّ الطريق البريّة سرعان ما تأثرت وهُجرت بعد زوال سلطة الحبوضيّين سنة 625 هـ/ 1219م[7] على أيدي المزاريع. وفي فترة لاحقة أعيد استخدامها من قبل البدو لنقل البضائع التجارية. وهناك رواية أخرى ترى أنّ الطّريق كان يتفرّع إلى فرعين؛ أحدهما يسير إلى الإحساء والقطيف، أمّا الثاني فيسير إلى ظفار ومرباط. في حين يذكر البعض أنّ

1 – *عمان في أمجادها البحرية*، المرجع السابق، ص31.

2 – مايلز، *الخليج بلدانه وقبائله*، المرجع السابق، ص412، يعتقد ما يلز،أن محمد بن محمد يعتقد أنه ابن النّجوى الذي اغتيل سنة 604هـ / 1207 م. *الخليج بلدانه*، ص 413.

3 – حسن شهاب، *عدن فرضة اليمن*، المرجع السابق، ص172.

4 – حسن شهاب، المرجع نفسه ونفس الصفحة، 172.

5 – ابن مجاور، *تاريخ المستبصر*، المصدر السابق، ص260.

6 – مايلز، *الخليج بلدانة وقبائله*، المرجع السابق، ص414.

7 – ابن مجاور، *تاريخ المستبصر*، المصدر السابق، ص264.

مرباط كانت في القرن السادس الهجري/الثاني عشر للميلاد مركزاً تجاريّـاً. وتـسترسل الرواية في حديثها أن الطريق انقطع سنه 616 هـ / 1219[1].

أمّا جزيرة سقطرى، فيبدو أنّها انتقلت إدارتها من عمان في مطلـع القـرن الـسابع الهجري/ الثالث عشر إلى الحبوضيّين. إذ يشير ابن مجـاور أنّ الاتـصال بـين ظفـار وسقطرى كان قائمًا في زمنه. وكانت السّلع التّجاريّة تتبادل بين ظفار وسقطرى، وأكد أن المسافة في البحر إليها نحو يومين وليلة. وكان أهلها يؤدّون الجزية للحبوضيّين في ظفار، ممّا يعنى أنّ إدارتها انتقلت حينذاك من السيادة العمانيّة إلى اليمنيّة.

ننتهى إلى القول بأنّ ظفار استفادت من تحوّل التجارة من الخليج العربيّ إلى عـدن. وقد احتلّت محلّ الصدارة بين الموانى والمحطّات التجارية. وظهرت في تلك الفترة التجارة الكارميّة المتّجهة نحو موانئ البحر الأحمر، لتبلغ ظفار حدّاً كبيراً من الثّراء.

---

[1] - ابن مجاور، *تاريخ المستبصر*، المصدر السابق، ص266 .

الفصل الثاني:

الامتداد العماني إلى شرق إفريقي وأثره

في العلاقات العمانية الشرق افريقية.

I – تقديم جغرافي

1 – إستراتيجية الموقع

تحتلّ سواحل شرق إفريقيا الزّاوية الشرقية الجنوبيّة من القارة الأفريقية. فهي تقع بين خطّي عرض5 شمالا و10جنوبا في البقعة الموازية للمحيط الهندي[1]، كما تمتدّ بين خطّي الطول 30 و40 درجة شرقاً[2]، وتبلغ مساحتها نحو 3.6 كيلومترمربع. أي ما يقارب 12% من مساحة القارّة[3]. ولقد قسّم الجغرافيّون العرب الساحل الأفريقي إلى أربع وحدات رئيسيّة، وأطلقوا على الوحدة الأولى الممتدّة من مقديشو شمالاً إلى سفالة جنوباً، اسم سواحل الزنج أو بلاد الزنج[4].

أما الوحدة الثانية، فهي بربرة أو ساحل بربرة وهي البقعة التي تقع بين الحبشة وأرض زيلع. وقد أشار المسعودي إليها في مطلع القرن الرابع الهجري بأنّ لها خليجاً متّصلاً بأرض الحبشة ويبلغ طوله نحو خمسمائة ميل بحريّ، بينما يبلغ العرض مائة ميل[5]. أمّا الوحدة الثالثة، فهي ساحل سفالة[6]، وكان يطلق عليها اسم سفالة الزنج[7]. كما سمّيت بأرض الذهب أو التبر، نظرا إلى النوعية عالية الجودة التي كانت تصدّر منها إلى عمان ومنطقة الخليج العربي إبّان الفترة الإسلامية[8]. والوحدة الرّابعة هي الواق واق، وهي

---

1 – الديناصوري، جمال الدين، ***جغرافية أفريقيا وأستراليا***، القاهرة، 1968، ص 68.

2 ـ الحويري، محمود محمد، ***ساحل شرق افريقية، منذ فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي***، دار المعارف بيروت، 1986. ص9.

3 – أبوعيانة، فتحي محمد، ***الجغرافيا الإقليمية***، دار النهضة العربية، بيروت، 1986. ص 565.

4 – Trimmingham , *The influence of Islam upon Africa,*. P. 30. الاضطخري، ***المسالك والممالك***، المصدر السابق، ص149. أبن حوقل، ***صورة الأرض***، ص 21.

5 – المسعودي، ***مروج الذهب***، المصدر السابق، ج1/ 81.

6 – سفالة هي موزنبيق الحالية، أنور عبد العليم، **الملاحة وعلوم البحار عند العرب**، المرجع السابق، ص 73. كما يروي حوراني أن سفالة تقع على خط عرض 20 جنوبا، وهي أخر المطاف للتجار العرب في الحقبة الإسلامية، أما معرفة العرب بجنوب سفالة ضئيلة جدا حتى القرن الخامس الهجري. حوراني، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي***، ص231. إلا أننا نجد أن ابن سعيد المغربي، يذكر إن ملاحاً عربياً يدعى أبن فاطمة، دار حول قارة أفريقيا من الغرب نحو الشرق حوالي عام (1250) م، وقد وصف سواحل السنغال ومدغشقر. وأشار أن بها مسلمين "كمدغشقر وأهلها خليط من جميع الأقطار وكانت حينئذ مركز تجاري وهي تتبع إداريا لمدينة ملاى التي تقع في الناحية الشرقية منها". إبن سعيد المغربي، ***كتاب الجغرافيا***، ص 84.

7 – شيخ الربوة، ***نخبة الدهر***، المصدر السابق، ص 75، 150.

8 – الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ج1/، 79.

المنطقة التي تلي ساحل الزنج جنوباً. وتعتبر الواق واق مكمّلة للصورة التي رسمها الرحّالة والجغرافيّون العرب لمحيط دائرة تجارتهم في الساحل الشرقي لأفريقيا، غير أنّ وصفهم لجزر الواق واق كان غامضاً فلم تحدّدها المصادر إلا بشكل مقتضب لا يعطي صورة واضحة. وبالتالي يجوز لنا الاعتقاد ضمناً أنّها لم تكن محطّ أنظار التّجار العرب لقلة مواردها التجارية أو لقلّة سكّانها. ويدعّم الإدريسي هذه الفكرة قائلا: "إنّ المسافة إليها من بحر القلزم نحو أربعة آلاف وخمسمائة فرسخ، وأنّ في هذه المسافة نحو ثلاثمائة جزيرة بعضها خال من السكان والبعض عامر"[1]، فيما يشير في موضع آخر أنّها متّصلة بأرض سفالة، وبها "مدينتان حقيرتان وساكنوها قليل"[2]. ويشير إلى أنّ جزائر الواق واق في مواضع مقطوعة بالجبال فلا يصل إليها السّالك[3]. كما توجد جزر في إقليم الصين، كان قد أطلق عليها العرب تسمية الواق واق. وهي تختلف من حيث أهمّيتها الاقتصادية المتمثّلة في ثروتها ومعادنها عن تلك التي في ناحية شرق إفريقيا، حيث روى عنها أنّ أهلها كانوا يستخدمون الذهب قلائد لكلابهم[4].

2 – أهمّ الجزر ودورها في النّشاط التجاري

إنّ من أهمّ الجزر التي كان العمانيون يتردّدون عليها في رحلاتهم التجاريّة نحو شرق إفريقيا جزيرة "قنبلو". فلقد ذكرها المسعودي في معرض حديثة عن العمانيين من أهل المراكب "وأهل المراكب من العمانيّين يقطعون هذا الخليج إلى جزيرة قنبلو من بحر الزنج"[5]. وفي القرن السابع الهجري ورد ذكرها عند ابن سعيد "والمذكور في هذه الكتب من جزر هذا البحر المقاربة للسّاحل جزيرة قنبلو"[6]، ويتبيّن أنّ ابن سعيد لم يرها بل اعتمد على ما ذكر في الكتب عنها، ممّا يرجّح أنّ إسم جزيرة " قنبلو" كان يطلق على "جزيرة زنجبار" الحاليّة أو ملاي. إذ تشير الاكتشافات الأثريّة، أنّه تمّ اكتشاف آثار إعمار في أنغوغا أكو "جزيرة زنجبار" تعود إلى القرنين التاسع والعاشر للميلاد. وهو ما يبعث الشكّ

[1] – الإدريسي، *نزهة المشتاق*، المصدر السابق، ج1 /9.

[2] – الإدريسي، المصدر نفسه ج80/1.

[3] – الإدريسي، المصدر نفسه ، ج91/1.

[4] – الإدريسي، المصدر نفسه ، ج1/ 92.

[5] – المسعودي، *مروج الذهب*، المصدر السابق، ج81/1.

[6] – إبن سعيد المغربي، *كتاب الجغرافيا*، المصدر السابق، ص 99.

أنّها كانت تسمّى بقنبلو، في حين أنّ زنجبار لم يرد ذكرها في كتب الجغرافيين العرب. كما عثر في الجنوب من زنجبار على آثار حطام زجاج مستورد يعــود إلـــى القــرن الــسّابع للميلاد[1].

لقد نشأت على ضفاف سواحل شرق أفريقيا مدن بدأت صغيرة في مراحلها الأولـــى، إلا أنّها مع مرور الزّمن أصبحت مراكز تجارية كبيرة شكّلت منتجاتها مصدرا كبيرا فـــي نموالتجارة الدولية والعمانية على وجه الخصوص، وكانت تسيطر على تلك المدن قبائـــل الكوشيون. أمّا سكّان المدن الدّاخلية فهم من قبائل البانتو الذين نزحوا في فترة لاحقة نحـــو الشّمال وإلى جنوب ساحل بربرة في الفترة من سنة 500 إلـــى 800 م.[2] ولقـــد أشـــار الجغرافيّون العرب إلى تلك المدن، فذكر ابن سعيد أنّ مقديشو[3] شرقيّها نهر كبير يصل مداه نحو ألفي ميل، بينما يبلغ طولها نحو اثنتين وسبعين درجة والعرض درجتان، وكانت تقوم بنشاط تجاري واسع[4]، أمّا مدينة قرفونة[5] التي كانت لها أهميّة لدى التّجار البحريّين فهـــي تقع على ساحل البحر في الرّكن الأوّل من بداية سواحل شرق أفريقيا، ويبلغ طولها نحـــو ستين درجة وثلاثين دقيقة، وعرضها نحو عشرين دقيقة[6] . ومن مدن سواحل شرق أفريقيا مدينة "ملندى" وهي تقع على ضفّة البحر[7]، ويبلغ طولها نحو إحدى وثمانين درجة ونصف الدرجة، بينما عرضها درجتان[8].

وهناك مدينة ممباسة في "تنزانيا الحاليّة" فهي تقع على خور كبير، تدخله المراكب في مسير يبلغ نحو يومين[9]. ووصفها ابن بطوطة الذي زارها في القرن الثالث عشر الميلادي،

[1] – جون أليف، *الأفارقة تاريخ قارة*، سلسلة دراسات أفريقية، الدار الجماهيرية للنشر بنغازي ليبيا. 2000 م. ص 96 .

[2] – حسين مؤنس، *أطلس تاريخ الإسلام*، الزهراء للإعلام، القاهرة، ط 1، 1987، ص 380.

[3] – لم يرد إسم مقديشو في الكتب الجغرافية العربية قبل عهد ياقوت، وابن سعيد، ربما لأنها أنشأت فـــي بـــادئ الأمر، كمحطة صغيرة وأصبحت فيما بعد مركزا تجاريا كبيرا، ذكرها ياقوت الحموي، علـــى أنهـــا كانـــت تصدر العود والصندل والأبنوس والعنبر والعاج. ياقوت، *معجم البلدان*، ج8 /300.

[4] – إبن سعيد، *كتاب الجغرافيا*، المصدر السابق، ص 82.

[5] – تعترف المصادر بوجود هذه المدينة وتسمى الآن في الخرائط الحديثة وكتب الأوروبيين باسم القرن الأفريقي جرد افوي Guardafui. ابن سعيد، *كتاب الجغرافيا*، تعليق محقق كتاب، ص 212.

[6] – إبن سعيد، *كتاب الجغرافيا*، المصدر السابق، ص212.

[7] – الادريسى، *نزهة المشتاق*، المصدر السابق، ج1/ 59 .

[8] – ابن سعيد، *كتاب الجغرافيا*، المصدر السابق، ص 83.

[9] – ياقوت، *معجم البلدان*، *المصدر السابق*، ج 327/8 .

أنّها تقع على البحر[1]. وتذكر المصادر الحديثة أنّ ممباسة أصبحت الآن المنفذ الرئيسيّ لكينيا ولجمهورية أوغندة، فهي تقع في أقصى جنوب تنزانيا[2]. ويبلغ طول ملندى نحو إحدى وثمانين درجة. ومن الجزائر التي شكّلت أهميّة تجارية للتجار العمانيّين، جزيرة القمر، وقد بالغ ابن سعيد في تحديد طولها، حيث أشار إلى أنّه يبلغ نحو أربعة أشهر، بينما يبلغ العرض نحو عشرين يوما[3]. في حين أنّ المصادر الحديثة ترى أنّ مساحتها الكلية تبلغ نحو (2171 كم2). أمّا سكّانها فهم أجناس متعدّدة، وفدوا إليها من شبه جزيرة العرب وبعضهم من جنوب آسيا ويتكلّمون اللّغة السواحيليّة، وهي لغة قبائل البانتو[4]. كما ذكر الجغرافيّون مدينة صيونة، على أنّ طولها يبلغ نحو تسعة وتسعين درجة، في حين يبلغ العرض نحو درجتين ونصف الدّرجة، وهي تقع على خور كبير ويمرّ بداخلها من جهة الغرب نهر ينحدر من جزر القمر، وكان يقطن في هذه المدينة ملك السفاليّين. ويبدو أنّ سفالة الزّنج كانت تتبع إداريّا صيّونة[5].

وهناك قبالة سواحل شرق أفريقيا نجد جزيرة كبيرة تقع عند مدخل خليج عدن، وهي جزيرة سقطرى[6]، وتعدّ أهمّ محطّة للملاحين المتّجهين نحو سواحل شرق أفريقيا، بالإضافة إلى أنّها كانت محطّة للسّفن الهابطة من بحر القلزم إلى منطقة الشرق الأقصى. فهي تقع في عرض المحيط الهندي بالقرب من الساحل الشرقي لأفريقيا و تتاخم مياهها الإقليمية دولة الحبشة المسيحيّة[7] وتتّصل شمالاً ببلاد اليمن[8]. و أنّها كانت تنتج نبات الصّبر، الذي يدخل في الصناعات العطريّة، وكذلك دم الأخوين[9] والعنبر الجيّد[10] الذي كان يرد إلى عمان، ومنها إلى الخليج العربي. وتبلغ مساحتها دوراً نحو أربعين

---

[1] – إبن بطوطة، *الرحلة*، المصدر السابق، ص 172.

[2] – فليجة، أحمد نجم الدين، *إفريقيا دراسة عامة وإقليمية*، مركز الإسكندرية لكتاب، 1996 م، ص 427.

[3] – إبن سعيد، *كتاب الجغرافيا*، ص 84.

[4] – أبو عيانة، *الجغرافيا الإقليمية*، المرجع السابق، ص 596.

[5] – إبن سعيد، *كتاب الجغرافيا*، المصدر السابق، ص 83.

[6] – السالمي ، *تحفة الأعيان*، المرجع السابق، ج112/1.

[7] – فاروق عمر، *الخليج العربي*، المرجع السابق، ص 296.

[8] – الحميري، *الروض المعطار*، المصدر السابق، ص 328.

[9] – القزويني، *آثار البلاد وأخبار العباد*، المصدر السابق، ص 82، الإدريسي، *نزهة المشتاق*، ج50/1.

[10] – ياقوت، *معجم البلدان*، المصدر السابق، ج50/5 . ابن مجاور، *تاريخ المستبصر*، ص 266.

فرسخاً ونيف[1]، بينما يبلغ طولها نحو مائة وثمانين ميلاً بحريّـا. والمسافة بينهـا وبـين الأحقاف "الشّحر– ظفار" نحو مائتي ميل، و بها مياه عذبه[2]. وقد أشار ابن مجاور إلى نمط عيش أهلها في القرن السّادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد، فرأى أنّهم كانوا يعتمدون في بعض مأكلهم على ما يوفره لهم اللّصوص الذين يقطعون على المراكب التجارية.

II – الطريق الملاحي إلى شرق أفريقيا

1 – تأثير التيارات والرياح في تحريك الملاحة

قبل أن نستعرض الطريق الملاحيّ الذي سلكه الملاّحون العمانيّون وعرب الجزيـرة في رحلاتهم نحو سواحل شرق أفريقيا، يجدر بنا أن نشير أوّلا إلـى خاصـيات الرّيـاح الموسميّة التي تسوق السّفن التجاريّة المحمّلة بالسلع الثمينة وهي تجوب مياه سواحل شرق أفريقيا. فما هي أنواع هذه الرياح ؟ وما هو المحرّك المساعد للرياح الموسميّة؟

لقد أشرنا سابقا أنّ تيارات المحيط الهندي قد تميّزت بأهميّـة خاصـة مـن حيـث تأثيراتها، ففي القسم الشّمالي من المحيط، أي بحر العرب تجري التّيـارات مـع الرّيـاح السائدة. ويسير تيّار في فصل الشتاء من الشرق إلى الغرب، وتتدفق مياهه من جزر أندمان Andamans من جهة الشرق إلى ساحل الصومال، تدفعه الرّيـاح الموسـميّة الـشماليّة الشرقيّة. وحينما يصل هذا التيّار إلى سواحل شرق أفريقيا، ينحرف جنوبـا ليعبـر خـط الاستواء، ثم ينحرف شرقاً مشكّلاً تيّاراً رجعيّا يمرّ بين خطّي عرض 2 درجة، و5 درجات جنوبا[3]، ويسود عندئذ هبوب الرّياح الموسميّة الشماليّة الشرقيّة التي تهب من شهر نوفمبر إلى إبريل من كلّ عام[4]، لتصل بالعرب إلى سواحل شرق أفريقيا. وهناك رياح تهبّ مـن

[1] – يورد إبن مجاور رواية أخرى على أن مساحتها دورا تبلغ نحو ثمانين فرسخاً ونيف، وتعتبر أكبـر الجـزر البحرية قاطبة وهي أرض زراعية يزرع بها النخيل والذرة والحنطة، كما تتميز الجزيرة بثروتها الحيوانيـة كالإبل والضأن التي تقدر حسب الإشارة " بالآلاف المؤلفة "*تاريخ المستبصر*، ص 266.

[2] – ابن سعيد، *كتاب الجغرافيا*، المصدر السابق، ص 102. الأحقاف، حسب رواية الجوهري، هي ديار عـاد. يقول الله تعالى "واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف. وقيل الأحقاف جبل" محيـط بالدنيا مـن زبرجـدة خضراء تلتهب يوم القيامة فتحشر الناس من كل الأفق. وهناك رواية على أن هذا الجبل اسمه " تاف " كمـا يروى أن الأحقاف هو ما اعوجّ واستطال من الرمل، ويطلق إسم الحقف أيضا على الجبل والرمل والحـائط، الخ، ابن منظور، *لسان العرب*، المصدر السابق، ج 3/ 255 – 266.

[3] – جودة حسين، *جغرافية البحار والمحيطات*، المعارف الاسكندية،2000م. ص 204.

[4] – Kingsnoth,G.M. *Introduction to the history of East Africa*, .p.1 .جودة حسن *جغرافية البحار*، ص204.

الجنوب إلى الغرب في شهر مارس لتعود بهم إلى السواحل الشرقيّة لجزيرة العرب[1]. وقد ارتبطت الملاحة العمانيّة نحو سواحل شرق أفريقيا ارتباطا تامّا بمواعيد تلك الرّيـــاح. ولا تخلو الملاحة إلى تلك السّواحل من مخاطر، فلقد أكّد المسعودي"أنّ خليج بربـــرى موجـــه عظيم كالجبال الشواهق وأنّ موجه أعمى". ومعنى ذلك أنّ موجه يرتفـــع تـــارة كالجبـــال وينخفض طورا كأدنى ما يكون من الأودية ولا يظهر فيه زبد، حيث يتكسّر كتكسّر ســـائر أمواج البحار الأخرى، وقد وصفوه بالمجنون. وكان العرب من الأزد العمانيّين هم الـــذين يبحرون فيه، وحين يتوسّطونه يرتجزون قائلين:

بربري وحفوني   موجك المجنـــون

حفوني وبربري   وموجها كما ترى[2]

وتؤكّد بعض الدراسات أنّ هذه القبائل انتشرت على نطاق واسع في مناطق متعـــدّدة من الخليج العربي كمنطقة "هزو" و"ركدان"، والبصرة. وكانت صـــلاتها واســـعة بـــشرق أفريقيا[3]. و للأزد العمانيين خبرة واسعة بشؤون الملاحة بحكم تضاريس بلادهم البحريـــة الممتدة نحو الأقاليم الاستوائيّة الممطرة والمطلّة على ضفاف المحيط الهندي. فقـــد امتـــد نشاطهم الملاحي والتجاري إلى ساحل شرق أفريقيا منذ وقت مبكر يعود إلى النصف الثاني مـــن القرن الأول الميلادي[4]. فما هي الموانئ التي انطلق منها الطريق الملاحيّ نحو تلك الوجهة ؟

2–أبرز طرق الملاحة البحريّة:

يبدأ الطريق البحريّ، من موانئ الخليج العربي كالبصرة والأبلة مـــرورا بـــسيراف. فتبحرالسّفن إلى صحار ومسقط وهما الميناءان الإستراتيجيان على ساحل عمان، فتتـــزوّد منهما بالماء والغذاء، ثمّ تسير مباشرة نحو الجنوب، وتدور حول السواحل العمانيّة حتّـــى تصل رأس الجمجمة "رأس الحدّ"[5]، ثم تسير مباشرة إلى رأس حاسك، ومن هناك تواصـــل سيرها نحو مرباط، التي كانت فرضة رئيسيّة لظفار في العصورالوسطى، في رحلة تقدر

---

[1] – المعمري، أحمد بن حمود، *عمان وشرق أفريقيا*، ترجمة محمد أمين، وزارة التراث مسقط 1979 . ص 41 .
Hollingsworth, .A. *Shortcry of the East coast Africa*. London 1949.p 2-3.Kingsnoth,G.M. *Introduction* .op cit .p.1

[2] – المسعودي، *مروج الذهب*، المصدر السابق، ج1 /81.

[3] – Radhi Daghfous,op.cit.p.90-93. أندرو وليا مسون، *صحار عبر التاريخ*، ص47.

[4] – Kingsnoth,G.M. *Africa south of the Sahara* , Cambridge. 1962. p. 8

[5] – المسعودي، *مروج الذهب*، المصدر السابق، ج1/ 83.

بأربعة أيام[1]. ثمّ تواصل رحلتها إلى ريسوت ومنها إلى ساحل الشحر في بلاد مهرة مروراً بشرما، وتسعا، وأبين، ولحج حتى تصل عدن التي تعتبر أهم مرسى لبلاد اليمن[2]. ومن هناك تعرج إلى خافوني في رحلة تستغرق نحو أربعة أيّام[3]، مستعينة بالرّياح الشماليّة الشرقيّة والتيارات المساعدة لها. ثم تدور حول رأس جردافوي ، وتبحر منه عبر سواحل الصومال الشرقيّة حتّى تصل إلى مقديشو، ومنها تعرج مباشرة إلى مركة. ثمّ إلى براوة في رحلة تستغرق يوماً واحداً[4]، ثمّ تواصل رحلتها إلى لامو، و"باتا"pate". والمسافة إليها نحو ستّة أزوام عند ابن ماجد[5]. وقد تتزوّد السّفن منها بالماء والمؤن اللازمة، وعندئذ تبحر على الساحل إلى مدينة مالندى في رحلة تستغرق نحو ثلاثة أيّام. وربّما تتوقف فيها أو في "كيلفى" لبضع الوقت، ومنها تبحر إلى ممباسة في رحلة تستغرق نحو يومين. وقد ذكرها الإدريسي في كتابه "نزهة المشتاق" أنّها مدينة صغيرة كان يقطنها الزنج"[6]. ويشير أبو الفداء في "تقويم البلدان" أنّ ممباسة تقع على البحر. وفي ناحية الغرب منها خور طويل يمتدّ نحو البرّ، حيث يصل طوله نحو ثلاثمائة ميل تدخله المراكب التجاريّة[7]، ثمّ تواصل إبحارها على الساحل في اتّجاه مغيب سهيل حتّى تصل واسينى "الجزيرة الخضراء" bamba" حاليّا، وتعرج منها إلى رأس الحمارين، "رأس جزيرة زنجبار الحاليّة "[8]. وأخيراً تسير في رحلة مباشرة إلى ناحية الجنوب حتى تصل إلى كلوة، ومنها تواصل رحلتها بمحاذاة الساحل حتى تصل سفالة الزنج "موزنبيق الحالية"[9]. وهناك طريق يخرج من

---

[1] – الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ج1/ 56 ، 57، القزويني، ***آثار البلاد وأخبار العباد***، ص 61.

[2] – إبن خرداذبه، ***المسالك والممالك***، ص61، ابن المجاور، ***تاريخ المستبصر***، ص 270، إبن بطوطة، *الرحلة*، ص 168. حسن صالح شهاب، ***البعد الجغرافي للملاحة العربية***، ص 208.

[3] – إبن بطوطة التحفة، المصدر السابق، ص 168.

[4] – شهاب حسن صالح، ***البعد الجغرافي للملاحة العربية في المحيط الهندي***، المرجع السابق، ص 212.

[5] – شهاب الدين احمد بن ماجد، ***كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد***، المصدر السابق، ص 273، حسن شهاب، ***البعد الجغرافي للملاحة العربية***، ص، 217.

[6] – الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ج1/ 59، ***عمان وتاريخها البحرية***، ص92.

[7] – أبو الفداء، ***تقويم البلدان***، المصدر السابق، ص 152.

[8] – يورد حسن شهاب أن رأس الحمار يوجد، في الجزء الشمالي من جزيرة زنجبار، وهناك رأس آخر لها يوجد في ناحية الشرق اسمه رأس الحمار "منشار" وهما مقابلان للطرف الجنوبي من الجزيرة الخضراء، وبينهما رأس زنجبار" ***البعد الجغرافي للملاحة العربية***، وزارة التراث سلطنة عمان، 2001. ص 224.

[9] – المسعودي، ***التنبيه والأشراف***، المصدر السابق، ص 51، الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، ج67/1.

ممباسة يسير مباشرة إلى "قنبلو" في الجزء الجنوبي. وهي آخر المطاف للتّجار العرب في الفترة الإسلامية[1]. وتشير المصادر أنّ الرّحلة إلى شرق أفريقيا لا تستغرق سوى ثلاثة أسابيع أو أربعة، إلاّ أنّ الوقفات للاتّجار مع الموانئ البحرية تؤخّر الرحلة إلى شهرين تقريباً. أمّا رحلة العودة فتكون مع الرياح التي تهبّ من الجنوب الغربيّ فتوصل التجّار إلى سواحل جزيرة العرب.[2] وتبحر السّفن حين عودتها بمحاذاة الساحل الأفريقي لمواصلة تجارتها أحياناً، في حين أنّ بعض السفن لا تتوقف. وربما صادفها تغيير في الرياح، فحيناً تكون جنوبية غربية، وطوراً شماليّة، والرّياح الأخيرة هي التي تضطرّ السفن للتوقف لبضع الوقت لحين تغيير اتّجاه هبوبها. فإذا ما تيسّرت رحلة مباشرة من شرق أفريقيا دون توقف، فإنّ السفن تصل إلى صور أو مسقط في زمن لا يتعدّى ثلاثة أسابيع أو أربعة، أي قبيل منتصف مايو "أيار" وهو التوقيت الذي تبدأ فيه الرّياح الموسميّة الجنوبيّة الغربيّة. ومعنى ذلك أنّ الرحلة قد تستغرق ذهاباً وإياباً نحو ستّة أشهر. وإذا ما توقفت تصل إلى ثمانية.[3] وأنّ رياح الأزْيَب"رياح جنوبيّة" تهبّ من رأس فرتك إلى مرباط، وهي التي تنقل التّجار إلى سواحل جزيرة العرب[4].

وهناك طريق آخر يبدأ من مرباط أو ريسوت، فيعبر مباشرة نحو "فرتك" ومن ثمّ إلى رأس جردافوي، حتّى يصل بالسّفن إلى رأس حفوني[5] ليلتقي بالقادمة من عدن أو زيلع. وقد حذّر ابن ماجد من الإبحار نحو سقطرى زمن هبوب هذه الرّياح. ويمكن للسّفن العابرة نحو بحر الزنج أن تتّخذ الطريق الذي يمرّ يمين سقطرى تاركة إيّاها في جهة الشمال[6].

III – دور عمان التجاريّ في شرق إفريقيا

لقد ورث العمانيّون الوظيفة الملاحيّة في المحيط الهندي، وعُرفوا منذ بداية الحضارات القديمة بدورهم الملاحيّ وباهتمامهم بصناعة السّفن منذ أن كانت تصنع من

---

1 – المسعودي، مروج الذهب، ج1/81 . Kingsnoth, *introductions* .op. cit. 70

2 – Hollingsworth, .op.c.p.3 .kingsnoth, *introductions* .op.cit. p.1.

3 – ***عمان وتاريخها البحري***، المرجع السابق، ص 94.

4 – إبن مجاور، ***تاريخ المستبصر***، المصدر السابق، ص265.

5 – ***عمان وتاريخها البحري***، المرجع السابق، ص 90.

6 – إبن ماجد، ***كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد***، المصدر السابق، ص 331.

جذوع النخيل[1]. وقد ساعد موقع عمان الجغرافيّ، وتضاريسها البحريّة على نمو هـذه الوظيفـة. فساهموا بدور كبير في نقل تجارة المحيط الهندي المتّجهة إلى الأقاليم الإسلامية. ويمكن أن يطلق عليهم – جوازا – تسمية "أسياد الملاحة والتجارة في مياه المحيط الهندي". وقد بيّنّا فيمـا سـبق أدوارهم في الإبحار إلى الهند والصّين، ونستعرض الآن دورهم التّجاري في شرق إفريقيـا. فمـا هي أهمّ المدن التجاريّة التي ارتبطوا معها بعلاقات تجاريّة ؟ و ما هي السلع المتبادلة بين عمـان وأقاليم شرق إفريقيا خلال الفترة مدار البحث ؟.

إن تاريخ العلاقات التجارية بين عمان وشرق أفريقيا يكاد يكون مجهولاً خلال فترة ما قبـل الإسلام. فلم تتحدث المصادر القديمة عما إذا كانت قد نشأت علاقات تجاريّة بين عمـان وتلـك النّاحية. إلاّ أنّ بعض الباحثين المحدثين يرى أنّه من الثّابت تاريخيّاً أنّ عرب ساحل عمان واليمن والجنوب العربي، قد هاجروا إلى الحبشة والساحل الشرقيّ " ساحل الزنج"، ونشروا ثقـافتهم منـذ وقت يرجع إلى عهد قديم[2]. ولم يتطرقوا إلى الفترة الزّمنية التي تمّت فيها أولى تلـك الهجـرات. ولقد قمت بزيارة ميدانيّة إلى دول شرق إفريقيا، اطّلعت خلالها على ثنايا المخطوطـات وخـزائن الكتب في الأرشيف الزنجباري الذي يضمّ كمّا هائلا من المخطوطات والوثـائق. وبـدا لـي أنّ اهتمامها اقتصر على بداية عهد الدولة البوسعيدية. وتطرّق جـزء كبيـر منهـا للحـديث عـن البرتغاليّين والدولة اليعربيّة التي امتدّ نفوذها إلى الشّرق الإفريقي.

وقد تبيّن لي من خلال زيارتي تلك، أنّ المدونة التاريخية بشرق إفريقيا لم تهتمّ بكتابة تأريخ الفترة مدار البحث،[3] وسنعتمد في هذا المبحث على بعض الملاحظات العارضة في كتب الجغرافيّين وكتابات الباحثين المحدثين من عرب وغيرهم.

تشير المصادر الجغرافية وكتب الرّحالة العرب، أنّ الرّحلات العمانيّة نحـو شـرق إفريقيا قد بلغت ذروتها في القرن الثّالث للهجرة "أهل المراكب من العمانيّين يقطعون هذا الخلـيج إلى جزيرة " قنبلو" من بحر الزنج"[4]. وهناك إشارة أيضا: "ووجدت نواخذة بحر الـصين والهنـد والزنج واليمن والقلزم والحبشة من السيرافيين والعمانيّين يخبرون عن البحر الحبشي"[5]. ويحتمل

---

[1] – حوراني، *العرب والملاحة في المحيط الهندي*، المرجع السابق، ص 28.

[2] – الغنيمي عبد الفتاح مقلد، *الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا*، عالم الكتب، القاهرة، ط1. 1998م، ص 18.

[3] – لقد اعتمد معظم الذين كتبوا عن الساحل الشرقي لإفريقيا، على ما كتبه الفاضل بن عمر بن بورى في كتابيه الزنـوج، والكواكب الدرية، وقد اعتمد على هذه الكتب معظم الذين كتبوا عن شرق إفريقيا. *كيركمان التـاريخ المبكـر لعمـان الإسلامية في شرق إفريقيا*، حصاد ندوة الدراسات العمانية وزارة التراث والثقافة مسقط. 1980. ص 273.

[4] – المسعودي، *مروج الذهب*، المصدر السابق، ج81/1.

[5] – المسعودي، المصدر نفسه، ج97/1.

أنّ السّفن التجاريّة تسلك الطّريق الذاهب نحو عدن بعد خروجها من آخر ميناء عماني "مرباط" لمواصلة تجارتها. ثمّ تعبر مباشرة نحو زيلع التي كانت تصدّر في القرن الثالث الهجري العنبر الجيّد والذبل[1]. ويبدو أن زيلع قد تطوّرت تجارتها مع مرور الزّمن وأصبحت بها حركة تجاريّة ضخمة، حيث تأتي إليها مراكب القلزم الواردة من مصر. وكان العمانيّون يحملون منها الرّقيق والفضة وضروبا من الذهب القليل.[2]

أمّا احتمال أن تسلك هذه السّفن الطّريق الذاهب نحو عدن فهو ضعيف الحدوث[3]. ويرجّح أنّ الطّريق الذي يخرج من ظفار نحو فرتك ثم جوردافوي، هو الأكثر ارتياداً للملاحين باعتبار أنّ السّفن القادمة من سواحل شرق إفريقيا، حين تصل إلى رأس جوردافوى تدفعها رياح الأزيب التي تبدأ من رأس فرتك لتصل بها إلى مرباط[4]. وكذا الحال بالنسبة إلى الرّحلة المغادرة نحو شرق إفريقيا بمساعدة الرياح الشماليّة الشرقيّة، التي تبدأ من شهر نوفمبر إلى شهر إبريل من كل عام[5]. وأيّا كان، فإنّ المسعودي يذكر أنّ العمانيين من أصحاب المراكب الذين يبحرون نحو شرق أفريقية، يزعمون أنّ الخليج الذي يبدأ من رأس جاردافوي يسمّى بالخليج البربري[6]. ولم يذكر فيما إذا كانت بربرة محطّة تجارية في الفترة التي رحل فيها نحو شرق إفريقيا. وأمّا "ياقوت" فذكر أنّها تقع على الساحل بين اليمن وبحر الزنج، وأهلها سودان، وكان اعتمادهم في نمط عيشهم على صيد مختلف الحيوانات المتوحّشة، مثل النمور، والكركدن، والفيلة، والزراف، ممّا يعني أنّها تصدرأثمن أنواع السلع من التجارة العاجية وغيرها.[7]

أمّا مقديشو، فقد ذكر Coupland أنّها قد تأسست على أيدي العرب الحرث في القرن الرابع الهجري[8]. وقد اتّسع نفوذها وأصبحت أهمّ مركز تجاريّ يعمل في تجارة شرق

1 – السيرافي، *الرحلة*، المصدر السابق، ص 89.

2 – الإدريسي، *نزهة المشتاق*، المصدر السابق، ج1/ 44.

3 – يرجّح حوراني، أن تكون السفن المتّجهة نحو شرق أفريقيا، تسلك الطريق الذّاهب إلى عدن لأمرين، اولاهما، أن عدن ميناء تجاري "يجلب النفع"للتجار.أمّا الثاني، والأكثر أهميّة، هو أن السّفن تتجنّب الطّريق الذي يخرج من ظفار نحو رأس فرتك وجوردافوي حتى لا تتعرض لخطر قراصنة الهند في سقطرى. *العرب والملاحة في المحيط الهندي*، ص (230)

4 – إبن مجاور، *تاريخ المستبصر*، المصدر السابق، ص 265.

5 – Kingsnoth, *introduction*, op. cit. p .1

6 – المسعودي، *مروج الذهب*، المصدر السابق، ج1/81-82.

7 – ياقوت، *معجم البلدان*، المصدر السابق، ج1/ 293.

8 – Coupland, R. *East Africa and its vaders* , Oxford , Clarendon Press, 1961.p .23

أفريقيا ومنتجاتها[1]. وكان من أهمّ صادراتها الصندل، والأبنوس، والعنبر، والعـــاج[2]. وقـــد وصفها ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري، أنّها مدينة متناهية في الكبر، وتـــصنع بهـــا الثياب الجيّدة المنسوبة إليها حيث يتمّ تصديرها إلى مصر وغيرها من الـــبلاد العربيّـــة[3]. وكان التجار يواصلون رحلتهم نحو مركة، ومنها يبحرون إلى "بيتـــا" وأرخبيـــل "لامـــو". وهاتان المدينتان قد شيّدهما العمانيون في القرن الأوّل الهجري[4]، وأصبحتا بمرور الـــزمن من المدن التي اكتسبت أهميّة كبيرة في مجال التواصل بين مؤسّسيها ووطنهم الأمّ. وقـــد امتدح أحد الباحثين المحدثين بلدة " بيتا" بأنّها بلد " الأجواد وموطن بس الزباد"[5]. أمّا مدينة لامو، فقد أصبحت مع مرور الزّمن أهمّ مركز تجاريّ[6]. وكانت تعمل في تجـــارة الـــذّهب والحديد والعاج ممّا يجلب من داخل القارة بالإضافة إلى العبيد[7]. ومـــن المـــدن التّجاريـــة الواقعة على الطريق المؤدّي إلى بحر الزّنج ، مدينة ماليندي وبها سلع غاية في الأهميّـــة، حيث اشتهرت بمعدن الحديد الذي يعتبر من أهمّ السلع ذات المردود الجيّد لأهلها، بالإضافة إلى جلود التّمور وضروب من الصّيد البحريّ[8]. وقد وصفها ابن سعيد في القرن الـــسابع الهجري أنّها كانت من المدن المشهورة، ويبلغ طولها نحو ثمانين درجة ونصف الدرجـــة. أما العرض فيبلغ نحو درجتين ونصف وعشرين دقيقة[9]، وأهلها مسلمون سمر البشرة فهـــم عراة الجسم من النّصف الأعلى، ويلقون أجسامهم من الأسفل بمئزر من القطن والحريـــر، وآخرون يرتدون أردية تشبه العباءات بالإضافة إلى أغطية أنيقة يلقونها على رؤوســـهم[10]. وتشير المصادر أنّ هجرة من العمانيّين قد استقرت بالبلدة، وشرعوا في مزاولة الوظيفـــة

---

1 – الغنيمي، *الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا*، المرجع السابق، ص61.

2 – ياقوت، *معجم البلدان*، المصدر السابق، ج4/ 300.

3 – Coupland, op. cit. P. 36. إبن بطوطة ، *الرحلة*، المصدر السابق، ص 169.

4 – عبد الحليم رجب محمد، *العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام*، مطابع النهضة، مـــسقط،1998 ص 205، Coupland,op.cit.p 22.

5 – يقصد بهذا اللفظ، القط أو الهر الذي يستخرج منه مادة الزّباد، وهي مادة لزجة عطرة يتطيـــب بهـــا، ويـــتم استخراجها من غدة عند منبت ذيل القط أو الهر، شهاب حسن صالح، *البعد الجغرافي للملاحة العربية*، ص 217.

6 – Reusch , *History of East Africa*, Stuttgart. 1954. p .75 .76.

7 – Kingsnoth,G.M. *Introduction* . op. cit.p.6.

8 – الادريسي، *نزهة المشتاق*، المصدر السابق، ج59/1. الحميري، *الروض المعطار*، ص 544.

9 – إبن سعيد، *كتاب الجغرافيا*، المصدر السابق، ص 82.

10 – Barbosa D.A , *Description of the coasts of the east Africa and Malabar in the beginning of 16 th century*. U.S.A, 1970.P.P.12–13

التجاريّة. وبمرور الزّمن أصبحت بملندى جالية عمانية كبيرة، حتى أطلق عليها تسمية "عمان الصغيرة"[1]. وفي جهة الجنوب من مالندى توجد "ممباسة"، يواصل التّجار إبحارهم إليها. و كانت أبنيتها ضخمة عالية شيّدت من الحجر، وطلاؤها أبيض، وهي ذات طرق جيّدة. أمّا الناس فهم ذوو بشرة بيضاء شاحبة، وآخرون ذوو بشرة بنّية[2]. وبها ميناء ضخم ترسو به مراكب عمان ومراكب تجارية لدول أخرى. وهناك تجري عمليّة التبادل التجاري بين التّجار العرب وأهل البلدة. ولقد نال العرب احتراماً من قبل الزنوج، فحين يشاهد الواحد منهم أحد العرب، يسجد له تعظيماً لشأنه قائلاً: بلغتهم "**هنيئا لكم يا أهل بلاد التّمر**"[3]. وتتميّز ممباسة بنشاط تجاري واسع، وقد اشتهرت بمعدن الحديد والعاج[4] وجلود النمور والعسل[5]. فهي ذات أسواق عامرة. وكان الزّنوج يحملون إليها تجارتهم على رؤوسهم أوظهورهم من شتى المدن المجاورة[6]. ويواصل التّجار إبحارهم على طول ساحل شرق أفريقيا بدءاً من مقديشو ووصولاً إلى سفالة "موزمبيق أو ديلجادو في الجنوب". وتذكر المصادر أنّ أعدادا كبيرة من عرب الجزيرة نزحوا بشكل متواصل إلى سواحل شرق أفريقيا بدءاً من القرن الثاني الهجري/ الثامن للميلاد وأسّسوا مستوطنات صغيرة. ولعلّ الجدير بالإشارة أنّ تلك المستوطنات تمّ تأسيسها بادئ الأمر فوق الجزر التي تفصلها عن الساحل مساحة ضيقة، حتى يستطيع العرب المشيّدون لها الدّفاع عنها إذا ما تعرضت لهجمات السكان الأصليّين المنتشرين في الدّاخل. ومن أهمّ تلك المدن ماندي ولامو وممباسة[7]. وأصبحت بمرور الزّمن- أي بعد مضى ثلاثمائة سنة- حواضرّ تجاريّة كبيرة اشتغلت بتجارة العاج، وربّما كان من بين تلك المدن زنجبار الحديثة، على اعتبار أنّها كانت تعرف باسم " قنبلو" والتي لعبت دور الوسيط في عملية توفير السّلع. ووصل نموّ تجارة العاج في زنجبارحدّاً كبيراً إذ أنّه قتل حينذاك لأجل تجارة العاج أكثر من مليون

---

1 - المغيري سعيد، ***جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار***، تحقيق عبد المنعم، القاهرة، بدون تاريخ، ص 86.

2 - شوقي عثمان، ***تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية***، المرجع السابق، ص 168.

3 - الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ج1 / 61 .

4 - Coupland, .op . cit . p . 27.

5 - الحميري، ***الروض المعطار***، المصدر السابق، ص 252.

6 - Coupland, . op .cit . P . 38، الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، ج1/ 60.

7 - Morgan, (W.T.W) *East Africa*. London, 1973.p.166.

فيل[1]. ممّا يعنى أنّ زنجبار كانت أهمّ المدن المصدرة للتجارة العاجيّة في شـرقي إفريقيـا خلال الفترة الإسلامية.

وكانت السفن التجارية تبحر لمواصلة رحلتها نحو الجنوب. وقبل مطلع القرن الرابع الهجري تسير مباشرة إلى سفالة "موزنبيق" التي اشتهرت بتجارة الذهب[2]، وكانت تنتج التّبر الكثيرالذي يتميّز بجودته وكبر حجمه، حيث يوجد في التبرة الواحدة "من مثقال إلى مثقالين ذهبا. أمّا طريقة صناعته فإنّ الصنّاع يسكبونه في بواذق بعد صهره بالنار، دون الحاجـة إلى جمعه بالزئبق أو غير ذلك. وبعد أن يتمّ تجهيزه يوسقه ا لتّجار في سفنهم[3].

ويحدّثنا ا لقزويني (ت 682 هـ/1283م) عن طريقة الاتّجار المتبعة في سـفالة أنّ التّجار الذين يأتون إليها حاملين تجارتهم، يضعون أمتعتهم في موضع قريـب مـنهم ثـم يلوذون"يختبئون" برهة من الوقت، ويأتي السودان السوفاليّون، "ويتركون ثمن كـلّ متـاع بجانبه وقد يكون الثمن ذهباً "[4]. وكان الذّهب السفالي معروفا بجودته لدى التّجار العرب[5]. وأنّ التّجار العمانيّين من أصحاب السّفن، هم الذين يقومون بالاتجار مـع تلـك الناحيـة، فيحملون إلى عمان من سواحل شرق أفريقيا شتّى أنواع السّلع الثّمينة. وفي قصة طريفـة أوردها بزرك يرويها عن الناخذه "إسماعيلويه" الذي كان في رحلة من عمان إلى قنبلو، "أن الريح عصفت بمركبه فأوقعته بسفالة(...) [6]

أما جزيرة قنبلو، فقد أشار المسعودي أنّه وجد مرتاديها عربا مـن الأزد العمـانيّين، وأنّ سكّانها مسلمون مع خليط من كفّار الزّنج[7]. ولعلّ العمانيّين كان لهم قصب السّبق فـي الوصول إليها بحكم دورهم التجاري والملاحي. وربما كان بعضهم قد استقرّ بهـا للعمـل كوكلاء تجّار أو نحو ذلك. وقد ذكرها ابن فاطمة – أحد الملاّحين المغاربة الذي نقل عنـه ابن سعيد في كتابه الجغرافيا – باسم جزيرة القمر، وأنها متناهية في الكبر، وذكر أنّ طولها

---

1 - Amir A. Mohammed , A guide to a *history of Zanziba*r. 1997. p.p–1–2 .Coupland, –op.cit.p.27

2 – المسعودي، ***مروج الذهب***، المصدر السابق، ج69/1.

3 – الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ج1/ 69.

4 – القزويني، ***آثار البلاد وأخبار العباد***، المصدر السابق، ص 44.

5 – ياقوت، ***معجم البلدان***، المصدر السابق، ج 3 / 49.

6 – بزرك، ***عجائب الهند***، المصدر السابق، ص 619.

7 – المسعودي، ***مروج الذهب***، المصدر السابق،ج81/1، المسعودي، ***التنبيه والإشراف***، ص 58.

يبلغ نحو أربعة أشهر، ولم يذكر شيئا عن السلع التي كانت تجلب منها[1]. كما أكّد أبو الفداء أنّ بها قوما مسلمين[2]. ولقد أشارت بعض المصادر أنّ أهمّ صادراتها إلى العالم الإسلامي كان المسك والعبيد[3]. وكان يصدّر منها إلى عمان وبلاد الصين وغيرها من دول الشرق الأقصى بكميات كبيرة. كما اشتهرت بتجارة العاج الذي كان يصدّر منها إلى عمان أيضا. بالإضافة إلى الذّبل وجلود النمور والعنبر فائق الجودة وأنواع أخرى من السّلع التجاريّة[4]. وتشير الرّوايات إلى أنه كانت تقطن قنبلو جماعة من الأزد، وكانت تعمل في حقل التجارة[5].

وفي القرن الرابع الهجري / العاشر للميلاد ظهرت مستوطنات عربية كثيرة امتدّت على طول الساحل الأفريقي، وكان أهمّ هذه المستوطنات "كلوة"، فلقد أصبحت محطّة تجارية مهمة[6]، وغدت في مطلع القرن الثاني عشر من أهم المراكز التجارية على الساحل الأفريقي. وبذلك فقد استطاعت أن تمدّ سيادتها إلى سفالة في الطرف الجنوبي وأصبحت تتحكّم فيه أكثر من الجزء الشمالي. وسيطرت على تجارة الذّهب الذي كان يرد إليها من خلال مبادلاتها التجارية، المرتكزة أساسا على الأقمشة المصنّعة بها[7]. وتشير المصادر أنّ سلطان كلوة من المحتمل أنّه قد شارك في عمليات التبادل السلعي. ويستنتج ذلك من تخصيصه قصر حسن كبوا للنّشاط التجاري، بالإضافة إلى تخصيص المبنى الملحق لسكن الوكيل التجاري. ونتيجة لدورها التجاري زادت ثروتها. وقد بيّنت ذلك الاكتشافات الأثريّة التي تبيّن استخدام الحجر كمادة للبناء، بالإضافة إلى استيراد البورسلين أوالفخّار الصّيني بكمّيات تفوق مثيلاتها الإسلامية. كما زادت المسابح الزجاجية، وظهرت بها المسابح الصدفية المصنوعة بها، كما وجدت الطواحين "المجارش" المصنوعة من الحجر الرّملي. كما قامت "كلوة" بدور كبير في تصدير الذهب واللؤلؤ والفضة والبخور والعطور. ولعبت دوراً مهماً في مجال الوساطة في منتجات القارّة التي يتمّ تجميعها في المراكز التجاريّة

---

[1] – إبن سعيد، *كتاب الجغرافيا*، المصدر السابق، ص 84.

[2] – أبو الفداء، *تقويم البلدان*، المصدر السابق، ص 26.

[3] – Coupland,.op.cit.p.20.

[4] – بزرك، *عجائب الهند*، المصدر السابق، ص 166.

[5] – الغنيمي، *الإسلام والسلمون في شرق أفريقيا*، المرجع السابق، ص 50.

[6] – Coupland,.op.cit. p.21-26.

[7] – Basil Davidson, *the Africa cost*, op. cit p.137. Coupland, .op.cit.p.p. 23-27-3

الممتدّة على طول السّاحل الإفريقي[1]. وكانت السّفن تفد إليها من سواحل الخليج العربي والهند حاملة اليها مختلف أنواع السلع[2]. وقد فرض سلطانها رسوما على صادراتها التجاريّة، خصوصاً إلى ممباسة والمستوطنات المجاورة لها، بسبب العداء الذي تأصّل بينه وبين ملك ممباسة. ممّا دفع بهذه المستوطنات إلى تنويع وارداتها التجاريّة من الهند والصين[3]. وأصبحت في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد من أهم المراكز التجارية[4]. وهنا يحضرنا التساؤل عن طبيعة السلع الواردة من إفريقيا الشرقيّة وعن السلع العمانية الصادرة إليها.

1 – السّلع الواردة

كان التبادل التجاري في العصور الإسلامية بين المنطقة العربية والشرق الإفريقي جديرا بالاهتمام. ومن البديهي فان عملية التبادل التجاري تتمّ بين التجار العمانيّين والأفارقة بطريقتين، أولاهما المقايضة، فكان التجّار العمانيّون الذين يذهبون إلى جزر الواق واق في الشرق الأفريقي يشترون أولاد الزنوج بالتّمر مقايضة[5]. أمّا البضائع الأخرى، فيضعها التجّار أكواما في موضع قريب منهم ثم يأتي تجار من أهل الجزر ويضعون بضاعتهم إلى جانب الأكوام الواردة فإذا ما رضي بها التجار الوافدون أخذوها، وإن لم يرضوا تركوها حتى تتمّ المزايدة، ويتمّ البيع بالقبول[6] والتراضي بين التجار. وتشير بعض المصادر الصينيّة أنّ هذا النوع من التبادل التجاري يسمّى بالمبايعة الصامتة، وأطلقوا عليها بتسمية "سوق الشيطان" " Dui Market" أو سوق الشبح Spirit market [7].

أمّا الطريقة الثانية، وهي الأكثر شيوعا في تجارة المحيط الهندي، فتتمّ عادة بالنّقود. إلاّ أنّ سواحل شرق إفريقيّا غالباً ما يكون تعاملها التجاري بالمقايضة. وقد اشتهرت سواحل شرق إفريقيا بسلع كانت غاية في الأهمّية. ولهذا فقد كثّف العمانيّون من زياراتهم لتلك الأصقاع البعيدة فضلا عن تأسيسهم للمدن والمقيميات التجارية. وجلبوا منها صنوفا

---

1 – شوقي عثمان، ***تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية***، المرجع السابق، ص 170.

2 - Morgan, op.cit, p. 199.

3 - Hollingsworth, (L.W) *the Asians of East Africa*, London .1960. p.9.

4 - Basil Davidson, op. cit. p.137.Copland .op.cit.p.p. 23-27.

5 – ابن الوردي، ***خريدة العجائب***، المصدر السابق، ص61.

6 – القزويني، ***آثار البلاد وأخبار العباد***، المصدر السابق، ص 44.

7 – chau ju Kua . op . Cit . p . 104

مختلفة من السّلع أهمّها العاج الإفريقي الذي يعتبر أجود أنواع العاج قاطبــة. وكــان أهــل الصين يستخدمونه في صناعة الكراسي وأغراض مختلفة، وشاع استخدامه لــدى الملــوك والمدنيّين البارزين، والعسكريّين ، وكان العامّة يأتون به كهدايا للملوك الصينيّين.[1]

أمّا في إقليم الهند فقد استخدمه الهنود في مقابض السيوف والخناجر[2]، و بلغ النــاب الواحد منه نحو مائة وخمسين منّاً أو أكثر. وقد ذكر المــسعودي أنّ دور العمــانيين فــي تصدير العاج إلى دول المحيط الهندي، أثّر سلباً على عدم توفره في "أرض الإسلام"[3]. ولقد تعدّدت استعمالاته في دول الشرق، فإضافة إلى ما ذكرنا، كان يستخدم في أبخــرة بيــوت الأصنام وهياكلها، واستعمله النصارى في الكنائس، كما استخدم في زينة النسوة ووصــل استخدامه إلى درجة الإفراط. وقد بالغ Huzzayyen حين قال: "تزيّن الواحدة منهن رأسها بنحو عشرين سنّاً من العاج "[4]. وظلّت تجارته مستمرّة في عمان ومنطقة الخليج العربــي طيلة العصور الوسطى. ولقد رآه ماركوبولو في هرمز حين زارها فــي القــرن الــسابع الهجري /الثالث عشر للميلاد[5].

وقد زاد الطّلب الصيني على المنتجات الإفريقية في القرن الخامس الهجري الحــادي عشر للميلاد، فيذكر Basil أنّ الصين كانت تستورد في الفترة من1049م إلــى 1053 م كميات كبيرة من العاج والبخور، إذ وصل استيرادها السّنويّ من عاج قرون الكركدن نحو أكثر من ثلاثمائة وخمسين وحدة حسب نظام السّجلات الصينية في نظام سجلّ الإحــصاء السنوي. وفي عام 509هـ/1115 م ارتفعت الإحصائية السنوية إلى نحو خمسمائة ألــف وحدة[6]. وقد ساعد ذلك على الاتصال المباشر بين الصين والمراكز التجارية في ســواحل شرق إفريقيا، التي ساهمت بدور كبير في دفع عجلة الميزان التجاريّ إلى منطقة الــشرق الأقصى. ما من شك أنّ العمانيين احتكروا التجارة العاجيّة الواردة من الشرق الأفريقــي، وكان يتمّ تجميعه في عمان في مخازن كبيرة، وتشير المصادر بأنهــا "أصــبحت مخزنــا

---

[1] - Basil Davidson; op.cit.p.179.

[2] - Basil Davidso .op .cit.p.180. Coupland, op.cit.P.20.

[3] - المسعودي، *مروج الذهب*، المصدر السابق، ج287/1.

[4] - Huzzayyen.op.cit .p.211.

[5] - ماركو بولو، *رحلات ماركوبولو*، المصدر السابق، ج 1/ 78.

[6] - Basil Davidson, *The lost cities of Africa*, USA ,1959. P .187 .

رئيسيا له، ثمّ يعاد تصديره إلى الهند والصين[1]. وكان العاج يرد من زنجبار التـــي تـشير المصادر أنّها تعتبر أهـــمّ مصدّر لعاج الكركـــدن وأنياب الفيلة[2]. كما يرد من جــزر الواق واق[3]. وفي القرن الرابع الهجري/ العاشر للميلاد ظهرت "كلوة" كأهمّ مركز تجاريّ في شرق أفريقيا لتجميع التجارة العاجيّة. وفي بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عــشر للميلاد، كانت مجمّعاً تجاريّاً ضخماً، وكانت تصدر كميات كبيرة من العـــاج الإفريقــي[4]. بالإضافة إلى سلع أخرى متعدّدة، كانت ترد إليها من المستوطنات العربية بشرق إفريقيـا التي أسّسها العمانيون وعرب الجزيرة ابتداء من مقديشو ووصولا إلى سفالة[5]. وكانت هذه المستوطنات تقوم بجمع العاج من التجّار الأفارقة القادمين من داخل القارة، ثم يتمّ شـــحنة وتجميعه في كلوة[6] ومنها تحمله السفن العمانيّة أو العربية وغيرها.

وضمن التّجارة الواردة في العصور الإسلامية، تجارة الرقيق التي أخذت حيّزاً كبيراً في النشاط الاقتصادي للدولة الإسلامية. ولقد شكّل الرقيق ظاهرة اجتماعيّة ظلّ يعاني منها المجتمع الإسلامي ردحاً من الزمن. ورغم أنّ الإسلام كان له موقف واضح من المسألة، إذ حـــضّ على عتق رقـــــاب العبيد[7]، إلاّ أنّه ترك مجـــالاً كبيراً لامتلاكهم[8]. وقد أدّت هذه الإباحة في العصر الإسلاميّ إلى تدفق أعداد كثيرة منهم، حيث غصّت بهم قصور الأمراء والخلفاء وقصور التّجار وغيرهم. وقد اشتغل التّجار العمانيّون بجلب الرقيق من مختلـــف الأقاليم التي يتاجرون معها. ولقد أشرنا في موضع سابق أنّ صحار كانت معقـــلا كبيـــراً لتجارة الرق. فمنها تجري عمليّة التوزيع إلى أسواق خليجيّة. ويـــروى أنّ أحـــد التجّـــار العمانيّين الذي كان يتاجر في الرقيق، قد خسر في حريق وقع ســـنة 324 هـــــ/ 935 م أعدادا كثيرة من العبيد فأحرق له من السود سوى البيض نحو أحد عشر ألفا. واحترق لـــه

---

1 - Coupland,.op.cit.p.20 . المسعودي، *مروج الذهب*، المصدر السابق، ج/287.

2 - Amir Amohammed Zonzlear East AfrIca P P 1-2

3 - ابن الوردي ، *خريدة العجائب*، المصدر السابق، ص 61

4 - Coupland,. op.cit. p.p 26 – 27

5 - o p . cit . 38

6 - Basil Davidson, *The lost cities of Africa*.oP.cit .p.17.

7 - يقول الله تعالى: "وفي الرقاب والغارمين.. "وهو فك رقاب الأرقاء، وذلك بشرائهم وعتقهم سورة التوبة آية رقم (60).

8 - فأنكِحُوا الأيَامى منكم " أي زوجوا الأيامى والأيم من لا زوج لها، ومن لا زوجة له من (عبيدكم الصالحين) الذُّكور. وقوله تعالى " إمَائِكم " أي المملوكات من الإناث ، سورة النور آية رقم (32 – 33) أنظر أيـــضا سورة الأنفال الآية رقم (69) وقوله تعالى : (فَكُلُوا ممّا غَنِمتُم حلالاً طيباً).

من البضائع النفيسة والعطور ما لا يعدّ، إلا الكافور، فقد احترق له أربعمائة بركة، والبركة تساوي خمسين جرّة[1]. وكانت شحنات الرّقيق ترد إلى عمان من سواحل شرق إفريقيا بكميات كبيرة، إذ يروي أحدُ تجّار الرقيق المشهورين بعمان، أنّه جلب من سفالة الزنج في مركب كان يملكه نحو مائتي عبد ، وباعهم في سوق الرقيق بعمان[2].

وكانت تجارة الرقيق بمختلف أحوالها مربحة، لذلك فقد وصل ثمن الزنجي الجيّد بعمان ما بين خمسة وعشرين إلى ثلاثين ديناراً[3]. إذ أنّ العمانيين الذين استقرّوا في أرخبيل "لامو"اعتمدوا في تجارتهم على اصطياد العبيد من مختلف مدن سواحل شرق أفريقيا[4]، واستعملوا أعداد كبيرة منهم في خدمتهم وفي أعمال الزراعة وخدم البيوت، ويصدّر الفائض منهم إلى عمان ومنطقة الخليج العربي[5]. فكانوا يجلبون الرقيق من بلاد زيلع في الحبشة، ومن زنجبار وأرخبيل "لامو"، إضافة إلى سلع أخرى[6]. وقد أسّست مع مرور الوقت، وكالات تجارية في كل من سفالة وبعض الموانئ التجارية المهمة في مدن شرق أفريقيا، خصوصاً تلك التي تقترب من زمبابوي[7]. ولقد ذكرت بعض المصادر أن ملايين العبيد قد جلبوا من داخل القارة، وتم تجمعيهم في معاقل أو حظائر خصصت لتجميع الرقيق التجاري الذي يتم تصديره للخارج. ومن هذه المدن زنجبار وميكنداني ومتوارا وكلوة[8] .

أمّا الجنس الأبيض من الرقيق الذي يجلب إلى عمان، فكان يؤتى به من الهند والسند وإقليم خراسان وبلاد فارس[9]. وقد حرص تجار الرقيق على تزيين الجواري قبل عرضهن في السوق كتمشيط الجارية ودهانها وكحل عينيها[10]. ولقد جرت العادة أن يباع الرّقيق في عمان بطريقتين؛ إمّا بالمناداة أو بالمساومة.[11] ويطلق على الأنثى أمة[12] وعلى

---

1 – الاصطخري، *المسالك والممالك*، المصدر السابق، ص139، *سيرة ابن مداد*،المصدر السابق، ص58. العاني، عبد الرحمن عبد الكريم، *تاريخ في العصور الإسلامية الأولى* ، ص197.

2 – بزرك، *عجائب الهند*، المصدر السابق، ص 62 أبي سعيد المغربي، *كتاب الجغرافيا*، ص 99.

3 – متز آدم، *الحضارة الإسلامية*، المرجع السابق، ج1/ 279، بزرك، *عجائب الهند*، ص 60.

4 – Kingsnoth op cit . p.p 6 -9 .

5 – Kingsnoth, OP . cit . P . 8

6 – الإدريسي، *نزهة المشتاق*، المصدر السابق، ج1/ 44.

7 – Kingsnoth . op. cit, p . 8 .

8 – Amur A-mohammed .Op cit. P.4

9 – النزوي، *المصنف*، المصدر السابق، ج30/ 94، 232.

10 – النزوى، المصدر نفسه، ج 24/ 142.

11 – النزوى المصدر نفسه، ج 16/ 86.

12 – النزوى، المصدر نفسه، ، ج24 / 142.

الذكر عبد[1]. وهناك صنف من العبيد المهجنين، يطلق عليهم إسم البياسرة وواحدهم بيسر[2]. وقد ذكر المسعودي هذا الصنف في معرض حديثة عن صيمور ببلاد الهند قائلا: "معنى قولنا البياسرة يراد به من ولدوا من المسلمين بأرض الهند يدعون بهذا الاسم[3]. ولنا أن نعتقد أنّ بعضا من هؤلاء قد نزح إلى منطقة الخليج العربي قصد التجارة. وهناك احتمال آخر، وهو أنّهم قد جلبوا كرقيق وتمّ بيعهم في أسواق منطقة الخليج العربي، واندمجوا بين السكان العرب الأصليين. وهذا الصنف موجود في المنطقة إلى وقتنا الحاضر؟

لقد اكتسبت تجارة الرقيق في منطقة الخليج أهميّة بالغة في العهود الإسلامية الأولى. ويرجع سبب ذلك إلى النمو الاقتصادي الكبير في الدولة الإسلامية. وإلى مظاهر الترف والتّطور الاجتماعي والازدهار التجاري وما نتج عن ذلك من ظهور طبقة الرأسماليّين. وقد ساعدت هذه العوامل إلى الحاجة للأيدي العاملة في مجال الزراعة أوفي خدمة قصور الخلفاء والأمراء والتّجار أوفي الجيوش أحياناً. ففي مجال الزراعة، ذكر ناصر خسرو الذي ولد عام 394 هـ/ 1003م أنّه عندما كان بالإحساء وجد أبا سعيد الجنابي قد ترك ستّة أبناء يديرون شؤون الحكم ويصدرون المراسيم والأوامر، وكان لهم نحو ثلاثين ألف عبد زنجي يعملون في إدارة الزراعة والحدائق[4]. وتشير المصادر أنّ إقطاعيي العراق ومالكي الأرض الواقعة شمال الخليج العربي والممتدّة بين البصرة وواسط ، يملكون أعدادا كبيرة من الزنج. ولقد أنيط لهم كسح الأراضي السبخة من الملح المجتمع فوقها على شكل كثبان في منطقة المستنقعات المحصورة بين النهريين بهدف استصلاحها وزراعتها.[5] وقد درّ هذا العمل ربحاً كبيراً للتجار. وقد شكّل العبيد طبقة في جسم الدولة العباسيّة أرادوا من خلالها أن ينتقلوا من طور الرقّ والعبوديّة، إلى طور الثورة بهد ف تحسين أوضاعهم الاجتماعية والسياسيّة[6].

---

[1] – الكندي، *بيان الشرع*، المصدر السابق، ج5/ 294.

[2] – النزوى، *المضيف*، المصدر السابق، ج 15/4.

[3] – المسعودي، *مروج الذهب*، المصدر السابق، ج137/1.

[4] – ناصر خسرو، *سفرنامة*، المصدر السابق، ص 159. لقتنانت كولونيل سير أرنولدت ويلسون، *تاريخ الخليج*، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث، مسقط 1988، ص 54.

[5] – تذكر المصادر أن هؤلاء لا يتقاضون من الأجر شيئا وكانوا يقتاتون على التمر والدقيق، ولعل هذا الوضع الاجتماعي السيئ، هو الذي حفزهم على الثورة التي حدثت في العراق. العقيلي، محمد أرشيد، **الخليج العربي في العصور الإسلامية**، المرجع السابق، ص150.

[6] – قدري قلعي، *الخليج العربي، بحر الأساطير*، المرجع السابق، ص271.

كما جلب العمانيّون سلعا غاية في الأهمية مثل الذّهب. وتعتبر سفالة أهمّ المدن التي اشتهرت بإنتاجه، بالإضافة إلى جزر الواق واق.[1] ويذكر الإدريسي أنّ أهل سفالة كانوا يفضلون النحاس في استخداماتهم، بينما الذهب لا قيمة له عندهم[2]. وتشير بعض المصادر أنّ سفالة أصبحت هي المركز الرئيسي لتصدير الذهب إلى المنطقة العربية[3]. كما يؤكّد البيروني على جودته فيقول: "وبسفالة الزنج ذهب غاية في الحمرة"[4]. وفي مطلع القرن السادس الهجري/ الحادي عشر للميلاد، احتكرت كلوة تجارته، وكان يجلب إليها من سفالة والمستوطنات الأخرى المتّصلة بها[5]. ويؤكّد ابن بطّوطة في القرن الثامن الهجري أنّ الذهب كان يجلب إلى سفالة من بلاد "يوفي" التي كانت تقطنها قبائل الليميين[6]، ومنها يحمله التّجّار إلى وجهاتهم التجارية. وعلى نحو أدقّ، أكّد ابن ماجد في أرجوزته السفاليّة أن العمانيّين كانت تربطهم علائق قويّة بسفالة، مؤكّدا أنّ الذهب يقع منها في مناطق تبعد نحو شهر[7].

وإضافة إلى الذّهب جلب العمانيّون "الحديد "[8]، وتنتج سواحل شرق إفريقيا أجود أنواعه. وقد حظي بمكانة كبيرة بين السلع الواردة، إذ كانت تصنع منه السيوف والخناجر

---

1 - إبن الوردي، ***خريدة العجائب***، المصدر السابق، ص63.

2 - الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ج1 /79، 80.

3 - Basil Davidson, *The lost cities of Africa* .op .cit . p .108 . kingsnorth .Op .cit .p.8.

4 - البيروني، ***الجماهر في معرفة الجواهر***، المصدر السابق، ص 239، يروى أنّ التجار الباحثين عن الذهب كانوا يأتون إلى موضع المتاجرة فيجيء رؤوسا القوم فيكبلونهم بالأصفاد، ثم يأتون بمقدار الفدية إلى التجار ذهبا وعند ئد تفك القيود عن الرؤساء. البيروني ص239.

5 - Coupland, .op.cit.p.26 .Basil, *he lost cities of Africa*.op.cit.p.117

6 - إبن بطوطة، ***الرحلة***، المصدر السابق، ص172.

7 - أحمد بن ماجد، ***ثلاثة أزهار في معرفة على البحار***، تحقيق ثيودرشومسفكي، ترجمة محمد منير مرسي القاهرة 1969. ص42.

8 - يقول الله عزّ وجلّ "لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم النّاس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس. سورة الحديد (25) وقد أورد البيروني في ***كتاب الجماهر***، ص248 أن للحديد فؤائد جمة فتصنع منه القيود والسلاسل والأغلال لردع الجناة، وينقسم الحديد إلى صنفين أحدهما يسمى النرماهن ويعتقد أن هذه الكلمة أصلها فارسي. أما النوع الثاني فهو صلب ويسمى الشابرفان، كما ينقسم الرماهن إلى صنفين فالصنف الأول المعدن نفسه،أما الثاني أسمه بالفارسية دوصا، أوست، ورد ،وهذا النوع شديد الصلابة، براق يصل إلى الفضة وقد صنعت سيوف الروم والروس والصقالبة من حديد الشابرفان ويسمي بعض هذه الأنواع بالسيوف القلعية وهناك أنواع أخرى كالهندية واليمانية والمشرفية وهي تأتي من الهند واليمن.

والرماح. وكان يرد من سفالة[1] وملندى[2] وتعتمدان عليه في تنمية العائدات التجارية، فهو"جلّ مكسبهم"[3]. وقد ذكر ابن سعيد أنّ "الحديد كان يصدّر منها ويعمّ جميع البلاد، بالإضافة إلى كمّيات كبيرة منه يتمّ تصديرها إلى خارج بلاد الزنج"[4].

كما عرفت سواحل شرق أفريقيا بأنواع من المواد العطرية الجيدة، كان أهمها العنبر، فلقد نقله العمانيّون من شرق إفريقيا ضمن تجارتهم المتبادلة. وكان يرد من ملندى ومقديشو وزنجبار بكمّيات كبيرة.[5]

وقد نال العنبر شهرة في الأسواق العربية في العصور الوسطى، وظلّ يتداول على نطاق واسع بين طبقات المجتمع الإسلامي بشكل عام. إذ نجد في السوق الواحد أنواعا مختلفة منه، ولكن يعدّ العنبر الشّحريّ الأشهر لجودته وارتفاع قيمته، إذّ أنه يصنف في المرتبة الأولى، ويأتي بعده من حيث الجودة العنبر الزنجي، أمّا المرتبة الثالثة فقد احتلّها العنبر الشلاهطي أو الهندي الذي يؤتى به من بحر شلاهط أو منطقة الهند[6].

ويشار أيضا أنّه يرد من بلاد مهرة، وأورد المسعودي "أنّ التقاطه هناك يتمّ بواسطة نجب كان يمتطيها الراكب، فإذا ما أحسّت بالعنبر قد قذفه البحر على الساحل بركت عليه، يتناوله الرّاكب. وكان الأزرق مدوّر الشكل الذي يشبه بيض النعام، أجود أنواعه"[7]. ويتميّز العنبر برائحة عطريّة زكيّة إذا ما احترق، وهو يأتي على شكل قطع صلبة. وقد احتلّ مكانة كبيرة بين المواد العطرية الواردة. واختلفت الآراء حول مصدره، فيروى أنّه كان يعثر عليه في قاع البحر كالإسفنج ويلقيه الموج على الشاطئ. ويفسّر آخرون أنّه يستخرج من الحوت[8]. ويزعم البعض أنّه ينبت في البحر فيأكله الحوت ويموت بسببه.

---

[1] – الوردي، ***خريدة العجائب***، المصدر السابق، ص61.

[2] – الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ج1/ 59.

[3] – الحميري، ***الروض المعطار***، المصدر السابق، ص 544.

[4] – إبن سعيد، ***كتاب الجغرافيا***، المصدر السابق، ص83، 36، Coupland op . cit . o p . 36.

[5] – ***عمان في التاريخ*** ، المرجع السابق، ص188. القزويني، ***آثار البلاد وأخبار العباد***، المصدر السابق، ص 62.

[6] – اليعقوبي، مختصر *كتاب البلدان*، المصدر السابق، ص366، chau . ju kua op . cit . p 116

[7] – المسعودي، ***مروج الذهب***، المصدر السابق، ج1 / 113.

[8] – نعيم زكي، ***طرق التجارة الدولية ومحطاتها***، المرجع السابق، ص229، المسعودي، *مروج الذهب*،ج113/1، القزويني، *آثار البلاد وأخبار العباد*، ص47، هايد، ف. ***تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى***، المرجع السابق، ص571.

وتجلب من شرق إفريقيا أيضاً الأخشاب الثمينة كالأبنوس والصندل والسّاج، وكانت ترد من سواحل مقديشو وزنجبار[1]. وأنّ خشب الأبنوس أفضل أنواعه الحبشيّ، حيث يعتبر من الأخشاب الفخمة، وشكله أسود، ويتميّز عن غيره بأنّه ليست به طبقات ويستعمل خشب الأبنوس في صناعة الأثاث الفخم[2]. أمّا الهندي منه فهو أبيض. وهناك صنف آخر ياقوتي. وفيما يتعلق بخشب الصندل فقد أشرنا سابقا أنّه توجد منه ثلاثة أنواع "الأحمر والأبيض والليموني" والنوع الأخير هو أفضله، وقام التّجار العرب بنقله من شرق أفريقيا إلى عمان ومنطقة الخليج العربي بكميات كبيرة[3].

وهناك أنواع أخرى كانت قد وردت ضمن قائمة السّلع التجارية القائمة بين عمان وشرق أفريقيا، وكان من أهمها جلود النمور ذات الجودة العالية، وكانت ترد من مالينـدي وممباسة. وتشير المصادر أن أهل ممباسة كانوا يحملون الجلود من داخل القارة إلى بلادهم وإلى مالندي، ثم يأتي أصحاب المراكب من أهل عمان وغيرها من أجل شرائها. وتتميّز جلود النمور الزنجية بلونها المشوب بالحمرة وبرطوبتها[4]. وتعدّ جزيرة "قنبلو" من المراكز التجارية المهمة التي كانت تجلب منها جلود النمور[5].

وفي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد، اشتهرت كلوة بوارداتها من الفضة واللّؤلؤ والبخور والعطور وغير ذلك.[6] ويبدو أنّ كلوة لعبت دوراً مهما كوسيط تجاري بين مدن داخل القارة والمستوطنات التجارية في الساحل الشرقي لأفريقيا، وبين التجار الوافدين.[7]

2- السلع الصادرة

أمّا البضائع التي حملها التجار العمانيّون إلى شرق أفريقيا، فلم تذكرها المصادر التي عاصرت الفترة الوسيطة. غير أنّنا نجد إشارة إلى التّمور العمانية ذكرها الإدريسي وابن الوردي في معرض حديثهما عن مبادلة التجار العمانيين بتجارة الرّقيق. ويدلّ هذا على أنّ المنتجات

---

[1] - القز ويني، ***آثار البلاد وأخبار العباد***، المصدر السابق، ص62، عمان في التاريخ، ص188.

[2] - نعيم زكي، ***طرق التجارة الدولية ومحطاتها***، المرجع السابق، ص249.

[3] - نعيم زكي، المرجع نفسه، ص23.

[4] - الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ج1/ 60 – 61.

[5] - ***عمان في التاريخ***، المرجع السابق، ص188.

[6] - شوقي عبد القوي، ***تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية***، المرجع السابق، ص170.

[7] - شوقي عبد القوى، ***تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية***، المرجع السابق، ص171.

العمانية التي تتـــمّ المبادلة التجـــارية بها هي التمر[1]، والحنطة والشعير واللبان[2] والموز العماني. وكان العمانيّون الذين يتاجرون مع "مالندى وممباسة"، يتبادلون التجارة مقايضة مـــع أهـــل هـــذه البلاد ومع أهل جزائر الزابج[3]. ويستنتج من هذا أنّ التجار العمانيّين كانوا يحملون في رحلاتهـــم نحو شرق إفريقيا ضروبا مختلفة من المنتجات العمانية.

---

[1] – ابن الوردي، ***خريدة العجائب***، المصدر السابق، ص61، الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، ج1/ 61.

[2] – ***عمان في التاريخ***، المرجع السابق، ص188.

[3] – الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ج1/60.

الفصل الثالث:

الهجرة العمانية إلى الشرق إفريقيا

I – الهجرة العمانيّة الى شرق أفريقيا

1 – دوافع الهجرة:

نستعرض في هذا المحور دوافع هجرة[1] سعيد وسليمان الجلندانيان، وقبائل الحرث الذين هاجروا من عمان والخليج العربي إلى شرق إفريقيا، وأسّسوا كيانات سياسيّة في أرخبيل لامو "منطقة الصومال" فما هي الأسباب التي دفعت بهذه القبائل إلى الهجرة نحو سواحل شرق إفريقيا؟

تعود أسباب هجرة العمانيّين إلى سواحل شرق إفريقيا إلى الظروف السياسيّة المتعرجة التي مرت بها الخلافة الأموية. فلقد ظهرت في العهد الأموي، حركات خارجية سياسية معارضة انبثقت عنها حروب طائلة مع الأمويين. واتّخذت هذه الحركات من سواد العراق والأقاليم الاسلامية المحيطة بمنطقة الخليج – مثل اليمامة والبحرين – ملاذاً لشنّ غاراتهم. ولم يكتف الخوارج بتهديد الدولة الأمويّة من النّاحية السياسيّة فحسب، بل عمدوا إلى تهديدها اقتصاديّا. فقد هدّدوا تجارة البصرة، وقطعوا خطوطها مع الأهواز والمشرق الإسلامي. وكان من أهمّ الذين تزعّموا الحركة الخارجية في إقليم العراق، فروة بن نوفل

---

[1] – تتعدد أنواع الهجرة ودوافعها، فقد تكون ناتجة عن عوامل ضغط أهمها الصراعات السياسية والمذهبية أو الدينية أو العرقية، وتتم عادة هذه الأنواع من الهجرة حينما يستشعر الأفراد أو الجماعات الخطر، فقد تتم الهجرة إلى دولة أوجهة ما بعيداً عن بلد الخطر، وهناك نوع من الهجرة يندرج تحت مسمى الهجرة الاقتصادية (ضعف الحالة المادية أي الفقر – دوافع اقتصادية) وقد تمارس هذه الجماعات مختلف أنواع الأنشطة في دولة المهجر لتحسين أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية.

وتتعدد الأمثلة على الهجرة السياسية في التاريخ الديمغرافي، فمن أهمها هجرة الرسول (ص) من مكة إلى المدينة، وكان من نتائجها تأسيس كيان الدولة الإسلامية التي تجلت عظمتها وارتفع شأنها، وهناك الهجرة التي حدثت في صدر الإسلام، وهي هجرة المسلمين من مكة إلى الحبشة ، وكان أهم أسبابها الاضطهاد الذي تعرض له المسلمين على أيدي مشركي قريش في مكة بعد هجرة الرسول(ص) منها إذ أنه حين رأي الرسول(ص) ما أصاب أصحابه من بلاء، عرض عليهم فكرة الهجرة إلى الحبشة "لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد .. حتى يجعل الله لكم مخرجاً فيما أنتم فيه". الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي، البداية والنهاية، دار المعرفة بيروت.1998م. ج73/3 و209.

أما الهجرة الاقتصادية فغالباً ما تتم على شكل فردي وبطرق طوعية، وقد تأتي على شكل جماعات (للاتجار) وهذا النمط من الهجرة قد يحدث حين يستشعر أصحاب رؤوس الأموال الخطر على أموالهم لدواع سياسية أو كوارث طبيعية قد تحدث في الدولة المستثمر بها، فحينئذ يتم ترحيل الأموال إلى دولة أكثر أمناً وإستقراراً وهذا النمط من الهجرة يجري به العمل على مرّ الأزمنة. ومثال ذلك حين تعرضت سيراف لهجوم الديلم، نزح أهلها الى صحار واستقروا بها، المقدسي، *احسن التقاسيم*، ص 326.

الأشجعي 37هـ/657م، ثم أعقبة حيان بن ظبيان السلمي سنة 42هـ/662م وهؤلاء كلّهم من الكوفة.[1]

أمّا البصرة فقد عيّن عليها معاوية بن أبي سفيان زياد بن أبيه الذي اعتمد سياسة صارمة ضدّ الخوارج، فقد تعقبهم واضطرّهم إلى النّزوح عنها إلى الأحواز وبعض مناطق الحجاز. وهو ما حدا بمعاوية إلى تمكينه من سلطات أوسع ، فولاه البحرين وعمان. ورغم أنّ سياسة الأمويّين أصبحت شبه مركزية[2]، غير أنّهم لم يستطيعوا أن يبسطوا نفوذهم أو يقضوا على الحركات المنشقة عنهم. فحين تولّى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان مقاليد السلطة، واجه حركة الزبيريين[3]. الذين استغلّوا مقتل علي بن الحسين وثاروا بمكة، وأعلن قائدهم عبدالله بن الزبير نفسه خليفة للمسلمين، وقد ساعدهم موت يزيد وانقسام الأمويين بعد موت معاوية الثاني على استمرارهم في الثّورة[4].

لقد امتدّ الصراع الدائر بين الأمويين والحركات المناوئة لهم إلى إقليم عمان. فحين عين الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، الحجاج بن يوسف الثقفي والياً على العراق 75-93هـ/694-713م، كان من أبرز أهدافه بسط سلطة الحكم الأموي على إقليم العراق والأقاليم الشرقية لشبه جزيرة العرب. ولما كان إقليم عمان يقع إدارياً ضمن ممتلكات الخلافة الإسلامية رغم استقلاله عنها بحكم تضاريسه الجغرافية[5]، فإن الحجاج عمد إلى إرسال عدة حملات لإخضاعه، ولكنّها أبيدت على أيدي العمانيين وباءت بالفشل. وقد أعدّ

---

[1] – الطبري، ***تاريخ الرسل والملوك***، المصدر السابق، ج3/89، 946.

[2] – إبن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، المصدر السابق، ج4/ 228.

[3] – تذكر المصادر، أن الحجاج بن يوسف الثقفي استأذن الخليفة عبد الملك بن مروان 72هـ / 691م لقتال عبدالله بن الزبير فأذن له، وحينئذ توجه الحجاج إلى مكة على رأس جيش يقدر بألفي مقاتل، وهناك رأي آخر على أن عدد الجيش كان نحو عشرين ألف مقاتل، وكان قد تولى قيادته أوّلا قدامة بن مظعون، ثم عزله الحجاج وتولّى هو القيادة ، فسار حتى نزل الطائف وأقام بها شهراً، ويبدوا أنه قد حث الخليفة أن يأذن له بمباغتة إبن الزبير قبل أن يتمكن من جمع أنصاره، فأذن له بذلك، وحينئذ تقدم إلى الكعبة ونصب المنجنيق عليها،وتمكن من قتل عبدالله بن الزبير بعد معارك وحصار دام نحو أشهر. الطبري، ***تاريخ الرسل والملوك***، ج3/1190. الدينوري، ***الأخبار الطوال***، ص 458. خليفة بن خياط، ***تاريخ خليفة بن خياط***، ص 168، اليعقوبي، ***تاريخ اليعقوبي***، ج2/251. البلاذري، ***فتوح البلدان***، ص 63.

[4] – فاروق عمر، ***تاريخ الخليج العربي*** ،المرجع السابق، ص 73.

[5] – لم يعين الأمويين ولادة دائمين على عمان وحتى إن عين فإنه لم يتمتع بسلطة على القبائل العمانية أو المناطق الداخلية من عمان، بل تبقى سلطته اسمية أو شكلية، وغالباً ما تقتصر على المناطق الساحلية كصحار المركز التجاري. المعولي، أبو سليمان محمد بن راشد بن عامر، ***قصص وأخبار جرت في عمان***، مخطوطه تحت رقم (6864) بقسم المخطوطات والوثائق، وزارة التراث سلطنة عمان، ص 15.

جيشاً ضخماً آخر أسند قيادته إلى القاسم بن شعوة المزني، الذي أبحر من البصرة في سفن حتى انتهى إلى عمان وأرسى سفنه في قرية يقال لها "حطاط". وقد سار إليه سليمان بن عباد على رأس جيش من الأزد فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكانت نتيجة المعركة قتل القاسم بن شعوة المزني وأسر بعض أصحابه، أما البعض الآخر فقد لاذ بالفرار[1].

ولمّا علم الحجاج بنتيجة المعركة، اتّخذ عدّة تدابير كان أهمّها تضييق الخناق على أزد البصرة ومنعهم من الاتصال بأزد عمان. ثم كتب إلى الخليفة الأموي عبدالملك يخبره بنتجية المعركة التى خاضها الجيش الأموي في عمان[2]. وحينئذ شرع في تعبئة جيش آخر كان قوامه نحو أربعين ألف مقاتل أسند قيادته إلى مجاعة بن شعوة أخو القاسم الذي كان قد قتله العمانيون في المعارك السابقة. وتشير المصادر العمانيّة أنّ الحملة الثانية كان جلّها من بني نزار الذين يكنّون حقدا لأزد البصرة بسبب مؤازرتهم لأزد عمان.

لقد توجّهت الحملة إلى عمان، فانقسمت إلى قسمين؛ كان قد سلك عشرون ألفا طريق البرّ، فسار إليهم سليمان بن عباد على رأس جيش قوامه ستة آلاف مقاتل، فاقتتلوا قتالا شديداً، وقد حسمت المعركة لصالح العمانيين. فهرب العباسيون إلى منطقة جلفار بشمال عمان[3]. وفي هذه الأثناء وصلت القوات البحرية التي كانت بقيادة مجاعة بن شعوة المزني، وأرست سفنها في قرية يقال لها "البلقعة" بالقرب من بوشر. وحين علم مجاعة بأنّ سعيد بن عباد لم يكن معه سوى عدد قليل من المقاتلين الأزد، باغته بهجوم في بلدة بركاء أحدى الولايات الحالية في جنوب الباطنة، ولم يستطع ابن عباد الصمود أمام جيش مجاعة بهذا العدد. وقد نتج عن ذلك هروب سعيد نحو سلسلة الجبل الأخضر. غير أنّ مجاعة تعقبه وتمكّن من تضييق الخناق عليه، حتى كاد يهلك لولا مدد جاءه من أخيه سليمان بن عباد، الذي تمكّن من إحراق نحو تسع وخمسين من سفن مجاعة التي كانت راسية في البحر قبل أن يصل بجيشه لخوض معركة فاصلة[4] في سمائل أدّت إلى هرب مجاعة.[5]

---

[1] – المعولي،المصدر نفسه، ص 15، السالمي، ***تحفة الاعيان***، ج52/1، مجهول، ***قصص وأخبار جرت في عمان***، المصدر السابق، ص 54.

[2] – السالمي، ***تحفة الأعيان***، المرجع السابق، ج62/1. مجهول، ***قصص وأخبار***، ص54، مايلز، ***الخليج بلدانه وقبائله***، ص67.

[3] – مجهول، ***قصص وأخبار جرت في عمان*** ، المصدر السابق، ص45.

[4] – مجهول، ***قصص وأخبار جرت في عمان*** ، المصدر السابق ، ص96.

[5] – المعولي، ***قصص وأخبار***، *مخطوطة*، المصدر السابق، ص11. مايلز، ***الخليج بلدانه وقبائله***، ص 68 .

ويبدو أنّ الإمدادات الجديدة التي دفع بها الحجاج لتعزيز قواته التي تواصل خوض معاركها مع العمانيين، أثّرت على معنويات سعيد وسليمان. فدفعهما ذلك إلى أن يحملا عائلتيهما ويخرجا من عمان في سفنهما نحو سواحل شرق إفريقيا، وقد لحق بهما قومهما[1]. وتذكر المصادر أنّ الاستقرار المبكر للعمانيّين بسواحل شرق إفريقيا وطّد صلتهم التجاريّة بينهم و بين أهلهم في عمان. وأصبحت السفن العمانية تجوب مياه المحيط الهندي في رحلات منتظمة تنقل خلالها مختلف البضائع المتأتّية من شرق إفريقيا[2] إلى منطقة الخليج العربي وعمان.

أمّا فيما يتعلّق بقبيلة الحرث التي نزحت من منطقة الإحساء إلى سواحل شرق إفريقيا، فسنتحدّث عنها لنتعرّف بهويتها وأصولها.

تنتمي قبائل الحرث إلى عدّة بطون، فهناك بطن ينحدر من بني الحارث بن مالك بن فهم.[3] ثمّ إنّ هناك بني الحارث بن كعب بن اليحمد من أزد شنوءة الذين يسكنون منطقة إبرا بشرقية عمان[4]. ويذكر ابن حزم أنّ بعض قبائل الحرث ينتمون إلى الحارث بن سامة بن لؤي، وهي أحد القبائل النزارية التي كانت بطونها تقطن في الجزء الشمالي من عمان، وشكّلت أحد أهمّ القبائل العمانية من غير الأزد. وهذه القبيلة امتدّ انتشارها إلى البصرة والموصل[5]. فهل تنضوي قبائل الحرث التي نزحت من الإحساء إلى شرق إفريقيا تحت قبائل الحرث النّزارية أم قبائل الحرث الأزديّة التي كانت تقطن عمان و امتد انتشارها إلى إقليم العراق؟

يصعب التّمييز بين حرث نزار وحرث الأزد بسبب تداخل هذه القبائل مع بعضها، ولعدم وجود دليل يبيّن بدقة التقسيمات الديمغرافيّة لاستقرارها وتوزيعها الجغرافي أو انتماءاتها. ولقد قسّم القلقشندي بطون الحرث إلى ثمانية وعشرين بطناً كلّهم ينسبون إلى بني الحارث، وكان منهم نحو خمسة عشر بطناً ينتمون إلى القحطانية، في حين ينتمي الباقون إلى العدنانية[6]. وتشير المصادر أنّ بعض قبائل الحرث كانت تقطن الباطنة فيما بين

[1] – ما يلز، *الخليج بلدانه وقبائله*، المرجع السابق، ص69.

[2] – Kingsnoth,G.M. *Introduction* .. Op.cit .p.6. Coupland,.op.cit.p.p.21-22

[3] – خليفة بن خياط، *كتاب الطبقات*، المصدر السابق، ص220.

[4] – رجب محمد عبد العليم، *العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام*، المرجع السابق، ص210 .

[5] – إبن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، المصدر السابق، ص173 ، 175.

[6] – القلقشندى، *نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب*، المصدر السابق، ص54 – 58.

صحار ودبا[1]، وكانوا يؤيّدون بني نزار في الصراع الذي دار بينهم وبين اليمانيّة سنة 278 هـ/891 م[2]، وأدت نتائجه إلى هزيمة النزاريّين في موقعة القاع بظهر عوتب من قرى صحار[3]. وربما كان من نتائجه أيضاً فرار الحرث إلى أطراف بعيدة كالبصرة والإحساء، إذ يؤكّد العوتبي أنّ كثيراً من القبائل العمانيّة بالباطنة خافت على أموالها فهاجرت إلى أطراف بعيدة عن منطقة الصراع خوفا من البطش بها[4]. فضلا عن أنّ قبائل الحرث كانت منتشرة في منطقة "توام" الواقعة في الجزء الشمالي من عمان إلى البصرة. إذ يؤكّد ابن دريد أنّ بني الحارث تعرّضوا لوقعة مع بني تميم في فترة ما قبل الإسلام، تعرف بوقعة "يوم كلاب" في موضع بالدّهناء بين اليمامة والبصرة.[5]

وقد أشرنا سابقاً أنّ بعض المصادر القديمة أكّدت أن حدود عمان الجغرافية تمتدّ إلى البحرين واليمامة. وكان عبد العز أوعبد العزيز بن معولة قد فرض إتاوة على أهلهما[6]، وكان عامله ورسوله لجبايتها، باقل بن ساري بن اليحمد[7]. ولعلّه من الجائز أن تكون قبائل الحرث قبائل عمانيّة حطّت رحالها في الإحساء أو اليمامة منذ أزمنة موغلة في القدم، إن لم تكن هاجرت من عمان لدواع سياسية أو اقتصادية.

أما فيما يتعلّق بسبب هجرة هذه القبائل من الإحساء إلى سواحل شرق أفريقيا، فتشير المصادر ضمناً لا صراحة أنّ قبائل الحرث السنّية القاطنة بالإحساء تعرّضت لاضطهاد القرامطة الإسماعيليين، الذين يرى البعض أنّ مذهبهم خارج عن الإسلام متطرّف[8]. وهذا هو شأن كلّ الأقلّيات المضطهدة في شبه جزيرة العرب، الذين نزعوا إلى الهجرة إلى مناطق بعيدة عن مواطن الصراع هروبا. ولمّا كانت سواحل شرق أفريقيا مجالا بدائيا رحبا، فقد اتّخذها العمانيّون وعرب الجزيرة مهجرا لهم.

---

[1] – دبا، محلة كان بها سوق من أسواق العرب قبل الإسلام، وهي تقع في الجزء ا لشمالي من عمان، وتعتبر أهم مرفأ للسفن التجارية.

[2] – ما يلز، ***الخليج بلدانه***، المرجع السابق، ص76 – 86 .

[3] – الأزكوي، ***تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة***، المصدر السابق، ص68.

[4] – العوتبي، ***الأنساب***، ج2/ 313 – 314.

[5] – ابن دريد، ***الاشتقاق***، المصدر السابق، ص21.

[6] – لمعرفة الحدود الجغرافية لعمان في الفترة قيد البحث راجع الفصل الجغرافي والبشري.

[7] – العوتبي، ***الأنساب***، المصدر السابق، ج2/ 246.

[8] – Reusch .op.cit.p.89.

2-أمثلة أفاق الهجرة:

أ- هجرة بنـي الجلنـدى

تعرف هجرة بنو الجلندي بإسم هجرة سعيد وسليمان إبني الجلندى، ويمكن أن نسمّيها جوازاً بهجرة بني الجلندى. وقد أشرنا في معرض حديثنا عن دوافع هجرتهما إلى سواحل شرق أفريقيا أنها كانت حوالي عام 83 هـ/ 702 م لأسباب سياسيّة في إطار صـراعهما مع جيوش الأمويين .[1]

وتجدر الإشارة إلى أنّ المصادر العمانية والعربية وحتّى الأوروبية والإفريقيـة، قـد تضمنت توثيقا يكاد يكون غامضاً هزيلاً ولا يعطي دلالة يعتدّ بها. ويشير أحـد الدّارسـين المحدثين ممن عكف على دراسة تاريخ شرق أفريقيا للفترة الإسلامية وقام بمسوحات أثريّة واسعة في كل مدن شرق إفريقيا، أنّه لم يتوصّل إلى أدلّة مفيدة نظراً لعدم وجود أبحاث في العمارة العمانيّة، و"لصعوبة التمييز" بين المنتجات العمانية ومنتجات العالم العربـي[2] فـي الفترة الإسلامية الوسيطة. كما أنّ المصادر الإفريقية التي كتبها الفاضل بن عمر البـوري من مالندى[3]، لم تعط صورة واضحة للدور العماني في الساحل الأفريقـي خـلال الفتـرة الإسلامية بسبب التناقضات أو الخلط أحياناً في التواريخ التي تعنى بالفترة التـي عاشـتها بعض الشخصيات التي أشير إليها في بعض المصادر الأفريقية، على أنّها هـاجرت إلـى منطقة شرق أفريقيا في الفترة الإسلامية وكونت كيانات سياسية لها، في حـين أنّ الـذين أشير إليهم قد عاشوا في العصور الحديثة. وسنتعرّض لهذه النقطة في موضع آخر.

لقد أشرنا فيما مضى اعتماداً على المصادر العمانيّة أنّ سليمان بن عبـاد بـن عبـد الجلندى وشقيقه سعيد حينما يئسا من مقاومة جيوش عبد الملك بن مـروان، وتيقنـا عـدم

---

1 – تورد المصادر أن أسباب الصراع المسلح بين الحجاج وسعيد وسليمان أبناء عباد هو قيام الأخيرين بقتل ولاة بني أمية أو طردهم أحيانا. أحمد العبيدلي *مقدمته لكشف الغمة*، ص125، إبن الأثير، *الكامل فـي التـاريخ*، ج4/ 203، رجب محمد عبد العليم، *العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام*، المرجع السابق ،ص200.

2 – جي كيركمان، *التاريخ المبكر لعمان الإسلامية في أفريقيا*، حصاد الدراسات العمانية 1980 وزراة التـراث، سلطنة عمان، ا لمجلد الخامس، ص271.

3 – يعد كتاب الزنوج وكتاب الكواكب الدرية التي كتبها الفاضل بن عمر البوري من أكثـر المـصادر شـمولية بالتاريخ الإسلامي لسواحل ومدن شرق أفريقيا، وقد حصلت " ألويس كـارنر" (Aloeskarnar) فـي عـام 1913 على نسخة من كتاب الزنج، أما كتاب الكواكب الدّرية فتوجد منه نسخة فوتوغرافية في جامعـة دار السلام، وهي نسخة غير منشورة و بها أخطاء كثيرة وغير صحيحة. كيركمان، المرجع السابق ،ص273.

قدرتهما على المقاومة، جمعا ذرّيتيهما وممتلكاتهما وأخذا معهما أعدادا كبيرة من أتباعهما، ورحلا نحو سواحل بلاد الزنج وماتا هناك[1]. غير أنّ المصادر العمانية لم تذكر بالتحديد الموضع الذي استقرّا به في أرض الزّنج. وتفسّر بعض الدراسات ذلك بأنّ سواحل شرق أفريقيا لم تكن فيها حينئذ مواقع ذات أسماء معيّنة[2]. ويؤكد أحد الدارسين المحدثين نقلا عن تاريخ لامو المسمى "خبر لامو" أنّ سعيداً هو مؤسّس "لامو"، غير أنّه يروى أنّ سعيداً هذا جاء من دمشق، ثم لحق به أناس آخرون من ينبع. وكانت هجرتهم إلى شرق أفريقيا، بناءً على طلب الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بهدف البحث عن "أوان نحاسيّة"، في حين أنّ العالم الإسلامي حينذاك لا تعوزه مثل هذه الأمور، حتى يبعث بمهاجرين إلى أطراف بعيدة مثل شرق إفريقيا التي تفتقر تماماً لوجود مادة النحاس[3] !

لقد استغلّ العمانيون موقع بلادهم المميز فعمدوا إلى التواصل مع المهاجرين بهدف زيارتهم من جهة، واغتنام فرصة البحث عن السلع الثمينة من جهة ثانية. وتؤكد المصادر أنّ سعيداً وسليمان الجلندانيّان، بعد أن حطّا رحاليهما في أرخبيل لامو[4]، شرعا في اصطياد النمور وصيد الأسماك وفي الزراعة. وقد أصبحا مع مضى الوقت أسياد التجارة في الأرخبيل، وتمكّنا من تأسيس وكالات تجارية لبيع العبيد الذين يؤتي بهم من داخل القارة. ويبدو أنّ هذه الوكالات قد اتّسع مجالها وانتشرت على نطاق واسع في شرق إفريقيا.[5] أمّا مدينة لامو، فقد تحوّلت[6] مع مرور الزمن إلى مركز تجاري هام، يعمل على تصدير الحديد والذهب

---

[1] – المعولى، ***قصص وأخبار جرت في عمان***، مخطوطة، المصدر السابق، ص.11 الأزكوى، ***كشف الغمة***، ص145 مجهول، ***تاريخ أهل عمان***، المصدر السابق، ص48.

[2] – كيركمان، ***التاريخ المبكر لعمان في شرق أفريقيا***، المرجع السابق، ص276.

[3] – جى كيركمان، المرجع السابق، ص277.

[4] – تذكر بعض الدراسات أن أبناء الجلندي نزلوا في شمال ممباسة، وقد وجدوا بها عددا كبيرا من العرب الفارين من بطش الحجاج بعد هزيمة ابن الأشعث. Reusch, oP.cit.p.75. رجب محمد عبد العليم، ***العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام***، ص205.

[5] – King snorth . op . cit . p . 6 .

[6] – تذكر بعض الدراسات ضمنا أنه يصعب تحديد القرية التي حل بها المهاجرون، فلقد اختلف المؤرخون في تحديدها، فمنهم من قال: أنهم نزلوا جزيرة بات Pat بأرخبيل لامو التي تأسست بين عامي (69 هـ و 89هـ). وهناك رأي أخر أنهم نزلوا مدينة "حدبوا" الواقعة شمال ممباسة أو مافيا (Meifia) المواجهة لمصب نهر الروفجيني. ***عبادة كحيلة العرب والبحر***، المرجع السابق، ص51.

والعاج المجلوب من داخل القارة.[1] وكان للتسامح الدينيّ الذي أبداه كلّ من سعيد وسليمان مع التجار الأفارقة القادمين بسلعهم من داخل القارة، أثر كبير في نفوس أولئك التّجار وفي مجريات حياتهم. حيث تأثّر بعضهم، وخصوصا قبائل البانتو، بما شاهدوه من مظاهر الإسلام ومن التسامح الدينيّ. فاعتنق الإسلام عدد كبير منهم، واندمج بعضهم بالمصاهرة، إذ أنّ المهاجرين العرب بادروا بالزواج من نساء إفريقيّات، مما يعني أنّ العرب هم من بادروا بالانصهار في عناصر الزّنج بشكل تدريجيّ، بينما نجح الارستقراطيّون ومنهم "الفئة الحاكمة" في الزّواج من عناصر بيضاء أوعربيات كنّ قد جلبن بواسطة التّجار بأثمان باهظة. إذ يروى أنّ سليمان بن الجلندى دفع نحو مائة من ذكور الرّقيق مهراً لزواج ابنه من امرأة قوقازيّة، فضلا عن مستلزمات طقوس الزّواج الأخرى .[2] ويبدو أنّ هجرة بني الجلندى كانت فاتحة لهجرات متعاقبة نحو شرق إفريقيا. فلقد ذكر كيركمان معتمداً على ما ورد في كتاب الزنوج أنّ الخليفة المنصور(136-158هـ/757ـ775م) أرسل مبعوثاً إلى سلاطين الساحل الإفريقي[3]، غير أنه يرجّح بأن الصراع الذي دار بين العباسيين والعمانيين الذي تم فيه القضاء على الإمامة الاباضية الأولى(134هـ /751م) نتجت عنه هجرات كثيرة إلى شرق إفريقيا هرباً من البطش أومن تردّي الحالة الاقتصادية. وممّا يؤكّد ذلك أنّ الكتابات العربية لم تتطرق إلى بعثات أرسلها الخلفاء العباسيون إلى ساحل شرق إفريقيا. إلا أن كيركمان يورد معلومات بناء على ما استقاه من مصادر افريقية ومنها أنّ هارون الرشيد(170-198هـ/ 786-809م) أرسل مستوطنين إلى شرق إفريقيا. ويشير بأن سكان الساحل الإفريقي هم من العجم" **لان العرب كانوا يخالفون أوامر الخليفة**". ويعتقد كيركمان أيضا أنّ الإشارة توحي بما حدث بين العمانيين والعباسيين، وأدّى إلى ظهور الإمامة الأباضيّة الثانية (177هـ / 793م)، وربّما نتج عنه فرار بعض الموالين للخلافة العبّاسية من بني الجلندى إلى شرق إفريقيا. كما أنّ الطائع بأمرالله (363 - 381 هـ/ 974 - 1991 م) نقل شؤون أفريقيا إلى سلطته في عمان، وظلت حتى عام 540 هـ/ 1145م. وكان العمانيّون يرسلون مبعوثاً إلى شرق إفريقيا لتقصّي الأحوال، ثم يعود إلى عمان.

---

[1] - kingsnoth.op.cit p. 8 رجب محمد عبد العليم، ***العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام***، المرجع السابق، ص205.

[2] - .Reusch,. op.cit .p.76.

[3] - كيركمان، ***التاريخ المبكر لعمان في شرق أفريقيا***، المرجع السابق، ص278.

ب- هجرة الحرث.

لقد أشرنا في معرض حديثنا عن دافع هجرة قبائل بني الحارث الذين هاجروا من الإحساء إلى سواحل شرق إفريقيا، أنها كانت بدافع الاضطهاد الذي تعرضت له قبائلهم من قبل قرامطة الإحساء لاختلافات مذهبية وعقائدية بينهما[1]، فكيف تمّت هذه الهجرة ؟

لقد ذكر المؤرّخون أن سبعة إخوة من قبيلة الحرث التي كانت تقطن منطقة الإحساء قد أبحروا وقومهم على متن ثلاث سفن ضخمة، وقد نزلوا منطقة شنجوايا Shungwaya على ساحل البنادر بالقرب من مقديشيو، أي "ساحل الصومال"[2]، وكانت تقطنه قبائل الزيديّة اليمنيّين[3]. وتشير الروايات البرتغالية المتناقلة التي اعتمدت على روايات محلّية من الصومال، أنّ الحرث هم الذين أسّسوا مقديشو. ومما تجدر الإشارة إليه أنّ هذه القبائل التي قد أقامت في مقديشو قبل مقدم الحرث، رفضت الخضوع لأولئك الوافدين الجدد. فنشب صراع بينهما مردّه اختلاف مذهبيّ بين الحرث الشافعيّة والزّيدية الشيعة. ولمّا عجز الزيديّون عن مقاومة خصومهم، تركوا المدينة وتوغّلوا من الساحل إلى دواخل القارة. ومع مرور الزمن امتزجت دماؤهم بالقبائل الأفريقية عن طريق التزاوج والمصاهرة، وظهرت من هذا المزيج عناصر بشريّة مزيجة من العرب والزنوج عرفت "بالاموزيدنج"، وهي تحريف باللغة السواحيلية لمعنى الزيديّة ." وكان استقرار الزيدية بعد فرارهم من مقديشو في الأودية التي تقع على مشارف نهر جوبا والويبى وشيلي. أمّا الحرث فقد شيّدوا عدة مدن جديدة على طول ساحل الصومال، ومن أهمها مدينة مقديشو التي تقع على الساحل، وكان تشييدها عام 295 هـ/ 907م[4]، ثمّ تلتها مدينة براوة عام 365 هـ / 973م[5].

---

1 - Reusch, .op.cit.p.89.

2 - جيان، ***وثائق تاريخية وتجارية عن أفريقيا الشرقية***، كتبه عام 1956م، ترجمة يوسف كمال، القاهرة، 1927م. ص84-85 -...Reusch, op.cit.p.85. Kingsnoth.op. cit .p.6

3 - لقد هاجرت قبائل الزيدية من اليمن إثر فشل الثورة التي أشعلها يحي بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب، ضد بنى أمية 125 هـ / 740م، التي كان من أهم أسبابها الانشقاق الديني بين الزيدية الشيعة وبني أمية، وقد استقرت هذه القبائل بعد هجرتها في ساحل البنادر (ساحل الصومال) وأسسوا مدينة شنجوايا (Shonguaya) . Coupland, .op.cit.p.22. جمال زكريا قاسم، ***الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية***، معهد البحوث والدراسات العربية 1975م. ص60.

4 - جيان، ***وثائق تاريخية***، المرجع السابق ، ص 84-85 . يذكر آدم متز، أن مقديشو تم تشييدها عام 369هـ /975م . ***الحضارة الإسلامية***، ج2/369.

5 - جيان، ***وثائق تاريخيه*** ، المرجع السابق ، ص 65 .

وهناك مدن أخرى قام الحرث ببنائها، وكان أهمّها مدينة مركة، وقرقـاوة، والنجـا وبذونة، ومإندا وأعوزى، وشاكة، التي تمّ تشيدها بالقرب من دلتا نهر تانا. كما ظهرت في مرحلة لاحقة بعض المدن مثل جليب وكندر شيخ وجزيرة دار شيخ[1]، التي ظلّـت طيلـة العصور الوسطى تتبع إداريّا لمقديشو[2]، التي شكلت مجمعا لتجارات الـصومال والحبـشة والسودان وشرق إفريقيا. ورغم عدم توفر أدلة أثرية كافية، إلا أنّه يشار ضمناً أنّ البلدة قد تعرّضت لهجرات متعدّدة وفدت إليها من مختلف بلدان المحيط الهندي، فضلاً عن الوافدين من عرب الخليج ومن شبه الجزيرة العربية. ولقد أقام الوافدون بين قبائل البـانتو الـذين قدموا للإتّجار من داخل القارة. وعقدت كل فئة من القادمين معاهدة مع القبيلة التي حلّـت بها أو جاورتها. ونتيجة لهذا التقارب والتعايش ، فإن المهـاجرين العـرب – الـذين لـم يحضروا معهم سوى القليل من النساء – اضطرّوا للزواج من قبائل البـانتو، وأصـبحت مقديشو أهمّ المدن لاستقرارهم[3]. ويبدو أن المستوطنين العرب مدوا علاقاتهم التجارية إلى الصين، إذ تبيّن الإكتشافات الأثرية وجود عملات صينية في مقديشو وكلوة ومافيا وغيرها، يرجع زمنها إلى القرن السّادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد[4]. كما عثر على خزف يعـود إلى أسرة سونج " sunge " الصينيّة (349هـ/ 1137م) وعملات يرجع زمنها إلى عـام 408هـ/ 1017م وأخرى إلى سنة 532هـ /1137م. وقد تحكّمت مقديشو في تجارة الذهب. ومدت صلاتها التجارية مع سفالة، وأصبحت مركزاً تجارياً نشطاً. وكان يحمل منها المتـاع إلـى مصر وغيرها من موانئ البحر الأحمر[5]. وقد وصفها ابن بطوطة حين زارها في مطلـع القـرن الثامن الهجري/ الرابع عشر للميلاد، بأنّها مدينة متناهية في الكبر، وكان لأهلها جَمال "إبل" كثيرة ينحرون منها نحو مائتي جمل كلّ يوم. كما اشتهرت حينذاك بتجارتها. وكانت تصنع فيها الثياب المنسوبة إليها التي لا نظير لها، ومنها يحمل إلى "ديـار مـصر وغيرهـا".[6] ويروي أحد الدّارسين المحدثين أنّ مقديشو حافظت على قوة كيانها السياسيّ، مستدلاً علـى روايته، " بأن قبائل الحرث قاومت قبائل الشيرازيين بقيادة حسن بن علي وأجبرتهم علـى

---

[1] – رجب عبد العليم، *العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام*، المرجع السابق، ص 217.

[2] – .Reusch,. op.cit .85

[3] – .Basil Davidson, *The lost cities of Africa* .op .cit .p.101

[4] – الحويري، محمود، *ساحل شرق إفريقيا منذ فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي*، المرجع السابق، ص36.

[5] – شوقي عثمان ، *تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية*، المرجع السابق، ص 166.

[6] – إبن بطوطة، *الرحلة*، المصدر السابق، ص 169.

التوجّه جنوباً نحو مدينة كلوة والاستقرار بها"[1]. في حين يروي البعض أنّ الشيرازيين توجّهوا بعد إبحارهم من شيراز في الخليج العربي في حدود عام 364هـ /975م مباشرة إلى كلوة، وقد تمكّنوا من تأسيسها في العام التالي لهجرتهم[2]. بينما يرى آخرون استناداً إلى الاكتشافات الأثريّة أنّ الشيرازيين لم يصلوا كلوة قبل أواسط القرن الثاني عشر، حيث وصلوها من جنوب الصومال، وكانوا مزيجاً بدماء قبائل البانتو المحليّة[3]. ولعل الرواية الأخيرة هي الأكثر صواباً. على أنّهم ربّما حطّوا رحالهم في ساحل البنادر، ثم حدث صراع بينهم وبين قبائل الحرث على السلطة، وحينئذ رحلوا إلى كلوة. وأيّا كان، فإنّ المصادر تؤكّد أنّ سلالة الحرث تربّعت على السلطة في مقديشو حتى قدوم البرتغاليّين إلى سواحل شرق إفريقيا. وتمكّنوا من نشر اللغة العربية بين القبائل الصوماليّة خصوصاً تلك التي دخلت في الإسلام على أيدي الحرث أنفسهم. ومن أهمّ هذه القبائل قبيلة الأجران الصوماليّة التي كانت تقطن الأراضي الكائنة بين مجرى الجب الجنوبي، وبلدة "يشيلة" الحاليّة. وقد ارتبطت هذه القبيلة بأسرة المظفر الحارثيّة، ويرجع ذلك إلى اتّساع نشاطها التجاري مع مقديشو. حيث تعتبر قبيلة الأجران من أهم العناصر التي تعمل في حقل التجارة الواردة على أسواق المدن العربية في الساحل الأفريقي. ولعلّ ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى الجمال "الإبل" الكثيرة التي كانت تمتلكها هذه القبيلة ، وساهمت من خلالها في تسهيل انسياب عملية نقل السّلع وجلبها من مسافات بعيدة[4]. ويورد كيركمان إشارة إلى أنّ العمانيين كانوا يرسلون ولاتهم إلى شرق إفريقيا في الفترة ما بين (363هـ -974/381 - 991م) بناءاً على أوامر الخليفة "الطائع" لتحصيل الزكاة[5]، إلاّ أن الموفدين لم يسعوا لجباية المدن الإفريقية، وربما ينبع ذلك من رغبة العمانيّين في كسب ودّ سكّان أهل هذه المنطقة.[6]

ننتهي إلى القول أن استقرار القبائل العمانية في سواحل شرق أفريقيا كان لها من الناحية النظرية، أهمية بالغة في التاريخ الملاحي والتجاري بين دول الخليج وشرق أفريقيا.

---

[1] – رجب محمد عبد العليم، ***العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام***، المرجع السابق، ص 219.

[2] – جيان، ***وثائق تاريخية وجغرافية***، المرجع السابق، ص 86-88.

[3] – فهمي السعيد، ***انتشار الإسلام في أفريقيا في العصور الوسطى***، عالم الكتب بيروت .2001م. ص 111.

[4] – جيان، ***وثائق تاريخية***، المرجع السابق، ص 183 – 184.

[5] – كيركمان، ***التاريخ المبكر لعمان الإسلامية في شرق أفريقيا***، المرجع السابق، ص 278.

[6] – كيركمان، ***التاريخ المبكر لعمان الإسلامية في شرق أفريقيا***، المرجع السابق ص 279.

فلقد تمكّن العمانيون وعرب الخليج من خلالها توطيد علاقات تجارية وبشرية ظلت تنمو على مر الأزمنة. وما نود الإشارة إليه في سياق حديثنا هذا عن الهجرات العربية بشكل عام والعمانية بشكل خاص نحو شرق أفريقيا، هو أنّ هناك إجماعا في الرأي بين المؤرخين بأن المصادر الأثنوغرافية عمّقت الهوّة بسذاجتها المفرطة، لعدم اعتمادها نقص أثريّ كاف يمكّن من تبييّن تاريخ هجرة القبائل العربيّة إلى شرق إفريقيا. كما يجدر بنا في هذا الإطار أن نستعرض قضية هجرة بني نبهان من عمان إلى شرق إفريقيا، محاولين أن نبيّن التناقضات القائمة التي تناقلتها المصادر العربية والأجنبية على حدّ سواء.

ج- هجرة النباهنة.

تشير المصادر أنّ أسرة النباهنة ، وهم قوم من العتيك الأزد أنّهم حكموا عمان لمدّة تربو على خمسمائة سنة. وقد انقسمت فترة حكمهم إلى مرحلتين: المرحلة الأولى مثّلتها الدولة النبهانيّة الأولى، التي يبدو أنّها تأسّست مع مطلع القرن السّادس الهجري / الثاني عشر للميلاد أو قبيل ذلك بقليل، واستمرّت حتى نهايته. ومن المؤكد أنّ تواريخ الدولة النبهانيّة الأولى لم تدوّن، غير أن ذلك يستخلص من إشارات ضمنيّة. أمّا الدّولة الثّانية، فهي التي تقلّد فيها ملوكها الأوائل زمام السلطة في مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر للميلاد. ووفق المصادر العمانية، فإنّ ملوكهم الأوائل هم الذين كان قد امتدحهم الشاعر أبو بكر أحمد بن سعيد الشامي في ديوانه[1]. وأيّا كان فإن سلاطين الأسرة النبهانيّة، واجهوا صراعات سياسية دامية بسبب المشاحنات التي نتجت عن

---

1 - "حلى الملوك وتيجانها وبيت الكفاة وإيوانها
وبأس الكماة وإقدامها وحلم الكفاة وإحسانها
توارثها الأزد حتى انتهت إلى أن حوت الإرث نبهانها
أمير العتيك تسامى به كهول العتيك وشبانها
أنبهان إنك من عصبة نماها إلى المجد قحطانها
ثم العين في يعرب كلها وأنت من العين أنسابها
إذا طلبت مكرمات العلى بدا في جبينك عنوانها
وأنت إذا صعبت حاجة تي من يمينك مكانها"

السالمي "*تحفة الأعيان*، المرجع السابق، ج1/ ص 246.

اختلافاتهم حول سياسة الدولة وإدارة الحكم[1]. وعلى إثر هذا الصراع، غادرت الأسرة إلى شرق إفريقيا. وقد حدثت هذه الهجرة حسب الرّوايات المتناقلة في أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد.[2] واستقرت هذه الأسرة في "بات" التي كان يسكنها العرب. وتذكر المصادر أنّ "بات" تم تأسيسها في عهد عبد الملك بن مروان الذي شهد عهده قيام العرب بتأسيس عدّة مدن في شرق إفريقيا، كملندى، وزنجبار وممباسة ولامو وكلوه.

لقد غادرت عمان فيم بين عامي 600 و601هـ/1203 و 1204م وفق المصادر، هجرة عمانية كبيرة إلى شرق إفريقيا تزعّمها الملوك النبهانيون بعد انهيار دولتهم الأولى. وقد استقرّوا في جزيرة " بات " فوجدوا فيها جالية عربية معظمها من إقليم عمان، كان قد استقرّ بهم المقام في الجزيرة منذ عهود قديمة. وقد وجد النبهانيّون ترحيباً وإقبالاً كبيرين من عرب المدينة، ولهذا فقد تزوّج الملك النبهاني الذي يدعى سليمان بن سليمان بن المظفر عام 600هـ/ 1204م من ابنة إسحاق حاكم مدينة "بات" [3]. وقد تولّى مقاليد السّلطة بمجرد زواجه منها[4]. غير أنّ المصادر العمانيّة تذكر أمراً مغايراً، فتروي أنّ سليمان بن سليمان بن المظفر، قد تولّى مقاليد السلطة في عمان بعد أن تغلّب سنه 896هـ/ 1488م على الإمام عمر بن الخطاب بن محمد بن أحمد بن شاذان بن الصلت اليحمدي في صراع على السلطة دار بينهما.[5] ثم قتل بعدها في "نزوى" سنه 906هـ/ 1500م إثر محاولته اغتصاب إمرأة [6]. وكان الذي قتله محمد بن إسماعيل الذي حلّ محلّه في تسيير زمام السلطة. ويؤكّد كيركمان في سياق حديثه عن استقرار النباهنة في شرق إفريقيا، أنّ سليمان بن سليمان بن المظفر، حين طرد من عمان، هاجر إلى شرق إفريقيا سنه601هـ / 1204م ومعه كثير

---

[1] - الازكوي، *تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة*، ص 65 – 94. مجهول، *تاريخ أهل عمان*، ص 105 – 122.

[2] – جمال زكريا قاسم، *الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية*، المرجع السابق، ص 62. السيابي، سالم بن حمود، *عمان عبر التاريخ*، 2001م، ط4، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ج96/3.

[3] – جمال زكريا قاسم، *الأصول التاريخية*، المرجع السابق، ص 61. رجب محمد بن عبد العليم، *العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام*، المرجع السابق، ص 227.

[4] – كيركمان، *التاريخ المبكر لعمان الإسلامية في شرق أفريقيا*، المرجع السابق، ص 283. جمال زكريا *العلاقات العربية*، المرجع السابق، ص 61.

[5] – أن الإمام عمر بن الخطاب استحوذ على الأموال التي استولى عليها النبهانيون عن طريق القوة، وفرّقها بين الفقراء والمحتاجين. كما ردّ للمظلومين أموالهم. إبن رزيق، *الفتح المبين في سيرة البوسعيديين*، ص 220.

[6] – إبن رزيق، *الفتح المبين*، المرجع السابق، ص 227. مجهول، *تاريخ أهل عمان*، ص 101.

من الثروات[1]. بيد أن المصادر تروي خبرا آخر مفاده، أن اليعاربة لم يتولوا مقاليد السلطة في عمان إلا سنة 1034هـ /1624م[2]. وهذا يعني أنّ معظم الكتاب المحدثين الذين كتبوا عن استقرار القبائل العربية في شرق أفريقيا –ومنهم العمانيّون- اعتمدوا على روايات متناقلة[3]، ينقصها التمحيص والدقة للفترات التاريخية التي هاجرت فيها تلك القبائل. فضلاً عمّا ذكره السّالمي من أنّ الفترة الزمنيّة التي بدأت فيها الدولة النبهانيّة الأولى في ما بين (500-600هـ/ 1106- 1204م) لم تحظى بالتدوين لا في السّجلات العمانيّة ولا في غيرها. ويذكر المغيري- في جهينة الأخبار – أنّه وجد في مدينة "بات" صخرة مكتوبا عليها " توفى السلطان عمر بن السلطان محمد بن عمر السلطان أبو بكر البتاوي في يوم الاثنين 18 شعبان سنة 500هـ / 1106م"، وهذه الصخرة موجودة في إدارة الآثار في ممباسة[4].

ممّا يؤكّد أنّ القبائل العمانية التي كانت تقطن "بات" قبل وصول النباهنة إليها في عام 600هـ/1204م أو قبل ذلك بقليل، كانت قد استقرّت فيها منذ عهود قديمة. وقد أكّد بعض الدّارسين المحدثين أنّه يوجد في مدينة " بات" بيتان لحاكمين مختلفين، أولّهما لسلالة سليمان بن عباد الجلندى الذي حكم عام 80 أو 83 هـ/ 700م واستمرّ حتى 565هـ/1170م[5]. أمّا الثّاني فهو بيت الأسرة النبهانيّة التي حكمت منطقة "بات" وحسب الإشارة عام 599هـ/1203م[6] . وأيّا كان، فإنّ هذه القبائل تمكّنت من مدّ صلاتها التجاريّة مع مدن شرق إفريقيا، إذ أنّ سكان السواحل الشماليّة التي كانت تخضع لسلطنة "بات" منذ وقت مبكّر يعود إلى عام 494هـ /1100م، تكثّفت هجرتهم نحو الجنوب، و فرضوا سلطتهم

---

[1] – كيركمان، ***التاريخ المبكر لعمان الإسلامية في شرق أفريقيا***، المرجع السابق، ص62.

[2] – إبن رزيق، ***الفتح المبين***، المصدر السابق، ص 230.

[3] – أن بعض المستشرقين – كأمثال " ورتر في بحثه عن سواحل مدينة " بات " وكتابات "برثر" وإستيجاند وغيرهم من الذين كتبوا عن تاريخ سواحل شرق إفريقيا – اعتمدوا في كتاباتهم على روايات سواحيلية محلية. ومن الذين نقلت عنه بعض الروايات المعمر "بواناكيتني Bwana kitni الذي تخصص في بيع الروايات الخاصة بالأسرة النبهانية. جمال زكريا قاسم، ***الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية***، المرجع السابق، ص 6.

[4] – المغيري، سعيد، ***جهينة الأخبار***، المصدر السابق، ص 171.

[5] – يروى أن سليمان حسن الكبير، سلطان كلوة استولى على مدنية "بات" التي كانت تقطنها سلالة الجلندانيين، رجب محمد عبد العليم، ***العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام*** ، ص 226.

[6] – Reusch, .op.cit. p.149.

على المناطق الوسطى والجنوبيّة. وقد ساعد النباهنة هذا التوسع، ودعّم من سيطرتهم نحو الجنوب[1].

أمّا سليمان بن سليمان بن المظفر، الذي أشار إليه الباحثون المحدثون اعتماداً على ما رواه صاحب" كتاب الزنج "و"الكواكب الدريّة" أو "تاريخ بات"، الذي هاجر إلى شرق أفريقيا في مطلع القرن السّابع الهجري، فنودّ هنا أن نسترعي الانتباه في هذا الصدد أنّ سليمان النبهاني هذا ربما يكون من الأسرة النبهانية الأولى التي حكمت عمان منذ نهاية القرن الخامس الهجري حتى سقوطها مع نهاية القرن السادس الهجري. إذ أنّ تلك الفترة لم تتطرق إليها المصادر. وأمّا مسألة الروايات المتواترة عن وجود شخص آخر بنفس الاسم بعد مضيّ نحو خمسمائة سنة، لم يكن بالضّرورة هو المعنيّ بالذكر في مدونات "لامو"، خصوصاً أنّنا على دارية أنّ العهود الماضية في تاريخ الدولة النبهانية كانت مظلمة. ولعلّه لن نجانب الصواب عندما نقول: أنّ "سليمان" هذا ربما يكون أحد زعامات الأسرة النبهانية الأولى، ولن يكون ذلك مستحيلاً !.

ننتهي إلى القول إنّ الأسرة النبهانية التي اتّخذت من مدينة "بات" في شرق إفريقيا موطناً لها، قد كوّنت سلطة إسلامية توسّعت مع مرور الزّمن، واستقبلت أقطابا من بطونها في عمان في فترة لاحقة.[2] ولقد بات من المهمّ أن نشير إلى أن المدن التي كانت تتبع إداريّا سلطة "بات" تمّ تعيين قاض أوعامل عليها يعرف باسم "majumb" "ماجومب" أو بمعنى آخر الخاضع للقصر الملكي " اللبمب" باللغة السواحيلية. كما أسّست داراً للشورى وهي مقرٌّ للحكومة المركزيّة. وقد تلقب سلاطين النباهنة بلقب "بوانافومادي" أو"فومولوتي" وهو لقب سواحيلي بمعنى ملك أو سلطان[3]. وقد انفردت سلطنة "بات" بتقاليد جديدة غاية في التنظيم السياسي والإداريّ، ونمت نموّاً سياسياً واقتصادياً، وفرضت ضريبة على الإنتاج تتلاءم والوضع الاقتصاديّ، إذ يشار إلى أنّ نسبة الضريبة كانت قد بلغت نحو 10% [4]، وهو نظام كانت تتبعه الإمامة الأباضيّة في عمان منذ تكوينها.[5]

[1] – رجب محمد عبد العليم، ***العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام*** ، المرجع السابق، ص 230.

[2] – إبن رزيق، ***الفتح المبين***، المصدر السابق، ص 222.

[3] – رجب محمد عبد العليم، ***العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام*** ، المرجع السابق، ص 230.

[4] – رجب محمد عبد العليم، المرجع السابق، ص 231.

[5] – أنظر الفصل الثاني من الباب الأول من الأطروحة.

II – مظاهر الحضارة الإسلامية في شرق أفريقيا

1– دور التجّار والمهاجرين في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية

لقد اتخذ الإسلام الطرق البحرية في المحيط الهندي معْبراً للوصول إلى إفريقيا الشرقية عن طريق التّجّار والمهاجرين، وتؤكّد المصادر أنّ الإسلام قد استوطن أرخبيل لامو وشانفا[1]، ثم انطلق مخترقاً الصحاري إلى داخل القارة. وامتدّ إلى مدغشقر"سفالة" وقنبلو[2]. وقد جاء دخول الإسلام إلى شرق إفريقيا نتيجة دوافع سياسية واقتصادية ألمت بسكان شبه جزيرة العرب، ونتجت عنها هجرات طوائف متعددة لمحاولة الاستقرار الدّائم في تلك الربوع، بغية تأسيس كيانات سياسية عربية إسلامية بديلة فيها. ممّا يعني أنّ الروابط قد ازدادت بين عرب الخليج وبين سكان السواحل الشرقية الأفريقية[3]. وقد زاد تعدّد الطوائف المهاجرة في القرن الثالث الهجري/ التاسع للميلاد، التي بدأت تشد رحالها نحو شرق أفريقيا لدواع سياسيّة أو مذهبية أو تعرّضها لضائقة اقتصادية. ونتيجة لاستقرار هؤلاء في شرق أفريقيا ظهرت بوادر حياة إسلامية جديدة. فلقد برزت طبقة الزّرّاع الذين وفدوا من اليمن، ومنهم تجار من عمان وحضرموت والحجاز. وكان هؤلاء أصحاب دعوة إسلامية وحملة علم ودعاة للإسلام، الأمر الذي ساعد على نشر هذه العقيدة بين الشعوب الإفريقية "الزنج". وقد كوّن العرب المهاجرون مع مرور الزّمن، طبقات أرستقراطية انتشرت على نطاق واسع في شرق إفريقيا. وظهرت إلى جانبهم طبقة من الهنود– أصحاب الحوانيت– الذين عملوا في مجال التجارة والصّيرفة وفي المبادلات التجارية. كما ظهرت بينهم طبقة من المولّدين يدينون بالإسلام. واحتلّ المولّدون موقعاً بارزاً بين السكّان، وكانوا يتكلّمون خليطاً من اللّغات ساعدت على انتشار الإسلام[4]. وأدّى ازدياد عدد التجار المسلمين إلى تكوين مراكز تجاريّة نشطة، وزاد تعميرهم للموانئ التجارية المتناثرة على امتداد الساحل، ابتداءً من زيلع إلى قنبلو أو سفالة "مدغشقر". وتؤكّد المصادر أنّ أسرة إسلامية

---

[1] – جون أليف ، *الأفارقة تاريخ قارة*، المرجع السابق، ص 25

[2] – المسعودي ، *مروج الذهب*، المصدر السابق، ج81/1

[3] – الغنيمي، *الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا*، المرجع السابق، ص 47.

[4] – الغنيمي، *الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا*، المرجع السابق، ص 52 – 53.

من قبيلة الأزد أقامت في جزيرة قنبلو[1] وكانت تعمل في حقل التجارة. إلى جانب أبناء القبائل الإفريقية من الزنوج الذين اعتنقوا الإسلام فطغت عليهم مظاهر الثقافة الإسلامية وعلوم الدين، وقاموا بنشرها بين عشائرهم[2]. وهكذا فقد شهدت السفن العمانية والخليجية حركة نشطه، وكانت تحمل أثناء رحلاتها أعدادا من المهاجرين الذين طاب لهم الاستقرار في سواحل شرق إفريقيا أو الإتّجار. وقد تكوّنت حلقة وصل بين المهاجرين إلى شرق إفريقيا وبين شبه جزيرة العرب عموما، وعمان بشكل خاص.

لقد نقل المهاجرون العرب بصفة عامة والعمانيون منهم بالأخص، صوراً من الحضارة الإسلامية الراقية وأساليبها المتطوّرة إلى أرض المهجرالجديد. ورغم أنّ سكان إفريقيا الشرقية لم يصطبغوا بالصبغة العربية بسبب اختلاف التركيبة السكانية وتباين أجناسها وتعدد عناصرها التي شكلت خليطاً من العرب والفرس والهنود وقبائل البانتو الأفريقية والزنوج، إلاّ أنهم اصطبغوا بالدين الإسلامي وعلومه وشرائعه، وقاموا بنشره في ربوعهم. وقد زاد ذلك من تقوية أواصر الترابط الاجتماعي بين الوافدين والأفارقة، واندمجوا عن طريق التزاوج والمصاهرة[3]. ومن الظواهر المؤكّدة لهذا الاندماج ، والتي تعطي عنه صورة واضحة بين سكان السواحل الشرقيّة، هي ظاهرة الأسماء الإسلامية، أوالصبغة العربيّة للإسم " فلان بن فلان" المنتشرة بينهم. وتبيّن هذه الظاهرة وجود النسبة العقائدية للمجتمع السواحيلي، وبموجبها حصل كل من دخل الإسلام على الهويّة العربية للإسم بصرف النظر عن أصوله الاجتماعية. وقد حافظ السكان السواحيليون على أسماءٍ تقليديّة حتى في فترة لاحقة من تاريخ شرق إفريقيا، وظهرت حينئذ أسماءٍ مركبة مثل "محمد بن بوان مكو"[4]. ويجوز لنا أن نفسّر هذه الظاهرة بأنّها ربّما كانت محاولة من الطبقات الأرستقراطية للحفاظ على كيانها وهويّتها وتفرّدها تميّزاً عن السكان السواحيليّين الأصليّين. وتؤكد بعض الدراسات أنّ تبدّلا طرأ في المصطلحات الاجتماعيّة الأصلية لقبائل

---

[1] – يعتقد أن قبيلة الأزد التي أشار إليها المسعودي في مروج الذهب، هم من عرب عمان الذين هاجروا من عمان مع سعيد وسليمان ابني الجلندى اثر الصراع الذي دار بين أزد عمان من بني الجلندى والحجاج بن يوسف الثقفي زمن خلافة عبد الملك بن مروان (65-86هـ / 683 – 705 م) وأدى إلى نزوح كثير منهم إلى شرق أفريقيا.المسعودي، ***مروج الذهب***، ج1/ 81.

[2] – الغنيمي، ***الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا***، المرجع السابق، ص 50.

[3] – الغنيمي، ***الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا***، المرجع السابق، ص 81.

[4] – فهمي السعيد، ***انتشار الإسلام في أفريقيا في العصور الوسطى***، المرجع السابق، ص 112.

البانتو، وهي مصطلحات عربية أو عربية فارسية مثل: كلمة "مواشيا" وتعنى "الطليق الحر" التي تبدلت بكلمة عربية الأصل، وهي "محرري" أو "محرر" أو "حرر"[1]. ويرجّح أنّ هذا التبدّل في المجتمع الإفريقي كان سببه انتشار الثقافة الإسلامية لدى السواحليّين[2]. كما تؤكّد المصادر أنّ التغييرات الاجتماعية في مدن شرق إفريقيا، طالت أيضاً حقوق الإرث بمختلف أشكاله بما في ذلك وراثة العرش مثل: لقب المفالمة meame "الحاكم التقليدي" وحسب قاعدة ندوغو "Naduguo"، يقضي الأمر بانتقال هذا اللقب داخل مجموعة بالغة سنّ الرشد من الطبقة الحاكمة نفسها، ويمكن انتقاله إلى مجموعة أخرى[3].

وقد لعبت المراكز التجاريّة دوراً في التواصل، فعهد للمهاجرين الوافدين تخطيط المراكز أو الموانئ التجارية تخطيطاً مميّزاً، بحيث يمكن للمركز أو الميناء أن يشكّل حلقة اتّصال بين سواحل الجزيرة العربية والمناطق التي تحمل منها السلع التجاريّة من داخل القارة .[4]

ونتيجة لتوافد الهجرات العربية إلى شرق إفريقيا، تعدّدت المذاهب الإسلامية وانتشرت على نطاق واسع. فلقد أدخل الزيديّة والشيرازيّون المذهب الشيعي، كما دخل إلى شرق إفريقيا بعض المعتزلة ونشروا عقيدتهم. وأدخلت الخلافة الأموية والعباسية المذاهب الإسلامية الأربعة. وأدخل العمانيّون المذهب الأباضيّ[5] الذي انتشر على أيدي عرب الأزد من العمانيين حتّى وصل جزيرة القمر التي انتشر فيها أيضا المذهب الشافعي. ومن الثابت تاريخياً أن رجلاً عربياً امتاز بالشجاعة والكفاءة كان أوّل من وصل تلك الجزيرة، وجعل نفسه سلطاناً عليها[6]. وربّما توافق تلك الفترة زمن القضاء على الإمامة الأباضية سنة

[1] – المحرر الذي جعل من العبيد حراً أي أعتق، ويقال: حر العبد ويحر حرارة بالفتح أي صار حراً، ومنه حديث أبو هريرة، فأنا أبو هريرة المحرر أي المعتق، وفي حديث أبي الدرداء أشراركم الذين لا يعتق محررهم أي إنهم إذا أعتقوه استخدموه فإذا أراد فراقهم أدعوا رقه ..لخ، *لسان العرب* . ج117/3.

[2] – فهمي السعيد، *انتشار الإسلام في أفريقيا في العصور الوسطى* ، المرجع السابق، ص 112.

[3] – فهمي سعد، المرجع نفسه، ص113، يمكن أن ينتقل اللقب بالمصاهرة مثل انتقال منصب السلطة الحاكمة إلى سليمان بن سليمان المظفر النبهاني بمجرد زواجه من إبنة حاكم بات.

[4] – ترجّع بعض الدراسات أن العرب والمسلمين بشرق أفريقيا كانوا يكوّنون مجتمعات منفصلة عن بعضها البعض، على اعتبار أن السواحليين شعب طبقي غير متجانس، وهو ما نتج عنه إعاقة انتشار الإسلام في الداخل. رجب، محمد عبد العليم، *العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام*، المرجع السابق، ص 299.

[5] – Trimmingham , .op.cit. p.29. الغنيمي، *الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا*، المرجع السابق، ص 77 .

[6] – الغنيمي، *الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا*، المرجع السابق، ص 231.

134هـ/751م على أيدي العباسيّين، إذ لا يستبعد أن تكون بعض الزعامات العمانية، التي أحسّت بمرارة الوضع بعدها، قد هاجرت إلى شرق إفريقيا للاستقرار بها، وتأسيس كيان سياسي بديل. ويجدر بنا أن نشير أنّ تمازج اللغة العربية مع مفردات اللغة السواحيلية وانتشارها على طول سواحل شرق إفريقيا، يرجع سببه إلى تنقل التجّار العرب بين أرجاء المراكز التجارية في تلك الناحية واستيطانهم بها. فلقد كونت تلك الحركة ثقافة عربية إفريقية، وانعكست نتائجها على صيرورة تحضّر الشعوب السواحيلية وسهّلت التعامل. وأصبحت اللغة السواحيلية مع مرور الوقت لغة رسمية خصوصاً في تنزانيا وكينيا ورواندي وبوروندي وأوغندا وكلوة، التي سافر طلاب العلم منها إلى شبه الجزيرة العربية لينهلوا من علوم المعرفة وبخاصة في الدين والفقه واللغة العربية. وقد بلغت نسبة المفردات العربية في اللغة السواحيلية نحو 25-35% من مجموع الكلم في اللغة السواحيلية، وتدرّجت هذه اللغة نحو الجنوب، ووصلت إلى سفالة "موزنبيق". وقد سهّلت التعامل بين التّجار ونشر الدعوة الإسلامية، وأصبحت تشمل المعاملات التجاريّة والاقتصادية والمالية في مسافة تقدّر بنحو ألف فرسخ. حيث نقلها التّجار والملاّحون على سفنهم من الساحل الشرقي لإفريقيا حتى انتشر تداولها في مختلف مدن إفريقيا الشرقيّة. ووصلت في فترة لاحقة حوض الكونغو ومنطقة نياسالاند، ثم بحيرة فيكتوريا، وفي سفوح جبال كلمنجارو، ويعود الفضل في ذلك للجهود التي بذلها التجّار في نشر الدّعوة.[1]

أما فيما يتعلق بعدم تكوين وحدة سياسية مترابطة في شرق إفريقيا، فمن المناسب أن نشير في هذه الجزئية أنّ العرب المهاجرين والتّجار الذين قدموا إلى شرق إفريقيا كانت لهم سمات ثقافية ومذهبية مختلفة. ثم إنّ الذين أسّسوا المراكز التجارية في الشرق الإفريقي منهم، نقلوا معهم خلافاتهم المذهبية ومنازعاتهم الأسريّة. ويبدو أنّ هذا الوضع أثّر بشكل مباشر على عدم قيام كيان سياسيّ مترابط بين مدن الساحل الشرقي لأفريقيا. فظهر عداء سافر بينهم بدلاً من الترابط والوحدة على اعتبار أنّ المذاهب الإسلامية ابتنت أسسها على الصراعات المذهبيّة وعلى التفرقة فيما بينها، مثل الصراع الذي حدث بين الزيديّة والحرث، أو بينهم وبين الشيرازيّين الذين استقرّوا نهاية المطاف في كلوة. ممّا يعني أنّ المذهب الشيعي انتقل إلى كلوة واستوطن بها. ويلاحظ هنا أيضاً أنّ الأباضيّة انتشروا في

---

[1] - Basil, *The lost cities of Africa*,.op.cit. p.178-179. الغنيمي، ***الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا***، ص 82-86.

كثير من مدن شرق إفريقيا، أين انتشر أيضا أنصار المذاهب السّنيّة كالحنابلة أو الشافعية، الأمر الذي نتج عنه قيام وحدات سياسيّة متفرّقة[1]. ويبدو أنّ بعضها تفوّق وتوسّع على حساب الإمارات الضعيفة الأخرى. ولقد نجحت ممباسة خلال بضعة أعوام من القرن الثاني الهجري/ الثامن للميلاد في مدّ سيطرتها على مدن السّاحل ابتداءاً من مالندي شمالاً إلى كلوة جنوباً، وكان توسّعها في مطلع القرن السابع الهجري للسيطرة على زنجبار. كمانجحت في مدّ سيطرتها وسيادتها أيضاً على المدن المجاورة. غير أنّ الخلافات المذهبية التي شكّلت الصراع بين قاطني مدن شرق إفريقيا لم تقف حجر عثرة أمام انتشار الثقافة الإسلامية. ففي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد ظهرت كلوة[2] كأهمّ المراكز العلمية والثقافية في شرق أفريقيا وأكبرها. فقد انبثقت منها حركة علميّة وثقافية امتدّ تأثيرها إلى مدن عديدة في شرق أفريقيا، وكانت مركزاً مشعّاً لنشر الدعوة الإسلامية وصلت إلى قلب القارة الإفريقية. وتشير المصادر ضمناً أنّ الدعاة اقتفوا أثر التجّار في نشر الدعوة الإسلاميّة، وأصبحت كلوة مركزاً إشعاعيّا ينطلق منه الدعاة بالمظهر الحضاري الإسلاميّ العربيّ.[3]

كما ظهرت ممباسة بمظهر عربيّ إسلاميّ، وقد وصف ابن بطوطة أهلها حين زارها "بأنّهم شافعيّة المذهب وهم أهل دين وعفاف وصلاح... ومساجدهم من الخشب محكم الإتقان[4]. وثمّة إشارة كان قد أوردها الإدريسي، على أنّ العمانيّين التجار من أصحاب السفن كانوا ينقلون تجارة ممباسة إلى أماكن مختلفة من البلاد التي يتاجرون معها[5]. ومن الجائز أن يكون هؤلاء قد مدّوا أركان الدعوة الإسلامية معهم إلى المدن التي تاجروا معها، فضلاً عن أنّ العمانيّين الذين استوطنوا ممباسة نفسها، عملوا في مجال التّجارة وفي نشر الإسلام بين ربوعها.

وهناك مدينة مقديشو التي أشرنا إليها سابقاً على أنّها تأسّست أوّل المطاف على أيدي الزيديّين الذين يعتنقون المذهب الشيعي، ثم ما لبثت أن انتقلت إلى الحرث إثر صراع نشب

[1] – جمال زكريا، ***الأصول التاريخية للعلاقات العربية في أفريقية الشرقية***، المرجع السابق، 60-61.

[2] – كيركمان، ***التاريخ المبكر لعمان الإسلامية في شرق أفريقيا***، المرجع السابق، ص 280.

[3] – الغنيمي، ***الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا***، المرجع السابق، ص160. شوقي، ***تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية*** ، ص 169-170.

[4] – ابن بطوطة، ***الرحلة***، المصدرالسابق، ص 172.

[5] – الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، المصدر السابق، ج60/1.

بينهما. وقد تمكّن الحرث من إقامة حضارة إسلامية فيها. ولقد ذكر ابن بطوطة حين زارها:" أنّ سلطانها كان يسمّى أبا بكر، وهو يتكلّم اللسان العربي بالإضافة إلى اللغة المقديشية، وكان قاضيها الذي يدعى "بابن أبرهان" من أصل مصريّ، وكان فيها العلماء والقضاة والفقهاء والشرفاء". ويضيف "أنّ مقديشو وصلت في القرن السابع الهجري حدّاً كبيراً من القوّة النّظامية، فكان بها الجند الذين يقفون عند سماع البوق دون حركة". وهذا النّظام يعد من الأنظمة المتطورة في التاريخ العسكري، ممّا يعني أنّ مقديشو كانت تتمتّع بسلطة كبيرة بين مدن الساحل الشرقي لإفريقيا[1]. ويتبيّن لنا أنّها شهدت حضارة إسلامية راقية، ووصلت أوج ازدهارها في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد وما بعده. وقد تمتّعت المدنية بثرائها وأصبحت من المدن المترفة، فكان بها دار للضيافة مفروشة ومرتّبة، وكان يأتي إليها أصناف متنوعة من الطعام، وكان القائم على إعدادها والإشراف عليها مسؤول الضيافة. ومن أهمّ الأطعمة التي يتمّ إعدادها اللحوم والدجاج والحوت ومختلف أنواع البقول، بالإضافة إلى الموز الذي كان يطبخ باللبن والفلفل المصبّر والمخلّل والمملّح والزنجبيل الأخضر والعنبة وهي ثمرة تشبه التفاح شديدة الحلاوة، بالإضافة إلى الأرز.

أما الطلبة الذين يتلقون العلوم الإسلامية الشرعيّة فقد خصّصت لهم دار ضيافة لإطعامهم[2]. وفيما يتعلّق بلباس أهلها فكان منه الخزّ والفوط التي تشدّ في الوسط. وكانت " تصنع بها الثّياب المنسوبة إليها التي لا نظير لها، ومنها تحمل إلى مصر وغيرها[3]. وهناك مدينة بات"pat" التي أصبحت في نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد، أحد أهمّ المدن الإفريقية. وقد أشرنا آنفاً أنّ النباهنة قد استوطنوها سنة 600هـ/1203م، وأسسوا بها كياناً سياسياً على غرار كيانهم في عمان. وقد أصبحت بات "pat" مركزاً للسلطة العمانية، وكانت تتمتّع بحركة تجارية واقتصاديّة ضخمة. وقد توافد عليها العرب والهنود والفرس، وأدخلت فيها الزراعة، وامتدّت إلى المدن والأصقاع التي كانت تسيطر عليها بات "pat". وترتّب عن ذلك ازدياد العلاقات بين النباهنة في بات "pat" وموانئ المحيط الهندي. وقد تعرضت بات كبقية المدن الإسلامية في شرق إفريقيا، إلى خطر البرتغاليّين

[1] – إبن بطوطة، *الرحلة*، المصدر السابق، ص 171.

[2] – إبن بطوطة، *الرحلة*، المصدر السابق، ص 170.

[3] – إبن بطوطة، المصدر نفسه، ص 169.

في فترة لاحقة[1]. وتطرّقنا إلى هذه الجزئيّة للإشارة إلى ديمومة هذه السلطة التي حافظت على كيانها السياسي حقبة تعتبر من أطول الحقب التي حكمها العمانيّون في شرق إفريقيا في الفترة الإسلامية.

2- العمارة.

أ- العمارة السّكنية.

يبدو أنّ الدراسات الأثرية التي يمكن أن تحدّد نوعية العمارة السكنية في مدن ساحل شرق إفريقيا لا تزال بكراً، إذ لا توجد دراسة أثرية نستطيع أن نتبيّن من خلالها نوع المواد التي قد شيدت منها العمارة هناك إلاّ بشكل مقتضب. وفي هذا الصّدد فقد واجهتنا إشكالية عدم وجود أدلة كافية إلى جانب عدم وجود كتابات قد تمكّننا من رسم صورة مبدئية عن الشكل المعماري في أفريقيا الشرقيّة. وكمحاولة منّا لرسم صورة تقريبية عن نوعية العمارة المشيدة حينذاك فسنعتمد ما ذكره ابن بطوطة في رحلته، إضافة إلى بعض الإشارات العارضة التي أوردها الباحثون المحدثون في كتاباتهم سواء تلك التي استقوها من الاكتشافات الأثريّة أو التي تناقلتها الرّوايات.

لقد ذكر ابن بطوطة الذي زار مقديشو وكلوة وبعض مدن سواحل شرق أفريقيا في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر للميلاد، أنّ بعض حوانيت مقديشو كانت مشيدة من الخشب المحكم[2]. وتشير بعض الدراسات أنّ مقديشو كانت لها علاقات مع أسرة سنج الصينية (349هـ/ 960م). وهو ما تؤكّده الاكتشافات الأثرية" أنّه وجد بها بعض العملات الصينية التي يرجع بعضها إلى أسرة تانج سنة 617م، إلاّ أنّ أغلبها كان قد صك بين عامي (408-1017/532-1137م). وتؤكّد الدراسة اعتمادا على ما ورد في السّجلات الصينية لسلالة مينج، أنّ مقديشو تعرضت لجفاف، إلاّ أنّها أخذت مركز الصدارة في التجارة، وكانت منازلها مبنيّة بالحجارة[3]. ولا تبيّن المصادر الكيفية التي تمّ على أساسها تخطيط الدور السكنية في مقديشو، إلاّ أنّه يعتقد أنّ الدور التي شيدها الحرث في مقديشو لا

---

[1] - الغنيمي، *الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا*، المرجع السابق، ص 162.

[2]- إبن بطوطة ، *الرحلة*، المصدر السابق، ص 173 .

[3] -Coupland,.op.cit.p.37.

تخرج عن إطار طابع العمارة العربية الإسلامية، خصوصاً وأنّ الزيديّة وبني الحارث هم أوّل من نقل التراث الإسلامي إليها.

أما ماليندي فتعتبر من أجمل المدن، وأهلها مسلمون ومساكنها مشيدة من الحجر والكلس الأبيض متعدّدة الطوابق، وشوارعها جيّدة، وكانت لها علاقات تجارية مع الهند[1]. وقد أشرنا في ما سبق أنّ العمانيّين قد هاجروا إليها واستقرّوا بها. وكانت وظيفتهم الرئيسية هي الاشتغال بالتجارة، حتى أنّه أطلق عليها حيناً " عمان الصغيرة"[2]. ويعتقد أنّ العمانيين نقلوا إليها النمط المعماري الذي كان سائدا في عمان. كما تبيّن الاكتشافات الأثرية وجود مادّة الزّجاج التي استخدمت في بناء المسابح الزجاجيّة، وكانت من النوع المجزّع. وبرزت كلوة كأهم مدينة في شرق إفريقيا، حيث شيدت العمارة السكنية فيها بالحجارة والزجاج[3] والخشب[4]، وكانت أعمدة الدور تشيد حيناً بالحجارة وحيناً آخر يتمّ تشيدها بأعمدة خشبيّة[5]. وتشير المصادر أنّ عدد المدن الإسلامية التي أسّسها التجار والمهاجرون في شرق إفريقيا وصل نحو أربعين مدينة كانت قد شيدت بالحجارة. وكان هذا النوع من المباني من النمط الفاخر، ويوحي تشييده بمدى الازدهار الذي حققته مدن سواحل شرق إفريقيا.[6] وهناك اكتشافات أثريّة تبيّن أنّ بعض المباني كانت تشيّد بالحجر المرجاني المحليّ أو حجر الفخّار المحمّى، المستورد من الجزيرة العربية.[7]

ب- العمارة الدينية (المساجد)

يبدو أن العمارة الدينية التي شيدت في المدن الساحلية في القرون الوسطى كانت أوفر حظّاً لدى الأثريّين أو الباحثين عن مثيلتها السكنية. إذ تشير الاكتشافات الأثريّة التي عثر عليها من خلال الحفريات التي أجريت في أرخبيل لامو، إلى وجود أساس لمسجد كان قد شيّد من الخشب، يتّسع لحوالي تسعة مصلّين. وقد وجدت بداخله خزفيّات تعود إلى

[1] - Barbosa. D . A . *Description of the East Africa* .op. cit .p.p.12-13

[2] - المغيري، ***جهينة الأخبار***، المصدر السابق، ص 120.

[3] - مجهول، ***السلوة في أخبار كلوة***، تحقيق محمد علي الصليبي، وزارة التراث، مسقط، 1985م، ص 37، شوقي عثمان، ***تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية***، المرجع السابق، ص170.

[4] - إبن بطوطة، ***الرحلة***، المصدر السابق، ص 173.

[5] - مجهول، ***السلوة في أخبار كلوة***، المصدر السابق، ص 37 – 38.

[6] - الغنيمي، ***عبد الفتاح، الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا***، المرجع السابق، ص 154.

[7] - جون أليف، ***الأفارقة تاريخ قارة***، المرجع السابق، ص 96.

القرن الثاني الهجري/ الثامن للميلاد[1]. وكان هذا المسجد هو الأول بين مجموعة من المساجد يصل عددها إلى تسعة. وكانت ذات قياسات متصاعدة حيث يتضح أنّ ثلاثة منها قد بنيت من الحجر الصلّد، أمّا المساجد الخمسة الأخرى فقد شيّدت في فترات مختلفة غير أنّ بناءها يعود إلى القرون الهجرية الثلاثة الأولى. وكان المسجد الأول قد تمّ تشييده وسط وحدة زراعيّة[2]. وقد أدّى توافد التجار والهجرات العمانية إلى سواحل شرق إفريقيا إلى تسارع التطوّر التجاري في مدن الساحل. ومنذ عام 391هـ/ 1000م ، تعمّقت العقيدة الإسلامية لدى قبائل الزنج الذين انصهروا بين المهاجرين. وفي القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر للهجرة شيّدت مساجد بالحجارة في ثمان مدن ساحلية. ونتج عن وفرة المساجد ازدهار متصاعد في مدن العالم الإسلامي في تلك الرّبوع.[3]

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى ساحل الزنج أو كما يطلق عليه اسم أزانيا أو عزانيا، أنّه كان يتكون من عدّة جزر معروفة بأرخبيل لامو. وقد أشرنا إلى أنّها كانت تقطنها قبائل عمانيّة ترأسها سعيد وسليمان ابنا الجلندى، إلى جانب بعض القبائل الأمويّة. ثم تأتي في درجة أقل من حيث الأهمية منطقة تسمى "تانا" تقع في جزائر الباجون. وهناك مدينة تسمّى باسم الخليج، وتعتبر هذه الجزر الثلاث من أكبر مدن الساحل الشرقي لإفريقيا، وكان بها مسجدان كبيران وعدد آخر من المساجد أصغر منها حجما[4].

وقد تسارع انتشار الإسلام عبر المراكز التجاريّة المنتشرة على ضفاف سواحل شرق إفريقيا، ونتيجة لهذا التّسارع تعدّدت العمارة الدينيّة. وأصبح لكلّ مدينة مسجدها الجامع، تقام فيه الدراسات الإسلامية والدينية، وتعلّم فيه اللغة العربية على نحو ما كان يحدث في عمان والعراق والمدن الإسلامية الأخرى.[5] وثمّة إشارة أوردها أحد الدّارسين

---

[1] – لقد أشرنا فيما سبق أن القبائل العربية التي استقرت في أرخبيل لا مو في هذه الفترة المبكرة من التاريخ الإسلامي، هم قبائل الأزد العمانيين من بنو الجلندى بعد هجرتهما من عمان إثر صراعهما مع جيوش عبد الملك بن مروان، ويظهر أن هؤلاء قد شيدوا عدة مساجد في مدن الساحل الأفريقي، ويرجّح أن بعضهم استقر في جزيرة قنبلو (بيمبا – أو زنجبار) وقد لعب هؤلاء دوراً بارزاً في نشر الإسلام بشرق أفريقيا (راجع دوافع هجرة بنو الجلندى).

[2] – جون أليف، ***الأفارقة تاريخ قارة*** ، المرجع السابق، ص 95.

[3] – جون أليف، ***الأفارقة تاريخ قارة*** ، المرجع السابق، ص 97.

[4] – الغنيمي، ***الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا***، المرجع السابق، ص 151.

[5] – الغنيمي، ***الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا***، المرجع السابق، ص 154.

المحدثين عن أهل كلوة أنّهم قد شيّدوا مسجدهم بالمواد الخشبيّة المحكمة، وقد حفرت بجانب أبواب المسجد بئران كانتا قد استخدمتا للوضوء[1]. وتؤكّد المصادر أنّ تشييد مسجد كلوة كان في القرن الرابع الهجري/ العاشر للميلاد، وكانت له أعمدة قد بنيت بالحجارة في مرحلة سابقة، غير أنّ العمال الذين كانوا يعملون في بنائه لم يتمكّنوا من إعادته إلى الحالة التي كان عليها سابقاً. ويروى أنّه قد تهيّأت للمسجد خشبة كبيرة، وحينئذ عمد البنّاءون لتسقيفه بها. ويتكوّن البناء الهيكلي للمسجد من سبعة أعمدة ومن" مروع رواكب في المقدمة والجناحين"، أمّا المؤخرة فقد بنيت على شكل قباب.

وقد أدخل العرب في شرق إفريقيا مظاهر الحضارة الإسلامية، وتجلّى ذلك من خلال المباني المعماريّة أو تخطيط المدن أو زخارف الأبواب والشبابيك. كما أدخل العرب النّقش والحفر والنّحت والفسيفساء المتّخذة من الرخام، والرّخام الملوّن. وظهر ذلك في قصور كلوة ومساجدها. وقد امتزج الطابع الحضاري في بناء المساجد بالطابع الديني[2]، إذ تبيّن الاكتشافات الأثريّة وجود مسجد اكتشف في رأس مكومو بجزيرة "بيمبا" التي ترجّح بعض الدّراسات أن تكون هي جزيرة قنبلو التي ذكرها المسعودي، أو ربما تكون جزيرة زنجبار[3]. ولم توضّح الاكتشافات الأثرية الفترة الزمنية التي تمّ فيها بناء هذا المسجد، بينما يرى آخرون أنّ جزيرة قنبلو التي زارها المسعودي، ربما كانت تشكّل جزءاً من أرخبيل لامو، الذي وصفه بأنّ فيه لغة أنيقة يبشّر الناس بها، وهي إشارة إلى الدعوة للإسلام.

وفي أثناء زيارتي الميدانية لشرق إفريقيا، زرت مسجداً بمحلّة "كيزمكازي" التي تقع بزنجبار، وهو للشيخ أبو عمر بن موسى بن الحسن بن محمد، وكان قد شيّده في شهر ذي القعدة سنة 500هـ/1106م، ويوجد بداخله محراب عليه كتابة بخطوط كوفيّة، وقد كتب في الشقّ الأيمن منه تاريخ بنائه. وقد قام بتشييده أربعة عشر تاجرا من العراق. وبالإضافة إلى وظيفة المسجد الأساسيّة، فقد استخدم كموقع استحكاميٍّ للدفاع عن البلدة. ويظهر أنّه حفر به بئر ما زال قائماً يستخدم كمصدر للمياه المستخدمة للوضوء والشرب. كما توجد بعض القبور لجاليات عربية من الأشراف كانت قد بنيت بالجصّ والحجارة. ويعود تاريخ

---

1 – Basil, *The lost cities of Africa* .op .cit .p .117

2 – مجهول ، ***السلوة في أخبار كلوة*** ، المصدر السابق ، ص 38.

3 – كيركمان، التاريخ المبكر لعمان الإسلامية في شرق أفريقيا، ص 280، الغنيمي، ***الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا***، المرجع السابق، ص 78.

بعضها إلى الفترة التي بنى فيها المسجد، أما البعض الآخر فيرجع تاريخه إلى فترات لاحقة.

ونتيجة للمدّ العماني خصوصا، والخليجيّ بشكل عام، فقد وصل الإسلام إلى مدغشقر وجزر القمر اللتين دخلهما بسهولة ويسر. إذ تشير بعض المصادر أنّ قبيلة "الأنتامورونا" كانت تعتقد قبل دخولها الإسلام، في إله واحد أزليّ أبديّ، وهو خالق الكون كله، وبيده كل شيء. وحين وفد العرب إليها بدينهم الخالد كانت عقيدتهم مؤيّدة أو متطابقة لما كانت تعتقده هذه القبيلة السواحيلية، فاعتنقت الدين الإسلامي بيسر. ولقد أضاف هذا التحول الجديد نقلة جديدة نحو التمازج بين العرب والأفارقة[1]. وفي غضون فترة وجيزة أصبح سكان الجزيرة كلهم مسلمون. وقد أدّى ذلك إلى تعدّد المساجد والجوامع بها. ففي فترة لاحقة وصل عدد المساجد في "مروتي" عاصمة جزيرة "مايوت" نحو أثني عشر مسجداً[2]. كما انتشر الإسلام في جزيرة "أنجوانا" وهي إحدى جزر أرخبيل القمر، ويشار إلى أن أصول العرب القاطنين بها هم من عمان وسواحل الخليج العربي، وبعضهم يدّعون أنهم من الأشراف ومن سلالة الرسول(ص) أو طالبيّون، وهاشميون قرشيون[3] غيرأنّ المصادر لم تذكر المساجد التي شيدت بالجزيرة، والتي أدّت إلى قيامها بوظيفتها الدينية. فلقد كانت بالأخصّ ملتقى للفكر الإسلامي ومدرسة لتعليم الدين ونشره بين مختلف تلك المناطق.(**انظر الشكلين 17 و18)**

[1] – الغنيمي، ***الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا***، المرجع السابق، ص 213-230.

[2] – الغنيمي ، المرجع نفسه، ص 171-236.

[3] – الغنيمي، المرجع نفسه، ص 240.

خـــــــــاتمة

وخلاصة لما تقدّم، إنّ الوجود العماني خصوصا والعربيّ عموما عرفته منطقة شرق إفريقيا منذ فترة متقدّمة، تدعّم في الفترة الإسلاميّة الأولى لأسباب عديدة ، منها مـــا هـــو سياسيّ، فقد شهدت منطقة الخليج، والجزيرة العربيّة أوضاعا متقلبة في ظلّ خلافة أمويّـــة عرفت تفككا لأسباب عقائديّة أو سياسيّة. وقد امتدّ الخلاف إلى العهد العبّاسي الـــذي شـــهد طورا من الانقسام، وظهرت حركات مناهضة في أقاليم مختلفة عملت السلطة المركزيّـــة على قمعها. ولم تكن عمان بمعزل عن كلّ ما حدث، فقد تمزّقت الإمامة الأباضية الثانيـــة، وتفتّت كيان الدولة. وقد أدّى ظهور القرامطة على مسرح الأحداث إلى مزاحمة العبّاسيين سياسياً واقتصادياً. وتمكّنوا من مدّ نفوذهم على منطقة شاسعة من الأقاليم الإسلامية. فشنّوا هجوما على عمان بهدف الإستيلاء عليها. وفي المقابل احتلّ البويهيـــون بغـــداد. ونتيجـــة للوجود القرمطي في عمان فقد جهّز عضد الدولة حملة عسكرية بهدف طـــردهم منهـــا. فخلّف الصراع البويهي القرمطي شرخا عميقا في كيان المجتمع العماني بمختلف جوانبـــه بعد أن عرف العمانيّون الويلات. وإثر ذلك غزا السلاجقة عمان و حكموها نحو أكثر مـــن مائة وثلاثين عاما.

أما الوضع التجاري في عمان خلال تلك الفترة، فعلى الرغم مـــن تلـــك الأحـــداث الدامية والصراعات المتتالية، فإنّ البلاد لم تتأثر بل وصل الوضع التجاري فيها إلـــى أوج ذروته على خلاف تجارة الخليج العربي التي تأثّرت سلبا، وانتقلت بشكل تـــدريجيّ نحـــو الموانئ البعيدة عن مراكز الصراع. ولما كان إقليم عمان المتميز بموقعه وبسواحله الممتدة إلى المحيط الهندي يحتل الواجهة الأمامية للتجارة العالمية، فقد أصـــبح مركـــزاً رئيـــسيّاً واستقطب جميع السّفن التجارية المتّجهة نحو الخليج العربي. ولكنّ ظهور الفاطميين فـــي مصر كأهم قوة منافسة للعباسيين، وظهور مراكز تجارية جديدة في سواحل شرق جزيـــرة العرب مثل جزيرة قيس أدّى إلى اضمحلال دور عمان التجاري. ومن هنا بدأ تحوّل الثقل التجاري إلى منطقة البحرالأحمر، كما ظهرت "هرمز" في فترة لاحقة منافساً عنيدا لتجارة قيس. وفي القرن السادس الهجري تحوّلت ظفار لتصبح من أهمّ المراكز التجارية، ومحطة لا غنى عنها للسفن القادمة من المحيط الهندي وشرق إفريقيا.

وعرفت هجرة العمانيّين إلى شرق إفريقيا مراحل متواترة ، فبعد هجرة بني الجلندى هاجر قبائل الحرث واستقرّوا هناك وأسّسوا مدنا مثل مقديشو وغيرها. ثمّ كانـــت هجـــرة

التّباهنة الذين استقرّوا بالشّرق الإفريقي حتّى مقدم البرتغاليّين، وأسّسوا لهم مدنا وكيانات سياسيّة.

وقد لعبت هذه الهجرات دورا كبيرا في ولادة حضارة إسلاميّة، شملت العديد من المظاهر. فنشروا الإسلام وقاموا بتشييد المساجد التي قامت بدور كبير في نشر الثقافة الإسلامية. كما كان لهم دور في توحيد اللغة السواحيلية التي انتشرت على طول سواحل شرق إفريقيا وأصبحت اللغة الرسمية في التعامل التجاري وفي نشر الإسلام.

الخاتمة العامة

لقد لعبت المعطيات الجغرافيّة لإقليم عمان المتّصل بمهرة جنوباً وباليمامة شمالاً، دوراً بارزاً في رسم ملامح النّشاط البشريّ. فلقد فتحت طبيعته نافذة أطلّت عمان من خلالها على دول العالم الخارجيّ عن طريق سواحل بحريّة ممتدّة في جهة الجنوب الشّرقيّ إلى دول المحيط الهندي وشرق إفريقيا، وفي الشّمال الغربيّ بسواحل الخليج العربي وصولا إلى شطّ العرب. فشكّل الموقع أهميّة استراتيجية في المجالين الملاحيّ والتجاريّ، وعزز من دورعمان في مجالات اقتصاديّة مهمّة، ممّا جعل هذا الإقليم وجهة للعديد من الهجرات العربيّة منذ القدم. فلقد هاجرت إليه قبائل قحطانيّة وأخرى عدنانيّة كانت قد تركت مواطنها في شبهِ جزيرةِ العرب لظروف سياسيّة أواقتصاديّة. ولقد ساهمت الطبيعة في إضفاء أبعاد اقتصاديّة واجتماعيّة وحضاريّة متكاملةٍ امتدّت جذورها عبر التّاريخ العمانيّ، وطبعته بطابع خاص تأثّرت جوانبُه إلى حدّ كبير بالبحر.

وكان لهذه الخصوصيّة أثر بارز في عمان، فلقد تحكّمت ظروفها الطبيعيّة في صنع سياستها. فأضافت لها أهميّة جيوبوليتكيّة ساهمت في التفاعلات الإقليميّة والدوليّة منذ قرون سحيقة. وقد انعكست آثارها على حياة المجتمع العماني وشهد نهضة حضاريّة. كما شكّلت ظهيراً ملاحيّاً وتجاريّاً وزراعيّاً ساهم في صنع حياة اقتصاديّة نشطة، وربطها موقعها بمختلفِ الأقاليم الشرقيَّة والغربيَّة منها. ويمكن أن نتبيّن فضل موقعها من خلال ما أفرزه من أحداث سياسيّة معقدة إذ يعدّ فرصة لمسارات التّجارة الدوليّة، وهو ما يدعو إلى التعرّف على ماهيّة الموقع وتضاريسه.

لمّا كان موقع عمان يحدّه البحر من الجنوب الشّرقيّ إلى الشّمال الغربيّ، وتحدّه من جهة الغربِ إلى الجنوب كثبان رمليّة، وفي الوسط سلسلة جبليّة تمتدُّ على نحو أكثر من (650 كلم)، فقد سعى الإنسان العمانيّ لمؤانسة البحر وتأقلم معه إلى حدّ كبير، و من خلاله تمكّن من الاتّصال بالأقاليم القريبَة منه والبعيدة. ومن هنا بدأت عراقة الموقع تتلاحم مع شعور الإنسان العمانيّ. فانبثقت من التلاحم فكرة الاستقلال عن شبه جزيرة العرب، باعتبار أنّ عمان لها حضارات قديمة عاشت مستقلّة على أرضها منذ قرون ضاربة في القدم. بيد أنّ ارتباط البلاد بمركز الخلافة الإسلامية في الشام والعراق لاحقاً، لم يترك لها مجالا للاستقلال. وهنا بدأت تلوح في الأفق بوادرُ انفراج تبلوَرت مفاهيمه في المدّ المذهبي

الذي أفرزته الحركة الأباضية. وهي حركة فكريّة عقائديّة اتّخذت من البصرة مركزاً لها، وقد بلورت أفكارها إلى واقع سياسي. غير أنّها صنّفت ضمن حركة الخوارج على اعتبار أنّها خرجت سياسيّاً عن منظومة الخلافة الإسلامية آنذاك.

لقد نجح الدّاعية أبوعبيدة مسلم بن أبي كريمة في البصرة، في مَـدّ جذور الدّعوة إلى كل من حضرموت واليمن سنة 129هـ/746م، وتمكّن على أيدي أحد رفاقه الذي يـدعى بـ"عبدالله بن يحيي الكندي" الملقب بـ" طالب الحقّ" من تشكيل الإمامة الأباضية الأولـى، التّي قضي عليها سنة 130هـ/747م. و برغم أنّ هذه الإمامة التّي قضيَ عليها لم تعمّر طويلاً، إلا أنّها تعتبر من النّاحية النّظريّة لزعمائها ناجحة، باعتبار أنهم خاضوا من خلالها أوّل تجربة سياسيّة لهم. إلاّ أنّ الصّراع ظلّ قائماً بين الأمويّين والاباضـيين حتّـى قيـام الخلافة العباسيّة سنة 132هـ/749م.

ولمّا كان الأباضيُّون في البصرة يهدفون إلى إحياء نظام الإمامة التي فشلت تجربتها في حضرموت واليمن (129- 130هـ/746 - 747م)، فقد جنّدوا خريجي مدرسة أبـي عبيدة في البصرة لتنفيذ المهمّة، على أن يكون ذلك بعيداً عن مركز الخلافة الإسلامية الذي انتقل مؤخراً إلى العراق. ولعلّ إقليم عمان كان الجهة الآمنة من الوجهة النظريّـة لقـادة الحركة لإقامة الإمامة الأباضيّة المزمع إنشاؤها لاعتبارات عديـدة ؛ أهمّهـا إسـتراتيجية الموقع من حيث مسالكه الوعرة، فضلاً عن أنّه يشكل ممراً حيوياً لتجارة الخليج العربي.

وكان لغزوات الجيوش الأمويّة عامل مهم بقيت أثاره راسخة فـي نفـوس القبائـل العمانية، الأمر الذي حفّز هذه القبائل لاحتضان بذور الثّورة التي نادت بالاسـتقلال عـن الخلافة الإسلاميّة، معتبرة أنّ إقليم عمان يشكل تربة خصبة لاحتضان الثورة.

إنّ هذا المطلب له أبعاد ضاربة جذورها في الأعماق من الوجهة النظريّـة للخلفـاء العباسيّين، ويشكل معطىً سياسياً مضاداً للسّياسة العباسّية التي كان من أبرز أهدافها نقـل مركز الخلافة إلى العراق، بهدف السّيطرة على شبكة الاتّجار الدّوليّة والأقاليم الإسـلاميّة ومنافذها الحيويّة. ممّا يعني أنّ انفراد الحركة الأباضيّة بإقليم عمان الحيويّ الذي تصبُّ فيه جميع طرق التّجارة الدوليّة المتّجهة نحو أقاليم الخليج العربيّ، يشكّل تهديداً خطيـراً مـن وجهة نظر العباسّيين على مسارات التجارة. ولهذا، عاملوا زعماءها معاملة الثوار المارقين.

لقد واكب توقيت قِيام الإمامة الأباضيّة في عمان، وصول العباسـيّين إلـى السّلطة (132هـ/749)م. إلا أنّ هذه الإمامة، قضي عليهـا مـن قبـل العباسـيّين فـي عـام

(134هـ/751م). ولعلّ الهدف من توقيت قيام إمامة أباضيّة بإقليم عمان في هذا الظرف بالذات، يشكّل بعداً سياسياً جديداً خطّط له تخطيطاً استراتيجيا من قبل علماء الحركة الأباضيّة. وهو يرمي إلى الاستيلاء على شبكة خطوط التّجارة الدوليّة المؤدّية إلى مركز الخلافة الجديدة في العراق من جهة، ومزاحمة العباسيين سياسياً واقتصاديا من جهة ثانية.

بعد أن تمّ القضاء على الإمامة الاباضيّة الأولى، سيطر العباسيّون على إقليم عمان نحو أكثر من أربعين عاماً. وظلّ السواد الأعظم من العمانيّين في صراع بين الذات والواقع بسبب تعرضّهم لإرهاصات النكسة على أيدي خصومهم العباسيّين وأحلافهم من بني الجلندى. غير أنّ بوادر انفراج بدأت تلوح في الأفق من جديد إثر التبلور الذي حدث في موقف علماء الحركة الاباضيّة.

لقد تبنّى علماء الحركة الأباضيّة سنة 177هـ/793م موقفاً جديداً نادى أصحابه بقلب نظام الحكم والإستيلاء على السلطة من أيدي حلفاء العباسيّين من بني الجلندى. وقد نجح قادة الحركة في الإستيلاء على السّلطة. وأقاموا إمامتهم الثّانية التّي بسطت نفوذها على الإقليم نحو أكثر من مائة عام. كما سيطر العمانيُّون على جميع السّواحل الشرقيّة لجزيرة العرب، وتمكّنوا من حماية مسارات التّجارة الدوليّة المتّجهة نحو منطقة الخليج العربي، وهو أمر لم تكن الخلافة العبّاسيّة تتصوّره. كما أنشأ العمانيّون داراً لصناعة السّفن، وتمكّنوا من بناء أسطول حربيّ ضخم، يقدّر تعداده بأكثر من ثلاثمائة سفينة، فضلا عن إعدادهم لجيوش مختلفة التّقسيمات والأعتدة الحربيّة. كما قاموا بدور حضاريّ بارز، إذ ساهموا في بناء صرح الحضارة الإسلاميّة بمختلف أنماطها ومظاهرها. فنبغ منهم علماء وأدباء نشروا الثّقافة الإسلاميّة وعلومها، ولاسيما علوم الفقه والحساب واللّغة وآدابها، ونبغوا في علم التّاريخ والفلسفة وغير ذلك. كما قاموا بتشييد مختلف أنواع العمارة كالبروج والقلاع والحصون، إذ شُيِّدت أكثر من (500) قلعة وحصن، فضلاً عن العمارة المدنيّة والدّينيّة.

غير أنّ هذه الإمامة التي بقيت آثارها شاهدة عبر التّاريخ العماني، قضيَ عليها إثر صراع نشب بين القبائل العمانيّة على السّلطة سنة 280هـ/893م.

وكان سبب هذا الصّراع اختلاف وجهات النّظر بين العمانيّين حول عزل أحد أئمّتهم عن السلطة وهو الصلت بن مالك الخروصي. وقد نتج عنه انقسام المجتمع العمانيّ إلى حلفين، أحدهما يمانيّ سيطرَ على السّلطة، والآخر نزاريّ مهزوم نقل ولاءه إلى الخلافة

العباسيّة في العراق. وعلى إثر ذلك عادت الخلافة العبّاسيّة للتدخّل في الشّأن العمانيّ، غير أنّهم لم يتمكّنوا من الصّمود طويلاً في عمان، نتيجة ظهور القرامطة على مسرح الأحداث في منطقة الخليج العربي، والذين أحدثوا خلخلة في كيان الخلافة الإسلاميّة، حيث زاحموا العباسيّين فكريّاً وسياسيّاً واقتصاديّاً. فشنّوا هجوما على عمان في عام (300هـ /911م) بهدف الاستيلاء عليها، وعلى إثره تمكّنوا من تحويل عائداتها من ضرائب وزكاة إلى الإحساء. كما تمكنوا من الاستيلاء على إقليم الملتان، الذي كان تحت هيمنة العمانيين، وبسطوا نفوذهم على منطقة شاسعة من أقاليم الهند والسّند.

وفي سنة 355هـ/965م جهّز البويهيّون بأمر من عضد الدّولة حملة عسكريّة لغزْو عمان بهدف الإطاحة بالقرامطة فيها. وقد خلّف الصّراع البويهيّ القرمطيّ شرخاً عميقاً في كيان المجتمع العمانيّ، بعد أن تعرّضوا في ظلّه إلى القتل والتشريد. كما خضعت عمان سنة 448هـ/ 1056م لغزو السّلاجقة، الذين أحكموا سيطرتهم عليها نحو أكثر من مائة وثلاثين عاماً (448-583هـ / 1056-1187م).

ومن ناحية أخرى، مثّلت صناعة السفن العمانيّة أفضل ما وصلت إليه عظمة الإنسان العمانيّ وعزيمته، فكان لها الأثر في التّواصل الثقافي وفي التّلاحم والتّبادل بين أهل أقاليم المحيط الهندي من جهة، وأهل المنطقة العربيّة من جهة أخرى. وقد وحّد العمانيّون أسلوب صناعة سفنهم مع صناعة سفن أهل مناطق المحيط، من حيث المواد اللاّزمة للصّناعة، وهي الأخشاب. وقد تميّزت هذه الصّناعة باستعمال خيوط ليف النارجيل بدلاً من المسامير في عملية وصل ألواح السّفينة، وأصبحت الميزة المثلى التي تستخدم في جميع سفن المحيط الهندي. وقد استنبطها الملاّحون من طبيعة المحيط نفسه استعدادا للإبحار في المياه العاتية، فخاضوا غمار التّجربة التّي هيمن عليها الفكر البشري قبل الطّبيعة التّي أمدّتهم بالمواد اللاّزمة لصناعة سفنهم. وهنا تتجلى قدرة الإنسان وعظمته حين خاض مياه المحيط لمواجهة صخوره المرجانيّة. إذ أنّ الخيوط بطبيعتها تمكّن السّفن من مرونة أكثر وتقلّل من عمق "الغاطس" لتجعلها تطفو على سطح الماء، مما يسهّل التّعامل مع الصّخور المرجانيّة في مواجهة التيّارات البحريّة العاتية التي خبروا خصائصها وتعاملوا معها بحذر ورفق يخالجهم شعور الإبحار. كما تعامل الإنسان العمانيّ مع الشّراع المثلث، وهو أوّل اختراع توصّل إليه البحّارة العرب. ويتميّز الشّراع المثلّث على الشّراع المربّع بخاصيّة دوران السّفينة أكثر. وبهذا لعب العماني دوراً بارزاً في الملاحة والتجارة في منطقة المحيط

الهندي الصّاخبة حاملاً فوق سفنه أثمن أنواع سلع المحيط، التي ساهمت في الرّقيّ الحضاريّ الذي عرفته البشرية.

كما تعامل الإنسان العمانيّ الملاح، ببراعة مع الرّياح الموسميّة والتيّارات البحريّة وهواجس البحر الأليف، الذي طبع الإنسان بطابعه، فتجلّت عظمة الخالق أن سخّرت للإنسان البحّار معرفة الإبحار في عرض المياه الصّاخبة، فاتّخذ النّجوم ليلاً بمساعدة الأشرعة دليلاً في الوصول إلى أقصى بقاع المحيط. وقد أدّى ذلك إلى هيمنته على طرق الملاحة البحريّة، سواء أكان ذلك في الخليج العربي والمحيط الهندي، أو في سواحل شرق إفريقيا.

ونتيجة للتّمازج بين طبيعة مياه المحيط والإنسان الملاح، نشأت حركة تجاريّة ضخمة توطّدت أركانها، وبنت عمان من خلالها علاقات تجاريّة بينها وبين مختلف البلدان والأقاليم العربية الإسلاميّة، امتداداً إلى دول المحيط الهندي وأقاليمه الغنيّة بمواردها الطبيعيّة. وقد أضحت المرافئ العمانيّة نقطة انطلاق السّفن التجاريّة المبحرة نحو مختلف الأقاليم، سواء تلك التّي في جانب المحيط الهندي أوفي الأقاليم العربية شرقا وغربا. وكان التّبادل التّجاريّ يتمّ عن طريق الموانئ العمانيّة، وتتزوّد السّفن بما تحتاجه من مؤن ومياه، فضلاً عن إعادة تصدير السّلع المهمّة النّادرة التي كانت تصدّر بكميات كبيرة إلى دول المحيط الهندي كالهند والصّين وأقاليم السند. كما ارتبطت بعلاقات تجاريّة مع منطقة الخليج العربي، فلعبت دوراً مهماً في نقل تجارته. وقد بلغت ذروة ازدهارها خلال الفترة من القرن الثاني الهجري إلى نهاية القرن الخامس الهجري/ الثامن إلى القرن الحادي عشر للميلاد.

أمّا فيما يتعلّق بعلاقاتها التجاريّة مع أقاليم البحر الأحمر ودول المغرب العربيّ، فقد حرص العمانيّون على تنمية أواصرها بالتّواصل مع الدولة الرُّستميّة الأباضيّة التي نقلوا إليها صُنوفا مختلفة من بضائع الشّرق. كما نقلوا إليها عن طريق التّجار العديد من العلوم الفقهيّة أو الشرعيّة، وقد توافدت أعداد من أباضيّة المغرب لدراسة هذه العلوم في عمان.

إنّ التّناغم بين السّلع الثّمينة في منطقة المحيط الهندي وبين الإنسان في الأقاليم الشّماليّة الغربيّة بمجملها، أدّى إلى استيراد العمانيّين لهذه السّلع بكمّيّات كبيرة. فجلب العمانيّون صنوفا متعدّدة من الأمتعة الثّمينة التّي زاد الطّلب عليها في المنطقة العربيّة، فتعاملوا مع أهل مناطقها، واستوطنوا ديارها وأقاموا وكالات تجاريّة في أماكنها وأسواقها،

ونشروا ثقافاتهم بين أهلها وأقاموا حضارة هناك. ومن هنا بدأت مساهمتهم في بناء صرح الحضارة الإسلاميَّة في الحقبة مدار البحث، وقاموا بدور إنسانيّ مهمّ توارثه المجتمع العمانيّ إلى وقتنا الحاضر.

لقد وصل الوضع التّجاري في عمان خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر للميلاد، إلى أوج ازدهاره. ويعود ذلك بصفة عامة إلى الأوضاع السياسيَّة التي تعرَّض لها بيت الخلافة العباسيّة في منطقة الخليج العربي، وأفرزت نتائج سلبيّة انعكست على الأوضاع التّجارية في المنطقة ، حيث أدّى ذلك إلى انتقالها بشكل تدريجي نحو الموانئ البعيدة عن مراكز الصّراع. ولمّا كان إقليم عمان يحتلّ الواجهة الأمامية للتجارة الدّوليّة المؤدّية إلى بغداد والبصرة، فقد شكّل نقطة تحوّل للسفن القادمة من أقاليم المحيط الهندي. إلاّ أنّ هذا الوضع لم يحافظ على مستوياته بسبب ظهور الفاطميّين في مصر كأهمّ قوة منافسة لتجارة الخليج العربي. ومن هنا بدأ الثّقل التّجاري يتحوّل إلى منطقة البحر الأحمر. وكان من الأسباب التي أدَّت أيضاً إلى تراجع تجارة عمان هو ظهور مراكز تجاريّة جديدة في سواحل شرق جزيرة العرب. إذ ظهرت في الربع الأخير من القرن الخامس الهجري، "جزيرة قيس" كأهمّ منافس لتجارة عمان، فتحوّل الثّقل التجاري من عمان إلى "قيس". كما ظهرت هرمز في فترة لاحقة منافسا لجزيرة قيس واحتلّت مكانة تجاريَّة حافظت عليها حتّى قدوم البرتغاليين إلى منطقة الخليج العربي. وفي القرن السّادس الهجري ظهرت ظفار كأهمّ مركز تجاري في بحر العرب، وتبوّأت مكانة تجاريَّة مرموقة، وكانت محطّة للسُّفن القادمة من المحيط الهندي وشرق إفريقيا.

أمّا فيما يتعلّق بهجرة العمانيّين إلى شرق إفريقيا، فقد شكّلت أحد أهمّ المحاور الرئيسيّة في هذا البحث، باعتبار أنّ الدّور العمانيّ في منطقة المحيط الهندي وشرق إفريقيا هو محور الدّراسة. وتعود الهجرة نحو شرق إفريقيا إلى دوافع وتحوّلات سياسيّة مرحليّة مرّت بها الجزيرة العربيّة جرّاء سياسات حكّامها. وقد امتدّ تأثيرها إلى إقليم عمان، وأدّت نتائجها إلى نزوح كثير من العمانيّين واستقرارهم بشكل دائم في شرق إفريقيا. لقد هاجرت بعض الأسر والقبائل من عمان إلى شرق إفريقيا، مثل أسرة بني الجلندى وقبائل الحرث والنباهنة إثر صراعات سياسيّة كانت قد بدأت بوادرها منذ فترة مبكّرة (75-93هـ /694- 711م). وقد استقرّت هذه القبائل في أرخبيل لامو، ثم ما لبث أن انتشرت على طول السّاحل الشّرقيّ لإفريقيا. وقد تمكّن المهاجرون من تأسيس كيانات سياسيّة لهم حسب

فترات زمنيّة متعاقبة. ومع مرور الزمن شيَّدوا مراكز تجارية تحولت بعد فترة قصيرة إلى مدن كبيرة وامتدّ نشاطها على طول ساحل شرق إفريقيا مستفيدين من موقع بلادهم، ومقيمين لحضارة بقيت شاهدة على دورهم.

كما كان لهم دور كبير في توحيد اللُّغة السّواحيليّة والمساهمة في مسار تداولها، فقد انتشرت بشكل يفوق التّصور على طول سواحل شرق إفريقيا، وأصبحت اللُّغة الرّسميّة في التّعامل التّجاري وفي نشر الإسلام. وقد تعاقبت الهجرات العمانيّة إلى شرق إفريقيا على طول الحقب التّاريخيّة حتّى أصبحت هذه المناطق في فترة لاحقة امتدادا لعمان، وأطلق عليها المُؤرّخون إسم الإمبراطوريّة العمانيّة.

"وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" " صدق الله العظيم".

"والله ولي التوفيق"

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

-**القرآن الكريم.**

1- سورة الأنفال آية رقم(69).
2- سورة التوبة،آية رقم(34).
3- سورة المعارج آية رقم(25).
4- سورة النور آية رقم(32 و33).

I – المصادر العربية.

***المخطوطات.**

1- الرقيشي، خلف بن احمد بن عبدالله، *مصباح الظلام وشرح دعائم الإسلام*، مخطوطة، تحت رقم(1735) قسم المخطوطات والوثائق، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، بدون تاريخ.
2- العصامي،عبدالله بن الحسين بن عبدالله المكي، *تاريخ العصامي*، مخطوطة تحت رقم(1857)) قسم المخطوطات والوثائق، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 1049م.
3- مجهول، *سير العلماء الاباضية*، مخطوط تحت رقم(3558) بقسم المخطوطات والوثائق، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان، بدون تاريخ.
4- الجيطالي،إسماعيل بن موسى،(750) *شرح قواعد الإسلام*، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم22067 ب .

***المصادر المطبوعة**

5- ابن الأثير،عزالدين أبي الحسن علي أبي محمد بن عبدالكريم الشيباني، *الكامل في التاريخ*، دار صادر بيروت 1965م.
6- ابن الفقيه، أبي بكر احمد بن محمد الهمذاني، *مختصر كتاب البلدان*، دار أحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
7- ابن الكلبي، هشام أبو المنذر بن محمد السائب الكلبي، *جمهرة النسب*، تحقيق، محمد فردوس،دار اليقظة العربية دمشق، بدون تاريخ.
8- ابن بطوطة، *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*، كتاب التحرير 1966م.
9- ابن جبير، أبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير، *رحلة ابن جبير*، دار مكتبة الهلال بيروت، 1986م.
10- ابن حبيب، أبو جعفر(245هـ) *كتاب المحبر*، لختيشر حيدر أباد،1942م.
11- ابن حزم، محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، تحقيق، سلام محمد هارون، دار المعارف ط4، بدون تاريخ.

12- ابن حوقل، ابي القاسم عبيداله بن عبداله (300هـ) *صورة الأرض*، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، بدون تاريخ.

13- ابن خرداذبه، أبي القاسم عبيداله بن أحمد، *المسالك والممالك*، دار أحياء التراث العربي،1988م.

14- ابن خلدون، عبدالرحمان، *مقدمة ابن خلدون*، دار الكتاب المصري، 1999م.

15- ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر،(ت 608- 681 هـ) *وفيات الأعيان وأنباء الزمان*، دار أحياء التراث العربي، بيروت،1998م.

16- ابن خياط، عمرو خليفة بن خياط الليثي، *تاريخ خليفة بن خياط*، دار صادر، 1995م.

17- ابن رزيق حميد بن محمد، *الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين*،تحقيق، عبد المنعم عامر بن عمير، وزارة التراث مسقط، 2001م.

18- ابن رسته، أبي على احمد بن عمر بن رسته، *الاعلاق النفيسة*، دار صادر، 1892م.

19- ابن سلام الاباضي، *الإسلام وتاريخه من وجهة نظر الاباضية*، تحقيق، ز.ف. شفارتز، وسالم يعقوب، دار اقرأ بيروت،1985م.

20- ابن ظهيرة، *الفضائل الباهرة، في محاسن مصر والقاهرة*، تحقيق، مصطفى السقا، وزارة الثقافة،مصر،1969م.

21- ابن عذاري، محمد بن عذاري المراكشي، *البيان المغرب في أخبار المغرب*، بيروت، 1950م.

22- ابن مجاور، *صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز*، تاريخ المستبصر،طبع في مدينة ليدن بريل 1954م.

23- ابن مخرمة، أبي عبداله طيب بن عبداله بن أحمد، *تاريخ ثغر عدن*، سبيس مكتبة مدبولي القاهرة، 1971م.

24- ابن مداد، عبداله بن مداد، *سيرة ابن مداد*،سلسلة تراثنا العدد56، وزارة التراث مسقط، 1984م.

25- ابن منظور، *لسان العرب*، بيروت دار صادر، ط3، بدون تاريخ.

26- أبو الفداء، عماد الدين بن إسماعيل محمد بن عمر، *تقويم البلدان*، دار صادر بيروت بدون تاريخ.

27- أبو المؤثر، خميس بن الصلت الخروصي، *كتاب الأحداث والصفات*، من علماء القرن الثالث الهجري، تحقيق، الدرويش جاسم ياسين،1996م. وزارة التراث مسقط.

28- الإدريسي، أبي عبداله محمد بن عبداله الحموي الحسيني، *نزهة المشتاق في اختراق الأفاق*، عالم الكتب بيروت،1989.

29- الازدي، زكريا بن يزيد بن محمد، *تاريخ الموصل*، تحقيق، حبيبة، القاهرة، 1977م.

30- الازكوي، سرحان بن سعيد، *تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع الإخبار الأمة*، تحقيق، عبد المجيد القيسي، بدون تاريخ.

31- الاصطخري، أبوإسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، *مسالك الممالك*، دار صادر1927م.

32- البسيوي، أبو الحسن علي بن محمد البسياني، *مختصر البسيوي*، وزارة التراث سلطنة عمان بدون تاريخ.

33- البكري، أبوعبيد، *جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك*، تحقيق،عبداله يوسف الغنيم، ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت، ط1، 1977م.

34- البكري، أبوعبيد، *المسالك والممالك في ذكر افريقية والمغرب*، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة بدون تاريخ.
35- البلاذري، أبوالعباس احمد بن يحيى بن جابر، *فتوح البلدان*،تحقيق، عمر انيس، 1987م.
36- البيروني، محمد بن أحمد(ت433هـ) *كتاب الجماهر في معرفة الجواهر*، مكتبة المثنى، القاهرة بدون تاريخ.
37- التنوخي القاضي، أبوعلي الحسن بن علي بن محمد، *نشوار المحاضرة وأخبار الذاكرة*، تحقيق، مصطفى حسين عبد الهادي، دار الكتب العلمية، بيروت بدون تاريخ.
38- الجاحظ، أبو عمر عثمان بن عمرو بن بحر، *البيان والتبيين*، دار الفكر العربي، بيروت بدون تاريخ.
39- الجاحظ، ابوعثمان عمرو بن بحر، *التبصر بالتجارة*، مكتبة الخانجي، مصر،1994م.
40- الحافظ، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي، *البداية والنهاية*، دار المعرفة بيروت.1998.
41- الحميري، محمد بن عبد المنعم، *الروض المعطار في خبر الأقطار*، تحقيق، إحسان عباس، ط3، مؤسسة ناصر للثقافة،1980م.
42- الدمشقي، أبوالفضل جعفر بن علي، الإشارة في محاسن التجارة، دار صادر بدون تاريخ.
43- الدينوري، أبوحنيفة احمد بن داوود، *الأخبار الطوال*، تحقيق، عصام محمد الحاج،دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
44- الزمخشري، جار الله بن محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، *الجبال والأمكنة والمياه*، تحقيق، أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، 1999م.
45- السيرافي، أبو زيد الحسن، *رحلة السيرافي*، ط1، أبوظبي المجمع الثقافي،1999م.
46- الشماخي، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، *كتاب السير والجوابات*، القاهرة الطبعة الحجرية، بدون تاريخ.
47- الشماخي، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، *كتاب السير*، وزارة التراث والثقافة، مسقط، 1987م.
48- الطائي، محمد بن خليفة بن محمد بن موسى النبهاني، *التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية*، المكتبة الوطنية بيروت، ط1، 2004م.
49- الطبري، أبوجعفر بن محمد بن جرير الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، دار صادر2003م.
50- الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير، *تاريخ الرسل والملوك*، دار صادر بيروت، 2003م.
51- العوتبي، سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، *الأنساب*، وزارة التراث مسقط بدون تاريخ.
52- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت، بدون تاريخ.
53- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، *صبح الأعشى في صناعة الانشأ*، مطبعة كوستاتوماس، القاهرة بدون تاريخ.
54- القلقشندي، *نهاية الأرب في معرفة انساب العرب*، دار الكتاب العلمية، بيروت بدون تاريخ.
55- القلهاتي، محمد بن سعيد، *الكشف والبيان*، تحقيق، محمد بن عبد الجليل، سلسلة الدراسات الإسلامية ، تونس، 1984م.
56- الكندي، أبو بكر احمد بن عبدالله بن موسى الكندي السمدي، *المصنف*، وزارة التراث والثقافة، مسقط، 1993م.

57- الكندي، محمد بن إبراهيم، *بيان الشرع*، وزارة التراث سلطنة عمان مسقط، 1992.
58- المبرد، أبو العباس بن يزيد المبرد،(ت 286هـ) *نسب قحطان وعدنان*، تحقيق،عبد العزيز الميمني، الدوحة قطر،1984.
59- المبرد،أبو العباس محمد بن يزيد، *الكامل في اللغة والأدب*، (ت 210- 285هـ) دار أحياء التراث العربي، بيروت 2003م.
60- المسعودي أبو الحسن على، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، تحقيق، محمد محي الدين، كتاب التحرير،1960م.
61- المسعودي،أبو الحسن العلي بن الحسين،(345هـ) *التنبيه والإشراف*، تحقيق، عبدالله بن إسماعيل الصاوي، دار الصاوي للطباعة، مصر القاهرة، بن تاريخ.
62- المغربي، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد، *كتاب الجغرافيا*، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري بيروت،1970م.
63- المغيري، سعيد، *جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار*، تحقيق، عبد المنعم عامر، القاهرة، بدون تاريخ.
64- المقدسي، أبوعبدالله محمد بن احمد البشاري، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، دار إحياء التراث العربي، بيروت بدون تاريخ.
65- الهمداني، أبو الحسن بن احمد بن يعقوب، *صفة جزيرة العرب*، تحقيق، محمد علي الاكوع، مكتبة لإرشاد صنعاء، 1990م.
66- الهمداني، *الإكليل، الكتاب العاشر في معارف همدان وأنسابها وعيون الأخبار*، تحقيق، محمد الاكوع، مكتبة الجيل الجديد،صنعاء،بدون تاريخ.
67- الوردي، سراج الدين أبوحفص عمر بن الوردي،(689-749هـ) *خريدة العجائب وفريدة الغرائب*،ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، بدون تاريخ.
68- اليعقوبي، احمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، الكاتب العباسي، *تاريخ اليعقوبي*، دار صادر بيروت بدون تاريخ.
69- اليعقوبي، احمد بن يعقوب بن عبد الباري، *كتاب البلدان*، دار صادر1893م.
70- بزرك بن شهريار الرام هرمزي، عجائب الهند، تحقيق، عبدالله الحبشي، المجمع الثقافي، أبوظبي، 2000م.
71- خسرو، ناصر خسرو علي، *سفر نامة*، ترجمة، يحيى الخشاب، الهيئة المصرية للكتاب، 1993م.
72- خليفة بن خياط، *كتاب الطبقات*، تحقيق، أكرم ضياء العمري، ط1، بغداد، 1967م.
73- شهاب الدين أحمد بن ماجد، *ثلاثة أزهار في معرفة علم البحار*، تحقيق، ثيودورشومفسكي، ترجمة، محمد منير مرسي، القاهرة، 1969م.
* *كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، تحقيق*، إبراهيم خوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1971.
74- شيخ الربوة، شمس الدين أبي عبدالله بن محمد بن طالب الأنصاري، *كتاب نخبة الدهر*، مطبعة بطرس بورغ، 1865.
75- قدامة، أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي،(ت 320هـ) *كتاب الخراج وصنعة الكتابة*، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد مصر بدون تاريخ.
76- مجهول، *السلوة في أخبار كلوة*، تحقيق، محمد علي الصليبي، وزارة التراث، مسقط، 1985م.

77- مجهول، *تاريخ الاستبصار في عجائب الأمصار*. جامعة الكويت، 1985م.
78- مجهول، *تاريخ أهل عمان*. تحقيق، سعيد عبد الفتاح عاشور، وزارة التراث مسقط، 1980م.
79- مجهول، *حدود العالم من المشرق إلى المغرب*. ترجمه من الفارسية وحققه، يوسف الهادي، دار الثقافة للنشر القاهرة، 2002م.
80- مجهول، *قصص وأخبار جرت في عمان*. تحقيق، عبد المنعم عامر، ط3، وزارة التراث والثقافة، 1983م.
81- ياقوت، شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي(626هـ) *معجم البلدان*. دار أحياء التراث العربي، بيروت بدون تاريخ.

II-المراجع.

*** المراجع العربية**

82- الخوري، ابرهيم، واحمد الترمذي، *سلطنة هرمز العربية*. الإمارات العربية المتحدة، 1999م.
83- شلبي، احمد، موسوعة التاريخ الإسلامي، والحضارة الإسلامية. مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ.
84- *الأطلس المدرسي لسلطنة عمان*. وزارة التربية والتعليم، دار النهضة للطباعة والنشر، 2004م.
85- الالوسي، عادل محي الدين، *تجارة العراق البحرية مع اندونيسيا حتى القرن الرابع الهجري*. الحرية للطباعة، بغداد، 1983م.
86- البستاني، بطرس، *محيط المحيط*، مكتبة لبنان بيروت، 1987م.
87- البطاشي، سيف بن حمود، *إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان*. ط3، مسقط، 1998م.
88- الجاسر حمد، *المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية*، المنطقة الشرقية،البحرين قديما. منشورات دار اليمامة، الرياض، ط1، 1979م. ج1650/4.
89- الجهضمي، زايد بن سليمان بن عبدالله، حياة *عمان الفكرية حتى نهاية الإمامة الاباضية الأولى 134هـ*. مطابع النهضة، سلطنة عمان1998م. ص11.
90- الخروصي، سليمان بن خلف، *ملامح من التاريخ العماني*. ط4، مطابع النهضة سلطنة عمان، 2006.
91- الديناصوري، جمال الدين، *جغرافية إفريقيا واستراليا*، القاهرة، 1986م.
92- السالمي، أبوعبدالله بن حميد بن سلوم، *تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان*. مكتبة أشاعت الإسلام الهند بدون تاريخ.
93- السهيل، عيد نايف، *الاباضية في الخليج العربي*. مكتبة الاستقامة، مسقط، 1998م.
94- السيابي، سالم بن حمود، *عمان عبر التاريخ*. وزارة التراث والثقافة، مسقط،2001م.
95- السيد عبدالعزيز سالم ، *البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي* . مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية،1993م.
* *تاريخ المغرب في العصر الإسلامي*. شباب الجامعة للطباعة، 1982م.
96- الصيني، بدر الدين، *العلاقات بين العرب والصين*. مكتبة النهضة المصرية، 1950م.

97- العاني عبدالرحمان عبدالكريم، *تاريخ عمان في العصور الإسلامية الأولى*. دار الحكمة لندن، 1999م.
98- العبيدلي، احمد، *الدولة العمانية الأولى أيام وأحوال*. دار جريدة عمان للطباعة والنشر بدون تاريخ.
99- العش أبوالفرج، *النقود الإسلامية من خلال التاريخ الإسلامي*. وزارة التراث، مسقط،بدون تاريخ.
100- العقيلي، محمد أرشيد، *الخليج العربي في العصور الإسلامية*. دار الفكر الغربي، بيروت، 1993م.
101- الغنيمي، عبد الفتاح مقلد، الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا. ط1، عالم الكتب القاهرة، ط1، 1998م.
102- القوصي، عطية، *تجارة الخليج العربي في القرنيين الثاني والثالث الهجريين*. جامعة الكويت ، 1980م.
103- المباركيوري، *القاضي أبو المعالي طهر، رجال الهند والسند*. دار الأنصار، مصر، بدون تاريخ.
104- المرهوبي، عامر بن عمير، *عمان قبل وبعد الإسلام*. وزارة التراث مسقط، 1980م.
105- المسري، *تجارة العراق في العصر العباسي*. كلية الآداب جامعة الكويت، 1982م.
106- النجار، عامر، *مذاهب الإسلاميين*. دار المعارف القاهرة، 1995م.
107- الندوي، محمد إسماعيل، *تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية*. دار الفتح للطباعة والنشر بيروت، بدون تاريخ.
108- الهمداني، حسين فيض الله، *الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن*. دار المختار للطباعة دمشق، بدون تاريخ، ص221 .
109- أنور عبد العليم، *ابن ماجد الملاح*. دار الكتاب العربي للطباعة، بدون تاريخ.
* *الملاحة وعلوم البحار عند العرب*. عالم المعرفة، الكويت، 1979م.
110- بوتشيش، إبراهيم القادري، *التواصل الحضاري بين عمان ودول المغرب*. جامعة السلطان قابوس، وحدة البحوث والدراسات،2000م.
111- جعيط، هشام، *الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية*. دار الطباعة بيروت،1993م.
112- جمال زكريا قاسم، *الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية*. معهد البحوث والدراسات العربية، 1975م.
113- جواد علي، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*. دار العلم للملايين بيروت،1976م.
114- جودة حسين، *جغرافية البحار والمحيطات*. المعارف الإسكندرية، 2000م.
115- حسن شهاب، *تاريخ بحرية عمان التقليدية*. ط1، وزارة التراث والثقافة سلطنة عمان 2001م.
116- حسن صالح شهاب، *عدن فرضة اليمن*. مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء،ط1990،1م.
117- حسين مؤنس، *أطلس تايخ الإسلام*، الزهراء للإعلام القاهرة. ط1، 1987م.
118- خالد سالم محمد، *ربابنة الخليج العربي مصنفاتهم الملاحية*. ط1، الكويت، 1982م.
119- خليفات، عوض، *نشأة الحركة الاباضية*. الأردن، 1982م.

120- رجب، محمد عبد العليم، *العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام*. مطابع النهضة مسقط بدون تاريخ.
121- زكار سهيل، *أخبار القرامطة*. دار الكوثر الرياض،1989م.
122- زكريا قورشون، *العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني*. الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، 2005م.
123- سعاد ماهر، *البحرية في مصر الإسلامية*. دار الكتب العربي للنشر، بدون تاريخ.
124- شوقي عبد القوي عثمان، *تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية*. عالم المعرفة الكويت، 1990م.
125- صالح العلي، *التنظيمات الاجتماعية في البصرة في القرن الأول الهجري*. دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2001م.
126- عبد الباقي أحمد، *معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري*. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991م.
127- *عمان في أمجادها البحرية*، سلسلة تراثنا. وزارة التراث والثقافة، مسقط، 1982م.
128- *عمان في فجر الحضارة*، سلسلة تراثنا. وزارة التراث والثقافة، مسقط بدون تاريخ.
129- غباش، حسين عبيد غانم، *عمان الديمقراطية في التاريخ السياسي الحديث*. دار الجديد، ط1997،1.
130- فاروق عمر، *الخليج العربي في العصور الإسلامية*. دار القلم دبي،1983م.
* *مقدمة في دراسة المصادر العمانية*. كلية الآداب جامعة بغداد، 1979م.
* *تاريخ الخليج في العصور الإسلامية الوسطى*. الدار العربية بغداد، 1985م.
131- فليجة، احمد نجم الدين، *إفريقيا، دراسة عامة وإقليمية*. مركز الإسكندرية للكتاب، 1996م.
132- فهمي السعيد، *انتشار الإسلام في إفريقيا في العصور الإسلامية الوسطى*. عالم الكتب بيروت، 2001م.
133- قدري قلعي، *الخليج العربي بحر الأساطير*. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت،1992م.
134- كاشف، سيدة إسماعيل، *عمان في فجر الحضارة الإسلامية*. ط3، وزارة التراث، مسقط.
135- متولي، محمد وأبو العلا، محمود، *جغرافية الخليج*. مطبعة الفلاح الكويت، ط1، 1982م.
136- مجموعة من المؤرخين، *الدولة العربية الإسلامية*. كلية الآداب جامعة البصرة، الإسكندرية، بدون تاريخ.
137- مجموعة من المؤرخين، *القلاع والحصون في عمان*، قسم الدراسات مكتب نائب رئيس الوزراء. سلطنة عمان، 1994م.
138- مجموعة من المؤرخين، *عمان في التاريخ*. وزارة الإعلام، مسقط بدون تاريخ.
139- مجموعة من المؤرخين، *عمان وتاريخها البحري*. وزارة التراث، مسقط، 2002م.
140- محمود إسماعيل، *الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري*. مكتبة الحرية الدينية، عين شمس،1986م.
141- مروة حسين، *النزعات المادية في الفلسفة الإسلامية*. بيروت، الفرابي، 2002م.

142- معمر علي، *الاباضية في موكب التاريخ*، مكتبة وهبة، 1979م.
143- معمر يحيى، *الاباضية بين الفرق الإسلامية*. وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان بدون تاريخ.
144- مهدي طالب هاشم، *الحركة الاباضية في المشرق العربي*. دار الحكمة لندن، ط2، 2003م.
145- نعيم زكي، *طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب*. دار الثقافة المكتبة العربية، 1973م.
146- نقولا زيادة، *الجغرافيا والرحلات عند العرب*. دار الكتاب اللبناني، 1987م.

*- المراجع المعربة
147- أدم. متز. *الحضارة الإسلامية*، ترجمة، محمد عبد الهادي، القاهرة،1941م.
148- المعمري، حمد بن حمود، *عمان وشرق إفريقيا*، ترجمة، محمد أمين عبدالله، وزارة التراث، مسقط، 1979م.
149- تشانغ زون يان، *الاتصالات الودية بين العرب والصين عبر التاريخ*، منشورات وزارة التراث،مسقط،العدد21، ط2، بدون تاريخ.
150- تيم سفرين، *رحلة السندباد*، سلطنة عمان. وزارة التراث والثقافة، 1983.
151- جاك ريسلر، *الحضارة العربية*، ترجمة، خليل احمد خليل، منشورات عويدات بيروت – باريس، ط1، 1993م.
152- جون أليف، *الأفارقة تاريخ قارة*، سلسلة دراسات افريقية. الجماهيرية الليبية للنشر ليبيا بنغازي، 2000م.
153- جون ويلكنسون، *صحار تاريخ وحضارة*، سلسلة تراثنا. وزارة التراث والثقافة، مسقط، بدون تاريخ.
154- جيان، *وثائق تاريخية وتجارية عن إفريقيا الشرقية*، كتبه عام 1956م. ترجمة، يوسف كمال، القاهرة، بدون تاريخ.
155- حوراني، جورج فاضلو، *العرب والملاحة في المحيط الهندي*. ترجمة، يعقوب بكر مكتبة الانجلو المصرية، بدون تاريخ.
156- روبرت جبران لاندن، *عمان مصيرا ومسيرا*، ترجمة، محمد أمين عبدالله. وزارة التراث مسقط، 1969م.
157- كراتشكوفسكي، أغناطيوس، *تاريخ الأدب الجغرافي*، ترجمة صلاح الدين عثمان. جامعة الدول العربية،1963م.
158- كلود كاهن، *تاريخ العرب والشعوب الإسلامية*، ترجمة، بدر الدين قاسم،ط2. بيروت 1977م.
159- كوبر،أ.د. *جغرافية النقل البحري*، الأكاديمية العربية للنقل البحري. 1975م.
160- كوستا ب.م. *مستوطنة عرجاء لتعدين النحاس*، وزارة التراث والثقافة مسقط. 1983م.
161- كيلي،جون ب، *بريطانيا والخليج*، ترجمة، محمد أمين عبدالله، وزارة التراث مسقط. مطبعة بابي الحلبي، بدون تاريخ.
162- لوريمر، جون غوردون، *دليل الخليج*، قسم الترجمة، بمكتب صاحب السمو أمير قطر،ط3، 1975م.

163- لومبارد، موريس، *الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى*. ترجمة، عبدالرحمان حميدة. دار الفكر دمشق،1998م.
164- مارسيه، جورج، *بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى*. ترجمة، محمود عبد الصمد هيكل، المعارف الاسكندية، بدون تاريخ.
165- ماركوبولو، *رحلات ماركوبولو*، ترجمة،عبدالعزيز جاويد،الهيئة العامة للكتاب،1986م.
166- مايلز، *الخليج بلدانه وقبائله*،ط3، وزارة التراث والثقافة ، مسقط،1986م.
167- مجهول، *حدود العالم من المشرق إلى المغرب*، ترجمه من الفارسية إلى العربية وحققه، يوسف الهادي، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 2002م.
168- هايد. ف. *تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى*، ترجمة، احمد رضا محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991م.
169- ولكنسون. جي. أرس، *الافلاج ووسائل الري في عمان*. ترجمة، محمد أمين عبدالله، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان1981م.
170- وليامسون اندرو، صحار عبر التاريخ، منشورات وزارة التراث، مسقط،1994م.
171- ويلسون لافتنانت سير كولونيل ارنولدت، *تاريخ الخليج*، ترجمة، محمد أمين عبدالله، دار الحكمة لندن، بدون تاريخ.

*- **البحوث والمقالات.**

172- احمد شلبي، *الحضارة الإسلامية ودور العمانيين في تطويرها*، بحث مقدم لندوة الدراسات العمانية، وزارة التراث والثقافة سلطنة عمان،1988م.
173- البوسعيدي، هلال بن محمد بن احمد، *تاريخ القلاع والحصون في عمان*. بحث مقدم لكلية القيادة والأركان بالجيش السلطاني العماني، مكتبة السيد محمد بن احمد البوسعيدي. سلطنة عمان، 1988م.
174- البوسعيدي، يعقوب بن عبدالله، *بحث في أثار نزوى عبر التاريخ*. حصاد ندوة دراسات المنتدى الأدبي في نزوى، ط1، 2001م.
175- الزيات، حبيب، معجم المراكب والسفن في السفن، *مجلة المشرق*. 23 كانون الأول، 1969م.
176- القوصي، عطية، *تجارة الخليج في القرنين الثاني والثالث الهجريين*. جامعة الكويت، 1980م.
177- اللواتي، على حسن خميس، *أضواء على المجتمع العماني في القرنيين الرابع والخامس الهجريين دراسة لفئات المجتمع، الملتقى العلمي الأول*. لتراث سلطنة عمان، جامعة آل البيت، الأردن .2002م.
178- المشهداني، محمد جاسم حمادي، *تاريخ ظفار*، بحث مقدم لظفار عبر التاريخ، حصاد ندوة المنتدى الأدبي، 1997م.
179- سحر، السيد سالم،*عمان وطريق تجارة التوابل عبر المحيط الهندي في العصر الإسلامي*، بحث مقدم إلى مؤتمر طرق الحرير، اليونسكو منشورات وزارة التراث والثقافة مسقط، نوفمبر1990م.
180- سعاد ماهر، *الاستحكامات الحربية في مسقط*، بحث مقدم لحصاد ندوة الدراسات العمانية، وزارة التراث والثقافة، مسقط.1980م.

181- سعيد بن مسعود، *شذرات من تاريخ ظفار*، بحث مقدم عن ظفار، حصاد ندوة المنتدى الأدبي الأول، مسقط، 1997م.
182- كاشف، السيدة إسماعيل، *عمان ونشر الإسلام في بلاد المغرب*، بحث مقدم في حصاد ندوة الدراسات العمانية، 1980م.
183- كيركما، *التاريخ المبكر لعمان الإسلامية في شرق إفريقيا*، بحث مقدم لحصاد ندوة الدراسات العمانية، وزارة التراث والثقافة، مسقط، 198م.
184- لي تشين تشونغ، *بحث مقدم لمجلة التسامح العدد7* . وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، مؤسسة عمان للصحافة والنشر، 2004م.
185- *مجلة الدراسات العمانية، مجلة مختارة من الدراسات التاريخية،العدد1*. وزارة التراث والثقافة، مسقط، 1976م.
186- مجموعة من المؤرخين القلاع والحصون في عمان، قسم الدراسات مكتب نائب رئيس الوزراء. 1994م.

* - **لأطروحات والرسائل الجامعية**

187- البادي، حميد بن سعيد، *دور العمانيين في الملاحة والتجارة في منطقة الشرق (المحيط الهندي) من 123- 400هـ/ 749- 1009م*. رسالة ماجستير غير منشورة، الجمهورية التونسية جامعة تونس الأولى، 2002م.
188- العاني، *عبدالرحمان عبدالكريم، تاريخ عمان عي العصور الإسلامية الأولى*. أطروحة دكتوراه، دار الحكمة لندن،1999م.
189- العمري، محمد بن سعيد، *ظفار الثورة في التاريخ العماني المعاصر*. رسالة ماجستير، الجامعة العربية الخاصة للعلوم الجمهورية التونسية، مطابع رياض الريس بيروت، 2004م.
190- العيسائي، على بن سالم، *اتفاقية الحدود الدولية دراسة مقارنة*، رسالة ماجستير في العلوم القانونية،دار العلوم العربية بيروت، 2006 م.
191- المعشني، احمد بن محاد ، *الحياة الاقتصادية في عمان من القرن الثالث الى القرن الخامس الهجري/ الحادي شر للميلاد*، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، كلية الاداب.
192- عبد الحكيم غنتاب أذبيح، *دور البصرة التجاري في القرن الثاني الهجري حتى القرن الرابع الهجري*. أطروحة دكتورا دولة غير منشورة، جامعة تونس الأولى، 1997م.

*- **الشبكة العالمية (الانتر نت)**

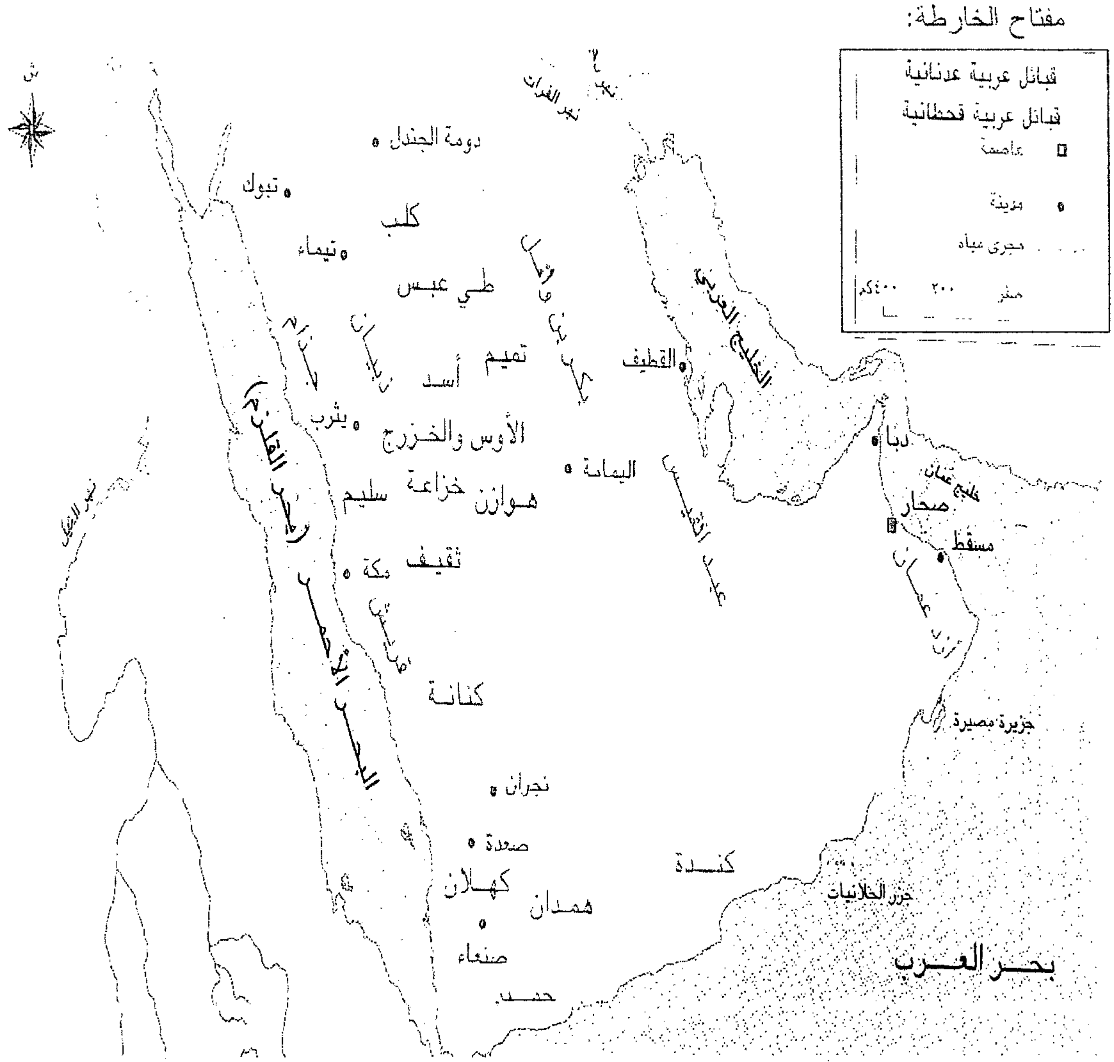
193- https //w7.sis . c1/Oman

III – المراجع بلغات أجنبية.

194- Alexander Popovic, La révolte des esclaves en Iraq au 3eme siècle de l'Hégire / 9 ème ap JC , 1976.
195-Amir A. Mohammed , A guide to a history of Zanzibar. 1997.
196-Barbosa D.A , Description of the coasts of the east Africa and Malabar in the beginning of 16 th century. U.S.A, 1970.
197-Basil Davidson, The Africa cost.
- The lost cities of Africa ,USA ,1959.
198-Coupland, R. East Africa and its vaders , Oxford , Clarendon Press, 1961.
199-Radhi Daghfous , Le Yemen Islamique des origines jusqu' à l'avènement des dynasties autonomes (Ier – IIIè- VII– IX siècles) , Tunis, 1995, 2 vol.
200-E .J. Brill, Encyclopedia of Islam, vol VI ,1913.
201-Ennami Omar Khalifa, Al Ibadhiyah studies in Ibadhism thesis, University of Cambridge, 1997.
202-George Allen, Studies on modern Asia and Africa , the Arabian Peninsula society, edited by Derek Hopwood, 1972.
203-Hirth Fr and Rockhill , W. Chau ju kua on the Chinese and Arab trade in the Twelfth and Thirteenth centuries, Amsterdam Oriental Press, 1966.
204-Hollingsworth, (L.W) Shortcry of the East coast Africa. London 1949.
205-Hollingsworth, (L.W) The Asians of East Africa, London .1960.
206-Huzzyyen, Arabia and the far East ,Cairo, 1942.
207-Kaber, the Buwayhid dynasty of Bagdad, 1964.
208-Kingsnoth,G.M. Africa south of the Sahara , Cambridge. 1962.
209-Kingsnoth,G.M. Introduction to the history of East Africa .
210-L.W. Hollingsworth, A shortery of the east coast Africa , Mac Milan and co. , London ,1949.
211- Miler James, The spice trade of the Roman Empire, Oxford, 1969.
212-Morgan, (W.T.W) East Africa. London, 1973.
213-Paterson J .E , Oman in the 20 th century, London,1973.
214-Reusch , History of East Africa, Stuttgart. 1954.
215-Sarton G, Introduction to the history of the sciences, part 1.
216-Smith J. , The land and people of Indonesia, New York. 1961.
217-Trimmingham , The influence of Islam upon Africa,
218-Viekke Bernard and H.M. Mustantara , A history of Indonesia, Bandung, 1959
219-Wiet Gaston , Les marchands,d'épices,Le Caire, 1955.
220-Wilkinson, Water and tribal settlement in South East Arabia 1977.

الملاحق

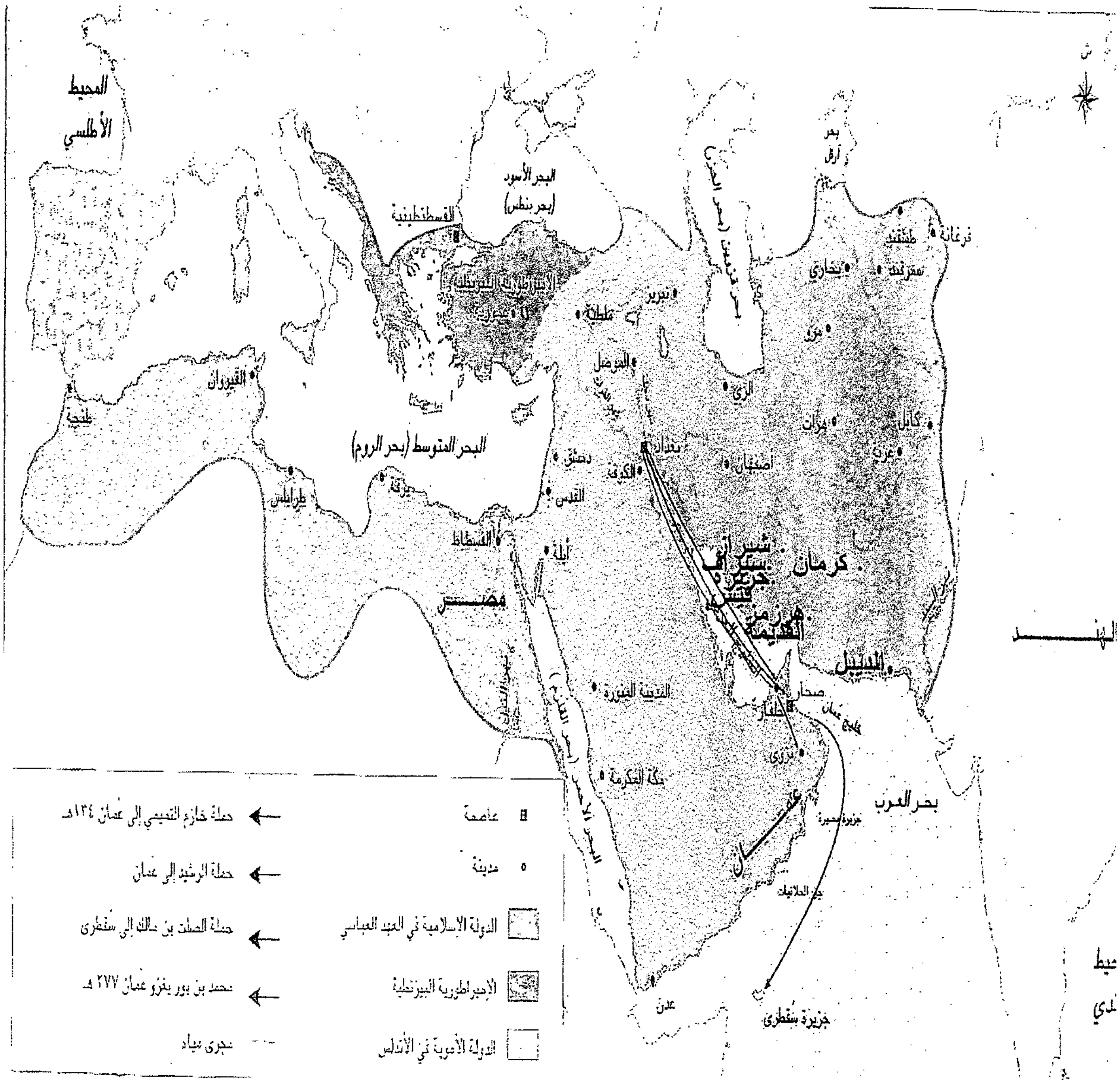
القبائل العربية في شبه جزيرة العرب قبل الإسلام.



المرجع:الأطلس المدرسي، سلطنة عمان، 2004، ص 151.

الشكل رقم: (1)

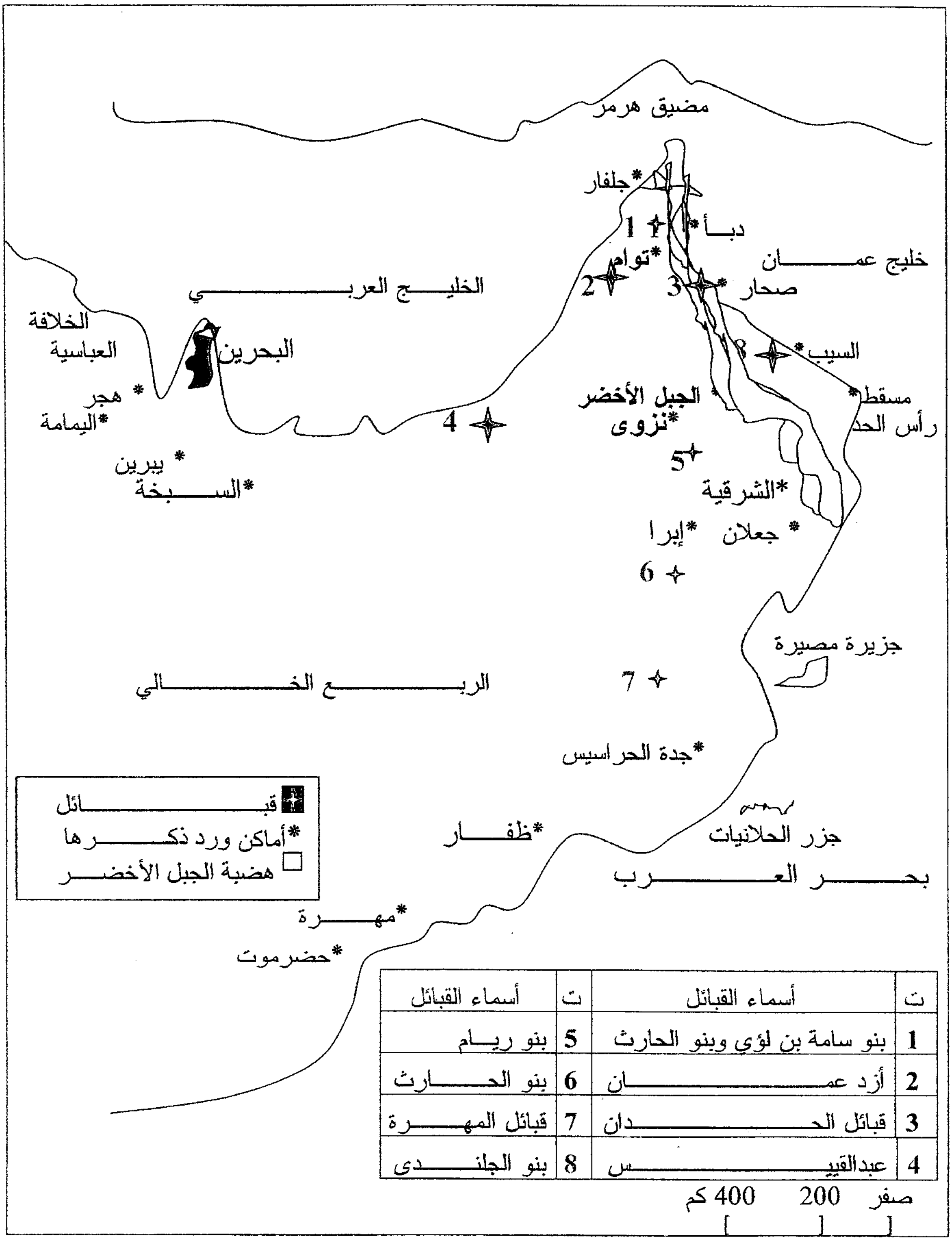
عمان في عهد الدولة العباسية



- المرجع. الأطلس المدرسي سلطنة عمان، ص، 167.

الشكل رقم:(2)

توزيع القبائل العمانية في العصور الإسلامية الأولى



ت	أسماء القبائل	ت	أسماء القبائل
1	بنو سامة بن لؤي وبنو الحارث	5	بنو ريـــام
2	أزد عمـــــــــــان	6	بنو الحـــــارث
3	قبائل الحـــــــــدان	7	قبائل المهـــــرة
4	عبدالقيـــــــــس	8	بنو الجلنـــــدى

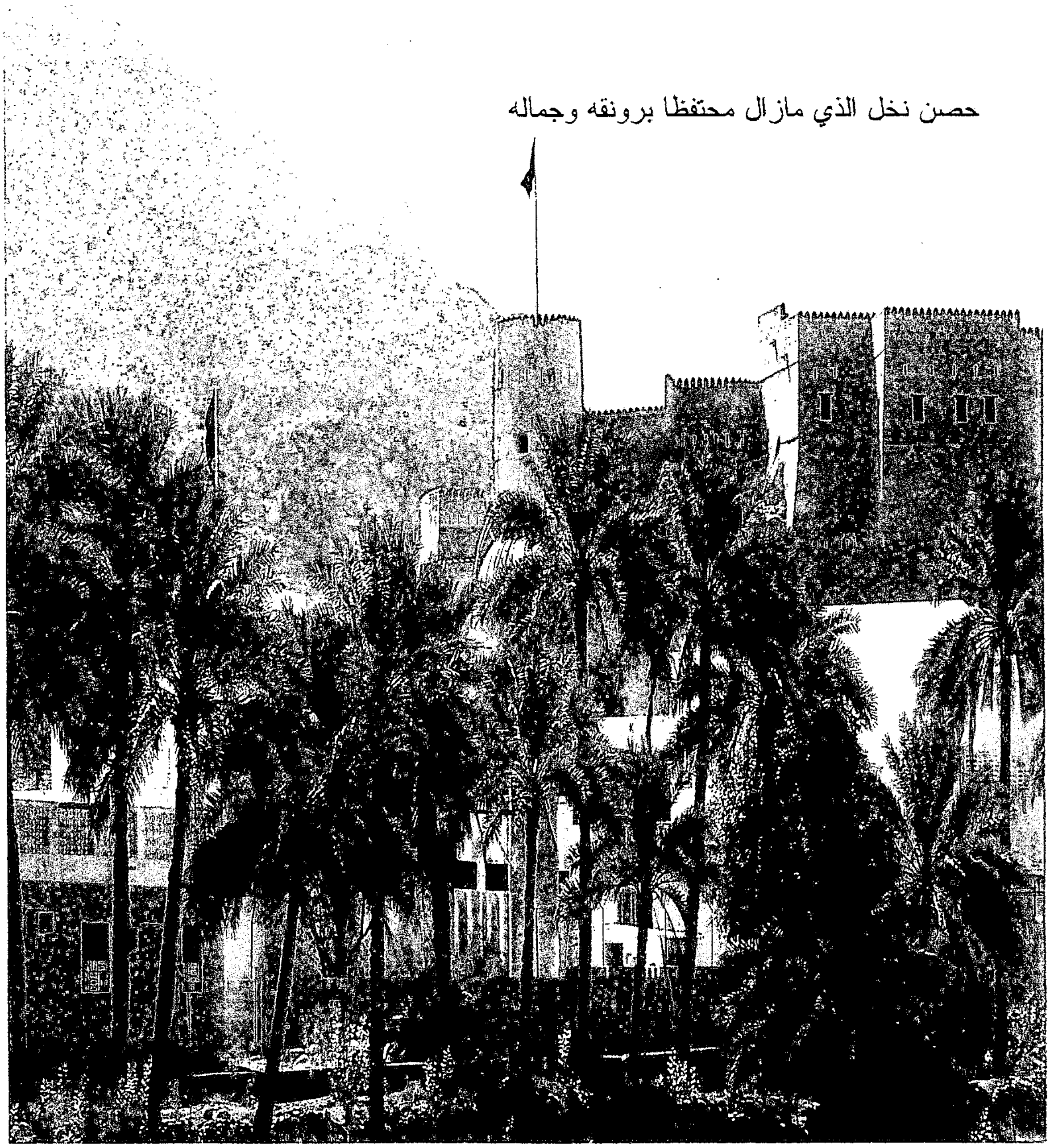
الشكل رقم: (3)　　خارطة من عمل الباحث



قلعة بهلاء التي مازالت تحتفظ بجمالها.

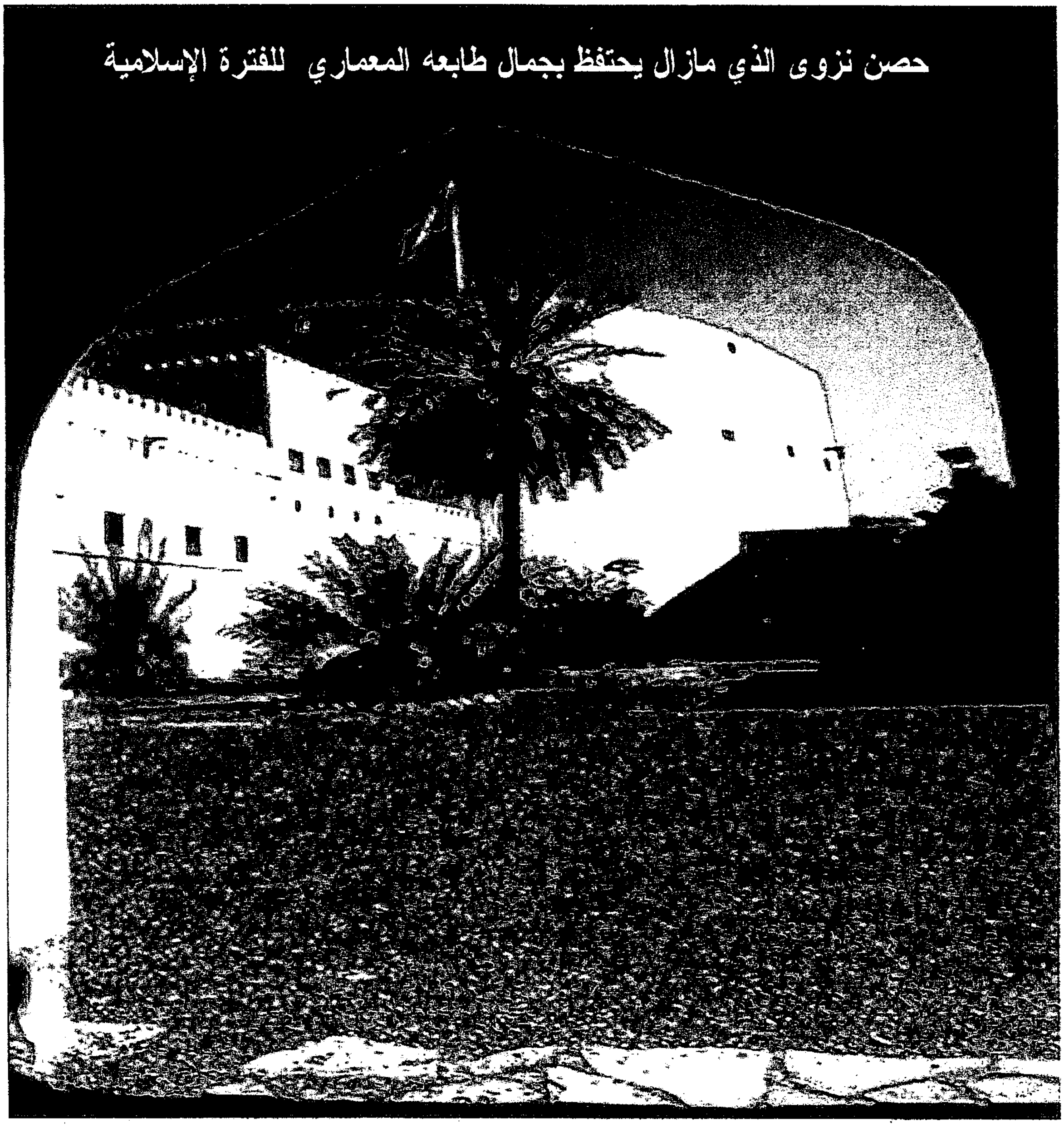
لقد اشرنا سابقا بأن المؤرّخين اختلفوا في تاريخ تشييد القلعة، فالبعض يرى أنّها شيدت عام 1500ق.م، بينما يرى فريق آخر أنّ الملك نبوخذ نصر هو الذي شيّدها قبل رحيله إلى بلاد الرّافدين لتأسيس إمبراطوريّتــه، والــبعض الآخر يرى أنّ تاريخ بنائها يعود إلى فترة ما قبل الإسلام، أي زمن الاحتلال الفارسي لعمان، في حين تذكر بعض المصادر العمانيّة أنّ احمد بن هلال الذي كان واليا على عمان سنة 280هـ/893م هو الذي شيّدها.

الشكل رقم: (4)



لقد اشرنا سابقا أنّ حصن نخل بني على تلّة جبلية يصل ارتفاعها نحو 200 قدم، ولم تحدّد المصادر الفترة التي تم البناء فيها، أمّا فيما يتعلق بتجديده أو ترميمه فيروى أنه تمّ في عهد بني اليحمد عام 200هـ–815م، غير أنّه لا توجد هناك أدلّة قاطعة في هذا الشأن لعدم وجود كتابات تاريخيّة معاصرة لتلك الحقبة، وقد تم ترميمه في الفترة المعاصرة ليظهر بشكله الحالي.

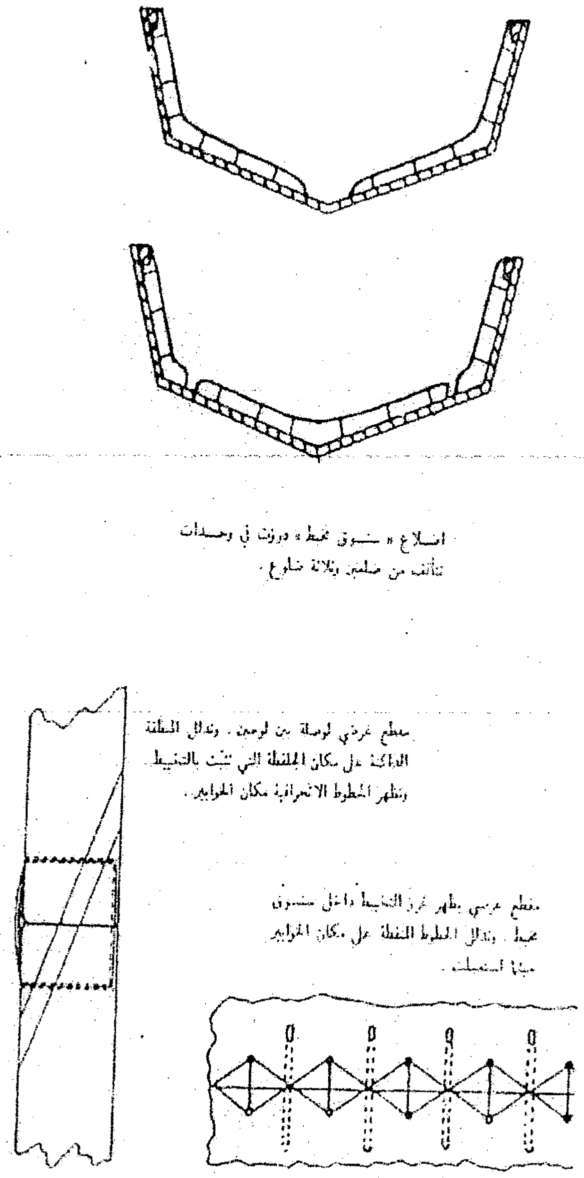
الشكل رقم: (5)



حصن نزوى الذي مازال يحتفظ بجمال طابعه المعماري للفترة الإسلامية

تم تشييد الحصن في منطقة العقر بنزوى عام 225هـ-845م في عهد المهنأ بن جيفر. وفي رواية لبعض الدراسات أن الذي بناه هو الإمام الصلت بن مالك الخروصي سنة 237هـ-851م وقد شُيّد في موضع بالقرب من جامع نزوى.

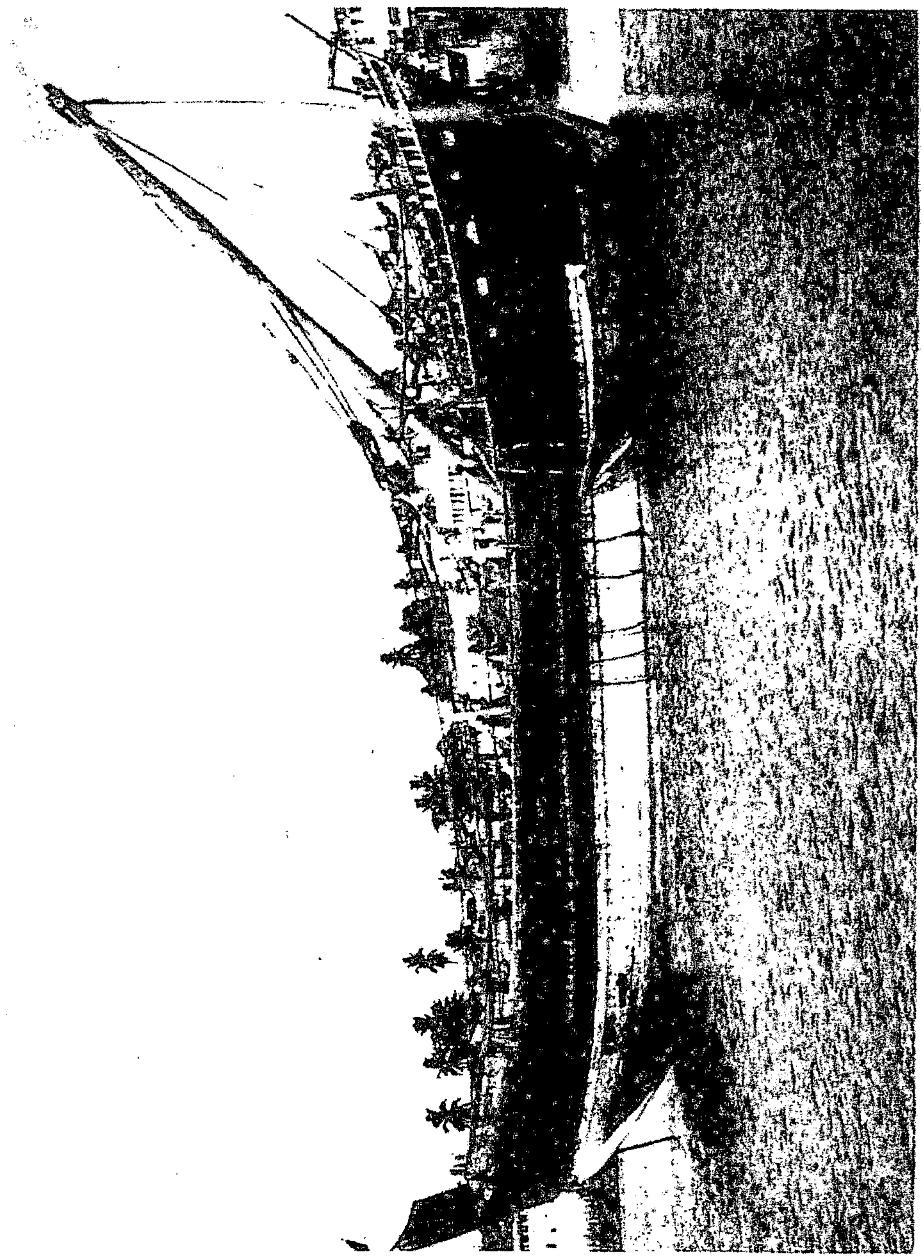
الشكل رقم: (6)



*الطريقة السائدة لخياطة السفن في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي في الفترة قيد البحث.
* المرجع، شوقي عبد القوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عهد السيادة الإسلامية، عالم المعرفة الكويت، ص 121.

الشكل رقم: (7)

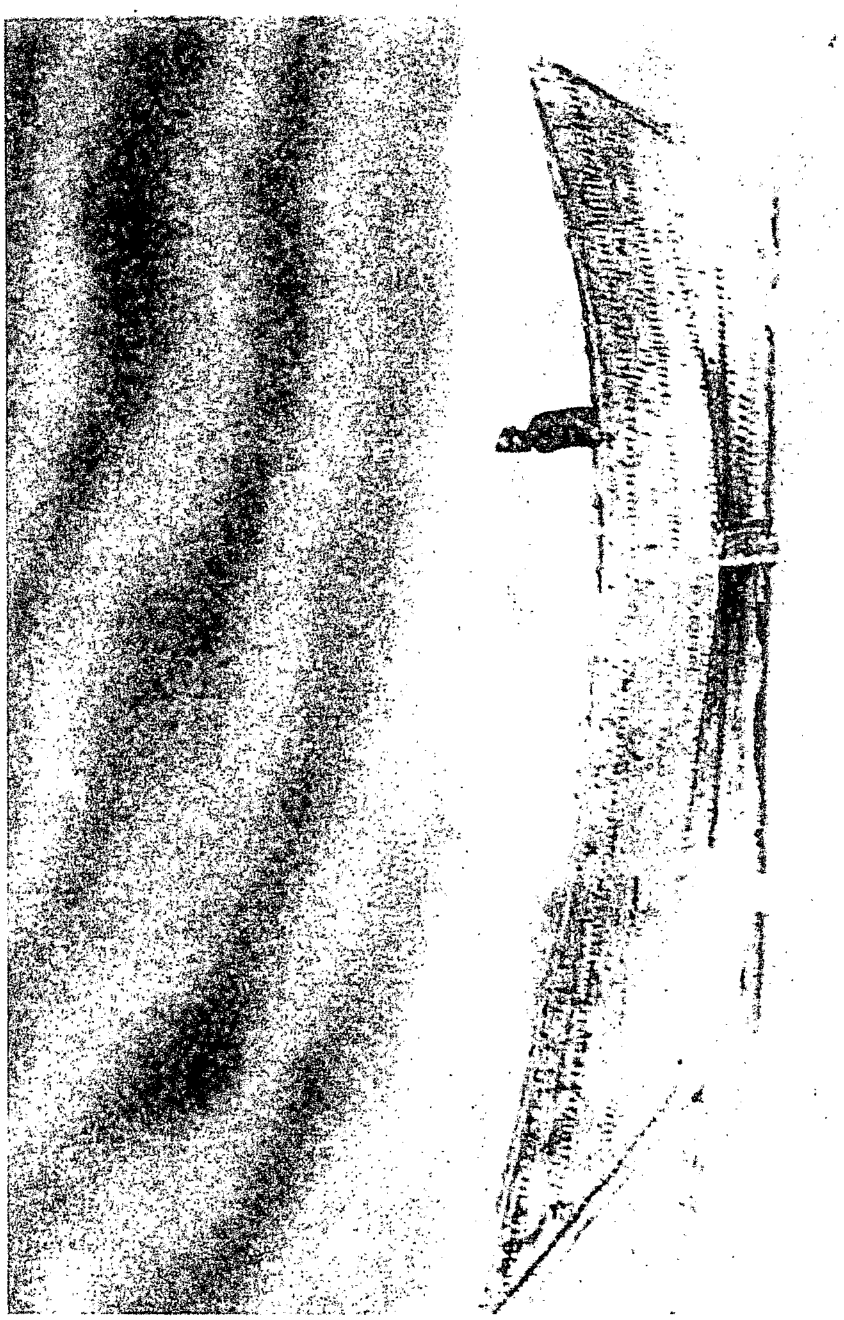
صورة لسفينة كبيرة يظهر أنها من السفن العابرة للمحيطات، وهي نوع "سنبوق".



المرجع: عمـــان وتاريخها البحري، ص 130.

الشكل رقم: (8)

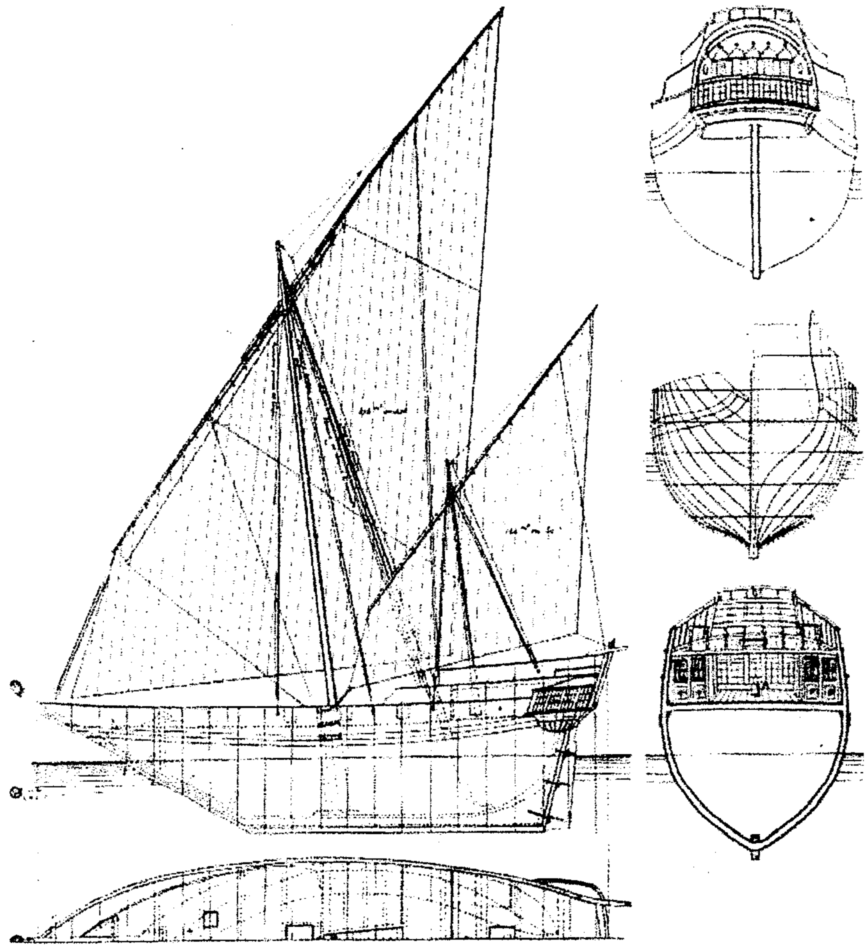
سنبوق مخيّط بساحل ظفار وتظهر عليه بوضوح غرز تخييط الألواح



المرجع، عمـــــــــان وتأريخها البحري، ص 112.

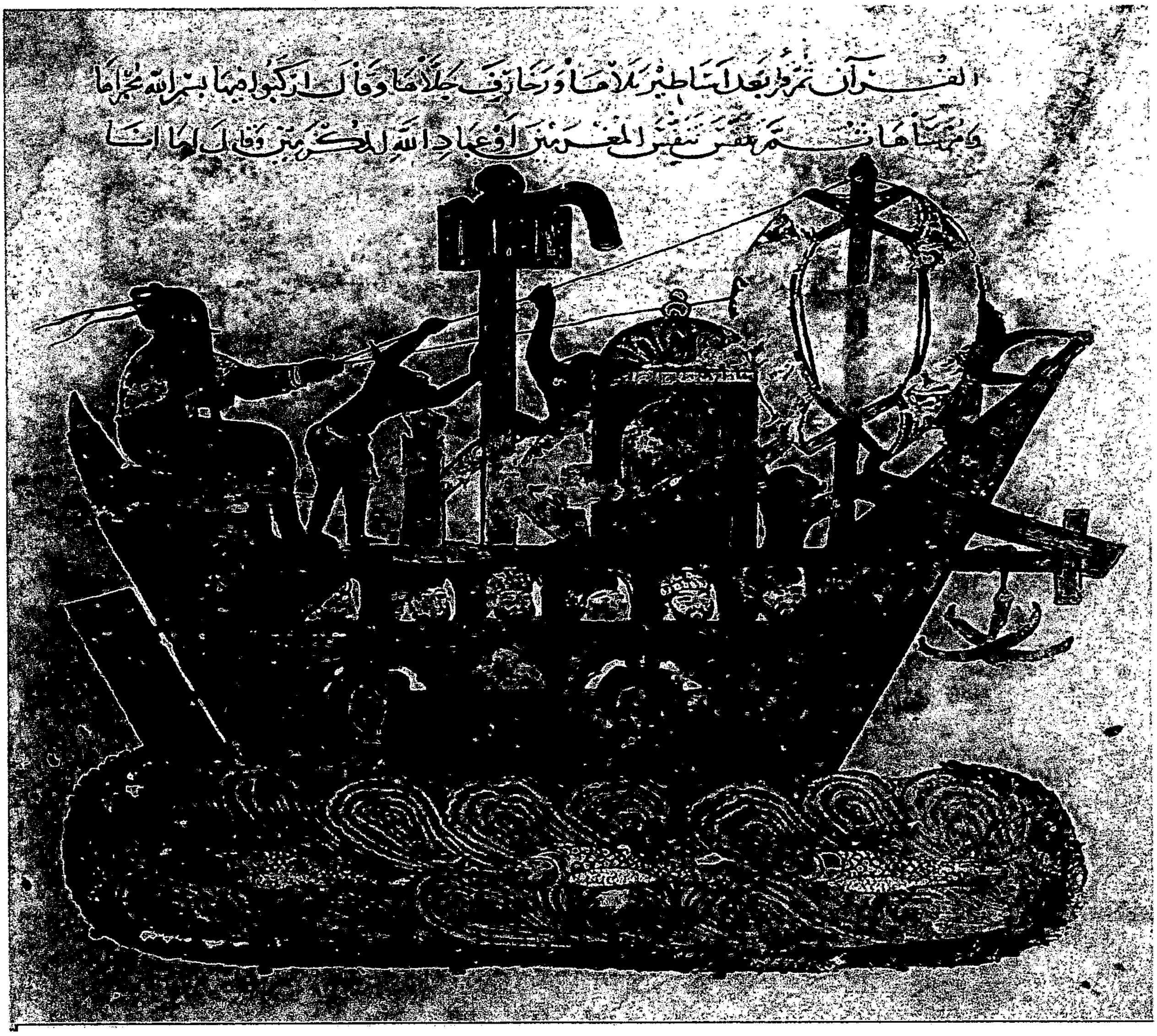
الشــكل رقم: (9)

رسم تقريبي لشكل البغلة تبدو عليه الادقال والأشرعة واضحة



المرجع، عمان وتاريخها البحري، ص 121.

الشكل رقم: (10)

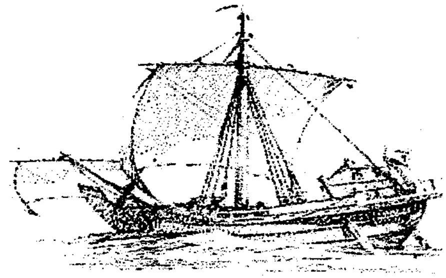


مشهد من مقامات مخطوطة لسفينة الحريري التي رسمها المصور يحيي بن محمود الو اسطي سنة 634هـ/1236م، وهي مشدودة بعضها البعض بالحبال – الدقل، الصاري – إلا أن صاري المقدمة يحمل أشرعة صغيرة غريبة. المخطوطة في مجموعة شيفر Schafer بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم5847، الورقة 119ب.حوراني، ص 334.

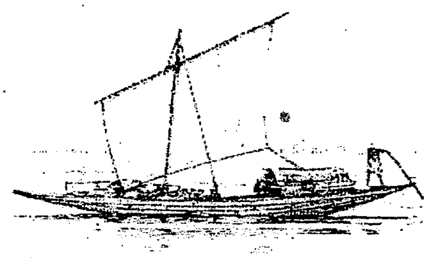
- المرجع : حوراني جورج، العرب والملاحة في المحيط الهندي. ص، 334
- عمان وتاريخها البحري. ص 109.

الشكل رقم: (11)

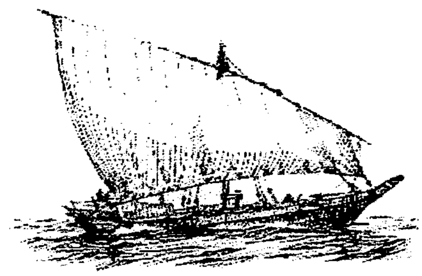
الأشرعة التي ورد ذكرها في البحث ويبدو عليها الدّقــل ظاهراً.



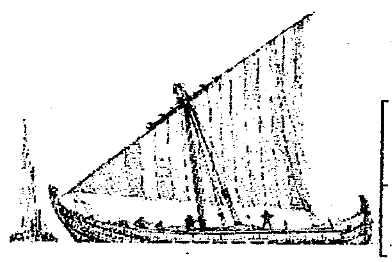
الشراع المربع



تطوير الشراع المربع



الشراع العربي المثلث

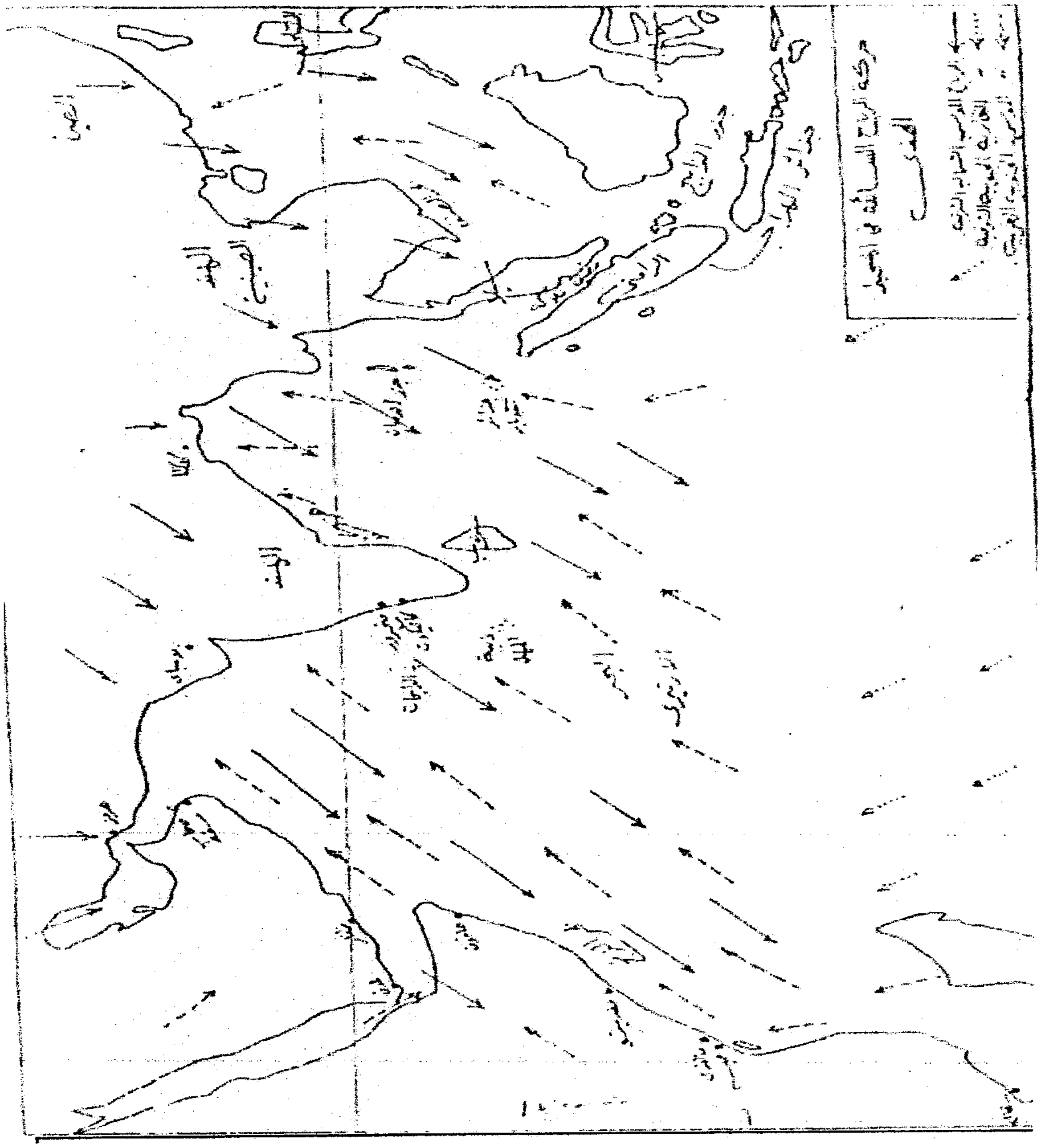


الشراع المثلث الكامل

المرجع: عمان وتاريخها البحري، وزارة التراث، سلطنة عمان، 2002م. ص114.

الشكل رقم: (12)

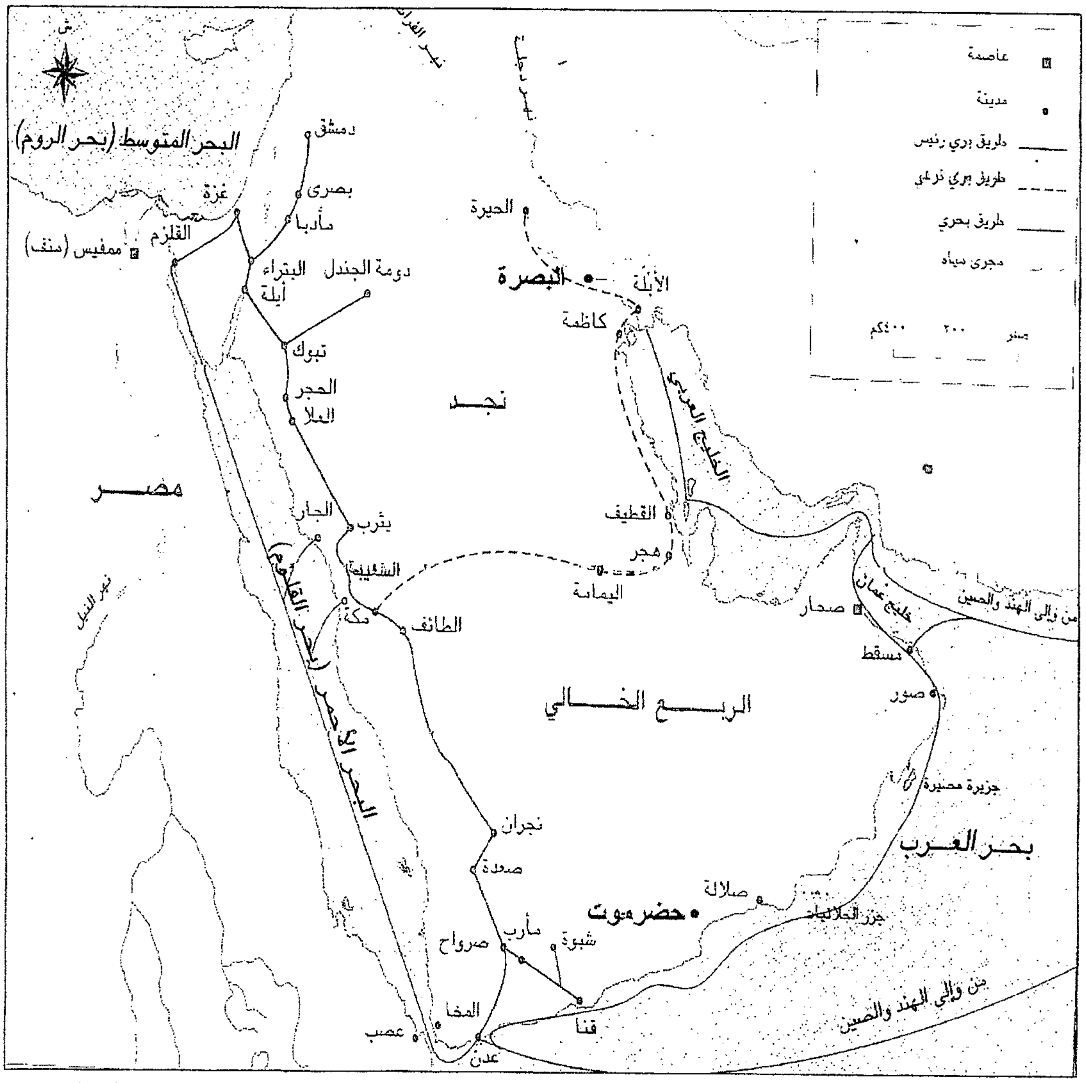
حركة الرياح الموسمية السائدة في المحيط الهندي



المرجع، شوقي عبد القوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت، ص 199.

الشكل رقم : (13)

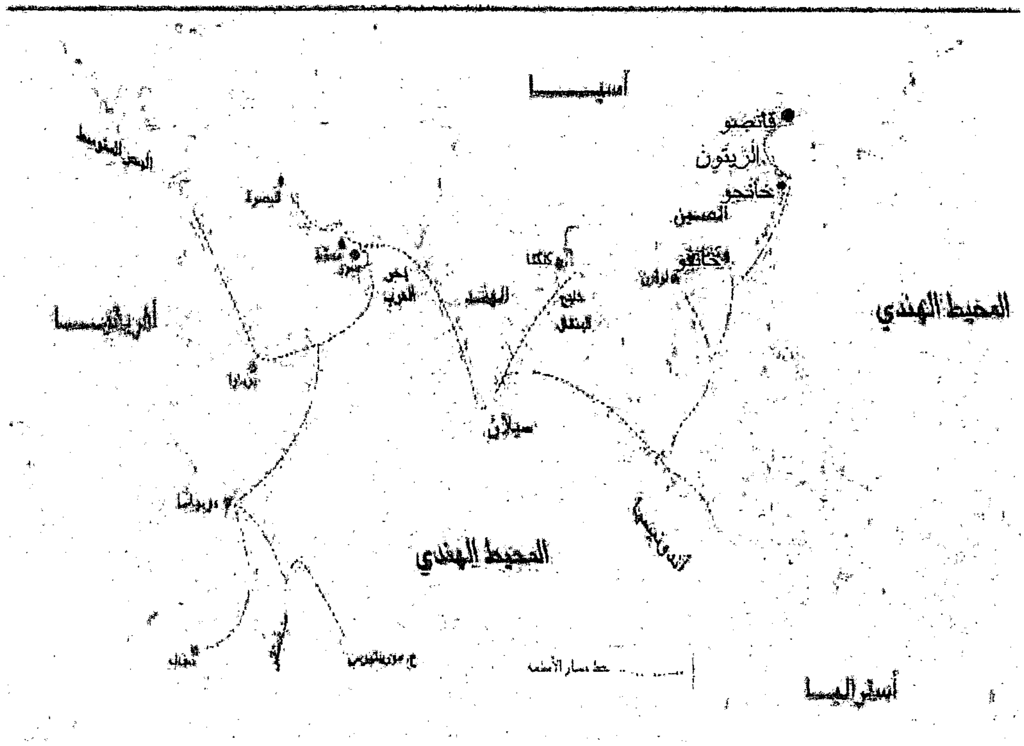
الطرق التجارية في شبه الجزيرة العربية في العصور الإسلامية الوسطى



تم وضع الإضافات من قبل الباحث

المرجع، أطلس عمان المدرسي، سلطنة عمان، 2004 م. ص 157.

الشكل رقم: (14)

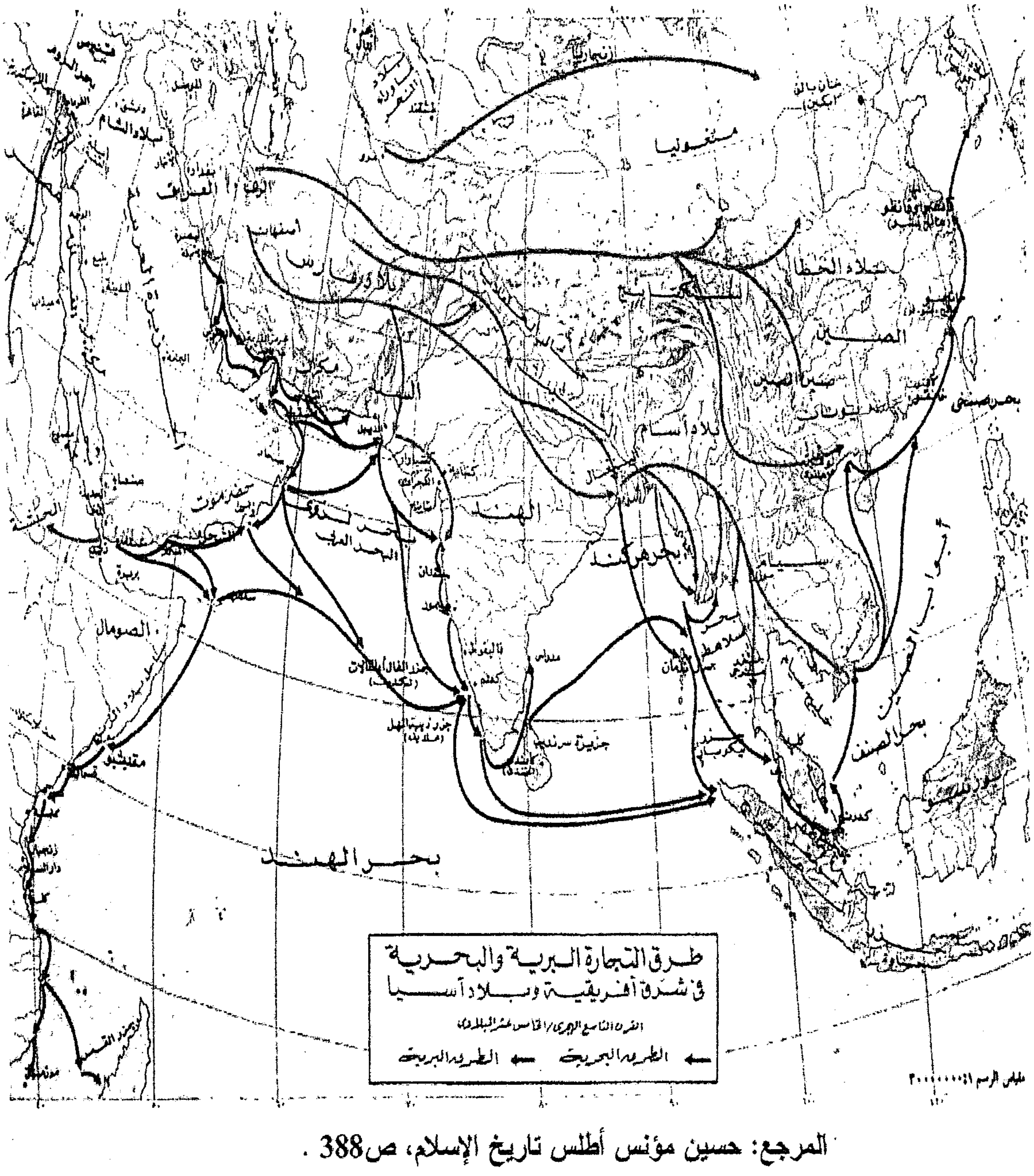


تم وضع الإضافات من قبل الباحث

المرجع: عمان وتاريخها البحري، وزارة الأعلام، سلطنة عمان 1979م. ص. 21.

الشكل رقم: (15)

طرق التجارة في المحيط الهندي وشرق إفريقيا وقد عرفِها البحارة العرب بحكم موقع بلادهم منذ أن بدئوا الإبحار في منطقة المحيط الهندي.

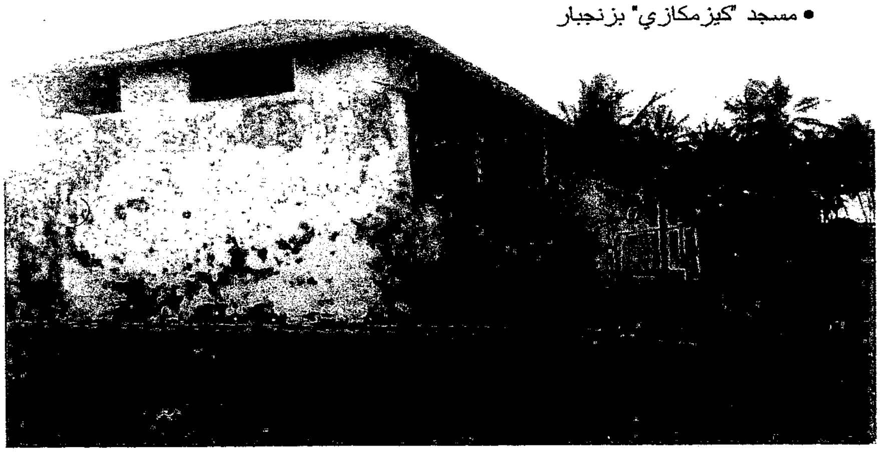


المرجع: حسين مؤنس أطلس تاريخ الإسلام، ص388 .

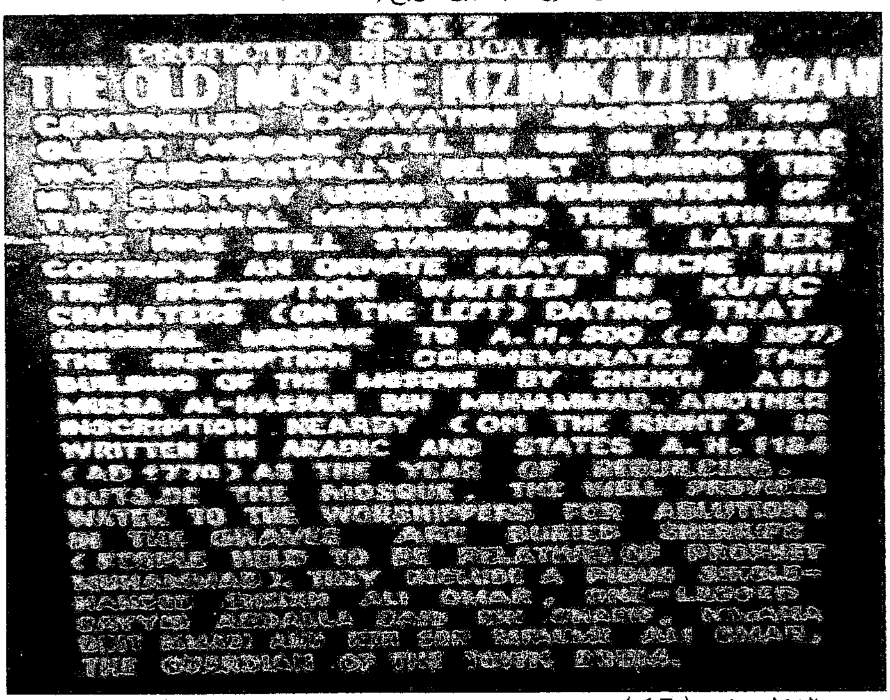
الشكل رقم: (16)

هذه الصور التقطها الباحث أثناء زيارته الميدانية لشرق إفريقيا

- مسجد "كيزمكازي" بزنجبار

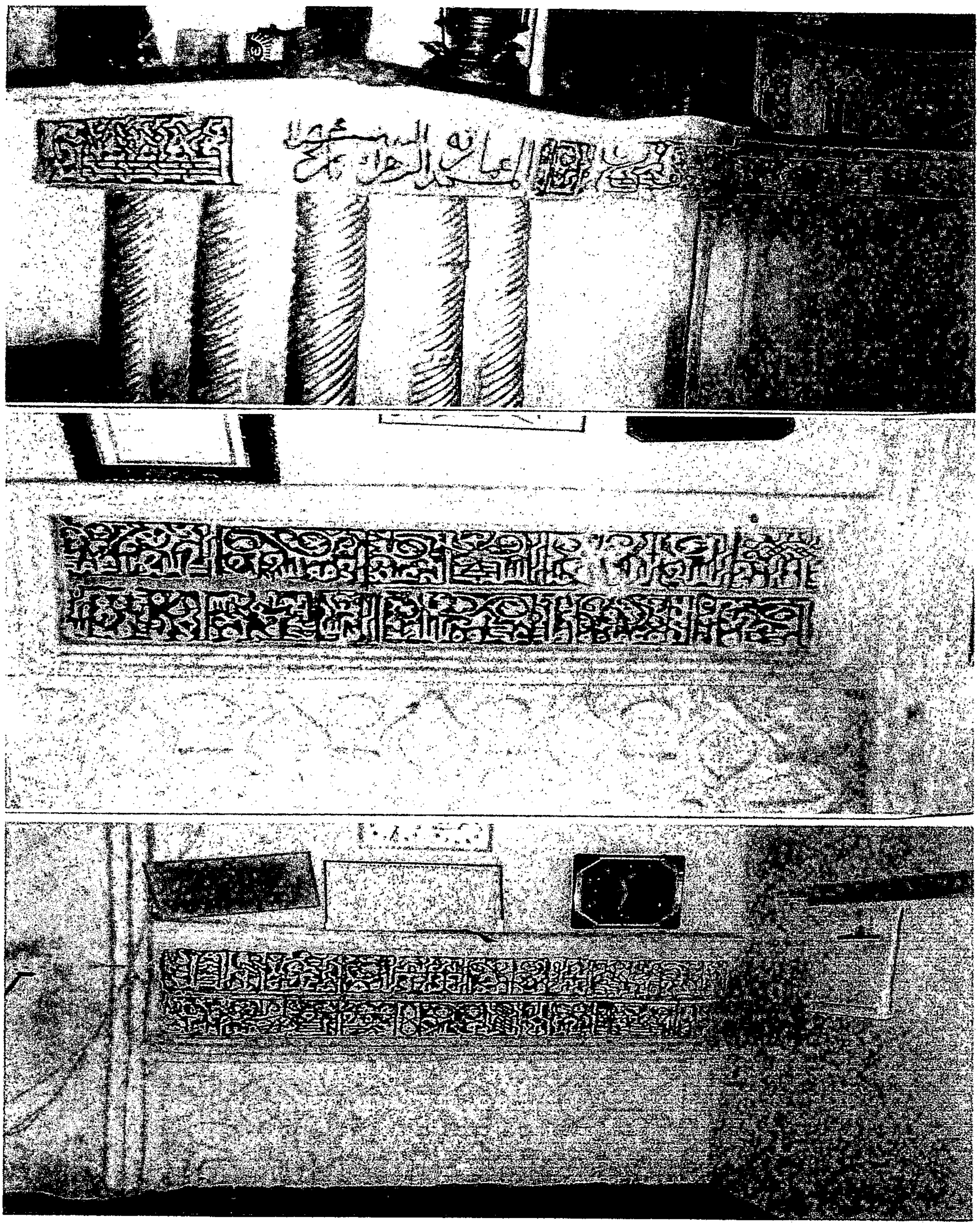


- لوحة إرشادية تبين تأريخ إنشاء المسجد.

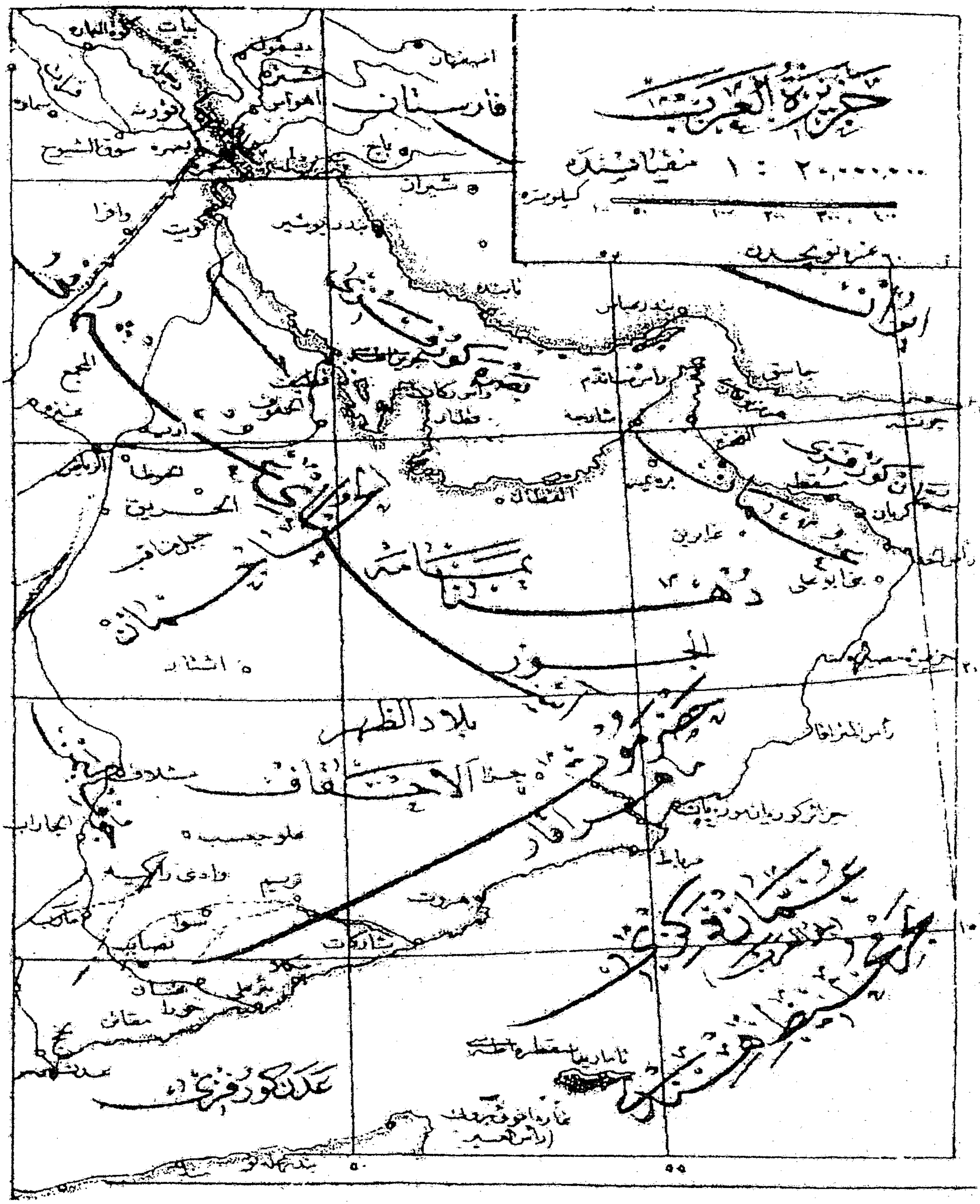


الشكل رقم: (17) من إعداد الباحث

صورة المسجد من الداخل وتبدو ملامح العمارة الإسلامية عليه.



الشكل رقم :(18)



خارطة عثمانية تظهر لنا التقسيمات الجغرافية للحدود السياسية بشبه جزيرة العرب في عهد العثمانيين.

زكريا قورشون، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني. الدار العربية للموسوعات ، بيروت لبنـــان، 2005 م.

الشكل رقم (19)